كيم إيل سونغ

المؤلفات

يا شغيلة العالم كله اتحدوا !

كيم إيل سونغ

المؤلفات

٤٧

المذكرات "فى دوامة القرن" ٣

(شباط ١٩٣٣ – شباط ١٩٣٥)

دار النشر باللغات الاجنبية
بيونغ يانغ ٠ كوريا
٩٧ زوتشيه (٢٠٠٨)

빼앗긴 조국을 되찾기
위하여 피를 흘리고 목숨을
바친 사람들만이 조국이
얼마나 귀중하고 조국에로 다시
가는길이 얼마나 험난하고
시련에 찬길인가를 진정
뼈에 사무치게 느낀다고
말할수 있다.

김일성

ترجمة الكلمة المخطوطة فى الصفحة السابقة

ان من يريقون دمهم ويخاطرون بحياتهم فى النضال من أجل استرجاع الوطن السليب، هم وحدهم القادرون على القول انهم يشعرون حتى نقى عظامهم بمدى قيمة الوطن، وبمدى هول المحن والمصاعب التى تحف بطريق العودة إليه.

كيم ايل سونغ

فهرس

الفصل السابع دنيا الشعب

الفصل الثامن تحت راية مناهضة اليابان الخفاقة

الفصل التاسع   الحملة الاولى الى منشوريا الشمالية

الفصل السابع   دنيا الشعب

(شباط ١٩٣٣– شباط ١٩٣٤)

١ـ عش السعادة

في اواسط شباط عام ١٩٣٣، اتجهنا الى منطقة حرب العصابات في وانغتشينغ ودليلنا هو العجوز "ما". كنا ثمانية عشر مغاورا، وما ان خرجنا الى الطريق العام حتى استعدنا حماستنا وبعد عشرين يوما من النقاشات السياسية الجافة في كوخ جبلي، ورحنا نمشي بخطى حثيثة. لقد كان الرتل مفعما بالحيوية والنشاط، رغم ان آثار المحن التي تعرضنا لها في الشتاء لم تكن قد اختفت تماما.

يقال الآن انه اذا ما سأل احدهم سكان منطقة وانغتشينغ عما يميز منطقتهم، فانهم يجيبون بتعبير فطن انها مشهورة بطول خطب محافظها ومبنى مدرستها الابتدائية وودیانها. وربما ابتدع ذلك احد الساخرين في منطقة وانغتشينغ تعبيرا عن حبه لموطنه.

لو كانت لدي مثل هذه الطرائف والملح في ذلك الوقت، لكنت انتزعت ابتسامات السعادة من رفاق السلاح الذين كانوا يعانون المحن القاسية، ولكن كلما سألني المغاورون: "كيف هي وانغتشينغ؟"، كنت اجيب ببساطة انها منطقة فيها كثير من المهاجرين.

وعبارة "منطقة فيها كثير من المهاجرين" تعني، في الواقع، منطقة يكثر فيها الثوريون.

كانت وانغتشينغ المنطقة التي احتضنت حركة الاستقلال المناهضة لليابان

الاكثر نشاطا فى محافظات تشينتاو. وفى تلك المنطقة تقع ساحة المعركة التى هزم فيها القائد المجرب هونغ بوم دو القوات "التأديبية" اليابانية، كما كانت تقع فيها قاعدة نشاطات جيش الاستقلال التابع للهيئة العسكرية والادارية لجيش الطريق الشمالى بقيادة سو ايل وكيم زوا زين ولى بوم سوك وغيرهم. وكان لى دونغ هوى قد نذر كل ما لديه من حماسة وذكاء لتأهيل كوادر جيش الاستقلال فى تلك المنطقة.

والحال، ان تحركات جيش الاستقلال النشيطة وكثرة ظهور رجال حركة الاستقلال قد ايقظت الوعى القومى لدى ابناء الشعب فى تلك المنطقة والهمت بقوة نضالهم الوطنى ضد اليابان.

ومع بدء انحلال جيش الاستقلال وذهاب قادة حركة الاستقلال الى مناطق بريموريه والمناطق الحدودية بين الاتحاد السوفييتى ومنشوريا، راحت مقاليد النضال التحررى الوطنى فى منطقة وانغتشينغ تنتقل الى ايدى الشيوعيين تدريجيا، وتحول تيارها الرئيسى من الحركة القومية الى الحركة الشيوعية. وقد طور رواد التيار الفكرى الجديد الحركة الشيوعية من تربة الوطنية التى كان قد اخصبها القوميون، دون ان يطرأ تغير ملموس على القوة الدافعة لتلك الحركة.

فالغالبية العظمى ممن كانوا ينضوون فى اطار الحركة القومية قد انتقلوا الى الحركة الشيوعية. وكان فى صفوف هذه الحركة من انتهج طريق الشيوعية منذ البداية، ومن تحول فكريا الى الشيوعية بالتدريج بعد ان كان قوميا متعصبا. لقد كان من المستحيل قيام الحركة الشيوعية على اناس انقياء لم يسبحوا فى اية تيارات فكرية اخرى.

وهذا هو مبدأ الاستمرارية والتجديد الذى نسترشد به فى تطور الثورة. فمن الخطأ الظن ان الحركة الشيوعية تنشأ وتتطور من فراغ لمجرد الاعتقاد بانها تشكل ذروة تاريخ الفكر البشرى وانها الحركة الثورية الارقى بين جميع اشكال الحركات الثورية.

لقد كانت وانغتشينغ منطقة ذات تاريخ عريق فى النضال المناهض لليابان وقاعدة سياسية وجماهيرية متينة ايضا. وباختصار، كانت مناسبة من كل النواحى، فهى قريبة من حواضر الاقضية الستة فى الوطن، وتجاور مناطق آنزى ولونغجينغ، مركز حركة التنوير الثقافى والوطنى فى تشينتاو. وكما يقول المثل: "فى المياه العميقة تتجمع

الاسماك"، فقد كان من الطبيعى ان يتجمع عدد كبير من الثوريين فى تلك المنطقة.

اما القول الذى كان شائعا آنذاك: "من اراد الدراسة بكده وعرقه فليذهب الى اليابان؛ ومن رغب بأكل الخبز فليذهب الى الاتحاد السوفييتى؛ اما من اراد القيام بالثورة فعليه الذهاب الى تشينتاو"، فانه يعكس جيدا ما كان يعتمل فى قلوب الشباب الكوريين فى ذلك الحين وهم الذين كانوا يعتبرون منشوريا الشرقية جبهة امامية لحركة استعادة الوطن ويتطلعون بشوق جارف اليها.

لكن الذهاب الى تشينتاو كان محفوفا بالمخاطر مثله مثل الوقوف امام كوة اطلاق نار معادية. الا اننا تقدمنا بخطى لا تعرف التردد الى كوة النار تلك بغية القيام بالثورة بمزيد من الزخم.

كنا ننطلق بخطى خفيفة الى منطقة حرب العصابات، ليس لان اطعمة فاخرة او افرشة وثيرة كانت تنتظرنا فيها، بل لانه كان لنا فيها رفاق نشاطرهم الحياة والموت، وكان فيها شعب وارض نطأها بحرية وعالم حقيقى على نمطنا لا يمكن اجهاضه باوامر من الامبراطور اليابانى او الحاكم العام.

كانت قواعد حرب العصابات التى انشئت اساسا فى مناطق مختلفة من منشوريا الشرقية قد شرعت باظهار حيويتها حين كنا نتجه الى جوانجياولو برفقة العجوز "ما" فى شباط عام ١٩٣٣.

كان انشاء قواعد حرب العصابات وخوض النضال المسلح الواسع النطاق بالارتكاز اليها هما احدى المهام الرئيسية التى طرحها الشيوعيون الكوريون واقروها كمنهج فى اجتماع مينغويكو الشتوى. فقد دعونا فيه وباصرار الى ضرورة بناء موقع نخوض منه المقاومة المسلحة. وكانت عبارة "الموقع" تعبيرا مبسطا من عندنا لقواعد حرب العصابات.

فى اجتماع سياوشاهى فى ربيع عام ١٩٣٢، طرحنا من جديد وكبند مستقل على جدول الاعمال مسألة انشاء قواعد لحرب العصابات على شكل مناطق محررة، تلك التى سبق وبحثناها فى اجتماع مينغويكو الشتوى، وتدارسنا بجدية مرة اخرى سبل تنفيذها. وفى اعقاب الاجتماع المذكور، اوفدنا بعض النشطاء من القياديين

الاكفاء الى مناطق مختلفة من تشينتاو للتعجيل بتثوير الارياف. وكان ذلك بمثابة الخطوة الاولى لبناء قواعد حرب العصابات على شكل مناطق محررة.

غدت المناطق الريفية المثورة نقاط ارتكاز مؤقتة لجيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان يستند اليها فى نشاطاته ريثما تقام مناطق حرب العصابات وشكلت الارهاصات الاولى لولادة قواعد حرب العصابات.

وقد انشئت قواعد حرب العصابات تلك، واحدة تلو الاخرى، فى اماكن مختلفة، نذكر منها: نيوفودونغ، وانغيوكو، هايلانكو، شيرينكو، سانداوان، سياووانغتشينغ، غاياهى، ياوينغكو، يولانغتشون، داهوانغكو، يانتونغلاجى، وهى مناطق جبلية فى محافظات آنتو وآنزى ووانغتشينغ وهيلونغ وهونتشون التى وقع الاختيار عليها كمناطق مثالية فى اجتماع مينغويكو الشتوى.

ان انشاء مناطق حرب العصابات فى المناطق الجبلية من تشينتاو مقترن بالجهود الدؤوبة التى بذلها الشيوعيون الكوريون فى المواجهات الحادة مع العدو وبما تحملوه من مشقات وبذلوه من دماء.

وسيذكر التاريخ الى الابد الدماء والجهود التى بذلها الشيوعيون الكوريون، وعلى رأسهم ريانغ سونغ ريونغ ولى كوانغ وزانغ ريونغ سان وتشاى تشون كوك وزو زين وباك دونغ كون وباك كيل وكيم ايل هوان وتشا ريونغ دوك وكانغ سوك هوان وآن كيل ولى كوك زين ولى بونغ سو، وغيرهم فى بناء قواعد حرب العصابات على ضفة نهر دومان.

وتسابقت شخصيات مرموقة من الداخل والخارج آنذاك الى التجمع فى قواعد حرب العصابات بمنطقة تشينتاو. وتجمع كثيرون فى منطقة وانغتشينغ ايضا. ووصل الشيوعيون العاملون فى منشوريا الشمالية، وفى مقدمتهم كيم بايك ريونغ وزو دونغ ووك وتشاى سونغ سوك وزون مون زين، الى سياووانغتشينغ.

فكنت تجد من بين سكان سياووانغتشينغ الجدد شيوعيين، ورجالا من حركة الاستقلال كانوا ينشطون فى مناطق بريموريه، واولئك الذين اضطروا الى تغيير حلبة النضال بسبب انكشافهم بعد ان مارسوا نشاطات سرية فى مناطق العدو طوال

عدة سنوات، ووطنيين ومؤمنين بالماركسية من الداخل ممن عبروا الحدود سرا بعد ان تناهى اليهم ان مركز الثورة الكورية موجود فى تشينتاو.

هكذا وصل الى قواعد حرب العصابات فى منشوريا الشرقية قوم عازمون على المشاركة فى الثورة وخيرة العناصر المتمرسة فى النضال. فكانت تركيبة الناس فيها نقية كمياه نهر داوانغتشينغ. اما ارادتهم وجرأتهم فكانت عظيمة حتى ان الواحد منهم كان يعادل مئة من الاعداء.

بالاستفادة من الظروف المؤاتية التى اعد فيها ذاك المركز السياسى للثورة، شرع الشيوعيون الكوريون بتوسيع صفوف جيش حرب العصابات فى القواعد المناهضة لليابان وشكلوا فيها المنظمات والتنظيمات شبه العسكرية تبعا لكل فئة من السكان، مثل الاتحاد المناهض للامبريالية وجمعية الفلاحين وجمعية النساء المناهضة لليابان ورابطة الاطفال والحرس الاحمر وطليعة الاحداث، ناهيكم عن الحزب واتحاد الشباب الشيوعى، وبذلك هيئ الاساس الركين لمقاومة الشعب كله. وولدت السلطة الثورية التى تكفل لابناء الشعب الحقوق والحريات الديمقراطية الحقيقية التى لم يعرفها اجدادنا قط، والتى تمثل وتدافع حقا عن مصالح الشعب فى كل مناطق حرب العصابات، وكانت تلك بداية بناء عش سعادة الشعب. فقد اعطت السلطة الثورية الناس الارض، ومنحت الجميع حق العمل، والتعليم والرعاية الصحية المجانين، وبنت مجتمعا تحقق فيه مبدأ المساواة لاول مرة فى التاريخ، مجتمعا تسوده المثل الاخلاقية السامية للتعاون والتوجيه والاحترام المتبادل. لم يكن فى مناطق حرب العصابات غنى متعجرف يختال وفى يده عصا، او محزون يلعن الدنيا مثقلا تحت وطأة الديون والضرائب.

كنت تجد فى تلك المناطق بهجة متدفقة لا تخمد حتى فى دوامة المآسى والمحن. انه تفاؤل الشعب الذى تحرر من كل اشكال الشرور والقيود الاجتماعية، وراح يشيد حياة جديدة مستقلة. ان صورة الفلاحين الذين دقوا اوتاد تحديد الملكية فى الارض التى وزعتها عليهم الحكومة الثورية الشعبية واخذوا ينقرون الصنوج ويرقصون كانت لوحة فريدة وتحولات جذرية لم يأت بها الا الشيوعيون الكوريون فى اراضى تشينتاو

القاحلة. فرغم ان الحياة كانت تغص بالمحن وبنزيف دم متواصل وتضحيات لا تتوقف، كان الناس يحلمون بالغد ويعقدون الآمال ويصدحون بالاغانى.

ان قواعد حرب العصابات فى مناطق تشينتاو التى كانت تنتصب شامخة فى الشرق، ولم تكن تهاب تهديدات العدو وهجماته، وبدأت تكتب صفحات مهيبة فى تاريخ التحرر الوطنى، ما لبثت ان تحولت الى فردوس ارضى يثير اعجاب ابناء شعب الوطن واطراءهم ويمثل تطلعاتهم. ان ابناء الامة الكورية، بغض النظر عن مكان اقامتهم او افكارهم، راوا فى ذلك الحصن الذى بناه الشيوعيون بدمائهم المنارة الوحيدة لتحرير الوطن، فاقبلوا على تأييده ومساندته من صميم قلوبهم.

وبكلمة واحدة، كانت الحياة فى مناطق حرب العصابات مفعمة بالتفاؤل والامل والسعادة؛ انها الارض التى تجسدت فيها امانى الشعب التى طالما راودته منذ آلاف السنين حيث اصبح الناس يعيشون الحياة التى تليق بالانسان.

صار وجود قواعد حرب العصابات مصدر ازعاج مزمن لاركان القيادة العليا فى طوكيو، اذ اعتبروا تلك المناطق المتاخمة للمناطق الشمالية من كوريا عبر نهر دومان، قذاة فى عيونهم. فلا عجب بعد ذلك ان يقول داكاكى داكيوو ان مناطق تشينتاو هى "قلب مناهضة منشوكو ومعاداة اليابان، وجزء من شرايين الحزب الشيوعى الممتدة من الشمال الى اليابان عبر كوريا".

اطلق العسكريون اليابانيون على قواعد حرب العصابات فى منشوريا الشرقية تسمية "سرطان السلم فى الشرق". وتعكس هذه التسمية بدقة مدى هلعهم منها.

ولم يصفها الامبرياليون اليابانيون بانها "سرطان السلم فى الشرق"، بسبب اتساع نطاقها او لانها تؤوى قوات شيوعية جرارة قادرة على سحق جيش كوانتونغ اليابانى؛ وليس لان القنابل الملقاة من تشينتاو كانت تسقط على سطح القصر الامبراطورى او مقر القيادة العليا فى طوكيو، وانما اعتبروها قذاة فى عيونهم لان الاغلبية الساحقة من سكان تلك المناطق كانوا من الكوريين الذين يكرهون اليابان كراهية شديدة ويتميزون فى معظمهم بروح ثورية صلبة لا يتوانون معها عن التضحية بارواحهم دون تردد فى النضال ضد السيطرة اليابانية.

فاذا وضعنا فى الاعتبار حقيقة ان الكوريين كانوا يشكلون اكثر من ٩٠ بالمائة من اعضاء الحزب الشيوعى واعضاء اتحاد الشباب الشيوعى فى منطقة تشينتاو، فاننا سندرك بسهولة السبب الذى جعل الطغمة اليابانية الحاكمة تعتبر مناطق حرب العصابات تلك مصدر الازعاج الاكبر لسيطرتها على منشوريا.

اضف الى ذلك، ان قادة جيش المتطوعين الفاضلين الشجعان ومعظم ما تبقى من جيش الاستقلال الذين قاتلوا طوال اكثر من عشر سنوات داخل البلاد وفى سهول منشوريا ضد "معاهدة اولسا" و"ضم كوريا الى اليابان"، كانوا قد استقروا فى تلك المنطقة، واصبحوا يوجهون بنادقهم ذات الفتيل نحو جنود ورجال الشرطة اليابانيين.

وفى تلك المنطقة بالذات، تفتحت براعم الصداقة الاخوية وعقدت روابط الدم بين شيوعيى كوريا والصين، وراحت تتسع على نطاق منشوريا ومناطق صينية اخرى.

لم تكن قواعد حرب العصابات فى تشينتاو"سرطان السلم فى الشرق"، بل كانت زهرته ومنارته المشعة.

واجهت مهمة ثورتنا الاستراتيجية فى انشاء قواعد حرب العصابات تجربة خطيرة ابان عمليات "التأديب" العشوائية التى كانت تشنها القوات العسكرية اليابانية بعد ان جن جنونها لوأد النضال المسلح المناهض لليابان فى المهد. الا ان تكتيك "الارض المحروقة" الذى اتبعه العدو اتى بنتائج عكسية تمثلت فى التعجيل بانشاء قواعد حرب العصابات على ارض تشينتاو.

فى ربيع عام ١٩٣٢، تشاور جيش كوانتونغ والجيش المرابط فى كوريا فى التدابير الواجب اتخاذها لمعالجة "قضية" تشينتاو. وكان الغرض الشنيع من ذلك قمع الحركة الثورية فى منطقة تشينتاو عن طريق ارسال حملة من الجيش المرابط فى كوريا الى هناك. وطبقا لما انتهى اليه التشاور، فان اهداف قوات الحملة المرسلة الى تشينتاو، والمكونة من حامية كيونغوون ووحدات خيالة ووحدات مدفعية ميدانية وسرية القوات الجوية مدعومة بفوج من الجيش اليابانى تابع لفرقة رانام كعمود فقرى لها، ستكون جميع القرى والبلدات فى محافظات منشوريا الشرقية الاربع التى كان يستعر فيها لهيب اضراب موسم الحصاد واضراب البؤس الربيعى. وبالفعل، صبت

القوات المهاجمة قذائفها بلا رحمة على رؤوس جميع الناس الذين هبوا يناضلون فى سبيل حرية الوطن واستقلاله والحياة المستقلة الجديرة بالانسان وعلى بيوتهم.

ومنذ الهجوم الذى شنته على داكانجى فى اوائل نيسان ١٩٣٢، راحت جبال وانغتشينغ وسهولها تغرق فى بحر من الدماء. فى هذه القرية، كان لى كوانغ سوية مع لى وونغ غول وكيم يونغ بوم وسواهما، قد قادوا اضراب موسم الحصاد، وقام فيه المناضلون، وعلى رأسهم كيم تشول وريانغ سونغ ريونغ وكيم وون سيك ولى وونغ مان ولى وون سوب، بالهجوم على مديرية الامن العام واستولوا على اسلحتها. ما ان تدفقت قوة ضخمة من فرقة رانام التاسعة عشرة المسلحة بالمدافع والرشاشات والطائرات على تلك القرية، حتى سارعت وحدة جيش الانقاذ الوطنى بقيادة وانغ دى لين بالانسحاب منها الى سيدابو عبر جبل مابانشان، وتخلت المجموعة المدافعة عن القرية عن صد القوة المهاجمة واستسلمت للقوات "التأديبية".

احتل الجيش اليابانى داكانجى ثم هدم مدينة وانغتشينغ بالطائرات، وانقض على منازل السكان يعمل فيها قتلا وحرقا ونهبا. كما احرق دارة لى هينغ تشونغ، اكبر ملاكى الاراضى واكثرهم نفوذا، فى مدينة وانغتشينغ.

بعد داكانجى، تحولت ديوانلى وشانغتشينغلى الى بحر من اللهب.

وقد انتشرت بين الناس فى وانغتشينغ آنذاك اغنية تعبر عن مدى شراسة تلك الحملة "التأديبية" وجنونيتها، تقول الاغنية:

فى ٦ نيسان عام ١٩٣٢،
ابتدأت الحرب المناهضة لليابان فى داكانجى.
قذائف المدفعية دوت فى الجبال،
وانهالت طلقات الرشاشات وشظايا القنابل كالمطر.
الطائرات تقصف،
وتقتل الجماهير الكادحة دون تمييز.
اللهيب يعلو الى كبد السماء فى دادوتشوان

وتحول ريف ديوانلى الى رماد،
جثث، جثث ابناء الشعب الابرياء تغطى البطاح.
والصمت يخيم على سهوب وانغتشينغ.
ايتها الجماهير الكادحة فى منشوريا!
اتحدى وهبى للنضال.
فسنرفع بالشجاعة والدم الفوار
راية النصر خفاقة فوق ميدان المعركة.

والى وديان سياووانغتشينغ وداوانغتشينغ تدفق بلا انقطاع اللاجئون ممن فقدوا منازلهم وذويهم نتيجة حملات البرابرة "التأديبية"، فيما كانت الطائرات اليابانية تلقى قنابلها بلا تمييز على رؤوس اولئك المدنيين.

مياه نهر وانغتشينغ الصافية كالبلور اصطبغت بالدماء القانية خلال لحظات، واصبحت تطفو على مياه ذلك النهر احشاء القتلى.

اما جوانجياولو التى قادنا اليها العجوز "ما"، فكانت هى الاخرى مسرحا لاعمال الجزارين الوحشية من قوات الحملة المرسلة الى تشينتاو. فقد قتل العدو الذى اقتحم تلك القرية عشرات الشباب والكهول والنساء والاطفال بمنتهى الوحشية وذلك بان حبسهم داخل المنازل واضرم فيها النيران. فتحولت القرية الى كومة من الرماد فى لمح البصر. ومن المنشور الذى وزع على المحافظات المختلفة فى منشوريا الشرقية وحمل "تحذيرا الى جميع المواطنين بمناسبة كارثة جوانجياولو"، يمكن تصور نطاق تلك الحملة "التأديبية" ومدى شراستها.

وجوانجياولو التى لا تبعد كثيرا عن سياووانغتشينغ ولوزوكو، وهما من نقاط الانطلاق الهامة للثورة فى تشينتاو، كانت عرضة للتأثر بالنضال المناهض لليابان منذ زمن مبكر. ففى ذلك الوادى المكتظ بآلاف الفلاحين والرماثين والحطابين، كانت تنشط المنظمات الطليعية، مثل الحزب واتحاد الشباب الشيوعى، ومختلف المنظمات الثورية المشكلة حسب الفئات. واثناء اضراب البؤس الربيعى، عبأت

تلك المنظمات الجماهير وهاجمت فرقة الدفاع المرابطة فى القرية.

فهرب اعضاء فرقة الدفاع الخائفون من اندفاع الجماهير الى الجبل آنذاك، وهاموا على وجوههم هناك دون ان يتجرؤوا على النزول وتحولوا الى قطاع طرق.

لقد توج النضال بالانتصار، الا انه كلف الجماهير الثورية ثلاث عشرة ضحية.

وفى خضم هذا النضال، اصبحت جوانجياولو منبتا لثوريين ممتازين. فزانغ ريونغ سان، آمر السرية الثالثة فى جيش وانغتشينغ لحرب العصابات كان، فيما سبق، رماثا يتردد بين جوانجياولو وسانتشاكو. وهاماتانغ التى كان لى كوانغ يمارس فيها نشاطه تحت غطاء مسؤوليته عن مئة منزل، لا تبعد سوى بضع عشرات الريات(٠) من جوانجياولو.

كان العدو يبيد سكان قرية عن بكرة ابيهم ان وجد واحدا من اعضاء الحزب الشيوعى فيها. وكان ثمة شعار يعمل به رجال الشرطة والجنود اليابانيون يقول: "لا مانع من قتل مئة شخص للقضاء على شيوعى واحد". ان سياسات الابادة الثلاث– اى قتل كل شىء وحرق كل شىء ونهب كل شىء– التى طبقها، على ما ذكر، اوكامورا ياسزى، قائد الجيش اليابانى المرابط فى هوابى ابان الحرب الصينية– اليابانية عند هجومه على المناطق المحررة فى هوابى، كانت قد استخدمت فى الواقع فى عملية "تأديب" تشينتاو فى العشرينات، ولكنها تجلت بكل وضوح فى مطلع الثلاثينات حيث اسفرت عن وجهها الحقيقى فى الممارسات الرعناء باحراق كل شىء فى مناطق حرب العصابات فى جميع ارجاء منشوريا الشرقية.

هذه السياسات الثلاث وسياسة "قرى الاعتقال" الرامية الى فصل من كانوا يسمونهم "قطاع الطرق" عن الشعب، التى طبقتها الامبريالية اليابانية فى كوريا ومنشوريا، هى نفسها التى اعتمدها الاستعماريون الفرنسيون فى عملياتهم العسكرية للقضاء على الثوار فى الجزائر، واستكملتها القوات الامريكية بصورة اعم واشمل فى فيتنام.

---

(٠) الريات: جمع رى، وهى وحدة لقياس المسافة تساوى ٤ر٠ كيلومتر– المترجم

لقد غطت الجثث قرى سانداوان وهايلانكو ولونغجينغ وفينغليندونغ وغيرها من القرى الثورية المعروفة فى محافظة آنزى. فقد احرق اكثر من ١,٦٠٠ منزل فى منطقة سانهانلى بمحافظة هونتشون، وبلغ عدد القتلى فى محافظة آنزى وحدها اكثر من عشرة آلاف. فبأية كلمات يمكن التنديد بجرائم قوات الحملة المرسلة الى تشينتاو؟

لقد حطم الجيش اليابانى فى تشينتاو كل ممتلكات الاهالى، بما فى ذلك ادوات الطهى، وهى ابسط وسائل الحياة، ناهيك عن فتكه بارواح البشر. فقد حطم القدور لمنع الناس من طهى الطعام ومزق الحصائر وقلب ارضية الغرف. واخيرا هدم المنازل ونقل اخشابها كلها بالعربات الى مدينة دادوتشوان. فلم يعد امام الناس من سبيل سوى النوم فى اكواخ القش وطهو الطعام على الواح حجرية بدل القدور.

اما الذين لم يتمكنوا من اللجوء الى الجبال فانهم تعرضوا للتهديد بالقتل ان هم لم يتوجهوا الى مدن مثل داكانجى ودادوتشوان.

ولم تستثن اوامر الترحيل الاجبارى الصادرة عن القوات "التأديبية" ملاك الاراضى. والواقع انه لم يكن سرا ان جزءا لا يستهان به من التموين واللوازم اليومية التى تستخدمها الوحدات المسلحة المناهضة لليابان كان يأتى من ملاك الاراضى وموسرين آخرين. وقد حاول العدو ان يخنق تماما الجيش الثورى الذى يعانى نقصا مزمنا فى الاغذية والملابس، عن طريق ضرب حصار حتى على هذا المصدر.

هامت الجماهير الثورية على وجهها فى الجبال، وهى تتضور جوعا، هربا من مطاردة القوات "التأديبية" العنيدة. ولكن الجبال لم تكن مكانا مأمونا لمجرد انها جبال. فما ان يبلغ المرء فم الوادى حتى تنسد السبل امامه، مهما كانت فسيحة. وفى هذه الحال، كان الناس يضطرون الى الاختباء بين الاشجار. واذا ما بكى طفل، فان الجميع يتعرضون لخطر اكتشاف مخبأهم وقتلهم لا محالة.

يحكى انه بينما كان عدد من جنود القوات "التأديبية" يفتشون احد الاماكن، شدت ام طفلها الى صدرها بقوة ولقمته ثديها كى لا يعلو بكاؤه، وعندما ابتعد العسكريون، كان الطفل قد مات. ربما لو لم تفعل ذلك لما كانت قادرة على حماية حياة عشرات او مئات الاشخاص الثوريين المختبئين قبالة فوهات بنادق العدو. ومثل

هذا الامر الفاجع كان ظاهرة كثيرة الحدوث فى كافة قرى ووديان تشينتاو.

وتجنبا لوقوع حوادث كهذه، كان الناس فى بعض المناطق يعطون اطفالهم الافيون، لان الافيون يجعل الطفل يستغرق فى نوم عميق. وهناك نساء لم يستطعن تحمل العمليات "التأديبية" المتكررة، فكن يتخلين عن اطفالهن للآخرين وهن يذرفن الدموع.

حقا، لقد دفعت النساء الكوريات ثمنا اغلى من ارواحهن من اجل حماية الجماهير الثورية ورفاق السلاح فى مناطق حرب العصابات وفى سبيل قضية مناهضة اليابان.

قد يسخر البورجوازيون ذوو النزعة الانسانية من امومة الامهات الشيوعيات بالقول: ليس ثمة نساء لا يكترثن الى هذا الحد بمصير اولادهن ويستهترن الى هذه الدرجة بحياتهم.

ولكن، لا يجوز القاء مسؤولية اخماد جذوة الحياة فى اجساد الاطفال الرضع على نساء هذه البلاد. فلو عرف الناس الدموع الغزيرة التى ذرفنها، والجراح العميقة التى بقيت فى قلوبهن وهن يدفن الاجساد الصغيرة تحت اوراق الشجر، او وداعهن المؤثر لاطفالهن عند تركهم امام ابواب بيوت الآخرين، لصبوا اللعنات والحقد على رؤوس الامبرياليين اليابانيين الذين ارسلوا زمرا من القتلة الى ارض تشينتاو. فقد اخضع اولئك القتلة امومة الامهات الى اختبارات لا تطاق.

اذا ارادت اليابان ان تصفى ماضيها، فعليها بالضرورة ان تعيد النظر فى تلك الجرائم. ليس من المستحب بكل تأكيد ان يقوم احد بمراجعة جرائمه السابقة. ولكن، مهما كان ذلك مريرا ومهينا، فانه سيكون حتما اخف وطأة بكثير من الآلام التى عانتها امهاتنا واخواتنا وهن يتركن اطفالهن عند سياج بيوت الآخرين او وهن يلقمن اطفالهن الافيون.

وما مطالبة حكام اليابان بدليل على جرائمهم، الا اهانة لا تغتفر لملايين الكوريين الذين قضوا على ايدى الجيش اليابانى فى الماضى!

كان امام الجماهير الثورية طريقان: اما النزول الى المدن كما يطلب الاعداء

اليابانيون، واما عصيان الامر والتوغل فى بطون الجبال للحفاظ على حياتهم ومواصلة النضال.

ولكن من من الكوريين الذين وصلوا الى ارض تشينتاو، تاركين حقولهم الخصبة فى مسقط رؤوسهم، كان يود الاستجابة للطلب والنزول الى المدن التى يسيطر عليها الجيش اليابانى؟!

كان معظم سكان تشينتاو فلاحين معدمين غادروا قراهم حاملين متاعهم على ظهورهم، بحثا عن لقمة العيش فى اماكن مثالية، مثل "ريولدوكوك"، بعدما فقدوا مرتكزاتهم الاقتصادية من جراء نهب الامبريالية الاستعمارى.

اقتلعوا الحجارة واستأصلوا جذور الاشجار بكل جد ومثابرة فى سفوح ووديان سلاسل جبال لاويلنغ وهاربالنغ، رغم سياط موظفى الحكومة وملاك الاراضى التى كانت تلهب ظهورهم وتسلخ جلودهم. كانت مزاولة الزراعة فى اراضى الوقيد عملا شاقا للغاية؛ صحيح انهم لم يتخلصوا من الفقر، الا انهم كانوا يشعرون بالرضا لمجرد انهم بعيدون عن اضطهاد الاوغاد اليابانيين القاسى. ومع ذلك، ها هم يطلبون منهم النزول الى المدن حيث يرابط الجيش اليابانى الفريد بشراسته! ترى، من يريد ترك منزله بسهولة والتخلى عن حقول رواها بعرقه ودمه؟

كانت تلك محنة كبرى بالنسبة للهائمين فى وديان وانغتشينغ الذين عرفوا ويلات القتل الجماعى الفظيعة.

بدأ بعض السكان الخائفين من فظائع القوات "التأديبية" بالنزول الى المدن اسرة تلو اخرى. الا ان الغالبية الساحقة من الجماهير المتطلعة بلهفة الى عالم جديد آثرت التوغل فى الجبال النائية رغم تهديد العدو ووعيده. وهكذا افترق الذين كانوا يتشاطرون السراء والضراء بارادة واحدة وقلب واحد فى سبيل الثورة داخل قرية واحدة، افترقوا بعضهم عن بعض، فمنهم من ذهب الى الجبال ومنهم من نزل الى المدن.

وانتقل الباقون من الجبال الى مناطق الغابات الكثيفة فى سياووانغتشينغ وداوانغتشينغ التى تبعد عن حاضرة المحافظة (بايتشاوكو) مائة رى. وفى تلك الفترة بالتحديد، انتقلت اسرة لى تشى بايك من تشونكنغلى الى ماتشون.

اقامت لجنة الحزب الشيوعى فى وانغتشينغ وغيرها من الاجهزة على مستوى المحافظة، مقرها فى سياووانغتشينغ. اما لجنة الحزب الخاصة فى منشوريا الشرقية التى كانت تمارس نشاطها متنقلة بين سيلينهى وتايبينغكو ووانغيوكو وبييدونغ، والخ بمحافظة آنزى، فقد دخلت وديان سياووانغتشينغ فى ربيع عام ١٩٣٣ واتخذت مقرا لها فى وادى ليشوكو. اصبحت سياووانغتشينغ مركز الثورة فى تشينتاو وعاصمتها. وعبر هذا المسار التاريخى ترسخت اواصر التلاحم بيننا وبين الحزب الصينى، وبين ثورتنا والثورة الصينية.

كانت قواعد حرب العصابات فى وانغتشينغ مكونة من خمس دوائر تنظيمية ثورية، اذكر منها الدائرة الاولى وكانت تضم ياوينغكو والدائرة الثانية وكانت تضم ماتشون وشيليبينغ. وكانت قواتها فى ذلك الوقت مكونة من ثلاث سرايا، وكان من قادتها النموذجيين: لى كوانغ، ريانغ سونغ ريونغ، كيم تشول، زانغ ريونغ سان، تشاى تشون كوك، لى وونغ مان.

كانت تلك، بشكل عام، هى معارفى الاولى عن وانغتشينغ. وقد زودنى بها ريانغ سونغ ريونغ، احد مؤسسى جيش حرب العصابات فى وانغتشينغ، ولى يونغ كوك، امين لجنة الحزب فى المحافظة. فحينما وصلت الى تلك المنطقة مع وحدتى فى خريف عام ١٩٣٢ لاتعرف على وضع قواعد حرب العصابات، انتدب هذان الرجلان نفسيهما لمرافقتى.

حينذاك، قمت بجولات على مناطق حرب العصابات المختلفة داخل محافظة وانغتشينغ لتوجيه اعمال المنظمات الحزبية القاعدية ونشاطات جمعية مناهضة اليابان والجمعية النسائية المناهضة لليابان وغيرهما من المنظمات الجماهيرية. كما تلقيت ايضا تقارير عن حصيلة عمل العاملين السريين الموفدين الى الوحدات الصينية المناهضة لليابان.

وفى تلك الفترة، جمعنا فى سياووانغتشينغ جميع من كانوا يعملون فى مشاغل صنع الاسلحة وقادة جيش حرب العصابات فى مختلف محافظات منشوريا الشرقية لاجراء دورة تدريبية قصيرة حول صنع واستخدام القنابل اليدوية.

فوجدت الكوادر فى وانغتشينغ فى ذلك الوقت قلقين بشأن مسألة المواد الغذائية. اذ تدفق اكثر من الف شخص دفعة واحدة على وادى سياووانغتشينغ الضيق الذى لم يكن يوجد فيه سوى بضع عشرات من الاسر الفلاحية. لم تكن منطقة حرب العصابات تملك احتياطيا من المؤن لاطعامهم. كان جيش حرب العصابات يهاجم العدو ويحصل على شىء من الحبوب الغذائية من حين لآخر، ولكن ذلك لم يكن كافيا لسد رمق المقيمين فى قاعدة حرب العصابات. كما كانت محاصيل الحقول الجبلية الجدباء فى منطقة حرب العصابات تافهة لا تسمن ولا تغنى من جوع.

نجم عن ذلك ان ادرجت مسألة الحصاد فى المناطق الوسطى على جدول الاعمال كتدبير عاجل لحل مسألة الاغذية. وتعبير المناطق الوسطى يعنى القرى الخالية من السكان والواقعة ما بين المناطق التى يسيطر عليها العدو وقواعد حرب العصابات.

وقد كانت هناك عدة قرى خالية من السكان بالقرب من سياووانغتشينغ وداوانغتشينغ. فمن جراء هجمات القوات "التأديبية" وبطشها، توزع الناس جميعا ما بين مناطق حرب العصابات ومناطق العدو، ولم يبق فى المناطق الوسطى الا الحقول المزروعة. وكان بعض تلك المزروعات يملكها الاقطاعيون والرجعيون الذين ذهبوا الى مناطق العدو، واخرى يملكها الفلاحون الذين اجبروا على الرحيل الى بايتشاوكو ودادوتشوان وسواهما من جراء مجازر القوات "التأديبية ".

اثارت الحبوب المزروعة فى المناطق الوسطى طمع الناس فى مناطق العدو ايضا. فكان الاقطاعيون والرجعيون فى مناطق العدو يأتون لجنى المحاصيل يوميا وينقلونها بالعربات التى تجرها الخيول والثيران بحماية افراد فرقة الدفاع الذاتى المسلحين الذين كانوا يطلقون الرصاص احيانا قرب البيادر.

بعد ان درسنا الوضع، طرحنا مسألة تنظيم جماعات للحصاد فى جميع مناطق حرب العصابات وانهاء الحصاد فى المناطق الوسطى فى اسرع وقت بتعبئة جميع سكان قواعد حرب العصابات، وتدارسنا مع اهالى وانغتشينغ سبل حل هذه المسألة . باشرت جماعات الحصاد جنى المحصول بالقرب من سياووانغتشينغ ثم اتجهت شيئا

فشيئا نحو دادوتشوان. وكنا ندرس ما نحصده من الحبوب فى اليوم نفسه ونضعه فى العنابر لتوزيعه على سكان مناطق حرب العصابات.

ولم يكن الحصاد فى الحقول الواقعة اسفل القرية "رقم ١٣" ممكنا الا تحت حراسة افراد الحرس الاحمر. والا، ما كنا لنستطيع تفادى الهجمات المباغتة من فرقة الدفاع الذاتى المسلحة بالبنادق ذات الخمس طلقات. وفى بعض الاحيان كان يجرى تبادل كثيف لاطلاق الرصاص بين الحرس الاحمر وفرقة الدفاع الذاتى فوق رؤوس افراد جماعات الحصاد الذين يجنون المحاصيل. وقد تأثرنا غاية التأثر لرؤية اهالى وانغتشينغ وهم يخوضون معركة الحصاد المصيرية دون استراحة حتى ساعات متأخرة من الليل للحصول على حفنة من الحبوب.

وغادرت سياووانغتشينغ وانا مرتاح للغاية لان جميع الامور فى قواعد حرب العصابات كانت تسير على ما يرام بالرغم من وجود مصاعب كبيرة.

وفى طريق عودتى الى قاعدة حرب العصابات، طرحت على نفسى مهمتين جسيمتين: احداهما توسيع صفوف جيش حرب العصابات على نطاق كبير، والاخرى هى تطوير الجبهة المتحدة والتعاون مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان بصورة انشط من اجل جمع شمل القوى الوطنية من مختلف الطبقات والفئات بما يتفق والظروف الجديدة المتمثلة بانتقال مسرح عملياتنا الى حوض نهر دومان.

رافقنا العجوز "ما" الى جوانجياولو ثم قفل عائدا الى لوزوكو.

وقد حل مكانه رجل ذو طبيعة منفتحة، عضو فى جمعية مناهضة اليابان، قص علينا بجاذبية وتشويق، كما لو كان يحكى حكاية قديمة، كيف وجهت وحدات صغيرة من جيش حرب العصابات فى وانغتشينغ ضربات قاسية الى القوات "التأديبية" التابعة للجيش العدوانى اليابانى فى ياوينغكو وسيشويينغ فى الايام المنصرمة.

وفى اليوم التالى، بلغنا منطقة حرب العصابات فى ياوينغكو، وهى مركز الدائرة الاولى فى وانغتشينغ، على صوت الابواق وقد رفع فى مقدمة ركبنا العلم الذى خطت عليه عبارة " جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان".

استقبلتنا على جانبى الطريق هونغ يونغ هوا مع نحو عشرين عضوا من

اعضاء رابطة الاطفال وهم يلوحون لنا بأيديهم مرحبين بحرارة. وهونغ يونغ هوا هى عمة تشاى كوم سان الذى استشهد فيما بعد اثناء عمله كجندى اتصال. وكانت تتولى حينئذ توجيه نشاطات الجمعيات النسائية تحت اشراف اللجنة الحزبية فى الدائرة الاولى فى وانغتشينغ، وبفضل مساعدتها المخلصة لجيش حرب العصابات والوحدات الصينية المناهضة لليابان كسبت حب الجيش والشعب.

فى ذلك اليوم، قدم لنا اهالى ياوينغكو كعك الذرة البيضاء والشعيرية المصنوعة من الحنطة السوداء. كما قدم اعضاء رابطة الاطفال فى المساء عرضا فنيا اكراما لنا.

بعد انتهاء العرض، رقص رجال حرب العصابات والاهالى وغنوا معا. وكان لى وونغ غول، رئيس قسم التنظيم فى اللجنة الحزبية فى الدائرة الاولى فى وانغتشينغ، يجلس الى جانبى ويتأمل المشهد بتأثر شديد، وقد قال لى:

" منذ عدة شهور والاخبار تتوارد عن وحدة كيم إيل سونغ. لقد علمنا بتوجه الوحدة الى منشوريا الجنوبية، وبهجماتها على تونهوا وايمو فى منشوريا الشمالية. وكان الاهالى هنا ينتظرون وصولها بلهفة. و ها نحن نشعر بالطمأنينة الآن."

غادرت واياه بعد قليل المكان حيث كان الناس يمرحون ودخلنا مكتب لجنة الدائرة الحزبية. وهناك تبادلنا الرأى لساعات طويلة حول اعمال منطقة حرب العصابات. كان محور النقاش يدور حول طريقة توسيع منظماتنا الحزبية وتنظيماتنا الثورية فى منطقة جوانجياولو وغيرها، وكيفية تسليح الشعب كله فى مناطق حرب العصابات.

وحين تعمقنا فى مناقشة مسألة الدفاع عن مناطق حرب العصابات، وصل مراسل من المنطقة المعادية حاملا رسالة سرية مقتضبة تقول ان رجال الحامية اليابانية المرابطة فى داسينغكو سيقومون فى اليوم التالى بعملية "تأديبية" ضد مناطق حرب العصابات.

قال لى وونغ غول وهو يرسم ابتسامة اسف على وجهه، وكأنه هو المسؤول عن عملية "التأديب" التى سيقوم بها الجيش اليابانى فى ياوينغكو:

" اننـى واثـق مـن انهـم يـنوون الـثأر للـضربات التـى تلقـوها فـى نهايـة الـسنة الماضية. لا يعرف هؤلاء الاوغاد الضيف الكريم الذى حل هنا قاطعا مئات الريات. اردنـا ان نـدع وحدة القائد كيم تستريح لعدة ايـام، الا ان امرا مؤسفا طرأ على غير توقع منا."

فقلت له:

"ليس ثمـة مـا يستدعى الاسف، بل على العكس انه لمن حسن الحظ. فقد امضى رجالنا عدة شهور من غير قتال. وربما اتيحت لهم الفرصة لتسوية حساب الدم الذى سفك من شعبنا فى مذابح داكانجى وجوانجياولو وديوانلى وسانهانلى."

ثـم اوفـدت مراسـلا الـى لـى كوانـغ، طالـبا مـنه القـدوم فـورا مـع الـوحدة الـى ياوينغكو.

بعد ان اخذ لـى وونـغ غـول عدة انفـاس مـن سيجارتـه وهو بـادى القلق، قام من مقعـده ليـستدعى رئـيس الحـرس الاحمـر الموجـود فـى مكـان الاحـتفال. وكـان وجهـه مقطبا وصارما كأنه سيصدر الامر بالتعبئة العامة.

فأمسكت بمرفق لى وونغ غول مبتسما واجلسته على مقعده ثانية.

"أتـريد، يـا رفـيق وونـغ غـول، ان تـبلغ اعضـاء الحـرس الاحمـر بخبـر مجـىء القوات (التأديبية)؟ الحفلة بلغت الآن ذروتها على ما يبدو، فأتركهم وشأنهم حتى لا نقطـع عليهم متعتهم. وبـدلا من ذلك، دعنـا نرسـلهم الـى مهاجعهم بعد ساعة من الآن ليخلدوا الى النوم العميق حتى الفجر. وانا ايضا سأدفع برفاقنا الى النوم باكرا."

وهكذا، لـم نـتخذ التدابيـر القتالية اللازمة فور تسلمنا الخبر المستعجل عن خطة الهجـوم المـباغت الـذى تعـده القـوات "التأديبـية"، بـل تـركنا الحفلـة تجـرى بـين المغـاورين وابنـاء الشعب دون ان يعكرها معكر. وهذا مـا كان يخالف، فى الحقيقة، العـرف العـام مـن وجهـة نظـر الممارسـة العـسكرية. فلـيس غـريبا، بعدئـذ، ان ينـزعج كثيـرا لـى وونـغ غـول المسؤول عن الشؤون العسكرية الى جانب اضطلاعه بمنصب رئيس قسم التنظيم للجنة الدائرة الحزبية ويرمقنى بنظرات تنم عن القلق الشديد.

الا اننى لم اخبر المغاورين بمضمون الرسالة حتى بعد ان انتهت الحفلة وذهبوا

الى مهاجعهم وذلك حتى لا ينفعل رجالنا المتعبون من السير الطويل. كنت اعلم جيدا ان النوم يجافى عيون اكثر الرجال جسارة واقداما عند اعلامهم بمعركة وشيكة واصدار امر القتال اليهم.

(سأتركهم ينامون ملء جفونهم، فهم لم ينالوا كفايتهم من النوم ولو ليلة واحدة فى هذا الشتاء.)

لقد سيطرت هذه الفكرة على ذهنى تلك الليلة. وربما كانت هذه عاطفة انسانية ينبغى لقائد جيش حرب العصابات الا ينساق لها. على كل حال، راح جميع الرجال فى سبات عميق داخل المهاجع فى الساعة الحادية عشرة ليلا.

اما عضو جمعية مناهضة اليابان فى جوانجياولو الذى كان يرافقنا كدليل طريق والمراسل القادم من منطقة العدو، فقد بقيا مؤرقين الى ما بعد منتصف الليل، ربما لانهما لم يكونا مطمئنين الى سلوكى. ولى وونغ غول، هو الآخر، لم يعرف طعم النوم.

سألته هامسا:

"عند وصولى الى ياوينغكو اليوم، لاحظت وجود مرتفعات غريبة الاشكال عند مدخلها. ما رأيك بخوض المعركة هناك؟ فى ذلك المكان يوجد طريق عام، أليس كذلك؟"

ما ان تفوهت بهذه الكلمات حتى هب لى وونغ غول واقفا وكأن نابضا دفعه:

"هل تعنى التل القائم الى الغرب من دابييكو؟ انه المكان المناسب للقتال."

كانت الساعة تقارب الرابعة صباحا حين تبادلت هذا الحديث مع لى وونغ غول.

وبعد قليل، كنا نتسلق ذلك التل الذى يمكن القول انه مدخل ياوينغكو. اصطحبنا معنا رئيس الحرس الاحمر وعضو من جمعية مناهضة اليابان كان قد جاء برفقتنا من جوانجياولو. كان هناك جرف فى الجهة الجنوبية للتل، وثمة طريق عام فى اسفله يسير بمحاذاة نهر سياوتونغكو، وكانت على قمة التل كتل صخرية كثيرة تشكل تحصينات طبيعية رائعة للمقاتلين.

اقمنا عدة موانع من الحجارة بين جرف وآخر. ثم امرت قوات الحرس الاحمر فى ياوينغكو وجميع افراد وحدتنا وبعض افراد المفرزة الخاصة بصعود التل واقامة

خط دفاعى بحفر الارض المتجمدة، وانهيت امر القتال بهذه الكلمات التحريضية:

سمى اجدادنا مثل هذا الموقع الذى نحتله "كومسونغ تانغزي"، اى القلعة الدفاعية المنيعة. يا له من مكان مؤات للمدافع ومجاف للمهاجم! كومسونغ تانغزى طيب، الا اننى اثق بمهارتكم اكثر. ايها الرفاق، لنثأر اليوم للدماء التى اريقت من شعبنا مئات الاضعاف بدلا من التباكى على الكوارث! لنصف حساب الدماء بالدماء!

القوات اليابانية التى يقدر عددها باكثر من ثمانين رجلا والتى جاءت فى ذلك اليوم فى اربع شاحنات للهجوم على وادى ياوينغكو، وقعت فى الكمين الذى نصبناه لها، وفقدت عشرات القتلى والجرحى.

وفى اليوم التالى ايضا، شنت الحامية اليابانية المرابطة فى داسينغكو هجوما على ياوينغكو، مستخدمة هذه المرة قواتها كلها، الا انها لاذت بالفرار تاركة وراءها جثثا كثيرة.

كانت تلك المعركة هى اول معركة نخوضها فى مناطق حرب العصابات فى منطقة تشينتاو. وقد دونت فى سجل التاريخ باسم معركة الدفاع عن منطقة حرب العصابات فى ياوينغكو.

وفى الليل، نظم سكان ياوينغكو احتفالا فى قرية دابييكو بمناسبة الانتصار فى المعركة. وما زالت وقائع ذلك الاحتفال حية فى ذاكرتى الى الآن. القى ممثلو المنظمات الكلمات واحدا بعد الآخر، ملوحين بقبضاتهم بحماسة عالية جدا. والقيت انا ايضا خطابا حماسيا تلك الليلة.

التقيت باو زين وو فى ياوينغكو اما فى شتاء ذلك العام او فى خريف العام السابق. وكان ذلك حين اقام ابناء الشعب فى قرية سياوبييكو احتفالا ترحيبيا بنا فى مدرسة رابطة الاطفال التى كان او زين وو يعمل فيها موجها لرابطة الاطفال.

كثيرا ما تحدث او زين وو بتأثر عميق عن لقائه الاول بى، قائلا ان مشهد وقوفى خطيبا فى الاحتفال وانا متكئ على بندقية من طراز ٣٨ ترك انطباعا قويا فى نفسه. ربما كان فى الخامسة عشرة او السادسة عشرة يومها. وقد راح يتبعنى من مكان الى آخر ويلمس من حين لآخر المسدس المتدلى من وسطى. بدا لى انه مفتون

بـه افتتانا شـديدا. كانت اسلحتنا آنذاك اما بنادق من طراز ٣٨ او مسدسات من احدث الانواع وافضلها.

سألت او زين وو ان كان يريد الالتحاق بصفوف جيش حرب العصابات.

فشكا لى بانهم يرفضونه بسبب صغر سنه رغم انه يرغب اشد الرغبة فى ذلك.

فضممناه الى سرية وانغتشينغ الرابعة فى العام التالى او الذى بعده، واشركناه فى الحملة الى منشوريا الشمالية.

وفيما نحن على أهبة الاستعداد للتوجه الى سياووانغتشينغ بعدما دمرنا العدو فى ياوينغكو ووقفنا على سير العمل الحزبى وعمل المنظمات الجماهيرية فى منطقة حرب العصابات، تلقينا اشارة تطلب منا الحضور الى ماتشون لمناقشة مسألة عسكرية هامة.

فغادرنا ياوينغكو فى الحال.

عندما وصلنا الى سياووانغتشينغ كان فى استقبالنا وانغ ريون تشينغ ورجلان آخران. كان وانغ ريون تشينغ يعرف باسم مستعار هو ما يونغ، ويناديه الناس باسم مستعار آخر هو "وانغدانوداى" اكثر من اسمه الاصلى. وتعنى "وانغدانوداى" الرأس الكبير جدا.

وبتوصية من "تاغوزاى" وغيره من كوادر منطقة حرب العصابات، تقرر استضافتى فى منزل العجوز لى تشى بايك الواقع عند سفح الرابية الى الشمال من ماتشون، وفيه قابلت ممثلى الحزب فى منشوريا الشرقية. و"تاغوزاى" هو الاسم المستعار للى يونغ كوك، ومعناه طويل القامة. وكان لى يشغل منصب سكرتير اللجنة الحزبية فى محافظة وانغتشينغ فى ذلك الوقت. كان فى ماتشون مهجع للعزاب يعرف "بنزل المسافرين". الا ان الناس فى سياووانغتشينغ اصروا على ان اقيم فى منزل العجوز لى تشى بايك، قائلين ان النزل غير ملائم لاقامتى اذ انه رحب فسيح ومزدحم على الدوام. كان لى تشى بايك حما كيم زونغ كوون، وزوجة ذلك العجوز كانت تدعى سو سونغ نيو.

كانت اسرة العجوز لى تشى بايك اسرة وطنية، كل افرادها دون استثناء منخرطون فى الثورة.

وقد تحادثت مع وانغ ريون تشينغ ومرافقيه وانا ارتدى القفطان الصينى "الدابوسانزا" فى ذلك البيت.

"اهنئكم بسلامة الوصول الى وانغتشينغ!"

هكذا بادرنى "وانغدانوداى" بتحيته الاولى.

"وانا مسرور بلقائى بكم مرة اخرى!"

رددت على تحيته مغتبطا وانا اشد على يده بقوة.

يمكن القول ان لقاء ثورى معروف مثل وانغ ريون تشينغ فى منطقة غريبة مثل وانغتشينغ يعتبر فألا حسنا بالنسبة لى.

التقيت "بوانغدانوداى" لاول مرة، حين كنت منهمكا فى العمل مع القوات الصينية المناهضة لليابان فى آنتو بعد انتهاء الحملة الى منشوريا الجنوبية. حينذاك كان وانغ ريون تشينغ يقوم مع تشين هان جيانغ بالعمل مع جيش الانقاذ الوطنى فى وحدة آمر الفوج مينغ.

وكان الهدف من نقل مسرح نشاط هذه الوحدة من منطقة منشوريا الشمالية الى منطقة آنتو هو اقامة اتصال مع قوات الدفاع الذاتى بقيادة تانغ جى يو فى منطقة لياونينغ وتنفيذ عمليات مشتركة معها. ويذكر ان الشيوعيين الصينيين فى وحدات جيش الانقاذ الوطنى الذين كانوا يعملون مع وو وى تشينغ كانوا يحاولون توسيع نطاق النضال المناهض لليابان فى منطقة منشوريا كلها بتحقيق تحالف الجيش المناهض لليابان فى منشوريا الجنوبية والشمالية.

والهدف الآخر الذى كان يرمى اليه وو وى تشينغ من ارسال وحدة آمر الفوج مينغ الى آنتو كان الحصول على افيون لتغطية النفقات العسكرية. كانت آنتو احدى المناطق الرئيسية لانتاج الافيون والانسام. و قد حاول تانغ جى يو، هو الآخر، ان يستأثر بكل افيون آنتو، فاوفد من اجل ذلك مرؤوسيه الى هناك. وكان الافيون مادة لا تقل عن المال قوة فى مناطق منشوريا فى ذلك الحين.

وفى اجتماع للجنة الجنود المناهضين لليابان فى بيت لى كوانغ، قال لى وانغ ريون تشينغ بلهجة تجمع ما بين الجد والمزاح:

"استطاع جيش الانقاذ الوطنى ان يهاجم بالاشتراك مع وحدة الرفيق كيم إيل سونغ المدن فى تونهوا وايمو بفضل الافيون. فقد تم الحصول على كميات كبيرة من الافيون من آنتو وجرى توزيعها على الجنود مما رفع من معنوياتهم."

وكانت العلاقات بينى وبينه حميمة منذ زمن بعيد لدرجة تتيح له افشاء سر كهذا دون حرج.

لقد ساعدنا وانغ ريون تشينغ فى عملنا مساعدة كبيرة خلال اقامتنا فى آنتو. فقد اضطلع بنقل الرسائل بينى وبين هو جى مين او جو باو جونغ. ونظرا الى ان وانغ ريون تشينغ كان مكلفا بشؤون الدعاية فى وحدات جيش الانقاذ الوطنى، فقد كان بامكانه التردد بحرية على مقرات قيادة الافواج والكتائب والسرايا، ناهيك عن مقر القيادة العامة نفسه. فأدى على اروع وجه دور المراسل بينى وبين الشيوعيين الموفدين الى جيش الانقاذ الوطنى.

كان وانغ ريون تشينغ رجلا دمثا، رغم ضخامة جسمه، وطيب القلب، كما هم المربون عموما. وقد انخرط فى النشاط الثورى بتأثير من زملائه الذين درسوا فى مدن كبيرة مثل بكين وننكنغ وتنتسن اثناء دراسته هو فى معهد المعلمين فى نينغآن. ولعل اكبر تأثير تلقاه فى مجرى تطوره كثورى محترف كان من بان سونغ وى على ما قيل.

قال وانغ ريون تشينغ بعد ان صافحنا:

"فى الوقت الحالى، ولهيب الثورة يتصاعد بشدة فى منشوريا الشرقية، نعقد اكبر الآمال عليكم ايها الرفيق كيم إيل سونغ. اننا سعداء لمجىء الرفيق كيم إيل سونغ الى وانغتشينغ فى الوقت الذى تحتاج فيه الثورة فى منشوريا الشرقية الى استراتيجيين بارعين لتطوير العمل الحزبى وعمل جيش حرب العصابات والعمل مع جيش الانقاذ الوطنى. "

وقد بحث معى بشىء من التفصيل فى الاحداث التى تقع فى منشوريا الشرقية والشمالية، وتبادل معى بكل صراحة الآراء بشأن المهمات العاجلة الملقاة على عاتق الحزب فى منشوريا الشرقية. والمسألة الملحة التى طرحت على بساط البحث فى ذلك اليوم كانت تتعلق باقامة نظام قيادى موحد للسرايا التى تعمل مبعثرة فى مختلف مناطق حرب العصابات والاسراع بتوسيع وتعزيز القوى العسكرية كما ونوعا. وقد

ناقشنا هذه المسألة مناقشة تفصيلية ايضا مع تونغ تشانغ رونغ فيما بعد.

وبالنتيجة، اصبحت سرايا جيش حرب العصابات فى وانغتشينغ تتحرك كلها تحت القيادة الموحدة للكتيبة.

وبعد ذلك، شهدت المحافظات الاخرى فى منشوريا الشرقية بدورها، تنشيطا ملحوظا لحركة حرب العصابات من خلال اعادة التنظيم التى تمثلت فى انشاء كتائب تنضوى تحتها كل السرايا وتعيين قادة جدد لها.

وهكذا كانت الايام التى تلت قدومنا الى وانغتشينغ حافلة بالاحداث والتفاصيل المؤثرة. ولم نلبث ان تأقلمنا مع ظروف وانغتشينغ. فقد تلاشت مشاعر الغربة التى كانت تنتابنا كلما غيرنا مسرح نشاطنا او محل اقامتنا، لتتحول الى ولع بالموقع الجديد وحب لاستطلاعه.

الحقيقة اننى كنت اشعر بالوحدة الشديدة فى عام ١٩٣٣. فبفقدان امى، صرنا نحن الاخوة الثلاثة ايتاما ونسج العنكبوت خيوطه فى منزلنا الحبيب فى قرية "كالبات" بسياوشاهى بعد ان كان عشا دافئا لنا نحن الثلاثة. وكان اخواى الصغيران يسدان رمقهما بالكاد فى منزل رجل غريب، اما جداى فكانا يعيشان فى بيت مولدى حياة موحشة بعد ان وهبا اولادهما الاحباء للوطن، ذلك البيت الذى يستحيل على الوصول اليه رغم شدة حنينى اليه. لقد كان يعذبنى الحنين الى موطنى الذى لم يكن يغيب لحظة واحدة عن بالى حتى ولا فى المنام. ولم يكن بمقدور وفائى لجدى ان يصل اليهما، وكانت تؤرقنى الرغبة فى مداعبة اخوى الصغيرين والعناية بهما.

كانت منطقة حرب العصابات هى المكان الوحيد الذى يمكننى ان اطلق العنان فيه لعواطفى. فكان سكان المنطقة مثل اهلى، يحلون احيانا محل جدى ووالدى واخوى. وقد وجدت محبة امى وفضائلها وهباتها مرة اخرى فى الام سو سونغ نيو.

كتب على مناطق حرب العصابات فى منشوريا الشرقية ان تعانى ومنذ البداية المحن والشدائد المتتالية من جراء الحصار الدائم وعمليات "التأديب" المتكرر التى يشنها العدو. فى وانغتشينغ، هذه الارض التاريخية التى لا تنسى، دارت معارك كثيرة، واريقت دماء غزيرة ووقعت كروب ومصائب كبيرة. كانت هناك ايام تفقد

فيها احدى المناطق عشرات القتلى، او تحرق عشرات البيوت والمهاجع العسكرية. وكانت المستشفيات تغص بالجرحى والمرضى. وبسبب فقدان الحبوب الغذائية فى كل مكان، كانت تحدث مجاعات دورية تودى بحياة الكثيرين. وكانت الاوبئة فى بعض الاحيان بمثابة اعلان الموت الجماعى فى منطقة تشينتاو برمتها.

لم تكن هنالك مخازن ولا اسواق ولا تجار، وفى هذه المنطقة الوحيدة فى العالم التى لا تجارة فيها، لم تكن النقود متداولة، ولم يكن هناك اى مفعول لقانون القيمة. وكانت احتياجات السكان من الملابس والاحذية تسد بما ننتزعه من جيش العدو. احيانا كانت اجواء القلق تسود مناطق حرب العصابات من جراء تسلط النزعة اليسارية.

الا ان كل هذه المحن والشدائد لم تكن تيار الحياة الرئيسى فى مناطق حرب العصابات. الحياة الجديدة الحرة والسعيدة التى ينعم بها الناس المتحررون من قمع العدو، وروحهم التفاؤلية هما اللتان كانتا تشكلان تيار الحياة الرئيسى فى مناطق حرب العصابات رغم محدوديتهما ونسبيتهما. كانت معنويات الجيش والشعب عالية علو قمة جبل بايكدو رغم قسوة الظروف وكثرة الصعاب. وعلى تلك الارض الشبيهة بجزيرة معزولة لا تتحكم بها سلطة اليابان او منشوكو، ابدع الشيوعيون الكوريون الثقافة والاخلاق الاكثر تقدمية وثورية فى العالم.

لهذا السبب، كنا نحب من كل قلبنا مناطق حرب العصابات.

ولم يكن يمر يوم الا وكان يشهد اعمالا بطولية جديدة يجترحها ابناء امتنا دفاعا عن مناطق حرب العصابات فى اراضى منشوريا الشرقية.

هذه المنطقة الجبلية النائية فى شمالى تشينتاو، حيث كانت تشرق الشمس وتغيب فى حومة المعارك؛ وقاعدة حرب العصابات التى كانت تتردد فيها اصداء الحياة الجديدة والاخلاق الجديدة وسط الانفجارات المدوية... هى التى اضحت بيتى الحبيب.

٢ـ فى النهار يسيطر العدو؛ اما الليل فهو لنا

تلقينا حفاوة بالغة، بل قل مفرطة فى ماتشون ايضا. فى ذلك الوقت، كان خبر انتصارنا فى معركة ياوينغكو آخذا بالانتشار سريعا فى كل انحاء تشينتاو. فلا عجب ان كانت درجة ترحيب الشعب بنا فى سياووانغتشينغ عالية جدا.

كانت الحياة فى مناطق حرب العصابات المحررة تماما من سيطرة العدو تثلج صدورنا الى ابعد حد.

ولكن، ليس كل ما يسود هذه الدنيا الجديدة كان يعجبنا ويروق لنا. فقد وجدنا فى طريقة العمل واسلوب التفكير لدى بعض القادة الذين يوجهون الثورة فى تشينتاو ما يجرح مشاعرنا ويثير سخطنا.

وكان اكثر ما اذهلنا هو النزعة اليسارية التى كانت تتفشى تفشى الحمى فى نشاط الثوريين العاملين فى منطقة منشوريا الشرقية. وقد تبدى المرض اليسارى بوضوح فى بناء قواعد حرب العصابات بشكل خاص.

عند مناقشتنا مسألة انشاء قواعد حرب العصابات فى اجتماع مينغويكو واجتماع سياوشاهى، حددنا لها اشكالا ثلاثة: منطقة حرب عصابات كاملة، وشبه منطقة حرب عصابات، ونقاط ارتكاز للنشاط. واتفقنا على ضمان التوازن بين تلك الاشكال الثلاثة.

بيد ان بعض الشيوعيين المتحمسين فى منطقة منشوريا الشرقية عكفوا على انشاء مناطق حرب عصابات كاملة فقط على هيئة مناطق محررة، واشاحوا بوجوههم عن انشاء شبه مناطق حرب عصابات او نقاط ارتكاز للنشاط. فاكتفوا فى بداية الامر بانشاء مناطق محررة فى وانغتشينغ. ولو اخذنا سياووانغتشينغ وحدها التى كانت تضارع بمساحتها مساحة احد الاقضية فى بلادنا حاليا، لوجدنا انها

تحولت بكاملها الى منطقة سوفييتية لها بنية منطقة محررة تشرف عليها القوى الثورية. كان الناس فى ذلك الوقت يطلقون على منطقة حرب العصابات الكاملة اسم المنطقة السوفييتية.

وبعد ان رفع الكوادر العلم السوفييتى الذى يرمز الى سلطة العمال والفلاحين فوق تلك المساحة الواسعة، راحوا يهرولون هنا وهناك منهمكين دون ان يفعلوا شيئا، اللهم الا الهتاف فى كل خطوة يخطونها: "الثورة! الثورة!". كانوا يقضون ايامهم من غير طائل فى اطلاق الشعارات الجوفاء عن ديكتاتورية البروليتاريا وبناء مجتمع البروليتاريا، دون ان يخوضوا معركة تذكر خارج حدود منطقة حرب العصابات. وكانوا يجمعون الناس فى المناسبات فى فناء الثكنات او المدارس ويرقصون الرقصات الروسية وينشدون نشيد الاول من ايار. وفى بعض الاحيان كان كوادر لجنة الحزب الخاصة فى منشوريا الشرقية وكوادر المحافظة يجتمعون ويحتدم الجدال بينهم ويعلو الزعيق.

والحقيقة اننا انسقنا لذلك الجو المحموم ايضا، وقضينا ربيع ذلك العام ونحن حيارى. بيد انه تسنى لنا ان نرى شيئا فشيئا بعض الانحرافات الطفولية اليسارية التى كانت تتبدى فى عمل مناطق حرب العصابات، وان نبحث بالتالى عن السبل والتاكتيكات لتصحيحها.

كانت مناطق حرب العصابات تؤوى عددا كبيرا من الناس. فعند بداية تأسيس قاعدة وانغتشينغ وحدها، تجمع فيها آلاف المهاجرين واللاجئين. كذلك الامر بالنسبة لقواعد حرب العصابات فى هونتشون وآنزى وهيلونغ.

وبما ان آلافا مؤلفة من الناس كانوا يقيمون فى ذلك الوادى ذى الاراضى الزراعية الضيقة، فقد كان من الطبيعى ان تشح الاغذية، وان يضطر الجميع الى اكل عصيدة فول الصويا. كانوا يجرشون فول الصويا بالرحى ثم يصنعون منه عصيدة مع قليل من الارز. وقد كان البعض يشكون من هذا الطعام احيانا. ولكن عندما يرون ان تلك العصيدة هى عزيزة المنال ايضا، كانوا يسكنون جوعهم برغيف مصنوع من لحاء شجر الصنوبر المغلى فى محلول من الصودا الكاوية، او باوراق وجذور النباتات

البـرية المـسلوقة مـثل الخنـشار والـثغام والجريـسة والكودونوبـسيس الـرمحية وعـصا الراعـى. ومع ذلك، كنت تجدهم ينشدون الاغانى الثورية ويلقون الخطب منادين باسقاط الامبـريالية والموالـين للـيابان والطفيليـين الـذين يعيـشون علـى حساب الآخـرين وهـم يلوحون بقبضاتهم فى الهواء. هكذا كانت الحياة فى القواعد فى المرحلة الاولى.

طبعا، لقد خضنا عدة معارك على نطاق ضيق مثل الهجمات المباغتة على مخافر الشرطة، وعلى قوافل التموين من عربات الخيل، كما كنا ننتزع الاسلحة من القوات "التأديبية " التى تقتحم منطقة حرب العصابات. وكلما رجعنا مظفرين، كان ابناء الشعب يطلقون هتافات الانتصار ويلوحون لنا بالاعلام. ولكننا تحاشينا خوض معارك كبيرة الا فى اضيق الحدود. وبدلا من ذلك، كنا نقضى الايام فى القيام بالحراسة على قمم التلال او فى حماية اللاجئين. فعلى الرغم من اتساع مساحة القاعدة، الا اننا، نحن رجال جيش حرب العصابات، كنا مضطرين للدفاع عن القاعدة الواسعة ببضع بنادق فقط بسبب قلة البنادق والرجال المسلحين.

وعندما حاولنا توسيع الصفوف المسلحة، كان من يسمون امناء اللجان واعضاءها يعارضون ذلك بعناد قائلين بصوت خائف: ان الجيش الثورى لا ينتمى الى الجبهة المتحدة، وعليه، فانه لا يستطيع ان يقبل فى صفوفه الا عناصر النخبة من العمال والفلاحين لانه اذا قبل الناس كيفما اتفق ومن دون تمحيص، تحول الجيش الى غوغاء. فى ذلك الحين، كان اسم جيش حرب العصابات المناهض لليابان "جيش حرب العصابات العمالى والفلاحى" باعتباره قوات مسلحة خاصة بالمناطق السوفييتية وبما يدل على انه جيش مشكل من العمال والفلاحين.

والواقع ان الدفاع عن ارض فسيحة تبلغ مساحتها آلاف الكيلومترات المربعة بعدة سرايا من جيش حرب العصابات، لم يكن بالامر السهل. وبسبب افتقارنا الى القدرات الدفاعية المتينة، كان العدو يخترق خطوطنا الدفاعية دون صعوبة فى عملياته "التأديبية" ويصل الى مؤخرتنا نفسها. وفى مثل هذه الحالات التى كانت تقع كل يوم تقريبا، كانت تدب الفوضى ويهرب آلاف السكان وهم يحملون الصرر على ظهورهم او رؤوسهم باحثين عن ملجأ آمن.

ومع ذلك، كان من انتقلت اليهم عدوى النزعة اليسارية يعملون فقط على توسيع نطاق مناطق حرب العصابات والدفاع عنها واضعين فى الاعتبار رغباتهم الذاتية وحدها، وبمعزل عن الاعتبار العلمى لميزان القوى بيننا وبين العدو، وكان المعيار الحاسم لنجاح الثورة او اخفاقها هو مساحة المناطق المحررة. والانكى من ذلك، انهم عمدوا الى التمييز المتعمد بين مناطق حرب العصابات والمناطق الخاضعة للعدو باطلاق اسم "المناطق الحمراء" على الاولى و"المناطق البيضاء" على الاخرى، والصقوا بابناء الشعب فى المناطق الخاضعة للعدو والمناطق المتوسطة نعوتا من قبيل "الجماهير الرجعية" و"الجماهير ذات الوجهين"، وكانوا يرتابون فيهم دون تمييز او ينحونهم جانبا. ولم ينجو الشعب داخل الوطن من اعتباره جزءا من "الجماهير الرجعية". وكانت تلك مشكلة كبيرة تقلقنا.

واجبروا النساء فى "المناطق الحمراء" على قص شعورهن لتمييزهن عن نساء "المناطق البيضاء". وكان كل شىء مختلفا بين المنطقتين، حتى فى الكلام والكتابة والغناء، وفى المدرسة والتعليم والمطبوعات. وكان كل من يأتون من "المناطق البيضاء" الى "المناطق الحمراء" يخضعون دون استثناء للمراقبة والاستجواب، ولا يسمح لهم بالعودة الى بيوتهم الا بصعوبة.

عممت الهيئات العليا تعليمات، حتى على منظمات رابطة الاطفال، تطلب فيها معاملة القادمين من "المناطق البيضاء" دون تمييز، معاملة الجواسيس. وكان بعض العاملين فى اللجنة الحزبية فى محافظة وانغتشينغ يحقدون دوما على اولئك الذين انتقلوا من وادى سياووانغتشينغ الى المدن.

حدث ذات مرة ان قبض رجال الحرس الاحمر فى دونغريتشون، على فلاح جاء من دادوتشوان الى مناطق حرب العصابات لشراء ثور واستجوبوه. وما ان بلغ احد اليساريين فى اللجنة الحزبية بالمحافظة خبر القبض على فلاح مشبوه قادم من "المنطقة البيضاء"، حتى امر باخضاعه للتعذيب حتى يكشف عن وجهه الحقيقى ويعترف بنواياه، لانه قد يكون جاسوسا. غير ان الفلاح نفى نفيا قاطعا ان يكون جاسوسا رغم التعذيب. والحقيقة انه لم يكن جاسوسا ولا عميلا للعدو. ومع ذلك،

صادر اليساريون ما كان يحمله من نقود، واخضعوه لتعذيب قاس لا مبرر له.

ذات يوم، وبينما كنا نتذكر الظواهر المأسوية التى سببتها النزعة اليسارية فى مناطق حرب العصابات، قال لى تشاى بونغ سونغ الذى عمل لعدة سنوات فى اتحاد الشباب الشيوعى فى وانغتشينغ:

"كلما سمعت كلمة اليسارية تراءت امام عينى احداث المرحلة الاولى فى مناطق حرب العصابات. كانت اليسارية فى تشينتاو رهيبة حقا. ذات مرة، غنم المغاورون عربة ملح من الجيش اليابانى فى وانغتشينغلينغ وعادوا بها الى سياووانغتشينغ. وبما ان ذلك حدث مع بداية انشاء القاعدة، فاننى اعتقد انكم كنتم ايها الزعيم المحبوب تقومون بالحملة الى منشوريا الجنوبية. كان سائق العربة كوريا فقيرا يسد رمقه يوما بيوم من الاجرة التى يكسبها لقاء عمله المضنى. ولكن اليساريين صنفوه ايضا من (الجماهير ذات الوجهين) وعاملوه معاملة المجرمين، وقالوا انه خائن لمجرد انه يقود عربة تابعة للاوغاد اليابانيين. ولهذا السبب، كان الناس خارج مناطق حرب العصابات ينظرون الى تلك المناطق نظرة عداء. وكانت تسود اجواء مؤسفة حقا."

ان اعمالا طائشة، مثل معاقبة القاعدة الجماهيرية دون تردد، ودون تمييز بين الصديق والعدو، كانت تحدث بكثرة فى مناطق حرب العصابات فى المحافظات الاخرى ايضا. وكانت خطورة هذه الممارسات الجنونية تكمن فى انها تقترف دون تردد باسم الثورة المقدس، وقد ادت الى نتيجة مؤلمة تمثلت فى دفع قطاعات واسعة من الجماهير الثورية الى "المناطق البيضاء" بعد ان كانت مستعدة للنضال ضد الامبريالية اليابانية.

بل ان اولئك اليساريين اقدموا على عمل مشين جدا حين القوا القبض على احد اقارب العجوز لى تشى بايك واتهموه بانه من "الجماهير الرجعية"، وهو الذى جاء من اونسونغ الى شانغتشينغلى لزيارة قبرى والديه اللذين قتلا على يد العدو اثناء احدى العمليات "التأديبية".

وكنت كلما رأيت مثل تلك التصرفات الرعناء، اشعر بخزى لا يطاق فى اعمق

اعماقى. اذا اتهم شيوعى احد ابناء الشعب الابرياء بانه رجعى وعاقبه كما يحلو له، فانه يتحول فورا من شيوعى الى مجرم من درجة استثنائية.

لكن، حتى ونحن نعيش فى منطقة حرب العصابات فى وانغتشينغ، كان اولئك المجرمون الاستثنائيون يتصرفون وكأنهم " ثوريون استثنائيون" لا يجرؤ احد على المس بهم، ويتحكمون بالجماهير على هواهم.

على الرغم من ان بعض الناس كانوا يعتبرون السوفييت شيئا مطلقا وكفيلا بحل كل الامور، الا اننا بدأنا نفكر فى ان المشكلة الخطيرة انما تكمن فى ذلك السوفييت بالذات. وكان الاستنتاج الذى توصلنا اليه انه من الضرورى جدا التغلب على نزعة "الانغلاق" وتوسيع نطاق النشاط من اجل الحفاظ على القواعد وتطوير الثورة. بعبارة اخرى، لا بد من التخلص من ضيق افق اسلوب العمل الذى يتشبث بالدفاع عن مناطق حرب العصابات وتشكيل وحدة كبيرة من النخبة والتجول بها بخفة وحرية للقيام بنشاطات عسكرية وسياسية تتسم بالدينامية.

فلكى يتمكن الجيش من الانتقال الى العمليات العسكرية الدينامية، لا بد له من التخلص من عبء الدفاع عن قاعدته. وكان احد الحلول يتمثل فى بناء العديد من اشباه مناطق حرب العصابات فى الاراضى المحيطة بمناطق حرب العصابات الكاملة كى تدافع الاولى عن الثانية. وقد وجدنا بذلك المفتاح لضمان انتصارات جديدة لثورتنا.

وبهدف الافادة من الخبرة فى بناء قواعد حرب العصابات فى المناطق الصينية الداخلية والاستئناس بها، اجريت فى عدة مناسبات احاديث معمقة مع تونغ تشانغ رونغ.

فى خريف عام ١٩٣١، اعلن قيام الحكومة السوفييتية الصينية المؤقتة فى رويجين بمقاطعة جيانسى الصينية واقيمت المنطقة السوفييتية. ووفقا لما قاله لى تونغ تشانغ رونغ، فان المنطقة السوفييتية المركزية حيث تجمعت زعامة الثورة الصينية تمتد على مساحات شاسعة جدا ويقطنها ملايين الانفس وترابط فيها قوات مسلحة هائلة يصل حجمها الى عدة فيالق. علما بان تونغ تشانغ رونغ، هو الآخر، اكتسب خبرة فى انشاء المنطقة السوفييتية فى مقاطعة هينان.

فى ذلك الحين، كان تعداد الجيش الاحمر الذى يقوده الحزب الشيوعى الصينى

ينوف على مئة الف جندى ويسيطر على مناطق شاسعة تمتد من جنوبى مقاطعة جيانسى الى شمالى مقاطعة كوانغدونغ.

وفيما كنت استمع اليه توصلت الى قناعة تؤكد وجهة نظرى بان تجربة الصينيين فى انشاء المناطق السوفييتية التى تعادل بمساحتها وعدد سكانها دولة مستقلة، لا يمكن تطبيقها حرفيا على ضفاف نهر دومان، وان السبيل الوحيد الذى يتيح للشيوعيين الكوريين، الذين يتخذون من تشينتاو قاعدة لنشاطهم، ان يدافعوا دفاعا ثابتا ومأمونا عن نقاط انطلاق الثورة وان يشنوا حرب عصابات واسعة هو انشاء اشباه مناطق حرب العصابات حول مناطق حرب العصابات الكاملة وفى المناطق الشمالية من كوريا.

وقد برزت مسألة انشاء اشباه مناطق حرب العصابات كضرورة ملحة من خلال ممارسة النضال المسلح. كان الدفاع عن رقعة شاسعة من الارض يفوق قدرتنا مما اضطرنا الى البحث عن حل سريع للمشكلة. اما لو استرسلنا فى المماحكات الكلامية حول تجربة البلاشفة الروس وتجربة رويجين بالصين، واقتصرنا على تقليب المؤلفات الكلاسيكية، دون ممارسة حرب العصابات فعليا، لاكتفينا بمجرد التفكير فى انشاء قواعد حرب العصابات باشكال اخرى، ولما شعرنا بالضرورة الملحة لانشائها واسرعنا فيه.

لم تكن مسألة انشاء اشباه مناطق حرب العصابات مجرد بحث شكلى للقواعد، بل كانت مرتبطة بالموقف الايديولوجى الكفيل بالتغلب على التبعية للدول الكبرى والجمود العقائدى وشق طريقنا الخاص فى الثورة؛ كما انها كانت مسألة وثيقة الصلة بالنظرة الى الجماهير والابتعاد بها عن النزعة اليسارية التى حكمت على قطاعات غفيرة من الجماهير فيما مضى بانها "جماهير ذات وجهين" والاقرار بانها من القوى المحركة للثورة؛ كما كانت مسألة جدية تتعلق مباشرة بتنظيم القوى الثورية بغية جمع شمل تلك الجماهير فى اطار الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان.

والمقصود باشباه مناطق حرب العصابات، المناطق التى توفر الظروف الضرورية لمساعدة جيش حرب العصابات المناهض لليابان وتهيء القوى الثورية بما فيها القوات الاحتياطية لذلك الجيش، وتلعب دور الاتصال، دور صلة الوصل ما

بين المناطق الخاضعة لاشراف العدو ومناطق حرب العصابات. بعبارة اخرى، انها مناطق نسيطر عليها نحن فعليا ويحكمها العدو شكليا. وبعبارة اكثر دقة، انها مناطق يسيطر عليها العدو نهارا، لكنها تصبح لنا ليلا.

كان شكل اشباه مناطق حرب العصابات يتفق مع ظروف نضالنا فى بناء القواعد الثورية. وهو شكل لا وجود له تقريبا فى تجارب حرب العصابات فى البلدان الاخرى. ان تطور ثورتنا هو الذى طرح انشاء اشباه مناطق حرب العصابات كمهمة بالغة الالحاح فى ذلك الحين.

فى اواسط آذار من عام ١٩٣٣، تقدمنا نحو منطقة جبل وانغزاى فى قضاء اونسونغ بمحافظة هامكيونغ الشمالية كاجراء لتوسيع نطاق النضال المسلح الى داخل البلاد وتطويره، واحداث نهوض سريع فى الثورة الكورية ككل ومحورها المركزى المتمثل بالنضال المسلح المناهض لليابان. ذلك ان توسيع النضال المسلح الى داخل البلاد وتحقيق تحرير الوطن كان هدفنا الاستراتيجى الدائم وايماننا الثابت الذى لم يغب عن بالنا لحظة واحدة مذ اعلنا الحرب ضد اليابان. وكان الشرط المسبق لتوسيع النضال المسلح الى داخل البلاد هو بناء اشباه مناطق حرب العصابات فى الانحاء الشمالية من كوريا، وخصوصا منطقة حواضر الاقضية الستة. وكان من شأن البناء الجيد لاشباه مناطق حرب العصابات ان يمكننا من التغلب بسهولة على شتى الانحرافات اليسارية التى ظهرت فى بناء مناطق حرب العصابات.

شكلنا الوحدة المتوجهة الى داخل البلاد من ٤٠ مغاورا من رجال السرية الثانية التابعة لكتيبة وانغتشينغ التى تتخذ من سانتشيداو قاعدة لنشاطها، بالاضافة الى ١٠ قادة وعاملين سياسيين مختارين من مختلف السرايا. وتمهيدا لتقدمها، ارسلنا مفرزة استكشاف يقودها آمر الفصيلة باك تاى هوا الى منطقة اونسونغ.

كان هناك اشخاص ممن يشغلون مناصب مسؤولة فى منظمة الحزب فى منشوريا الشرقية ابدوا انزعاجا شديدا من قرارنا بالتقدم الى داخل البلاد وحاولوا عرقلته بكل الوسائل والسبل. ولم يترددوا فى الافتراء على نضال الشيوعيين الكوريين داخل الصين من اجل الثورة الكورية بوصفهم ذلك النضال بانه نزعة قومية ترمى الى

"مد الثورة الى كوريا". وقد طالبوا بالعدول عن محاولة التقدم الى داخل البلاد لان ذلك يتناقض مع مبدأ "حزب واحد فى البلد الواحد"، على حد زعمهم.

ولكننى كنت اعارض هذا الموقف بوجهة نظرى القائلة ان الاخلاص للواجب القومى هو الاخلاص للواجب الاممى، وان خوض النضال من اجل تحرير كوريا هو حق مقدس لا نزاع فيه للثورى الكورى. فدحضت ادعاءاتهم بمنتهى الجسارة وواصلت دون تردد الاستعدادات للتقدم الى داخل البلاد.

فى ذلك الوقت بالذات، وقع حادث اعاق تقدم جيش حرب العصابات المناهض لليابان الى داخل البلاد واثار حنقنا. فلدى عودة احد جنود السرية الثانية من منطقة اونسونغ بعد انجازه مهمة القيام باتصالات داخل البلاد، اقدم كيم سونغ دو على اعتقاله واقتاده الى لجنة الحزب الخاصة فى منشوريا الشرقية.

كان آن كى هو يتولى قيادة السرية الثانية و تشاى تشون كوك يعمل موجها سياسيا لها. وفور وقوع الحادث، هرع الاثنان الى ماتشون حيث احتجا امامى، وهما يتميزان غيظا، على تصرف كيم سونغ دو التعسفى واعتقاله احد رجال جيش حرب العصابات دون ان يعلم بذلك حتى قادة السرية.

كان تشاى تشون كوك طيب القلب خجولا كالعروس يوم زفافها، ورقيقا كالحرير، ولم يعتد الحديث بالسوء عن احد يوما من الايام، لكنه فى ذلك اليوم راح يكيل السباب الى كيم سونغ دو، مشيرا اليه بلقب "الاعور وانغ". غير انى بقيت جالسا استمع الى شتائمه دون ان انبس ببنت شفة. ذلك اننى كنت لا اعرف المذكور جيدا. وكل ما كنت اعرفه عنه هو انه يقوم بجولات تفتيشية على كل المحافظات بعد نقله رأسا من منصب رئيس قسم الدعاية فى لجنة اتحاد الشباب الشيوعى الخاصة فى منشوريا الشرقية الى لجنة الحزب الخاصة فى منشوريا الشرقية. وكان قيام كوادر فى الهيئات العليا بزيارات توجيهية للمنظمات الدنيا يسمى تفتيشا فى منظمة الحزب فى منشوريا الشرقية حينذاك.

ولم يرق لى اطلاق تشاى تشون كوك ذلك اللقب القبيح على كيم سونغ دو فانتقدته بقسوة:

"منذ متى تعلمت يا رفيق تشون كوك هذه العادة السيئة بان تدعو الناس بالقابهم بدلا من اسمائهم؟ صحيح ان تصرف المدعو كيم سونغ دو مهين لنا، ولكن أليس لديك ادنى حد من الادب فتحترم شخصيته على الاقل؟"

كان تشاي تشون كوك رحب الصدر فيما يتعلق بالنقد، فعلت وجهه سيماء الجد واعتذر بلهجة خجولة:

"المعذرة، ارجو منك ان تغفر لى تصرفى امامك اذا كنت قد اسأت الادب."

"ما دام هناك اناس يعيشون فى مناطق حرب العصابات، فلا بد ان تكون هناك القاب بالطبع. ولكن اللقب الذى اطلقته عليه منحط جدا. فكيف تدعوه بالاعور..."

فى ذلك الحين، كان شيوع تسمية كيم سونغ دو "بالاعور وانغ" بين الناس فى وانغتشينغ يثير حنقى، لا بل ان تسميته تلك اغاظتنى اكثر من اقدام كيم سونغ دو على اعتقال جندى من السرية الثانية.

سالت تشاى تشون كوك عن سبب تسميته بوانغ مع ان اسم عائلته كيم. فاجابنى بان مناداة الناس فى تشينتاو له "بوانغ" عائد، على ما يعتقد، الى تعمدهم السخرية منه اذ انه يتظاهر بانه صينى رغم انه كورى، ويتزلف الى الكوادر ويتملقهم بصورة تثير الاشمئزاز.

وحين عرجت على اللجنة الحزبية فى المحافظة وانا فى طريقى الى لجنة الحزب الخاصة فى منشوريا الشرقية، وجدت الناس هناك ايضا يلقبون كيم سونغ دو "بالاعور وانغ" بدلا من اسمه.

وقد حدثنى لى يونغ كوك هناك، وقال لى ان كيم سونغ دو حزبى قديم، فقد انضم الى الحزب الشيوعى الكورى فى عام ١٩٢٧، وكان عضوا فى احدى خلايا الادارة العامة لجماعة هوايو (٠) فى منشوريا، وقبضت عليه شرطة القنصلية اليابانية

---

(٠) جماعة هوايو: هى احدى الفصائل التى ظهرت ضمن الحركة الشيوعية الكورية عند بدء تكوينها، والحقت اضرارا كبيرة بتطور الحركة – المترجم

وعانى التعذيب فى السجن. وفور اطلاق سراحه، انتقل الى الحزب الصينى حيث رقى الى مرتبة كادر على مستوى لجنة الحزب الخاصة. وهو يضع نظارة سوداء دائما، ربما لاخفاء محجر عينه التى فقدها بسبب المرض. كما انه يرتدى دائما القفطان الصينى "الدابوسانزا".

وقد قيمه لى يونغ كوك بانه "رجل ماهر وخطيب مفوه قادر على الباس الغراب جوربا وهو فى اعالى السماء".

وقد تحادثت مع كيم سونغ دو فى مكتب لجنة الحزب الخاصة فى منشوريا الشرقية لمدة ثلاث ساعات تقريبا.

وفور جلوسى على المقعد قبالته شعرت بالشفقة عليه قبل ان اؤنبه على سوء استغلاله لصلاحياته. ربما كان شعورى هذا بسبب رؤية عينه العوراء وملامحه الكئيبة من الانهاك الشديد. لقد كانت رؤيته يتسلق جبال تشينتاو الشاهقة الوعرة ويتجشم من اجل الثورة عناء جسديا غير عادى وهو الرجل الابخق، تبعث على الفخر والتأثر.

سألته بلطف وانا احاول السيطرة على صوتى قدر الامكان:

"ايها الرفيق المفتش، لماذا قبضت على مغاور كان يؤدى مهمة سرية من دون استشارتنا؟"

فحدجنى كيم سونغ دو من فوق نظارته، وبدا انه منزعج جدا لجرأتى على استجواب مفتش من اللجنة الخاصة.

"هذا سؤال غريب فى الواقع. فانا لا اظنك تجهل ان اقدام ذلك المغاور على اجتياز الحدود هو مظهر من مظاهر القومية التى تتناقض مع الاممية البروليتارية... اننا نعتبره منتميا الى (مينساينغدان)."

"وما السبب فى اعتقادكم هذا؟"

"لقد كان فى كوريا، وذهابه اليها هو تصرف قومى. ومن يرتكب مثل هذه الجريمة الا اعضاء (مينساينغدان)؟"

"أ هذا هو رأيك الشخصى؟"

"اجل، ورئيسى ايضا يوافقنى على رأيى هذا."

حين سمعت جوابه هذا، لزمت الصمت برهة لانى شعرت بالاشفاق عليه اكثر من شعورى بالكراهية له. والحقيقة ان شعورا غريبا دفعنى الى الاحساس بنوع من الاشفاق عليه بدلا من اظهار سخطى واشمئزازى من هذيانه الذى لا يعتمد على اى حجة علمية او حقيقة، ودحض ما قاله وتبيان خطأه بمنطق باتر كالمطرقة. يبدو لى ان تحامل كيم سونغ دو المرضى واسلوب تفكيره الفج قد جعلاه يظهر بمظهر الكائن البائس، وهذا ما لا يليق ابدا بمنصبه الرفيع، كمفتش متجول للجنة الحزب الخاصة فى منشوريا الشرقية.

(يا له من انسان بائس بعاهتين، عاهة روحية وعاهة جسدية! ولكن لا بد لى من الاشادة طبعا بتفانيه فى سبيل الثورة، وتخفيه بنظارته السوداء حتى لا تظهر عاهته وتكشف هويته امام الجواسيس. ولو انه كان يتحلى بروح سليمة فقط لما كان هناك من هو افضل منه. ولكن، كيف اصيب ذهنه بالمرض الى هذه الدرجة التى يرثى لها!؟)

وفيما انا افكر هكذا، رأيت ان اوجه له النصح، فقلت له بصوت اكثر خفوتا من ذى قبل:

"يبدو لى انك تعتبر القومية و(مينساينغدان) شيئا واحدا. ولكن، كيف يسعك ان تكيلهما بمكيال واحد؟ أليس من الاستهتار المساواة بين القومية و(مينساينغدان) لمجرد ان بعض القوميين من امثال باك سوك يون وزو بيونغ سانغ وزون سونغ هو هم الذين شكلوا (مينساينغدان)؟ اعرف انك انتسبت الى منظمة يتزعمها قوميون فى البداية ثم حولت مسارك الى الحركة الشيوعية بعد ذلك. فما رأيك، اذن، فى ان نصمك (بالمينساينغدانية)؟"

فغمغم كيم سونغ دو غمغمة مبهمة: "وكيف ذلك..؟"

تركت له متسعا من الوقت لكى يفكر بروح نقدية، ثم مضيت فى اقناعه بالحجج المنطقية:

"يبدو ان رئيسك الذى قصدته فى كلامك هو الامين تونغ تشانغ رونغ. لكنى لا اعتبره ضيق الافق الى هذا الحد. وحتى لو كان هو نفسه قد اتخذ قرارا كهذا بدافع

من التحيز او سوء الفهم المؤقت لجهله بالحقائق، فان عليكم انتم الذين تعرفون واقع كوريا جيدا، ان تنصحوه بكل السبل الممكنة حتى يصحح فهمه الخاطئ."

وبقى كيم سونغ دو صامتا.

وفى طريق عودتى الى مقر القيادة مع جندى السرية الثانية بعد اطلاق سراحه، لم استطع التخلص من التفكير بتعاسة كيم سونغ دو.

وبكل صراحة، لقد احتفظت بمشاعر الشفقة نحوه رغم اننى اصطدمت معه عدة مرات فى قضايا نظرية، الى ان تصدر الصفوف وقاد "عمليات تصفية الرجعيين" راقصا على انغام الآخرين.

ولكن، مذ رأيته يقتل العديد من الثوريين المخلصين تحت لافتة القضاء على "مينساينغدان"، زايلنى كل احساس بالتعاطف معه. وقد تم اعدامه هو الآخر بتهمة الانتساب الى "مينساينغدان" فى نهاية المطاف. يمكننى القول بان احدى خبرات الحياة التى حصلت عليها على مدى عشرات السنين المضطربة، هى ان الارهاب يدمره الارهاب، وان اليسارية تعدمها المحاكم اليسارية، وان المرء الذى يتملق الآخرين من غير ان يكون له ايمانه ورأيه الخاصان مآله تدمير نفسه بنفسه.

غادرت الوحدة المتقدمة الى داخل البلاد ماتشون فى اوائل آذار وبلغت ضفة النهر المقابلة لوادى تاماك فى قضاء اونسونغ حيث اقامت مخيما لها فى وادى سول وباشرت بعملية تثوير تلك المنطقة من اجل تحويلها الى شبه منطقة حرب عصابات خلال اسبوع تقريبا، فيما هى تنتظر عودة مفرزة الاستكشاف التى تغلغلت داخل اراضى اونسونغ. فى النهار كنا نزاول التدريبات العسكرية على المنحدر الغربى لجبل سونغدونغشان، وفى الليل كنا نجوب القرى لنشكل فيها تنظيمات سرية.

كما قمنا بالعمل مع مسؤولى العشر اسر ومسؤولى المئة اسرة، وهم فى ذلك الحين مسؤولو ادنى الوحدات الادارية التابعة لمنشوكو. وبما اننا لم نمس مصلحة الشعب بسوء واقمنا علاقات حسنة مع السكان بموجب لوائح الخدمة المعمول بها فى الجيش الثورى، فقد كان السكان، هم الآخرون، يحملون انطباعات طيبة جدا عنا. وقد مد المغاورون المرابطون فى وادى سول يد العون الى الفلاحين، فساعدوهم فى

اعمالهم، وقام بعضهم بترميم سياج البيت الذى يقيمون فيه باغصان النفل الدغلى التى اتوا بها من الجبل.

اما قصة الفأس المشهورة التى اوردها باك يونغ سون فى مذكراته، فقد حدثت فى ذلك الحين.

ذات صباح، توجهت نحو ضفة نهر دومان، حاملا فأسا ودلوا وذلك رغبة منى فى التخفيف من اعباء الزوجين العجوزين الصينيين اللذين كنت اقيم فى بيتهما. كان السكان فى تلك المنطقة يستعملون مياه نهر دومان للشرب فى فصل الشتاء. ولكى يخرجوا الماء من النهر بالدلاء، كان عليهم ان يكسروا الطبقة المتجمدة على سطح النهر بواسطة فأس او معول.

اخذت الفأس لاكسر الجليد مثلما يفعلون. ولكن، بعد ان كسرت الجليد، افلت نصل الفأس من مقبضها الخشبى وغرقت فى النهر. وعلى الرغم من اننى امضيت عدة ساعات انقب فى قاع النهر بواسطة عصا خشبية طويلة بحثا عن الفأس الا اننى لم اجدها.

فما كان منى الا ان دفعت للعجوز صاحب البيت مبلغا سخيا ثمنا للفأس واعربت له عن اسفى الشديد لضياع الفأس. لكن العجوز ابى ان يأخذ المال، قائلا بانه ممتن جدا لمساعدة السيد القائد له بجلب المياه كل صباح الى البيت، ولا يسعه ابدا ان يقبل ثمن الفأس سيما وانه عجوز طاعن فى السن لا يستطيع تقديم اى عون للجيش الثورى. ولكننى رجوته ان يقبل الثمن اكراما لى لان مغادرتى المنطقة من دون التعويض عن الفأس المفقودة يشكل مخالفة لانظمة الجيش الثورى الذى انا قائده.

وعلى الرغم من اننى نقدت العجوز ثمنا سخيا لقاء فأسه، الا ان هاجس الفأس الضائعة فى حفرة الجليد لم يفارقنى قط. كيف يمكننى ان اخفف عن امرئ فقد اداة عمله الاليفة لديه مهما دفعت ثمنها له؟ لهذا، طلبت من بعثة التنقيب فى مواقع معارك النضال المسلح المناهض لليابان التى زارت مناطق شمال شرقى الصين فى ربيع عام ١٩٥٩ ان تنقل اعتذارى الى ذلك الشيخ فى ليانغشويتشوانجى اذا التقت به.

لكن الشيخ كان قد توفى للاسف الشديد.

كانت الساعة تقارب الرابعة او الخامسة مساء حين وصلنا الى قمة جبل وانغزاى عبر نهر دومان بتوجيه من مفرزة الاستكشاف.

آنذاك، استقبلنا مسؤولو المنظمات الثورية والعاملون السياسيون السريون الذين قدموا من مناطق حواضر الاقضية الستة وكانوا مختبئين فوق الجبل وسط اجمة من اشجار اللاركس.

ومن قمة الجبل المكسو بكثافة باشجار البلوط الصغيرة، تأملت مطولا المناظر الطبيعية من حولى. يقال بان عقدا من الزمن كفيل بتغيير هيئة الجبال والانهار. ولكن تلك المنطقة بدلت ملامحها فى اقل من ثلاث سنوات. فقد انبسطت امام عينى مناظر جديدة لم اكن قد رأيتها اثناء عملى فى تأسيس منظمة حزبية فى رابية دورو داخل البلاد، وكان من تلك الاشياء الجديدة كومة كبيرة من ركام احد مناجم الفحم. اضف الى ذلك ان القطار الذى يجرى على خط اونغكى (سونبونغ) – اونسونغ، كان هو الآخر من ملامح اونسونغ الجديدة التى ما كنت أراها فى خريف عام ١٩٣٠ او فى ربيع عام ١٩٣١.

ومع تغير الجبال والانهار، ينمو الناس وتتقدم الثورة ايضا. فبعد قدومنا الى تلك المنطقة، اخذت تظهر على التوالى منظمات ثورية جديدة معادية لليابان فى حواضر الاقضية الستة وجوارها وشرعت بمزاولة نشاطاتها.

لقد ضرب مناضلو حواضر الاقضية الستة حصارا محكما على اجهزة الحكم المعادية بواسطة شبكة فولاذية جبارة شكلتها منظماتهم الثورية فى اقصى شمال الوطن، حيث كانت قيادات الجيش والشرطة اليابانية المسؤولة عن حفظ الامن والنظام فى المنطقة تتبجح بمتانة الحراسة على الحدود.

وقد تطور نضالنا المسلح ايضا. ولو اخذنا منطقة منشوريا الشرقية وحدها على سبيل المثال لوجدنا ان القوات المسلحة التابعة لجيش حرب العصابات هناك نمت الى حجم كتيبة. ولسوف تتحول الكتائب العاملة فى مختلف المحافظات بعد وقت قصير الى افواج وفرق. وكانت قوات الشيوعيين الكوريين المسلحة تشن حرب عصابات فى منشوريا الشمالية والجنوبية ايضا. ولم يعد بعيدا اليوم الذى سوف تتقدم

فيه فرقنا وفيالقنا الى ارض الوطن وتنزل ضربات قاصمة بالعدو. وكنا قد وصلنا الى ارض اونسونغ كوحدة متقدمة من تلك القوات.

كنت مستغرقا فى هذه الخواطر وانا اردد بصوت خافت ابيات قصيدة قديمة نظمها بالرموز الصينية الجنرال نام اى، وعلمنى اياها جدى لامى اثناء دراستى فى مدرسة تشانغدوك.

لسوف اشحذ سيفى الى ان تبلى صخور جبل بايكدو،
واسقى حصانى الى ان تنضب مياه نهر دومان.
ان لم يسو المرء امور البلاد وهو فى العشرين،
فمن سيشيد بذكره فى آتى الايام؟

اخبرنى جدى يومها ان الجنرال نام اى استحق منصب مسؤول الشؤون العسكرية بفضل بسالته واقدامه فى المعركة التى خاضها ضد العدو فى مناطق البلاد الشمالية وهو نحو العشرين من عمره، والهمنى وشجعنى لكى اكون قائدا او جنرالا متقدما فى المعركة ضد الغزاة اليابانيين عندما اكبر.

وانا استمع الى حديث جدى، شعرت بالاسف الشديد لان الجنرال نام اى لقى حتفه فى مكيدة دبرها له احد المتآمرين. وقررت ان اقاتل عندما اكبر فى مقدمة الصفوف ضد المعتدين الاجانب ذودا عن حياض البلاد وابناء الشعب تماما مثلما فعل الجنرال نام اى.

(اذا كان الجنرال نام اى قد صد الغزاة من الشمال بالاستناد الى القلاع الست، فاننا سنوسع نطاق النضال المسلح الى عمق اعماق البلاد ونحفر هوة فاغرة تسقط فيها الامبريالية اليابانية باستنادنا الى اشباه مناطق حرب العصابات المنشأة فى حواضر الاقضية الستة!)

هذا هو قسمى الذى اقسمته وانا اقف على قمة جبل وانغزاى.

قدم الى العاملون السياسيون السريون ومسؤولو المنظمات الثورية المجتمعون فى جبل وانغزاى تقارير عن وضع البلاد وعن نشاطاتهم.

فاثنيت على مسيرتهم الناجحة فى انشاء قواعد الاسناد الجماهيرية للثورة المناهضة

لليابان فى منطقة التخوم الشمالية، بما فيها حواضر الاقضية الستة، وطرحت عليهم بعض المهام المتعلقة بتوسيع النضال المسلح الى داخل البلاد وتطويره.

ومن بين تلك المهام، اكدت بشدة على مسألة انشاء اشباه مناطق حرب العصابات. فقد كانت نيتنا تتمثل فى اقامة تلك المناطق فى انحاء متعددة من البلاد بحيث تكون منطقة اونسونغ هى محورها، والتحضير من جهة اخرى لاقامة مراكز اتصال سرية ونقاط اسناد اخرى فى اماكن تغطيها الغابات الكثيفة. وكان هذا هو حجر الزاوية فى توسيع النضال المسلح والتقدم به الى داخل البلاد.

كما تدارس اجتماع وانغزايسان مهمة جمع شمل الامة كلها كقوة سياسية متينة واحدة تحت راية الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان القائمة على تحالف العمال والفلاحين، ومهمة حض المنظمات الثورية داخل الوطن على دفع الحركة الجماهيرية والعمل التحضيرى لتأسيس الحزب بقوة الى الامام.

لقد كان تقدم جيش حرب العصابات الى اونسونغ مقدمة لتوسيع النضال المسلح المناهض لليابان الى داخل البلاد وتطويره، كما كان معلما جديدا على طريق تطور نضال التحرر الوطنى. ومن خلال تقدمنا هذا، اظهرنا للملأ داخل البلاد وخارجها ايماننا وموقفنا الثابتين بان النضال الذى يخوض غماره الشيوعيون الكوريون فى سبيل الثورة الكورية هو واجب مقدس وحق مطلق لا ينازعهم فيهما منازع.

وقد دل تقدم جيش حرب العصابات المناهض لليابان الى اونسونغ واجتماع وانغزايسان على صحة رأينا فى انشاء اشباه مناطق حرب العصابات حول مناطق حرب العصابات الكاملة وداخل البلاد، كما دل ايضا على نضوج الشروط الذاتية والموضوعية لانشاء اشباه مناطق حرب العصابات فى تشينتاو ومنطقة حواضر الاقضية الستة.

وبعد ارفضاض اجتماع وانغزايسان، تقدمنا نحو مناطق مختلفة داخل البلاد، كجزيرة ريودا ووادى باكسوك فى كيونغوون (سايبيول) وقمة جبل كوم فى قرية سينهونغ بقضاء زونغسونغ، حيث عقدنا الاجتماعات واقمنا دورات دراسية قصيرة وقمنا بمهمات سياسية اخرى. وكانت الغاية الاساسية من هذا التوغل هى تعليم

مسؤولى المنظمات الثورية داخل البلاد والعاملين السياسيين السريين فيها المبادئ والاساليب التى ينبغى لهم الالتزام بها فى ممارسة النضال الثورى السرى.

وبهدف اعداد الثوريين العاملين داخل البلاد اعدادا جيدا لكى يقودوا النضال العملى المعقد بجرأة ودقة عن طريق تلقينهم الخطوط الثورية وطريقة العمل الزوتشية المستقلة، توغلنا داخل البلاد واكثرنا من اللقاء بهم. فالاعداد السياسى والعملى لقادة المنظمات الثورية داخل الوطن وعناصرها المتقدمة كان شرطا مسبقا للنجاح فى انشاء اشباه مناطق حرب العصابات.

وقد توغلت نواة العناصر القيادية التى اوفدناها فى ذلك الوقت عميقا داخل الوطن وتغلغل افرادها فى الجمعيات العمالية والفلاحية التى كانت تركز كل قواها على مقاومة اليابان، وشكلوا المنظمات الجماهيرية الثورية فى كل الانحاء. كما مد نشطاؤنا شبكاتهم الى سيؤول ومناطق اخرى فى اقصى جنوب كوريا.

لقد ادت منظمات الحزب التى انشئت على ضفاف نهر دومان دورا حاسما فى تمتين اشباه مناطق حرب العصابات فى حواضر الاقضية الستة واحداث نهوض ملموس فى الحركة الثورية داخل البلاد.

وفيما بعد، تبنى القياديون فى منشوريا الشرقية مبادرتنا الخاصة ببناء اشباه مناطق حرب العصابات منهجا لهم وحددوا المهام لنقلها الى حيز التنفيذ. كان هناك من حاولوا النيل من اقتراحنا المشروع والصحيح هذا قائلين انه تعبير عن النزعة اليمينية، لكن محاولتهم تلك احبطت على الفور.

بدأ العمل المكثف والنشيط لانشاء اشباه مناطق حرب العصابات فى المناطق السوفييتية من منشوريا الشرقية فى ربيع عام ١٩٣٣. فظهرت هذه المناطق على مساحات شاسعة من اراضى وانغتشينغ، مثل لوزوكو وداهوانغواى وجوانجياولو وليانغشويتشوانجى، ومناطق آنزى وهونتشون وآنتو وهيلونغ. ولقد اسهمت هذه المناطق اسهاما كبيرا فى تطوير النضال المسلح المناهض لليابان. كما جرى تحويل بعض مناطق حرب العصابات الكاملة التى لم يكن الدفاع عنها مؤاتيا، الى اشباه مناطق حرب العصابات.

كان عدد كبير من عمد القرى المعينين من حكومة منشوكو يؤيدوننا ويتعاطفون معنا. وفى بعض الاماكن، مثل لوزوكو وغيرها، كنا نجد انفسنا فى عالمنا وبين اناسنا بمجرد الخروج الى خارج المدينة.

وقد تجلى صواب تجربة انشاء اشباه مناطق حرب العصابات وصحته الى ابعد حد من خلال النشاطات التالية للجيش الثورى الشعبى الكورى فى منطقة جبل بايكدو.

لقد كانت تلك المناطق قيمة للغاية. ولهذا السبب، عندما بدأنا بتهيئة الاجواء فى محيط جبل بايكدو بعد انتقالنا الى ضفاف نهر آمروك فى النصف الثانى من الثلاثينات، لم نقم المعسكرات السرية الا فى المناطق التى يرابط فيها الجيش الثورى، وحولنا ما تبقى منها الى اشباه مناطق حرب العصابات واقمنا منظمات ثورية جماهيرية دون ان نميز ما بين جماهير حمراء وجماهير بيضاء، وارسلنا اليه نشطاءنا. اما نحن فلم نستقر فى منطقة معينة، بل كنا نتنقل من منطقة الى اخرى اذا ما فطن العدو اليها. وفى هذا السياق، ظهر عدد كبير من الوطنيين بين العمد، و مسؤولى المائة اسرة و مسؤولى العشر اسر، ورؤساء البلديات، ورجال الشرطة واعضاء فرق الدفاع الذاتى، من امثال زونغ دونغ تشول ولى هون ولى زو ايك (لى تشوى) وغيرهم. واستطعنا ان نزرع كذلك عددا كبيرا من الرفاق الفطنين فى اجهزة الحكم القاعدية للعدو كعاملين سريين. كما جندنا عددا غير قليل من موظفى تلك الاجهزة وجعلناهم من مؤيدى الثورة. فكانوا يتظاهرون بالاخلاص فى خدمة دولة منشوكو نهارا، ولكن ما ان تغرب الشمس حتى يعملوا ادلاء للجيش الثورى، او يلتقوا بنشطائه السريين لتسليمهم المعلومات التى جمعوها خلال النهار، او يجمعوا ما يمكنهم جمعه من اشياء لمساعدة الجيش الثورى. فصارت اشباه مناطق حرب العصابات فى منشوريا الشرقية وفى البلاد دوائر مأمونة لحماية الجيش والسكان فى المناطق المحررة ولصون السلطة الشعبية القائمة فيها وثمار سياساتها الديمقراطية.

ومنذ ان تحولت مساحات واسعة من البقاع المحيطة بمناطق حرب العصابات الكاملة الى اشباه مناطق حرب العصابات، صار بامكان جيش حرب العصابات

المناهض لليابان ان يتوغل عميقا فى مناطق العدو لتثوير الجماهير فيها وتوسيع المنظمات الطليعية كمنظمات الحزب واتحاد الشباب الشيوعى والمنظمات الجماهيرية الاخرى، مرسيا بذلك الاسس الجماهيرية للنضال المسلح المناهض لليابان ومنتقلا من مرحلة الدفاع السلبى الى مرحلة الهجوم الايجابى. وبفضل تحويل الحرب ضد اليابان الى عمليات هجومية كنا نبادر الى شنها، استطعنا التغلب على حصار العدو الاقتصادى الغاشم وتمكنا بسهولة من حل مشكلة التموين التى كانت تجثم بثقلها على الحياة فى مناطق حرب العصابات.

وقد اتاح بناء اشباه مناطق حرب العصابات التغلب على الانحراف اليسارى الذى دفع اناسا كثيرين الى الجانب المعادى بتمييزه بين "المناطق الحمراء" و"المناطق البيضاء"، وجمع شمل قطاعات واسعة من الشعب فى قوة سياسية واحدة تحت راية الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان، واسهم الى حد كبير فى تطوير الثورة الكورية على نهجها الخاص بالقضاء على التبعية للدول الكبرى وعلى الجمود العقائدى.

وكانت لوزوكو وليانغشويتشوانجى مثالا يحتذى بين اشباه مناطق حرب العصابات فى وانغتشينغ.

وقد لعب لى كوانغ دورا كبيرا فى انشاء شبه منطقة حرب عصابات فى لوزوكو. اذ وفر لنا موطئ قدم فيها مذ اوفدناه للعمل هناك مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان وفلول جيش الاستقلال.

منذ بداية العشرينات كانت جماعة لى دونغ هوى قد بدأت تمهد لتحويل لوزوكو الى قاعدة هامة لحركة الاستقلال. وحيث ان الشيوخ الذين يقودهم لى دونغ هوى وكانوا يتحكمون بكل شىء فى تلك المنطقة انضموا الى حركته، فقد استطاع لى كوانغ ان يثور سكان تلك المنطقة من خلالهم.

من اجل انشاء شبه منطقة حرب عصابات فى لوزوكو، اوفدنا الى تلك المنطقة العديد من العاملين السياسيين السريين البارعين، الا ان عددا غير قليل منهم لم يعد الى صفوفنا حيا. ومن الذين استشهدوا هناك تشاى زونغ هوا الذى كان قد اسهم اسهاما كبيرا فى تثوير لوزوكو.

فى ذلك الحين، كان باك كيل سونغ، الذى سيصبح فيما بعد قائدا محنكا لاحدى مفارز الجيش الثورى الشعبى الكورى، و تشاى كوانغ يقومان بالنشاطات السرية فى لوزوكو.

وفى محاولة يائسة من العدو لتصفية القوى الثورية، قام بتشكيل تنظيمات رجعية خبيثة مثل جمعية التعاون والمصالحة وجمعية المساعدة فى تلك المنطقة، الا اننا نظمنا فيها نحن ايضا منظمات جماهيرية واسعة مثل جمعية مناهضة اليابان وجمعنا فيها شمل كل القوى الوطنية. قامت لوزوكو بدور مستودع الحبوب لتغذية الجماهير الثورية فى وانغتشينغ. فكلما عانت منطقة حرب العصابات فى سياووانغتشينغ من نقص فى المؤن الغذائية، ارسلت الى المنظمات الثورية فى لوزوكو تطلب منها الغوث. وهكذا، كان اعضاء المنظمات الثورية فى لوزوكو، يحملون الحبوب على ظهورهم حتى دولمونآن فى شيليبينغ حيث يسلمونها الى اهالى وانغتشينغ. وحتى بعد ان احتل العدو لوزوكو، عاشت المناطق المحررة على المؤن التى بقيت تأتى منها كالعادة. وليس من المبالغة القول ان الثوريين فى محافظة وانغتشينغ استطاعوا البقاء على قيد الحياة بفضل المؤن الغذائية التى كانت توفرها لهم لوزوكو فى واقع الامر، وذلك منذ النصف الثانى من عام ١٩٣٥، اى بعد حل مناطق حرب العصابات ومغادرة القوة الرئيسية للجيش الثورى الشعبى الكورى فى الحملة الى منشوريا الشمالية. وان بعض الجماهير الثورية وجنود سرية وانغتشينغ الثالثة الذين اختبؤوا فى جبل غربى لوزوكو تجنبا لحملات العدو "التأديبية"، امضوا خريف وشتاء عام ١٩٣٥ على الحبوب التى وفرها لهم الشعب فى تلك المنطقة.

واذا كانت لوزوكو قد لعبت دور مركز التموين للثوريين فى وانغتشينغ على اكمل وجه، فما ذلك الا لانها كانت منطقة مشهورة منذ القديم بخصوبة ارضها، حتى قيل انها كانت تطعم المتسولين المارين بها الذرة البيضاء المطبوخة. ولكن هناك سببا اهم، الا وهو وجود العديد من المنظمات الثورية العاملة التى اولت اهتماما دائما برفع وعى الجماهير.

كان كيم ريونغ وون، مسؤول المائة اسرة فى لوزوكو، خادما فى احد اجهزة الادارة الدنيا يحظى بثقة دولة منشوكو، لكنه كان فى الواقع عضوا نشيطا فى منظمتنا. وقد قدم مساعدات كثيرة للثوريين مستغلا منصبه الرسمى.

ولمنع نشطاء جيش حرب العصابات السريين من التسلل الى المدن المسورة، ومنع الاتصالات بين السكان والجيش الثورى، فرض العدو رقابة صارمة على اخراج المواد الغذائية والحاجيات المعيشية الضرورية من جهة، وجند الشباب لحراسة المدن الى مدار الساعة ولتفتيش الداخلين اليها والخارجين منها تفتيشا دقيقا من جهة اخرى. وكان العدو يوزع على كل واحد من اولئك الشباب المجندين هراوة، فكانت تلك الهراوة بمثابة اوراق اعتماد صادرة عن دولة منشوكو.

فى اليوم المحدد لوصول رجال الجيش الثورى الى لوزوكو لاستلام الحبوب، كان كيم ريونغ وون يختار للحراسة اولئك الشباب المتأثرين بنا. وعند وصول الاشخاص المكلفين بالحصول على المواد الغذائية، كان الحراس يسلمونهم هراواتهم وينطلقون الى القرى لجمع الحبوب تحت قيادة مسؤول المائة اسرة، ويملؤونها فى اكياس ويعودون بها اليهم ليسلموهم اياها.

لا بل ان اعضاء المنظمات الثورية فى لوزوكو حصلوا حتى على عشرات آلاف الطلقات من خلال عملهم بين جنود جيش منشوكو العميل. آنذاك، كان فى مدينة لوزوكو دكان خاص تديره المنظمات الثورية، وكان صاحب الدكان مناضلا قديما فى اتحاد الشباب الشيوعى. وقد اقام علاقة اخوة مع اولئك الجنود من اجل اخراج مواد الدعم من المدينة وارسالها الى الجيش الثورى دون عائق.

وكان من بينهم جندى اعماه حب المال، فكان يطلب من صاحب الدكان ان يبيع له بضائع اشتراها بثمن رخيص من مناطق اخرى بعدة اضعاف ثمنها الاصلى. وكان مضطرا الى التعامل مع ذلك الدكان لانه سيتعرض للعقاب فى حال انفضح امر مزاولته التجارة، المحظورة على العسكريين. بعد ان اقام علاقة اخوة مع صاحب الدكان، راح يبيع له حتى طلقات البنادق. وهكذا اشترى منه صاحب الدكان اكثر من ٥٠٠٠ طلقة ب٢٥ زيانا لكل طلقة ونقلها الى الجيش الثورى.

ان هذه القصة هى شاهد من شواهد كثيرة تدل على صحة وحيوية سياستنا فى انشاء اشباه مناطق حرب العصابات.

وفيما يتعلق بمؤازرة ودعم الجيش الثورى، فقد اضطلعت شبه منطقة حرب العصابات فى ليانغشويتشوانجى، الواقعة الى الجنوب من وانغتشينغ، بدور بارز هى الاخرى. فقد ارسلت المنظمات الثورية العاملة فى تلك المنطقة المواد التموينية وحاجيات المعيشة الضرورية الى المناطق المحررة عشرات المرات.

آنذاك، كنا نحصل على نسبة كبيرة من اشد الحاجات ضرورة لمعيشة الشعب فى مناطق حرب العصابات، كالارز والاقمشة والثقاب والادوية والبارود والملح، عن طريق المنظمات الثورية فى اونسونغ وليانغشويتشوانجى.

كان الملح عزيز المنال للغاية فى مناطق حرب العصابات، فكنا نضع حبة صغيرة من الملح لكل ٥ ملاعق من الثريد تقريبا بحيث لا يكاد يظهر طعمه. وكان العدو حينذاك يفرض رقابة صارمة على الحبوب والملح من اجل خنق الناس فى تلك المناطق. لذلك، كان يجبر الفلاحين على وضع كل الحبوب التى حصدوها فى الخريف فى مخازن خاصة فى قرى الاعتقال التى يشرف عليها العدو نفسه، ويوزع عليهم كمية معينة يوميا حسب عدد افراد العائلة. فقد كان يعرف جيدا ان اى احتياطى من المواد الغذائية يتوفر للفلاحين لا يلبث ان يصير غذاء لجيش حرب العصابات المناهض لليابان او لابناء الشعب فى مناطق حرب العصابات.

ولمنع تهريب الملح، بلغ الامر بالعدو حد تشكيل وحدة من الشرطة مختصة بالملح تعرف باسم "زيبساداي"؛ فكانت تداهم البيوت بكثرة وتفتشها. فان عثرت على كمية زائدة من عجينة او صلصة الصويا فى البيت من البيوت، فرضت عليه غرامة وضربت صاحب البيت ضربا مبرحا بهراوة خشبية مثلثة الزوايا يقال لها "بولغيتشاى".

فى خريف عام ١٩٣٤، اوفدنا وحدة عمل تضم اكثر من ٣٠ مقاتلا من السرية الثانية وعددا كبيرا آخر من الجنود والاهالى والاطفال ومعهم بعض الخيول الى ليانغشويتشوانجى وذلك بهدف حل مشكلة الملح الذى تفتقر اليه قواعد حرب

العصابات بشدة. وكانت المسافة من وانغتشينغ الى ليانغشويتشوانجى ١٠٠ رى.

فاستقبلتهم عند ضفة نهر دومان المنظمة الثورية فى ليانغشويتشوانجى التى كنا قد ابلغناها بالامر مسبقا، وكانت قد امنت بالفعل كميات كبيرة من الملح تسلمتها من المنظمة الثورية السرية فى اونسونغ ومؤسسة ناميانغ للنقل.

عادت وحدة العمل الى سانتشيداو سليمة مع الاحصنة التى حمل كل منها زكيبتين الى ثلاث زكائب من الملح. اما الكمية الباقية فنقلوها الى قواعد حرب العصابات، وقد حمل كل واحد منهم ما بين عشرين وثلاثين كيلوغراما على ظهره. وقد جرت مقايضة بعض هذا الملح بطحين القمح فى لوزوكو.

كانت مواد التموين التى ترسلها الينا منظمة ليانغشويتشوانجى تنقل بمعظمها من اونسونغ وانحاء اخرى من منطقة حواضر الاقضية الستة. وكان اهالى تلك المنطقة يؤمنون قدرا كبيرا من الحاجات الضرورية لجيش حرب العصابات وسكان قواعد حرب العصابات فى تومين ولونغجينغ. ولم يكن ممكنا شراء كميات كبيرة من هذه الاشياء فى البلاد حيث كان العدو يفرض حراسة مشددة ورقابة صارمة. فكان على اعضاء المنظمات داخل البلاد ان يعبروا سرا الى ضفة النهر الاخرى ويشتروا ما نحتاج اليه من السلع من المراكز التجارية كتومين ولونغجينغ بالمفرق ثم يجمعونها فى مكان معين ويرسلونها الى القواعد المناهضة لليابان عبر طريق محدد.

فى الواقع، كانت تومين ولونغجينغ تمثلان قاعدة تموين مأمونة بالنسبة لنا. لذا، لم نكن نهاجم اعتباطا المدن التى فيها شبكة كثيفة من منظماتنا الثورية مثل تومين ولونغجينغ وبايتشاوكو. حدث ان هاجم رفاقنا مرة بايتشاوكو، ولكن والد لى كوانغ اخبرنا بعد ذلك الهجوم مباشرة بان العواقب لن تكون لصالحنا، لان الاثرياء ذوى الضمير القومى والذين يتعين اجتذابهم الى الجبهة المتحدة قد ارتعبوا كثيرا. ومنذ ذلك الحين، لم نعد نهاجم بلدات مثل بايتشاوكو. حقا، لقد حققت اشباه مناطق حرب العصابات فى حواضر الاقضية الستة مآثر باهرة جديرة بالتسجيل فى حوليات التاريخ على صعيد تموين رجال الجيش والسكان فى المناطق المحررة بما فيها وانغتشينغ.

وفضلا عن مناطق حرب العصابات الكاملة واشباه مناطق حرب العصابات، اقمنا عددا لا يحصى من قواعد الارتكاز غير المرئية لتسهيل النشاطات العسكرية والسياسية لجيش حرب العصابات ومراسليه فى المناطق الخاضعة لحكم العدو. لقد اقيمت قواعد الارتكاز تلك، المشكلة من المنظمات الثورية السرية ومحطات الاتصال، اقيمت على نطاق واسع فى المدن الكبيرة الخاضعة لحكم العدو مثل لونغجينغ وهونتشون وتومين ولاوتوكو وبايتشاوكو والمناطق القريبة من الخطوط الحديدية، وكانت نوعا من قواعد حرب العصابات المؤقتة والمتنقلة.

كلما عدت بذاكرتى الى تلك الايام التى لا تنسى والتى كنا نعمل فيها على انشاء اشباه مناطق حرب العصابات فى تشينتاو وداخل البلاد، يترأى لى وجه او زونغ هوا واضحا كل الوضوح.

فمباشرة بعد اطلاق سراحه من سجن سودايمون، استقل او زونغ هوا القطار باتجاه الشمال الى تومين حيث مكث عدة ايام فى بيت حميه قرب هويمودونغ لاسترداد عافيته، ثم قفل مسرعا الى شيسيان للقاء بى.

كانت عودة او زونغ هوا الى وانغتشينغ بعد اطلاق سراحه من السجن مبعث غبطتى وحماستى، وكنت انا ايضا قد عدت لتوى الى مناطق حرب العصابات من الحملة الى منشوريا الجنوبية والشمالية.

ما ان التقينا حتى طلب منى ان اكلفه بمهمة كبيرة. كانت تبدو على وجهه علائم مرض شديد، ينم عن حاجته الماسة الى الراحة بضعة اشهر كى يستعيد عافيته تماما. غير انى ونزولا عند اصراره، كلفته بمهمة تحويل بعض المناطق قرب غاياهى الى اشباه مناطق حرب عصابات.

كانت الدائرة الخامسة حيث يعمل او زونغ هوا متصلة بقواعد عمليات "التأديب" المعادية الرئيسية مثل ليانغشويتشوانجى وتومين وآنزى وبايتشاوكو ودادوتشوان، بل وكان يوجد فى غاياهى مخفر فرعى لشرطة القنصلية اليابانية. وفى اوائل كانون الثانى عام ١٩٣٣ شن العدو هجوما مباغتا على ليوتشايكو، ثم قام بعد ذلك بعمليتين "تأديبيتين" ضد سيشوييغ.

وعلى الرغم من اطلاق سراح او زونغ هوا، الا ان العدو كان يطارده دائما. ومع ذلك، فانه لم يستطع اخفاء شعوره بالبهجة حين تلقى منى المهمة.

لما كانت بعض النواحى حول منطقة غاياهى قريبة جدا من العقد العسكرية الهامة للعدو وهدفا لهجماته، فقد كلفته بمهمة تحويلها الى اشباه مناطق حرب العصابات. ورغم ان المهمة صعبة ومحفوفة بالاخطار، الا اننى كنت واثقا تماما منه.

فمنذ لقائنا الاول، فى خريف عام ١٩٣٠، اوحى الى او زونغ هوا بالثقة التامة. فى ذلك الحين، تبادلت واياه حديثا صريحا فى بيته. ولدى خروجى من البيت فوجئت بوجود شباب اقوياء الاجسام يتولون الحراسة بيقظة خارج السياج، كما وجدت آخرين موزعين للحراسة فى كل مكان حتى مدخل القرية. هذا المنظر الذى رأيته يومها، جعلنى اعجب اعجابا شديدا بقدرة او زونغ هوا على العمل وبصفاته كثورى، وهو ما اثر بى اعمق تأثير.

وقد تجلت قدرات او زونغ هوا هذه فى اجتذاب الجماهير الى جانبه.

احدى مبادراته التى نفذها لتثوير قريته، تتمثل فى شرائه آلة حلاقة وتنظيم رابطة للحلاقة ضم اليها جميع سكان القرية. كانت اجرة الحلاقة فى محلات الحلاقة العادية فى ذلك الوقت ١٥ زيانا. لكنه لم يكن يتقاضى سوى ٥ زيانات فقط. وكان ينفق ما تدره عليه المهنة من نقود فى شراء الكتب لتنوير اعضاء الرابطة. وحيث ان اجرة الحلاقة كانت رخيصة، وكان بامكان الناس قراءة الكتب فقد ازداد اهتمامهم فى الانضمام الى الرابطة، فاغتنم او زونغ هوا هذه الفرصة لتثقيف اعضاء الرابطة وتنويرهم.

وبعد ان ثقف القرويين ثقافة اولية من خلال هذه الرابطة، نظم جمعية لينغدونغ للصداقة عن طريق جمع المنظمات المستنيرة مثل جمعية زملاء الدراسة وجمعية الطلاب وجمعية الصداقة التى كانت قائمة بالفعل. والجمعية الجديدة هذه كانت منظمة شرعية للشباب والطلاب فى تونهوا وفى الانحاء الشرقية من هاربالنغ مثل آنزى وهونتشون وهيلونغ وانغتشينغ.

ومن اجل خلق وعى ثورى فى القرية، كان او زونغ هوا ينظم عروضا تمثيلية

من حين الى آخر. فاذا ما الف تمثيلية، قام اولاد عمه الذين ينوف عددهم على حضيرة كاملة باداء الادوار واخراج التمثيلية وصنع الديكور ونقلها الى المسرح كعمل متكامل لا غبار عليه.

على هذا النحو، جعل الجماهير تتعاطف معه، فضم اهله اولا الى المنظمة الثورية ثم ضم سكان القرية تباعا حتى صار الجميع فى نهاية الامر اعضاء فيها. وقبل اجتماع مينغويكو الشتوى وبعده، اشترك فى عمليات الحصول على السلاح، وهى اهم حلقة فى الاستعدادات لتأسيس جيش حرب العصابات المناهض لليابان، سوية مع كانغ سانغ زون وزو تشانغ دوك ويو سى ريونغ وغيرهم. وقد كانت الاسلحة التى غنموها، مجازفين بارواحهم، رصيدا كبيرا لتسليح المفرزة الخاصة المشكلة من خيرة المناضلين امثال تشاى اين زون وهان هونغ كوون وكانغ سانغ زون وكيم وون سيك. وتنفيذا لخطتنا، حول او زونغ هوا بعض مناطق الدائرة الخامسة التى كانت هدفا رئيسيا للهجمات المعادية الى اشباه مناطق حرب عصابات بصورة رائعة. كما انجز باخلاص واجب انشاء قواعد ارتكاز فى المناطق الخاضعة لسيطرة العدو. وقد اضطلعت مطبعة تشونيل فى تومين بدور اذن الجيش الثورى وعينه وكانت واحدة من تلك القواعد الهامة التى انشأها.

بلغ الامر بالعدو حد اعتبار او زونغ هوا واهله شوكة فى عينه، وراح يتحين الفرص للقضاء عليهم جميعا. وقد حصلت جماعة من جيش حرب العصابات فى ربيع عام ١٩٣٣ على وثيقة سرية ارسلتها القنصلية اليابانية فى لونغجينغ الى مقر الشرطة فى شيسيان وفيها اوامر مجرمة بتصفية افراد اسرة "او" جميعا.

وما ان عرفنا بذلك، حتى حركنا وحدة جيش حرب العصابات لانقاذهم، واجلينا فى مثل لمح البصر افراد عائلة او البالغ تعدادهم ٣١ فردا الى شيليبينغ.

ولكن او زونغ هوا وقع لسوء الحظ فى قبضة العدو فى صيف عام ١٩٣٣ حيث كان موجودا فى مكان سرى فى بيفينغودونغ؛ لقد عاش حياته بحماسة وارادة لا تلين، وبسرعة فائقة مثل عداء المسافات القصيرة. وقد اغتاله العدو بقسوة فى مكان اعتقاله بالذات. ولم يكن هناك شاهد واحد يمكنه ان يقول كيف كانت لحظاته الاخيرة

فـى الحـياة او كـيف واجـه المـوت. الوحـيدون الـذين يعـرفون ذلـك هـم جـلادوه الـذين اغتالوه مع رفاقه، والذين غادروا مكان الجريمة حاملين معهم ذلك السر.

وحينما ذهب العجوز او تـاى هـى راكضـا مـن شـيليبينغ الـى بيفينغودونغ وهـو يتميز غيظا، وجد او زونغ هوا صريعا قرب الموقع السرى وغارقا فى دمه، وكانت عيناه مـا تـزالان مفتوحتين لـم ينطفئ فيهما بعد بـريق الحياة، وكانـت تنعكس فيهما سماء منطقة حـرب العـصابات الـزرقاء التـى طالمـا رفـع الـيها بـصره وجـال فـيها بنظرات ملؤها الرقة والحنان.

لكن فمه كان مطبقا بشدة اكبر مما كان عليه وهو على قيد الحياة. وبمجرد ان رأى فيه علـى هذا الـنحو، ادرك العجـوز او تـاى هـى ان ابـنه لـم يفش سـر المـنظمة للعدو لقـاء حياتـه. فـأجهش بـالبكاء تـأثـرا لـسلوك ابـنه الـذى يـبعث علـى الاعتزاز. لقد عاش ابنه ٣٤ سنة، حياة قصيرة ولكنها جديرة بالاكبار.

(لـيس هنـاك قانـون يقـول ان العمـر المديـد هـو مـصدر سـعادة الانـسان. علـى اية حـال، لقد فارقت الدنيا يـا ابنـى الحبيب وانـت بعد فـى مقتبل العمـر، تاركـا وراءك والدك. فكم سيحزن القائد كيم إيل سونغ الذى يحبك اشد الحب حين يعلم بموتك!)

اخبرنـا العجـوز فـيما بعـد ان خـواطر كهـذه هـى التـى كانـت تجـول فـى رأسـه آنذاك وهو يحتضن جثة ابنه الهامدة.

عندما بلغنـى خبـر اغتيال او زونغ هوا، لم استطع تصديقه. فقد بدا لى مستحيلا وغير معقول ان يموت بمثل ذلك الهدوء شخص كان يعيش حياة متأججة كاللهب، وكان يتكلم ويمشى دون توقف مخلفا وراءه آثارا لا تمحى!

ما من احد كان فى وداع او زونغ هوا فى لحظاته الاخيرة. لقد خر صريعا على الارض دون ان يتـرك لـنا ولـو كلمـة واحـدة كوصـية اخيـرة. لـو كانـت اتـيحت لـه الفرصـة، فمـاذا كـان سيقول لنا يا ترى؟ لعله كان يرغب فى اداء مهمة جديدة، ما دام انشاء اشباه مناطق حرب العصابات قد انتهى.

لـو كان او زونـغ هوا على قيد الحياة لكلفته بمهمة بالغة الاهمية. فالثورى يدرك ان تكليفه باعمال اكثر هو دليل محبة اكبر وثقة اعظم به.

لقد فقدت ثورتنا احد المنظمين والدعاة المهرة الذى كان يحظى بحب ابناء الشعب جميعا فى مناطق تشينتاو؛ فقدت رفيقا موهوبا، مخلصا وجريئا ينفخ الكبرياء فى افئدة الشعب والرعب فى قلوب الاعداء. حقا، لقد كان خسارة مؤلمة بالنسبة لثورتنا الصاعدة، والمندفعة كالامواج العاتية فى منشوريا الشرقية.

ولكن او زونغ هوا شحذ يقظة الجماهير واستنهضها بميتته البطولية. صحيح انه مضى، الا ان ابطال مرحلة النهوض الجديد للحرب العظيمة ضد اليابان كانوا قد بدأوا ينبتون كما تنبت اشطاء الخيزران بعد المطر فى اشباه مناطق حرب العصابات التى رواها بدمائه.

٣ـ السوفييت ام الحكومة الثورية الشعبية؟

كان بناء السلطة مجالا عصفت فيه الرياح اليسارية على اشدها فى مناطق حرب العصابات. والانحرافات اليسارية فى بناء السلطة كانت تجد تعبيرا مركزا عنها فى الخط الخاص ببناء السوفييت، وبعض الاجراءات السياسية التى طبقت باسمه وكانت نتيجة للاستعجال البورجوازى الصغير لدى الملوثين بالجمود العقائدى والمغامرة والارتهان للدول الكبرى.

وقد كانت مسألة السلطة هى مركز الجدال والسجال بيننا منذ زمن اتحاد اسقاط الامبريالية "ت. د"، حتى اصبحت مدار حديث الناس و مسألة لا يمكن لاحد ان يستهين بها. كان ثمة من يرى انها مسألة مستقبلية لا بأس فى ان يدرجها الشباب الكوريون على جدول الاعمال بعد استقلال كوريا، ورأى آخرون انها مسألة مفهوم عام لا يمكن تجسيده الا بتحقيق استرجاع سيادة البلاد كشرط مسبق، الا اننا لم نوافق على هذه الآراء. كان موقفنا هو ان وجهة نظر كل شخص فى نوع السلطة ترتبط مباشرة بطبيعة الثورة التى يريدها.

خلال فترة اقامتى فى جيلين، كانت مسألة السلطة موضع جدال محتدم فى حياتنا السياسية. وكانت مسألة نمط الدولة التى ستقام بعد استقلال بلادنا تناقش كل يوم تقريبا فى المحافل السياسية فى جيلين. وحين ارتفع صوت قادة جيش الاستقلال من المجموعات الثلاث ليطالب بعضهم باعادة نظام السلالة الملكية ويصر آخرون على اعتماد النظام الجمهورى البورجوازى، كان ساسة الحزب الشيوعى القديم، بمن فيهم كيم تشان وآن كوانغ تشون وسين ايل يونغ، يتشدقون بوجوب تحقيق الاشتراكية ودكتاتورية البروليتاريا فورا.

وكان باك سو سيم ايضا ينادى بدكتاتورية العمال والفلاحين، متقيدا بالصيغ الكلاسيكية. وكان يؤيد وصول جماهير العمال والفلاحين الى السلطة، لكنه كان يهز رأسه دائما ويقول ان كلمة الدكتاتورية لا تعجبه.

كان ثمة بين الشباب فى جيلين من يناصر حكم السلالة الملكية ومن يعقد الآمال على النظام الجمهورى البورجوازى ومن يصفق للاشتراكية على نمط الاتحاد السوفييتى، كل تبعا لمستوى ثقافته ومصالحه.

اما الشيوعيون من الجيل الجديد، امثال كيم هيوك وتشا كوانغ سو وغى يونغ تشون وسين يونغ كون، فرفعوا الصوت عاليا، قائلين انهم غير مرتاحين لثرثرة شيوخ جيش الاستقلال حول ضرورة احياء السلالة الملكية. وكان موقفهم موقفا وسطيا فيما يتعلق بتحقيق الاشتراكية فورا.

هذا الوضع اضطرنا الى طرح مسألة السلطة كمسألة عاجلة وخوض نقاشات حادة حولها على منبر الطلاب الشباب حيث جرت العادة بمناقشة المواضيع السياسية اساسا.

وفيما بعد، فى اجتماع كارون، حددنا طابع الثورة الكورية بانها ثورة ديمقراطية مناهضة للامبريالية و الاقطاعية. وعلى هذا الاساس، اكدنا على ان السلطة المفروض بالشيوعيين ان يقيموها على ارض الوطن المحرر يجب ان تكون نظاما سياسيا يخدم مصلحة الشعب وينبذ سياسة السلالة الملكية او سياسة النظام البرلمانى البورجوازى على السواء، وبعبارة اخرى، سلطة ديمقراطية تدافع عن مصالح العمال والفلاحين والمثقفين العاملين والرأسماليين الوطنيين ورجال الدين وغيرهم من جماهير الشعب العريضة.

وكان ذلك يتفق، من حيث الجوهر، مع التأكيد الذى اعربنا عنه اثناء مناقشة مسألة السلطة فى اجتماع مينغويكو الشتوى فى كانون الاول عام ١٩٣١.

ومع توالى انشاء قواعد حرب العصابات فى مناطق تشينتاو، طرحت ثورتنا مسألة السلطة للنقاش كموضوع راهن واساسى. فلكى نحافظ على مناطق حرب العصابات على هيئة المناطق المحررة ونديرها، كان لا بد لنا من اقامة سلطة يمكن

لها ان تضطلع بدور المنظم الاقتصادى والمربى الثقافى للسكان فى تلك المناطق. فلو لم نقم سلطة هناك تكون بمثابة دولة مصغرة، لكان من المتعذر علينا ان نعيل ابناء الشعب او ننظمهم ونعبئهم للنضال.

انطلاقا من هذا، بدأ الشيوعيون العاملون فى مناطق منشوريا الشرقية انجاز المهمة التاريخية باقامة السلطة فى مناطق حرب العصابات منذ خريف عام ١٩٣٢. ففى ذلك العام، وفى ذكرى ثورة اكتوبر، نظم الشيوعيون اجتماعا جماهيريا فى غاياهى بمحافظة وانغتشينغ، واعلنوا على الملأ ميلاد حكومة السوفييتات. وفى ذات الفترة تقريبا، اقيمت السوفييتات فى وانغيوكو وسانداوان بمحافظة آنزى. مما لا شك فيه ان اقامة سلطة ثورية فى مناطق حرب العصابات كانت حدثا عميق المغزى على صعيد تحقيق امانى الشعب الدهرية.

فى البداية، كنت انا ايضا اشعر بالسعادة لقيام السلطة السوفييتية فى قواعد حرب العصابات. كان يكفى، فى اعتقادى، ان تكون هناك سلطة تدافع عن مصالح الشعب بغض النظر عن تسميتها.

حينذاك، كانت "رياح السوفييت الحارة" تجتاح بقاع منشوريا الشرقية كلها. وكان اقامة هذا النوع من الحكومة "موضة" وتيارا معروفا للمناضلين الثوريين وشعوب العالم التقدمية المتطلعة الى الاشتراكية والشيوعية. ولم تكن تلك الرياح تميز بين اوروبا او آسيا، ومن الامثلة البارزة على ذلك سوفييت رويجين بالصين وسوفييت نيغوين– دين فى فيتنام.

وحتى اولئك الذين حددوا طابع الثورة الكورية بانها ثورة ديمقراطية بورجوازية، راحوا يناقشون ايضا سلطة السوفييت العمالية والفلاحية.

لقد وضع تشاى سونغ وو وغيره من الكوريين العاملين فى مقر الاممية الشيوعية "برنامج عمل الحزب الشيوعى الكورى" بالتعاون مع كووسينين وماجيار واوكانو مسؤولى قسم الشرق التابع للجنة التنفيذية للكومنترن، حيث طرحوا استقلال كوريا الناجز و"اقامة سوفييت العمال والفلاحين" فيها، كمهمة عاجلة.

كان تأييد خط السوفييتات وتطبيقه فى الممارسة الثورية دون قيد او شرط، قد

اضحى من البديهيات العامة التى لا تقبل الشك بالنسبة للحركة الشيوعية العالمية، كما صار من المعايير التى تميز الموقف الثورى، الموقف الشيوعى، من الموقف الانتهازى. فكان ان طرحت الاحزاب والمنظمات الشيوعية فى البلدان الرأسمالية وفى البلدان المستعمرة والبلدان شبه المستعمرة، بناء السلطة السوفييتية باعتباره مهمتها القصوى. والحقيقة، ان هذا النوع من السلطة صار مثلا اعلى بالنسبة للبروليتاريين فى العالم قاطبة. واذا استطاع السوفييت ان يتمتع بكل هذا النفوذ الكبير، فما ذلك الا لانه اقر كشكل وحيد للسلطة، قادر على بناء المجتمع السعيد الخالى من كل صنوف الاستغلال والاضطهاد، ويمثل بصورة مطلقة مصالح جماهير الشعب العامل.

لقد كان التطلع الى بناء عالم جديد حر ومسالم، خال من الاستغلال والاضطهاد، امنية ومثلا اعلى حلم بهما البشر عبر القرون.

زد على ذلك ان السلطة السوفييتية الفتية المقامة فى روسيا اظهرت حيوية لم يسبق لاية سلطة فى هذا العالم ان اظهرت مثلها فى تحطيم تمرد الطبقات المستغلة المهزومة وحماية الوطن من عدوان التحالف الامبريالى وانعاش الاقتصاد ودفع عجلة البناء الاشتراكى قدما. هذه المسيرة الظافرة للاشتراكية السوفييتية غرست الاوهام حول السوفييت فى اذهان الناس الى حد العبادة.

على اية حال، لم يكن من قبيل المبالغة على الاطلاق ان يتطلع البشر الى الاتحاد السوفييتى كمنارة ويقبلوا السوفييت بوصفه الشكل الاكثر تفوقا وتقدمية من بين سائر اشكال السلطة. وكان من الطبيعى ان تفرخ الاوهام ازاء السوفييت فى اذهان الناس فى مناطق تشينتاو، المتاخمة للاتحاد السوفييتى والواقعة تحت تأثير هذا البلد الفتى من مختلف النواحى.

ولشد ما كانت دهشتى عظيمة حين سمعت اصوات الشكوى تتعالى من اجراءات السوفييت السياسية فى كل مكان من مناطق حرب العصابات بعد عودتى الى وانغتشينغ من الحملة الى كل من منشوريا الجنوبية والشمالية. وقد ادركت ان تلك الاصوات والاشاعات تتضمن مشاكل جدية لا يجوز التغاضى عنها.

وسرعان ما عرفنا ان شكاويهم المضطربة والمشوشة تنطوى على شىء من الحقيقة.

فرحت اجوب مناطق حرب العصابات، وسعيت جاهدا للاطلاع بوضوح وعمق على مواقف ابناء الشعب من السوفييت. ومن خلال احتكاكى المستمر بالمئات من ابناء الشعب والاحاديث الجدية والصريحة التى كنت اجريها بقلب مفتوح معهم، استطعت ان ادرك بشكل اجمالى عواقب الاجراءات السياسية اليسارية للسلطة السوفييتية.

بدأ الناس فى مناطق حرب العصابات بالنظر الى السوفييت نظرة عداء منذ ان اعلنت الحكومة السوفييتية الغاء الملكية الخاصة عملا بالشعار اليسارى المتطرف: " تحقيق الاشتراكية فورا"، وحولت كل الممتلكات المنقولة وغير المنقولة التى كانت فى حوزة الافراد، ابتداء من الاراضى والحبوب الغذائية وانتهاء بالادوات الزراعية كالمناجل والمعازق والمذارى، الى ملكية مشتركة. وبعد تحقيقها ذلك بالاكراه وبسرعة خاطفة، فرضت الحكومة السوفييتية على جميع السكان داخل مناطق حرب العصابات ان يعيشوا جميعا، رجالا ونساء، شيوخا واطفالا، فى ظل نظام حياة جديدة مشتركة قوامه العمل المشترك والتوزيع المتساوى. وهذا ما كان يعرف بحياة "الجمعية التعاونية" التى كان يرتلها راديكاليو السوفييت عن ظهر قلب كما لو كانت اسفارا بوذية.

وكان ذلك اشبه ما يكون بنقل طفل من روضة الاطفال الى الجامعة مباشرة، دون المرور بالمدرسة الابتدائية والاعدادية والثانوية.

كما قامت الحكومة السوفييتية بمصادرة الاراضى الزراعية من جميع الاقطاعيين والفلاحين الاغنياء فى مناطق حرب العصابات دون تعويض، ودون تمييز بين كبار ملاكى الاراضى وصغارهم او الموالين لليابان والمناهضين لها. بل وانتزعت كذلك الخيول والثيران والحبوب الغذائية دون تمييز.

ان ملاكى الاراضى الذين بقوا فى مناطق حرب العصابات بعد انقسام منشوريا الشرقية الى "مناطق حمراء" و"مناطق بيضاء"، كانوا، على وجه العموم، وطنيين يتميزون بمشاعر العداء الشديد لليابان.

وقد سارعوا الى تقديم العون الى الشيوعيين، حين نظم هؤلاء مفارز مسلحة فى وادى وانغتشينغ.

وكان بين اولئك الاقطاعيين ملاك صينى تقدمى، يدعى تشانغ شى مينغ، احرقت الحملة اليابانية المرسلة الى تشينتاو مستودعات حبوبه فى العمليات "التأديبية" الكبيرة فى ربيع عام ١٩٣٢. وقد امره العدو تحت تهديد الحراب بالرحيل الى دادوتشوان، ولكن تشانغ شى مينغ لم ينصع للامر. ومنذ ذلك الحين تنامى حقده على اليابانيين، واصبحت مساعدته المادية والمعنوية فى الوقت ذاته لسكان منطقة حرب العصابات اكثر سخاء. فاذا ذهب اليه مقاتلونا ليطلبوا منه شيئا، قال لهم:

"يا سادة منطقة حرب العصابات، لقد بقيت هنا فى هذا الوادى ولم انتقل الى مكان آخر حتى لا ارى وجوه اليابانيين الشياطين. اتوسل اليكم ان تطردوهم حتى ولو من مدينة دادوتشوان وحدها."

لقد عاش سكان منطقة حرب العصابات فى وئام وحسن جوار مع مالك الاراضى ذاك.

ومع ذلك، جاءت السلطة السوفييتية لتطرده الى مناطق سيطرة العدو. وبالرغم من ان تشانغ شى مينغ توسل السماح له بالبقاء فى منطقة حرب العصابات، الا انهم رفضوا طلبه واصدروا حكمهم النهائى بحقه:

" لقد قررت السلطة السوفييتية مصادرة كل ممتلكات الاقطاعيين. صحيح انك تبدى عداء شديدا لليابان وقدمت لنا حتى الآن مساعدات نزيهة فى عملنا فى منطقة حرب العصابات، الا انه لا بد من طردك لانك تنتمى الى الطبقة المستغلة. ولذا، عليك ان تغادر المكان فى الحال."

وتمت فورا مصادرة ممتلكات تشانغ شى مينغ الذى كان يساعد الثورة باخلاص، ونقلت كلها الى مستودعات الحكومة السوفييتية. وهكذا وجد تشانغ نفسه صفر اليدين ما بين ليلة وضحاها، وتوجه مكرها الى دادوتشوان حيث يرابط الجيش اليابانى وهو يذرف الدموع.

لقد صادر منفذو حملة التطهير حينذاك حتى احذية الاطفال المزركشة المحفوظة فى خزائن الاقطاعيين. فقد كانت ثمة عادة جميلة عند الصينيين فى ذلك الحين، فعندما ينجبون بنتا، يعدون تلك الاحذية المزركشة لاحفادهم الذين ستنجبهم بعد زواجها. وكانوا يسمون تلك الاحذية بالاحذية المزركشة. فكانوا يصنعون منها مقاسات مختلفة حسب العمر، فحذاء للطفل وهو دون السنة، وحذاء حين يكون عمره سنة وثالث حين يصبح عمره ثلاث سنوات وهكذا... وكانوا يحفظون تلك الاحذية فى الخزائن. وكنت تجد بين تلك الاحذية حذاء صغيرا منمنما بحجم الكشتبان.

ترى، بماذا كان يفكر ملاكو الاراضى وهم يغادرون مناطق حرب العصابات، غير قادرين على فعل اى شىء سوى التفرج صامتين على مصادرة حتى مثل تلك الاحذية؟

صار وادى سياووانغتشينغ يعج بالخيول والثيران المصادرة. وبما ان عددها كان يكفى لانشاء مزرعة كبيرة للمواشى ويزيد، فقد اصبح جميع الشباب فى قواعد حرب العصابات دون استثناء، يتجولون على صهوات الخيول. فكان ركوب الخيل احدى بدع نظام السوفييت.

وذهبت العناصر اليسارية الى مقاومة عادة النساء الصينيات بحبس اقدامهن وتزيين آذانهن بالاقراط.

كان النصف الاول من الثلاثينات عصر ازدهار النزعة اليسارية فى منشوريا الشرقية، وفترة امتحان قاس للمبادئ الثورية المقدسة تحت وطأة التعسف اليسارى. لماذا عاث ذلك الاعصار اليسارى خرابا بأرض منشوريا الشرقية هكذا؟ وهل كان الثوريون الذين استقروا فى مناطق حرب العصابات فى تشينتاو كلهم خبثاء او فاقدى العقل؟

كلا، لقد كان الشيوعيون الذين يسيطرون على مناطق حرب العصابات بغالبيتهم الساحقة اناسا طيبين يعتنقون المثل العليا الثورية السامية ويتحلون بالواجب الاخلاقى النبيل. كانوا يحبون الناس اشد الحب ويتطلعون بكل جوارحهم الى العدالة. فكيف استطاع اذن هؤلاء الناس العاقلون والحساسون ذوو المشاعر الرقيقة ان يرتكبوا اخطاء وخيمة لا سبيل الى اصلاحها بتحولهم الى دعاة ومنفذين للخط اليسارى؟

لقد وجدنا العلة وراء كل ذلك فى الخط، وفى عدم النضوج الفكرى لدى الذين وضعوا هذا الخط. فبسبب جهل من يشغلون مناصب عليا بالواقع، راحوا يصدرون تعليمات بعيدة عن الواقع تفتقت عنها اذهانهم من خلال تقليد ومحاكاة المبادئ العامة للكلاسيكيات وتجارب الرواد، فكان ان طغت تلك الاخطاء على الممارسات العملية.

فى ذلك الحين، كان نبذ الناس دون تمييز وتصفيتهم واسقاطهم وحتى نفيهم دون رحمة يعتبر انعكاسا للروح الطبقية الاشد حزما ومعيارا للثورى الاكثر طليعية.

وقد وصل الهوس باليسارية الى حد ان الفلاحين فى وانغتشينغ الصقوا تهمة الربا بأرملة كانت تقرضهم من وقت الى الآخر شيئا مما تكسبه من بيع اقمشة تنسجها بنفسها، ورفضوا اعادة الديون اليها بعد ان احرقوا سندات الدين. ولو ان القادة لم يحرضوهم من وراء الستار، لما كان لاولئك الفلاحين البسطاء ان يقوموا بمثل هذه الاعمال التعسفية.

وفى احدى المرات، اصابنى الذهول حين استمعت الى حيثيات التحاق امر السرية لى وونغ مان بالصفوف المسلحة فى وانغتشينغ.

فى بداية الامر، كانت المفارز المسلحة تقبل فى صفوفها المتحدرين من العمال والفلاحين الاجراء والفقراء فقط. وكانت اسرة لى وونغ مان تملك حوالى عشرة آلاف بيونغ (٠) من الارض القاحلة عند سفح الجبل. لذلك، لم يعتبر الرجل من الفلاحين الاجراء الفقراء. فتضرع الى الرفاق اكثر من مرة لكى يقبلوه فى الصفوف المسلحة، لكنهم كانوا يردونه خائبا فى كل مرة بسبب اصوله الاسرية، متذرعين بانه من الفلاحين المتوسطين.

وبعد تفكير عميق، باع لى وونغ مان ارضه من غير ان يعرف والداه بالامر، واشترى بالمال صندوقا من المسدسات من طراز براونينغ وجاء بها الى الرفاق علهم يقبلونه فى الصفوف المسلحة. عندئذ فقط، تنازلوا وقبلوه. لم تكن الدنيا تسع لى وونغ مان من شدة الفرحة لانه صار من رجال جيش حرب العصابات، لكن

(٠) البيونغ: وحدة لقياس المساحة تساوى نحو ٠,٠٠٠٣ من الهكتار– المترجم

افراد اسرته الذين فقدوا مصدر رزقهم بين ليلة وضحاها، باتوا يتطلعون الى رحمة السماء بعدما سد سبيل الرزق فى وجوههم.

لقد ترسخ قرارى بالاحتراس من اليسارية وعدم التهاون معها وازداد صلابة بعد وصولى الى تشينتاو. فمنذ ذلك الحين، كرست حياتى كلها لتصدى لها. فالتجربة التى تراكمت لدينا فى تشينتاو كانت عونا كبيرا لنا فى نضالنا اللاحق للاحتراس من اليسارية وتصفية البيروقراطية بعد التحرير.

ان اليسارية تتلاعب بالجماهير وتضطهدها وتخدعها على الدوام وتتعطش الى الشهرة والوصولية، متسترة بالكلام الثورى المنمق او بالشعارات المتطرفة. وسعيا وراء هذه الشهرة وتحقيقا لوصوليتها، تصف اليسارية نفسها بانها دبابة او عربة مدرعة تزحف على الخط الامامى من الجبهة. وهذا يعطى موطئ قدم للثورة المضادة كى تتقنع بقناع يسارى. لذا، ينبغى على الشيوعيين ان يكونوا متيقظين دائما حتى لا تجد اليسارية موطئ قدم لها بينهم.

لقد كان لسياسة السوفييت اليسارية نتائج وخيمة تمثلت فى نشوب فوضى وتذبذب رهيبين فى قواعد حرب العصابات. فغادر عدد كبير من الاسر الى مناطق يسيطر عليها العدو، حاملة فى قلوبها المرارة من اجراءات السوفييت السياسية.

وذات ليلة، وفيما انا برفقة الجنود فى منتصف الطريق الى سانتشيداو حيث يتواجد تشاى تشون كوك، الموجه السياسى للسرية الثانية، التقيت برجل فى الخمسين من عمره تقريبا يفر مع زوجته وابنائه الثلاثة من منطقة حرب العصابات، وقد اختاروا الليل لفرارهم، خوفا من اعتقالهم والصاق تهمة الثورة المضادة بهم اذا ما هربوا نهارا. ولم يحملوا معهم الا قليلا من المتاع.

ما ان رأى الرجل الجنود امامه وهم يحملون البنادق، حتى اخذ يرتعش من الخوف. لقد اعتقد، على ما يبدو، ان نهايتهم حلت دون شك طالما ان قائد جيش حرب العصابات اكتشف امرهم.

"ما هى الجريمة التى اقترفتها؟"

سألته بنبرة ودودة وانا احتضن الاطفال المرتعشين بردا بين ذراعى واحدا فواحدا.

" لم اقترف اية جريمة."

" ولماذا قررت مغادرة منطقة حرب العصابات، اذن؟"

" اشعر بانني اختنق هنا، ولهذا..."

" الى اين تود الرحيل؟ اذا قصدت منطقة سيطرة العدو، فتأكد من انك ستكون هناك اشد اختناقا."

"لقد جئنا الى منطقة حرب العصابات هربا من عسف الاوغاد اليابانيين. فكيف يسعنا ان نعود باقدامنا اليهم؟ نريد ان نتوغل فى جبل ناء وغير مأهول، فنزرع حقول الوقيد ونسد بها رمقنا. ولا شك فى اننا سنكون اكثر اطمئنانا."

شعرت بانقباض فى قلبى وانا استمع اليه. وخطر فى بالى ان اسأله كيف ستتوفر لهم الحياة المريحة المطمئنة فى جبل ابعد من ماتشون وهم الذين لا يعرفون ان كانوا سيجدون ما يسدون به رمقهم غدا.

"الجليد لم يذب عن التربة بعد. فهل استعددتم لاطعام انفسكم الى ان تنبت الاعشاب؟"

"لا، لم نستعد لذلك. واذا كنا سنعيش الى ان تخور قوانا، فليكن ذلك؛ فهذا افضل من ان نبقى على قيد الحياة مثلما نحن الآن."

راحت زوجته تنتحب رغما عنها وهى تستمع اليه يقول ذلك. وعندها انفجر الاولاد الثلاثة الذين احتضنهم بين ذراعى هم ايضا بالبكاء.

وقفت صامتا فى ظلمة الليل وانا ابتلع الدموع المنحدرة من عينى. لو ذهب الناس جميعهم من هنا واحدا بعد آخر على هذا النحو، فمن ذا الذى سنثق به للقيام بالثورة فى نهاية المطاف؟ ولماذا توشك ثورتنا على الوقوع فى هوة سحيقة؟ تلك هى العاقبة الوخيمة لاجراءات السوفييت السياسية الجوفاء.

"لن يمضى وقت طويل الا ويعود الوضع الى نصابه الصحيح. انصحك بألا تفقد الحماس، ولننتظر معا ذلك اليوم."

أمرت الجنود بارجاع افراد تلك الاسرة الى بيتهم بعد ان بعثت فيهم الحماس، وغيرت خطتى بقضاء تلك الليلة فى ثكنة السرية الثانية وتوجهت من فورى الى بيت العجوز تشاى زا ايك فى سيدابو. كنت اريد الوقوف بشكل دقيق على آراء سكان مناطق

حرب العصابات، حتى وان كان ذلك سيسبب لى مزيدا من الآلام. تشاى زا ايك هو والد تشاى اين زون الذى كان جنديا عاديا فى بداية حياته العسكرية فى المفرزة الخاصة فى وانغتشينغ ثم صار آمر سرية ثم رقى الى رتبة آمر فوج فى اللواء المستقل واستشهد فى ساحة القتال. وقد كنت حريصا على زيارة العجوز كلما ذهبت الى سانتشيدوا.

لقد كان سمحا وصريحا ويمتلك، فضلا عن ذلك، ثقافة واسعة اهلته لان يتبوأ منصب سكرتير الهيئة العسكرية والادارية لجيش الطريق الشمالى الذى يقوده سو ايل، وكنت كلما التقيته اسمع منه احاديث مفيدة. حييته:

"كيف حالكم اليوم ايها الجد؟"

فرد على تحيتى بنبرة خشنة: "اعيش على مضض."

كانت نبرته الخشنة تلك، على ما اعتقد، تمثل رأى سكان مناطق حرب العصابات، فسالته ثانية:

" وهل الحياة فى منطقة حرب العصابات مزعجة الى هذا الحد يا جدى؟"

ما ان سمع كلماتى، حتى استشاط غضبا وصاح بصوت عال:

"عندما قامت الحكومة السوفييتية بجمع ثيران الجر والادوات الزراعية من كل بيت تحملت ذلك، ظنا منى انها انما تحاكى روسيا التى لجأت الى ذلك عند تنفيذها الجماعية الزراعية. لكننى ازدريتها حين رأيتها قبل ايام تجمع حتى الملاعق وعيدان الطعام من كل بيت بحجة انها ستدير مطعما مشتركا. قلت لهم: (وما الموجب لان نخرج، نحن المسنين، الى العراء فى الجو القارس ثلاث مرات كل يوم من اجل تناول الطعام فى المطعم المشترك، تاركين حجراتنا الدافئة؟ لا، لا نستطيع العيش على هذا النحو. اذا كنتم تريدون ان تبنوا العالم الشيطانى الذى تسمونه كومونة او جمعية تعاونية، لا اعرف، فابنوه لانفسكم انتم الشباب ودعونا نحن منه. فنحن لا نستطيع مجاراتكم وعندنا ما عندنا من صعوبة التنفس.) عندما سمعوا قولى هذا، استدعوا الشيوخ الى اجتماع وفرضوا على الكنائن ان يوجهن الانتقاد الى احمائهن تحت شعار تصفية الاقطاعية وما اليها. فمتى، متى حدث مثل هذا الامر المشين فى تاريخ بلادنا الممتد الى ما لا يقل عن خمسة آلاف سنة، قل لى؟ بل ان ابنى اين زون

حذرنى قائلا بانه لا يجوز لى ان افترى على السوفييت، فكدت اكسر فقاره."

اذا كان والد ضابط من الضباط القادة فى جيش حرب العصابات يدير ظهره هكذا لاجراءات السوفييت السياسية، فلا حاجة للبحث عن آراء الناس الآخرين.

ولكم تذكرت، بعد ذلك، شكواه وهو يبكى ويتحسر، قارعا صدره بيديه، على مصير الامة، عندما التقيت به فى فترة الرعب حين كان النضال ضد "مينساينغدان" يتخذ فى مناطق حرب العصابات اشكالا يسارية متطرفة، ثم فى الايام الكئيبة حين كان على الجيش والشعب ان يفترقا بمشاعر الاسى ويذرفا دموع الوداع عشية حل مناطق حرب العصابات.

ساءت العلاقات من جديد بين الشعبين الكورى والصينى قبل ان تنقضى ستة اشهر على قيام الحكومة السوفييتية. فنظرا الى ان معظم ملاكى الاراضى الذين تمت مصادرة ممتلكاتهم هم من الصينيين، كان من البديهى ان تتفاقم التناقضات مجددا، تماما مثلما حدث فى انتفاضة ٣٠ ايار. وعادت الوحدات الصينية المعادية لليابان تنظر من جديد الى الشيوعيين الكوريين بعين العداء. واذا بجيش الانقاذ الوطنى وملاكى الاراضى الصينيين، ناهيك عن الجيش اليابانى وجيش منشوكو العميل، يصبحون جميعا اعداء لنا.

فانسحب جيش حرب العصابات المناهض لليابان بحذر شديد الى القرى الآهلة بالكوريين، واجدا نفسه فى الحالة ذاتها التى كان عليها عند تأسيسه، مضطرا الى التوارى فى الغرفة الخلفية لبيت الاغراب كوحدة صغيرة وسرية. ولكن هذا الوضع لم يكن مبررا لاعادة رفع لافتة المفرزة الخاصة. كان افراد جيش الانقاذ الوطنى ينقضون علينا بالضرب كلما التقوا بنا قائلين اننا "غاوليبانغجى"(٠). واصبح نشاط جيش حرب العصابات نضالا شبه سرى.

ان كل ما حققناه من نجاحات بنضالنا القاسى طوال اكثر من سنة ذهب، على غير وجه حق، ادراج الرياح.

---

(٠) غاوليبانغجى: لقب كان يطلقه الصينيون المتعصبون على الكوريين تعبيرا عن ازدرائهم واستخفافهم بهم – المترجم

وأدت سياسة السوفييت الى بدء فتور ايمان رفاقنا. كان بينهم من يصر على البدء بالثورة من جديد بعد الذهاب الى روسيا لتعلم كيفية القيام بالثورة؛ ومن يصر على العودة الى منطقته ليمارس فيها النضال على طريقته، لان النضال على غرار الناس فى تشينتاو سيحكم على الثورة بالفشل؛ ومن يصر على العودة الى بيته ليقوم بخدمة والديه بدلا من القيام بمثل هذه الثورة السخيفة. وهكذا، ارجعت واحدا من الرفاق الصينيين الى بيته وارسلت آخر الى الاتحاد السوفييتى للدراسة بناء على رغبتهما.

بالرغم من هذا الوضع الاليم، لم يتخذ المسؤولون عن مصير مناطق حرب العصابات قرارا بتغيير سياستهم. فمع ان لجنة الحزب الخاصة فى منشوريا الشرقية كانت تمارس صلاحيات هيئة قيادية، الا انها لم تكن تملك خطا يمكنها من تعديل التوجه السياسى للكومنترن.

ومن اجل وضع حد لحالة الفوضى وانقاذ مناطق حرب العصابات، كان لا بد لاحد من ان يعمل بجرأة، دون ان يتردد امام خطر وصمه باليمينية. وكان ذلك يتطلب قرارا حازما ومنهجا جديدا لمواجهة خط السوفييتات اليسارى. فى تلك الفترة بالذات، اصدرت كراسا حول موضوع تصفية الفئوية وتقوية وحدة الصفوف الثورية وتلاحمها.

نويت ان ادخل فى سجال مع تونغ تشانغ رونغ فى ماتشون حول مسألة بناء السلطة. الا ان بعضهم، بمن فيهم امين اللجنة الحزبية للمحافظة لى يونغ كوك، نصحونى بالعدول عن ذلك. كانت حجتهم هى ان جدالى معه لن يجدى نفعا لان "قرار لجنة الحزب الخاصة فى منشوريا الشرقية بشأن برنامج بناء السوفييت" قد صدر، والحكومة السوفييتية اقيمت فى سيشويبنغ وانه اذا تطور الجدال نحو الاسوأ، فقد ينالنى عقاب. وحدثنى لى يونغ كوك باختصار عن حادثة كيم بايك ريونغ الذى الصقت به تهمة اليمينية بسبب انتقاده السوفييت.

فى وقت من الاوقات، كان كيم بايك ريونغ عضوا فى اللجنة الحزبية لاحدى محافظات منشوريا الشمالية. وبلغنى انه لسبب من الاسباب قدم الى الدائرة الخامسة

من وانغتشينغ، التى وقع الاختيار عليها لتكون اول منطقة نموذجية لاقامة الحكومة السوفييتية، موفدا من لجنة الحزب الخاصة فى منشوريا الشرقية، وكان ذلك فى وقت تجرى فيه اعمال الدعاية للسوفييت على قدم وساق، عشية اقامته فى مناطق تشينتاو.

عندما سمع بان الحكومة السوفييتية ستقام فى الدائرة الخامسة، قال بان اقامة السوفييت فى منشوريا الشرقية امر سابق لاوانه. وبسبب هذه العبارة فقط، صار هدفا للانتقاد ووصم بانه انتهازى يمينى، وبلغ الامر حد طرده الى منشوريا الشمالية.

التقيت به بعد سنتين من ذلك فى باداوهيجى بمحافظة نينغآن فى شتاء عام ١٩٣٤. وكان كيم بايك ريونغ يعمل آنئذ امينا للجنة الحزبية فى الدائرة.

وقد تذكر بمرارة خريف عام ١٩٣٢. وادان دون تردد مشجعى خط السوفييتات اليسارى الكارثى الذى كان قد جرى تصحيحه فى ذلك الحين، وصارت الحكومات الثورية الشعبية هى التى تمارس سياستها فى مناطق حرب العصابات فى منشوريا الشرقية. لقد كان انسانا ذكيا وقوى الارادة.

سألته عما حدا به الى القول بان اقامة السوفييت هى مسألة سابقة لاوانها.

فأجابنى باختصار: "السبب بسيط. اثناء وجودى فى غاياهى، تحادثت مع فلاحين كثيرين، فوجدتهم لا يعرفون حتى معنى كلمة سوفييت. وبما انهم كانوا مصممين على اقامة السوفييت الذى لا يعرف عنه الشعب شيئا، اعتبرت ذلك تهورا وقلت انه سابق لاوانه."

وقد كانت اجابته هذه انعكاسا صادقا للواقع. فشيوخ غاياهى الذين شاركوا فى انتخاب سوفييت الدائرة، فهموا ان السوفييت يعنى سوكشيفو (مدفع رشاش – المترجم)، وقالوا:

"حين سمعنا ان السوفييت سيظهر، رحنا نحدق بالطاولة معتقدين انه سيعرض عليها مدفع يمكن به قتل يابانيين كثيرين، وقد فوجئنا كثيرا حين رأينا علما احمر يظهر عليها."

وكـان هـناك بـين اهالـى ماتـشون الـذين شـاركوا فـى احـتفالات اقامـة سـوفييت الدائـرة الثانـية فى وانغتشينغ من ذهب بهم الظن الى ان السوفييت يعنى قدرا حديدية. فكـان الـناس فـى بعض الامـاكن يتوسلون الى الناخبين الذاهبين للمشاركة فى انتخاب الـسوفييت قائلـين: "انظـروا بدقـة الـى الـسوفييت لعلهـا تكـون كبيـرة او صـغيرة." وفـى امـاكن اخـرى، ذهـب الـناس بالـسلال الـى الـسهل لجمـع البقـول البـرية قائلين ان السيد العظيم المدعو سوفييت سيأتى الينا ونخشى ان تكون ضيافتنا له ناقصة.

اذا كـان ابـناء الـشعب قـد فهمـوا الـسوفييت هكـذا، واطلقـوا علـيه تـسميات تـراجيكوميدية اثـارت ضـحك الجميـع، فـان الـسبب بكـل تأكيد هـو جهلهـم، ولكنـه يعـود فـى الـوقت نفسه، الـى قصـور فـى الدعايـة من جانب المسؤولين. فمواد الشرح الدعائية كانـت، ابـتداء مـن عناويـنها، اجنبيـة وعـصية علـى الفهم لدى الجماهير، مثل: "ما هو الـسوفييت؟"، "مـا هـو الكولخـوز؟" و"مـا هـى الكومـونة؟"، وحتـى الـدعاة انفسهم لـم يكونوا يعرفون مفهوم السوفييت.

راحـت العناصـر الـراديكالية المسممة باليسارية تقيم السوفييتات فى كل مكان، فيمـا الـشعب لا يعـرف حتـى معـناه، وتتـبجح كمـا لـو ان الـثورة قد تكللت بالانتـصار، هاتفة ملء شدقيها بدكتاتورية العمال والفلاحين الاجراء والفقراء.

ضـربت بنـصيحة الـرفاق فـى وانغتـشينغ عـرض الحـائط وجـررت تونـغ تـشانغ رونـغ الى الدخول معى فى سجال حول مسألة نمط السلطة.

"انـه لامـر محمـود جدا ان تظهـر سلطة ثـورية فى تشينتاو وتعلن وجودها على المـلأ. ولكـن الا تـرى معـى، ايهـا الـرفيق تونـغ تـشانغ رونـغ، انه لا يجوز لـى ان اقف متفرجا على الاضرار التى تلحق بالجبهة المتحدة من جراء خط السوفييت هذا."

فوجئ محدثى وسألنى وهو ينظر الى نظرة تعجب واندهاش:

"علـى اى شـىء تستند بقولك ان خط الجبهة المتحدة يتعرض للضرر؟"

"كما سبق وقلت فى اجتماع مينغويكو، لقد طرحنا خطا يقضى بجمع شمل سائر القـوى الوطـنية المناهـضة لليابان التـى لهـا مـصلحة فـى ثورتـنا فى كتلة سياسية قوية واحـدة، ومـضينا بـدأب ومثابـرة فـى النـضال الدامى من اجل ترجمته الى الواقع داخل

الوطن وفى مناطق منشوريا طوال عدة سنوات. وفى هذا السياق، جمعنا شمل قطاعات واسعة من الجماهير، حتى انها تضم الآن رجال دين وطنيين وتجارا وارباب اعمال وموظفين وطنيين، وحتى اقطاعيين. ولكن ماذا فعلت اجراءات السوفييت السياسية؟ جاءت لتنبذهم جميعا. كانوا يؤيدون الثورة او يتعاطفون معها حتى الامس، فاذا بهم اليوم يشيحون بوجوههم عنها او يتخذون موقفا معارضا منها. كما ان العلاقات بين الشعبين الكورى والصينى عادت الى التفاقم."

فربت تونغ تشانغ رونغ ربتا خفيفا على ذراعى ورد مبتسما:

"ربما يكون ما تقوله قد حدث، وهو ليس بالمسألة الجوهرية. فالمهم هو ان السلطة السوفييتية قد حققت كل رغبات الشعب. ثم ان الثورة تمضى الآن فى صعودها المظفر. واغلبية الجماهير، وعلى رأسها العمال والفلاحون، يتبعون السلطة السوفييتية. فما هذا الذى نخاف منه؟ ودعنى اقول لك، حسبنا ان يكون لدينا العمال والفلاحون فقط ليكون فى مقدورنا ان نقوم بأى ثورة. الا نستطيع بعد ذلك ان نتحمل خسارة الاقلية؟"

"لا انكر ذلك. ولكن، لماذا ندفع الى صفوف العدو اولئك الذين يمكن لنا ان نكسبهم الى جانبنا؟ استراتيجيتنا العامة هى عزل العدو الى اقصى حد وكسب الاغلبية الساحقة من الجماهير الى جانبنا. لهذا، قمنا بالعمل مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان طوال السنة الماضية، معرضين حياتنا للخطر. لقد استعدنا بصعوبة بالغة ماء وجه الشيوعيين الذى كاد يراق اثر انتفاضة ٣٠ ايار، وقمنا بتبديد جو النفور الناشئ بين الشعبين الكورى والصينى، مخترقين كل العقبات والصعاب. ولكن الازمة عادت تطل برأسها من جديد وقد ينهار معها بين ليلة وضحاها البرج الذى بنيناه بجهود جهيدة."

" يا رفيق كيم إيل سونغ، الا تنظر الى المسألة نظرة مسرفة فى التشاؤم؟"

"كلا. اننى معتاد، اصلا، على النظر الى كل الامور بتفاؤل. ولا جدال فى ان الثورة ستتوج بالانتصار. ومع ذلك لا يمكننى، يا رفيق تونغ تشانغ رونغ، الا ان ابدى اشد القلق من عواقب الاجراءات السياسية اليسارية فى منشوريا الشرقية.

وأرى انه يجب على لجنة الحزب فى منشوريا الشرقية ان تمعن النظر فى هذه المسألة."

"أتطلبون منى اعادة النظر فى الاجراءات السياسية؟"

"اجل. لا بد من اعادة النظر فى الاجراءات السياسية، وكذلك نمط السلطة الذى يفرخ هذه الاجراءات."

فقطب تونغ تشانغ رونغ حاجبيه وقال بنبرة مستاءة:

"من الممكن بطبيعة الحال، يا رفيق كيم إيل سونغ، ان تكون هناك اخطاء فى اجراءات حكومة السوفييت السياسية. ولكن شكل السلطة ثابت ولا يمكن لاحد ان يمسه. ان اقامة السوفييت هو خطنا المركزى."

واستمر سجالنا محتدما.

كان تونغ تشانغ رونغ يعتبر السوفييت شيئا مطلقا، لذا تشبث بادعاءاته ولم يحد عنها قيد انملة. صحيح انه رجل لطيف ذو طبع هادئ، لكنه متعنت جدا. فكان يتسم بقدر كبير من الجمود العقائدى فى التفكير والممارسة، على الرغم من ثقافته الواسعة.

واستأنفت فيما بعد سجالى مع تونغ تشانغ رونغ حول مسألة السلطة. وما تركزت عليه مناظرتنا فى ذلك اليوم كان موضوع: الحفاظ على السوفييت، ام التخلى عنه. واذا تخلينا عنه فما نوع السلطة الجديد الذى يجب علينا اختياره؟

حاولت اقناع تونغ تشانغ رونغ بانه طالما ان الواقع نفسه برهن على ان السوفييت شكل من السلطة لا يناسب الواقع فى مناطق حرب العصابات فى منشوريا الشرقية التى ينبغى انجاز مهام الثورة الديمقراطية المناهضة للامبريالية والاقطاعية فيها، فيجب على الشيوعيين فى كوريا والصين ان يحزموا امرهم على استبدال شكل السلطة بآخر وممارسة سياسة تتفق ومتطلبات الشعب، وذلك حتى يعيدوا الوضع الى نصابه ويخرجوا من الفوضى السائدة.

فرد على تونغ تشانغ رونغ قائلا:

" اننى اقر بان السوفييت شكل غير مناسب للواقع الملموس فى منشوريا

الـشرقية. وان بعـض اجـراءات الـسوفييت الـسياسية الحقـت ضـررا بالـثورة. سـبق واعربتم، يـا رفيق كيم إيـل سونغ، عن القلق من الحاق الاذى بخط الجبهة المتحدة مـن جـراء الخـط الـسوفييتى. اننــى افهـم الآن لمـاذا انـتابكم ذلـك القلـق. ان الوضـع العصيب الناشئ فى منشوريا الشرقية خلال الاشهر الاخيرة، جعلنى امعن التفكير فى تحذيركم ذاك. لكن، للاسف، لم نقرر بعد شكل السلطة الذى يمكن ان يحل محل السوفييت."

التغير الحاصل فى رأى امين اللجنة الحزبية الخاصة اثلج صدرى بالفعل. فهو لم يعد امين اللجنة الحزبية الخاصة الذى عرفته سابقا، المتعنت، والعنيد الذى يصر على ان السوفييت فقط هو شكل السلطة الوحيد بالنسبة للشيوعيين فى طور النهوض الثورى المتميز بتصاعد حماسة الجماهير.

"ان البشرية لم تكتشف حتى الآن اشكالا للسلطة باستثناء الكومونة والسوفييت، أليس كذلك؟!"

سألنى تونغ تشانغ رونغ هذا السؤال وهو يحدق النظر فى وجهى. كانت نظراته تبدو لى وكأنها تريد ان تقول: اذا قيض لكم ان تجدوا شكلا مناسبا للسلطة فاننى لن اعارضه بعناد.

"اذن، لنخلق بقوانا الذاتية شكلا للسلطة يتطابق مع ظروفنا الواقعية."

"أتقول بقوانا الذاتية؟ آسف، فانا لست بالعبقرى القادر على ذلك. كيف نخلق ما هو غير وارد فى الكلاسيكيات الماركسية؟"

لم استطع يوما ان اوافق فى الموقف والرأى هؤلاء الذين يعتبرون اية قضية مسألة مطلقة ثابتة وغير قابلة للتغير ويقيدون انفسهم بها.

" وهل رجعت الطبقة العاملة الفرنسية الى اية كلاسيكيات عندما اقامت الكومونة يا رفيق تونغ تشانغ رونغ؟ وهل كان السوفييت فى روسيا شكلا للسلطة واردا فى كلاسيكيات مؤسسى الماركسية؟ ولماذا يكون السوفييت دون غيره ثمرة عبقرى وحيد؟ لو لم يطالب الشعب الروسى بالسوفييت، ولو لم يتطلبه الواقع فى روسيا لما ظهر السوفييت على ما اعتقد."

اخرج تونغ تشانغ رونغ كيس التبغ من جيبه من دون ان يجيب بكلمة وحشا غليونه ووضعه فى فمه ثم مد يده بالكيس الى. كان يجول على مناطق حرب العصابات، وكيس التبغ والغليون بيده دائما. كانت له ميزة خاصة وهى انه اذا لقى فلاحين فى منتصف الطريق يمد يده بكيس التبغ والغليون اليهم ليدخنوا نفسا. وبسبب تواضعه الجم، كان الشعب فى مناطق حرب العصابات يحبه ويحترمه. وفى فصل الشتاء، كان يغطى رأسه بقبعة مصنوعة من الفرو كالتى يعتمرها الفلاحون.

لقد احسست بالضيق لرؤية تونغ تشانغ رونغ صامتا، ولكنى اعتبرت امتناعه عن معارضتى علامة ايجابية.

وبعد لقائى مع تونغ تشانغ رونغ، أجريت مناقشات مستفيضة طوال عدة ايام مع بعض الكوادر العسكريين والسياسيين، بمن فيهم لى يونغ كوك وكيم ميونغ كيون وزو تشانغ دوك، حول مسألة السلطة الثورية التى ستحل محل السوفييت.

ولكى تكون المناقشات ناجعة، اكدت على اهمية تحديد معيار شكل السلطة. واوضحت لهم ذلك بالقول: يجب الا نفكر بمعايير معقدة، فنحن جميعنا مناضلون فى مصلحة الشعب وخادمون مخلصون نذرنا انفسنا وحياتنا كلها من اجله، يكفى ان نعرف ما هو طابع ثورتنا فى المرحلة الراهنة ونتخذه معيارا لنا، واساسنا فى ذلك هو كيف تدافع السلطة التى سنقيمها عن مصالح الشعب بمختلف طبقاته وفئاته وتحظى بتأييده وترحيبه.

وما ان استمعوا الى هذا الشرح حتى هتف الرفاق مهللين وقالوا ان كل الامور صارت واضحة الآن لديهم، وان مفهوم الشعب من مختلف الطبقات والفئات يشتمل على اوسع الجماهير الكادحة، وليس محصورا بالعمال والفلاحين الفقراء والاجراء وحدهم. لذلك، فان الحكومة التى تدافع عن مصالحهم يجب ان تكون حكومة جبهة متحدة، وسلطة الجبهة المتحدة هذه هى سلطة تتفق وطابع الثورة الديمقراطية المناهضة للامبريالية و الاقطاعية. واذا كنت اقصد سلطة من هذا النوع فهم موافقون عليها تماما.

فأكدت لهم مجددا ضرورة ان تكون حكومة الجبهة المتحدة هذه هى حكومة

ثورية شعبية اساسها تحالف العمال والفلاحين. وهذا هو الخط الذى يطلق عليه اليوم فى كتب التاريخ خط الحكومة الثورية الشعبية.

اظن انه لا داعى هنا الى ذكر نتائج الاستفتاء على هذا الخط.

اذا كنا قد اخترنا الحكومة الثورية الشعبية نموذجا للسلطة يناسب منطقة منشوريا الشرقية حيث تقيم اعداد غفيرة من الكوريين، فما ذلك الا لاننا اعتبرناها الشكل الامثل للسلطة الذى يتطابق مع طابع الثورة الكورية الديمقراطية المناهضة للامبريالية والاقطاعية، ويستجيب كذلك لمتطلبات الشعب. وقد وجدنا معيارنا لشكل السلطة فى متطلبات الشعب وفى مدى صلابتها فى تمثيل الشعب ودفاعها عن مصالحه.

وبعد ان حددنا شكل السلطة، اتفقنا على اقامته كنموذج فى احدى المناطق وتعميمه فيما بعد على المنظمات الثورية الاخرى اذا ثبتت صلاحيته. وقررنا ان تكون الدائرة الخامسة فى وانغتشينغ هى الوحدة النموذجية.

حضرت مع لى يونغ كوك وكيم ميونغ كيون اجتماع انتخاب ممثلى لجنة الدائرة الخامسة للحكومة الثورية الشعبية. جرى الاجتماع فى سيامودانتشوان البعيدة نحو عشر ريات عن سيشويبنغ. وقد صادف الاجتماع يوم الذكرى السنوية "لموفور". و"موفور" هو الاسم المختصر للمنظمة الدولية لدعم المناضلين الثوريين. ففى عام ١٩٢٣، انشأت اللجنة التنفيذية للكومنترن هذه المنظمة لمؤازرة اسر المناضلين الثوريين الشهداء وحددت يوم ١٨ آذار كيوم دولى لذلك.

قادنا زو تشانغ دوك، رئيس الحكومة السوفييتية فى الدائرة الخامسة، الى مكتبه، حيث تبادلت الحديث مع حوالى عشرين فلاحا من منطقة غاياهى.

"قررنا انشاء حكومة جديدة بدلا من الحكومة السوفييتية. ولكن هذه الحكومة يجب ان تكون حسب مشيئتكم. فما نوع الحكومة التى تريدون؟"

حين طرحت عليهم هذا السؤال، نهض احد المسنين من مقعده وقال:

"حسبكم ان تقيموا حكومة تجعل ابناء الشعب يعيشون مطمئنى البال، وهى ستفى بالحاجة."

فاعلنت عندها بانفعال شديد اننا نعتزم انشاء الحكومة الثورية الشعبية لتحل محل الحكومة السوفييتية، وستكون اول حكومة شعبية حقا فى تاريخ العالم.

"ستمثل هذه الحكومة مصالح كل من يحبون الوطن والامة وتدافع عنها وتحقق امانيهم. ما هى امانيكم؟ حيازة الارض، التمتع بحق العمل، تعليم ابنائكم وبناتكم، ان يعيش الجميع حياة متساوية... كل هذه الامانى ستحققها الحكومة الثورية الشعبية."

وبعدما استمع الاهالى فى غاياهى الى شرحنا عن خط الحكومة الثورية الشعبية، ابدوا موافقتهم التامة عليه.

اعدنا كل الممتلكات التى كانت قد صادرتها الحكومة السوفييتية الى اصحابها الاصليين حتى قبل مراسم اعلان ولادة الحكومة الثورية الشعبية. ونظم ريانغ سونغ ريونغ عملية اقتحام لاحدى محطات قطع الاشجار بغرض التعويض عن الممتلكات التى دمرت او استهلكت بعد مصادرتها. وفى ربيع ذلك العام، حرث الفلاحون الارض الموزعة عليهم بواسطة الثيران والخيول التى غنمت فى تلك العملية.

وفى اجتماع ذلك اليوم، القيت خطابا قلت فيه ان الحكومة الثورية الشعبية هى سلطة حقيقية للشعب، ووزع على الحاضرين مضمون برنامج الحكومة ذى النقاط العشر، الذى سيرد بكامله تقريبا فيما بعد ضمن برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن.

مما اثر بى من قرية سيشويبنغ، وبقى عالقا فى ذاكرتى حتى الآن، صورة لى يونغ كوك، امين اللجنة الحزبية فى المحافظة. فحين كان الجميع يقضون وقتا ممتعا بالرقص فرحين بعد انتهاء الاجتماع، كان لى يونغ كوك منزويا جانبا وعيناه تترقرقان بالدموع.

فانسللت خلسة من حلبة الرقص واقتربت منه.

"ما بك ايها الرفيق الامين والجميع يرقصون؟"

فتنهد لى يونغ كوك تنهيدة حرى، واجاب حتى دون ان يمسح الدموع عن خديه.

"لا أدرى لماذا لا يبصق هؤلاء الناس على ؟ اذا كان اهالى وانغتشينغ قد قاسوا المحن من جراء اليسارية، فالسبب فى ذلك هو انا. ومع ذلك، فانهم وجهوا اليوم

تحية شكر لى. انتم، انتم بالذات ايها القائد كيم من يستحق هذه التحية."

" ان شعبنا شعب طيب وحليم. اذا شكرك الناس ولم يحاسبوك على ماضيك، فذلك يعنى انهم قبلوا خط الحكومة الثورية الشعبية بسرور. دعنا نفكر معا الآن فى المستقبل وحده."

فامسك لى يونغ كوك بيدى وهتف بانفعال:

"لقد عشت حتى الآن بعقول الآخرين ولم اعش بعقلى. لقد علمتمونى حقيقة ثمينة للغاية. لكم هو عميق مغزى هذه العبارة البسيطة: لنعش من اجل الشعب! اننى لن انسى هذا الشعار طول حياتى."

لكنه لم يستطع الوفاء بوعده تماما فى الممارسة العملية، اذ اعفته لجنة الحزب الخاصة فى منشوريا الشرقية من منصبه كأمين للجنة الحزبية للمحافظة، وذلك لتحميله مسؤولية الاخطاء اليسارية الخطيرة التى ارتكبتها اللجنة الحزبية فى محافظة وانغتشينغ فى تنفيذ الخط السوفييتى، كما المحت الى انه كان فى الاصل من جماعة م.ل، واتهمته بالتورط فى عضوية "مينساينغدان".

انه لمن الظلم ومما يتنافى والحقيقة ان يتهموا لى يونغ كوك بالانتساب الى جماعة م.ل. ذلك ان الشخص الذى كان على صلة بجماعة م.ل فى الماضى رشحه، ابان قيامه بالعمل الشبابى فى سيلينهى، لمنصب امين لجنة اتحاد الشباب الشيوعى التابعة للجنة الحزب الخاصة فى منشوريا الشرقية. فالقاء مسؤولية كل العواقب الناجمة عن تنفيذ الخط السوفييتى اليسارى المتطرف عليه وحده، كأمين اللجنة الحزبية للمحافظة، انما هو تصرف ينطوى على شطط وغير اخلاقى. طالما انهم طبقوا عقوبة الاعفاء من المنصب على لى يونغ كوك، فما العقوبة التى يستحقها اولئك الذين املوا عليه الخط السوفييتى وفرضوا تنفيذه على المرؤوسين؟

اما تهمة الانتساب الى "مينساينغدان" التى وجهت الى لى يونغ كوك فكانت تهمة جائرة ولا اساس لها من الصحة.

ولقد كفلته اكثر من مرة لتأكدى من انه ليس فئويا ولا من "مينساينغدان".

وبالرغم من ذلك، وفيما نحن موجودون فى لوزوكو للتفاوض مع وو وى

تشينغ، اعدم لي يونغ كوك اخيرا بحجة انه من عناصر الثورة المضادة. واذا استعرضنا سوابقه، لا نجد اية اسباب تدفعه الى ان يكون عضوا فى "مينساينغدان". فعندما لجأ لي يونغ كوك الى منطقة بريموريه هربا من الاعتقال فى وقت من الاوقات، كان بامكانه ان يعيش حياة ميسورة طوال حياته كمهاجر. الا انه عاد الى ارض تشينتاو من اجل الثورة والقى بنفسه فى دوامة الاعصار بملء اختياره.

ومازلت لا ادرى حتى الآن ايضا السبب الذى حدا بهم الى اتهام ذلك الانسان المخلص والخلوق بعضوية "مينساينغدان".

بعد مضى ايام قليلة على اقامة الحكومة الثورية الشعبية فى الدائرة الخامسة، زارنى تونغ تشانغ رونغ وقال لى بفرح ظاهر وعلى وجهه ابتسامة عريضة:

"سنبحث مسألة تغيير الخط بحضور الرفيق مبعوث الكومنترن عاجلا ام آجلا يا رفيق كيم إيل سونغ. وحيث ان لديكم خبرة فى بناء الحكومة الثورية الشعبية فى الدائرة الخامسة، ارجوكم ان تتولوا شخصيا القاء الكلمة الرئيسية بشأن مسألة السلطة."

وفى صيف ذلك العام، انعقد الاجتماع الخطير لمناقشة مسألة تغيير الخط. كما حضر الاجتماع مبعوث الكومنترن الذى حمل معه الى منطقة منشوريا الشرقية وثيقة تتعلق بتغيير الخط.

عرضت فى ذلك الاجتماع خط اقامة الحكومة الثورية الشعبية باعتبارها حكومة للجبهة المتحدة قائمة على تحالف العمال والفلاحين، واوضحت مرة اخرى مشروع البرنامج السياسى للحكومة الذى يتناول الاصلاح الزراعى وكل الاجراءات السياسية الديمقراطية التى ينبغى للحكومة ان تقوم بها فى مختلف ميادين الاقتصاد، والتعليم، والثقافة، والصحة العامة، والشؤون العسكرية وغيرها. وكان مشروعنا منسجما مع الخط الجديد للكومنترن. فاعرب مبعوث الكومنترن عن مطلق تأييده وموافقته على خط الحكومة الثورية الشعبية الذى نادينا به.

الاجتماع الذى استمر عدة ايام وسيطر على السجال النظرى والصراع الفكرى فيه جو متوتر، اتخذ فى النهاية قرارا بشأن استبدال السوفييت بالحكومة الثورية

الشعبية على اساس خط الحكومة الثورية الشعبية الذى تقدمنا به، وقرارا آخر بشأن النضال للقضاء على مخلفات خط السوفييت اليسارى فى سائر مناطق حرب العصابات.

وفى اعقاب ذلك الاجتماع، جرى استبدال كل السوفييتات فى منطقة منشوريا الشرقية بحكومات ثورية شعبية. وفى المناطق التى لم تكن قد نضجت فيها الشروط بعد، انشئت لجان فلاحية كشكل انتقالى للسلطة على ان تستبدل تدريجيا بحكومات ثورية شعبية. اما بخصوص الممتلكات الخاصة التى استهلكها الاهالى فى مناطق حرب العصابات بعد مصادرتها باسم تصفية الممتلكات الخاصة، فطلب من الحكومة الثورية الشعبية ان تعوضها نقدا او بالمواد العينية.

كانت الحكومة الثورية الشعبية حكومة يمسك الشعب بمقاليدها بصفته سيدا لها، تكفل الديمقراطية للاغلبية الساحقة من جماهير الشعب وتمارس الديكتاتورية على الاعداء.

على اثر اقامة الحكومة الثورية الشعبية فى غاياهى واجتماع تغيير الخط، انبثقت الى حيز الوجود فى كل دائرة تنظيمية ثورية وكل قرية من محافظات منشوريا الشرقية حكومة ثورية شعبية. وكانت الحكومة الثورية الشعبية للدائرة تتألف من رئيس ونائب رئيس وما بين تسعة واحد عشر عضوا للجنة التنفيذية، ومن عدة اقسام هى: قسم الاراضى وقسم الشؤون العسكرية وقسم الاقتصاد وقسم التغذية وقسم الاتصال وقسم الرعاية الطبية.

كانت الحكومة الثورية الشعبية هى الجنين والنموذج الذى منه ولدت سلطتنا الشعبية بعد التحرير.

قامت الحكومة الثورية الشعبية بتوزيع الاراضى على الفلاحين مجانا، وطبقت نظام يوم العمل ذى الثمانى ساعات فى كل مكان داخل مناطق حرب العصابات. فى ذلك الحين، كان يوجد فى قاعدة سياووانغتشينغ لحرب العصابات اكثر من الف عامل، وكانوا يشتغلون، على الاغلب، اما فى قطع الاشجار او تطويف الارماث او صنع الفحم الخشبى. وكان اكثر من ٥٠٠ منهم يقيمون فى سانتشيداو، حاضرة

الدائرة الثانية، فيما كان الباقون يقيمون عند سفح الممر الجبلى المؤدى من فانغتشاولينغ الى ماتشون. وكانوا يتمتعون جميعا بمنافع نظام يوم العمل ذى الثمانى ساعات.

ونزولا عند طلبات الحكومة الثورية الشعبية الجادة، قام اصحاب الاعمال بزيادة الاجر الذى يدفعونه لعمالهم الى الضعف او اكثر.

ووضعت الحكومة الثورية الشعبية المناطق الحراجية المحيطة بمناطق حرب العصابات تحت اشرافها، ومارست الرقابة عليها حتى لا يقطع احد حتى ولو شجرة واحدة من دون موافقة الحكومة.

وما ان اصبحت هذه الاجراءات سارية المفعول حتى جاء المدير اليابانى لمحطة تشينهى لقطع الاشجار فى دادوتشوان واحد تجار الاخشاب الصينيين الى منطقة حرب العصابات بهدف التفاوض معنا للحصول على اذن بقطع الاشجار. ونتيجة المفاوضات صار متعهدو قطع الاشجار وتجار الاخشاب يقطعون الاشجار وينقلونها مقابل تقديم الملابس والحبوب الغذائية والضروريات اليومية الى مناطق حرب العصابات بما يعادل ثمن الاخشاب على اساس تسعير الشجرة الواحدة بيوان واحد.

وانشأت الحكومة الثورية الشعبية مدارس لرابطة الاطفال فى جميع القرى بمناطق حرب العصابات، وطبقت مجانية التعليم، وحرصت على ان يستفيد كل السكان من العلاج الطبى المجانى فى مشافى مناطق حرب العصابات فى ليشوكو وشيليبينغ. وبفضل ضمان المساواة بين الجنسين، صارت النساء يشاركن فى العمل الاجتماعى ويتمتعن بالحقوق نفسها التى للرجال.

واديرت المطابع ومشاغل الخياطة وورش صيانة وتصليح الاسلحة فى مناطق حرب العصابات.

وازهرت الثقافة فيها ايضا فابدعت اعداد كبيرة من الاغانى المشهورة التى سيظل شعبنا يغنيها لآلاف السنين المقبلة، وفتحت عصرا من ازدهار الفن المسرحى بابداع مسرحية " بحر من الدماء" ومسرحية "مصير عضو فرقة الدفاع الذاتى".

ان كلمة السوفييت التى كانت رمزا للتعسف ومصادرة الممتلكات، صارت الآن مجرد ذكرى ولن تلبث ان تصبح فى ذمة الماضى. فأخذ الناس الذين نزلوا الى مناطق سيطرة العدو، هربا من اجراءات السوفييت السياسية اليسارية، اخذوا يعودون الى مناطق حرب العصابات زرافات ووحدانا. وراح الشيوخ يتنزهون بحرية فى ارجاء القرية واضعين الغلايين فى احزمتهم. وصارت مناطق حرب العصابات من جديد اسرة كبيرة متحابة تجلجل فيها الضحكات، حيث الناس يثقون ببعضهم بعضا ويعتمدون ويحبون بعضهم بعضا.

على وديان وانغتشينغ وهضابها التى تغلبت على شتاء قارس آخر، أخذت الحياة الجديدة تدب بقوة مع وشوشة براعم الازهار التى تكسو الجبال والسهول بحلة جميلة تخلب الالباب.

لشد ما كان الناس يغبطون هذه الحياة! حتى ان ابن احد ملاك الاراضى وكانت وحدة القائد تشاى قد اختطفته الى سياووانغتشينغ كرهينة، توسل الينا كيلا نطرده من منطقة حرب العصابات ونعيده الى دياره.

٤ـ مبعوث الكومنترن

فى شهر نيسان من عام ١٩٣٣، وفيما كنا نخوض معركة قاسية ضد اليسارية فى قواعد حرب العصابات، جاءنى تونغ تشانغ رونغ بصحبة رجل متوسط السن يرتدى قفطانا صينيا. ما ان رآنى ذلك الرجل الرصين والانيق فى هندامه وحركاته حتى ابتسم لى من بعيد ورفع احدى يديه الى اعلى رأسه وانزلها الى صدره محييا. كانت عيناه طافحتين بالسعادة وهو يقترب منى حتى اننى ظننته صديقا قديما.

صافحته، وادركت انه لم يكن صديقا اعرفه. والغريب ان ذلك الضيف الذى لم أره مرة فى حياتى ولم اعرفه من قبل جعلنى اشعر كما لو انه صديق قديم. وهذا ما جعلنى استقبله، بدورى، بحفاوة وحرارة باسم الوجه.

كان هذا الضيف الغريب هو بان سونغ وى، مبعوث الكومنترن الذى جاء بصفة مفتش. (بان اسم عائلته، وسونغ وى اختصار لعبارة عضو اللجنة الحزبية فى اقليم منشوريا). ولما كان الناس ينادون وى جين مين "بلاو وى"، فقد نادوه هو "بلاو فان". ذلك ان الصينيين كانوا يلفظون كلمة "بان" فان. كانت لدى الصينيين خصلة ادبية حميدة بان يلصقوا باسم العائلة بالنسبة للمتقدمين فى السن او الجديرين بالاحترام عبارة "لاو" (اخى– المترجم). وقليلون جدا من كانوا ينادونه لى كى دونغ (اسمه الاصلى) او بان كيونغ يو(لقبه).

كان بان سونغ وى ثوريا وعاملا حزبيا معروفا على نطاق واسع فى اوساط الشيوعيين فى منطقة منشوريا.

وقد كان وانغ ريون تشينغ هو اول من حدثنى عن بان سونغ وى. فحين كان بان سونغ وى امينا للجنة الحزبية فى محافظة نينغآن بعد حادثة ١٨ ايلول، كان وانغ

ريون تشينغ عضوا فى اللجنة مضطلعا بالعمل الدعائى يعمل تحت اشرافه. وكان يتباهى غاية التباهى بانه يعمل فى ذلك المنصب بناء على طلب بان سونغ وى شخصيا. قال لى ان بان سونغ وى كادر مجرب قديم، فقد تخرج من مدرسة هوانغفو للضباط وساهم فى انتفاضة وتشانغ فى الصين وحرب الحملة على الشمال ودرس فى الاتحاد السوفييتى. واضاف بانه عمل لبعض الوقت امينا للجنة الحزبية لمحافظة شوينينغ المركزية، وانه هو ايضا قد افتتن اكثر من مرة بخصاله الانسانية وبصيرته الخارقة.

ذلك ما بلغته مشاعر احترام وانغ ريون تشينغ تجاه بان سونغ وى.

وانا استمع اليه فى ذلك الوقت، احسست بسعادة غامرة لان ثوريين ممتازين من امثال بان سونغ وى يعملون فى جوارنا.

وفيما بعد، جاءتنى تشاى سونغ سوك وزو دونغ ووك من منشوريا الشمالية لكى يخبرانى المزيد من شخصية بان سونغ وى. ذكرت تشاى سونغ سوك أن بان سونغ وى هو الذى حثها على الذهاب الى وانغتشينغ ثم قصت على بتشويق ما حدث خلال مظاهرات الاول من ايار التى نظمها وقادها فى شوارع مدينة نينغآن.

فكان من الطبيعى، والحالة هذه، ان نخصص تلقائيا وقتا طويلا للحديث عن وانغ ريون تشينغ وتشاى سونغ سوك.

"كيف حال الرفيقة تشاى سونغ سوك التى جاءت من نينغآن؟"

بدأ حوارنا بهذا السؤال الذى بادرنى به بان سونغ وى.

فشعرت للتو بدفء غامر اذ ورد الى ذهنى كلام تشاى سونغ سوك بان ابرز خصال بان سونغ وى اهتمامه وعنايته بمرؤوسيه.

"انها بخير. فور مجيئها من منشوريا الشمالية، تم اختيارها مندوبة لسوفييت داوانغتشينغ، وهى مشغولة حاليا باعمال جمعية النساء اذ انتخبت عضوا فى قسم الشؤون النسائية للجنة الحزبية فى دائرة سياووانغتشينغ."

"اما زالت تلك الرفيقة تحب ركوب الخيل هنا ايضا؟"

"سمعت بانها تركب الخيل، لكننى لم أرها على ظهر فرس."

"لقد تعلمت ركوب الخيل مصممة على ان تصبح خيالة فى الجيش الثورى. يا لها من فتاة جريئة وعنيدة!"

"اذن، وقعنا، نحن معشر القاطنين فى وانغتشينغ، على كنز. ألم تندموا على رحيلها عنكم من منشوريا الشمالية؟"

"بالنسبة لى، لا. فافراد اسرتها ما زالوا فى منشوريا الشمالية، وقد نصحتها بان تذهب الى منشوريا الشرقية. بصراحة اقول لك ان تشينتاو تعد محور النضال الثورى فى منطقة منشوريا. وهذا ما جعلنى اقول لها: اذا شئت ان تشاركى فى الثورة حقا فاذهبى الى وانغتشينغ؛ ففيها قاعدة تحولت الى ارض للشعب؛ انى اعلق آمالا كبيرة على تشينتاو؛ ويا ليتنى اعمل انا ايضا فى تلك المنطقة."

شعرت بالعرفان لتقدير بان سونغ وى بان منطقة منشوريا الشرقية تعد قاعدة رئيسية للثورة الكورية. ولكننى من جهة اخرى لم استطع ان اتمالك احساسى بالخجل. فقد ساورنى قلق بشأن انطباعاته عن نضالنا الثورى فى تشينتاو، اذ شاهد بأم عينيه الممارسات اليسارية المتهورة التى حدثت فى مناطق حرب العصابات. لا داعى للقول ان آراء بان سونغ وى ومواقفه السياسية لم تكن معروفة لدى حتى ذلك الحين. ولمجرد انه واسع النظرة السياسية ووافر الخبرة النضالية لا يعنى حكما انه يعارض اليسارية دون قيد او شرط.

الا اننى اعرت رأى وانغ ريون تشينغ وتشاى سونغ سوك فى بان سونغ وى وتقديرهما له اهمية بالغة للغاية. وقد اكدا اكثر من مرة على انه لا يميل اطلاقا الى التحيز فى معاملته لمرؤوسيه، وانه كادر محنك يعرف كيف يعالج الامور بانصاف ورصانة، بناء على قناعاته. اول انطباع لى عنه كان هو الآخر ممتازا.

فى ذلك اليوم، اقتصرنا على تبادل التحية بهذا القدر من البساطة ثم انصرفنا على ان نتقابل ثانية لنجرى حديثا مكثفا فيما بيننا.

لكن الضيف الآتى من الكومنترن اخطأ فى اختيار وقت الزيارة. فقد كنت مضطرا الى الخروج مع رجال وحدتى فى الحال للتصدى لآلاف الجنود من قوات الحملات "التأديبية" التى كانت تنقض علينا كالامواج.

"اذا كان الامر كذلك، سأتوجه انا ايضا الى ساحة المعركة مع الوحدة. اعطنى بندقية ولو كانت قديمة."

اصر بان سونغ وى بشدة على الالتحاق بالصفوف، قائلا بانه سيسيء الى سمعته كمبعوث للكومنترن ويندم على الامر طول حياته اذا رجع دون ان يشهد المعركة رغم وجوده فى منشوريا الشرقية. وتساءل لماذا لا يسمح له بالخدمة فى الجيش ليوم واحد فقط.

"الرصاص لا يميز مبعوث الكومنترن يا رفيق بان. ستسنح لك فرص اخرى لخوض معركة، فارجوك ان تستريح اليوم من اعياء الرحلة."

نجحت فى اقناع بان سونغ وى ثم اتجهت نحو ساحة القتال.

احاط العدو بمنطقة سياووانغتشينغ لحرب العصابات من ثلاث جهات، وشن هجمات عنيفة علينا طوال ثلاثة ايام متتالية. لكننا استطعنا صد الهجوم المعادى بمعركة دفاعية صامدة واوقعنا فى صفوفه خسائر كبيرة. فولى العدو الادبار، تاركا وراءه مئات القتلى والجرحى فى ارض المعركة. وفى تلك المعركة، جعلنا جيش الحملات "التأديبية" يمثل مسرحية هزلية ولكن مأساوية بان جعلنا قواته تتبادل اطلاق النار فيما بينها بعد ان تسللت فى الخفاء الى مناطق حرب العصابات تحت جنح الضباب الربيعى من جهة غوانمينلاجى (دولمونآن) وجبل جيانشان. وظلت اخبار هذه المعركة مدار حديث سكان سياووانغتشينغ لفترة من الزمن. وقيل ان بان سونغ وى اطلق، هو الآخر، ضحكة مجلجلة عندما سمع هذه الاخبار.

اثار ظهور بان سونغ وى ردود فعل مختلفة بين السكان فى وانغتشينغ. فقد اعتقد الذين يعتبرون خط السوفييت اليسارى خطأ سياسيا للكومنترن ويعطسون ويتثاءبون بايعاز من الكومنترن، اعتقدوا ان لاو فان سيؤيد موقفهم، وبالتالى، سيغدو ظهوره فرصة يستغلونها لوصم الداعين الى خط انشاء الحكومة الثورية الشعبية باليمينية وانزال العقاب بهم بحيث لا يعودون الى اثارة النزاعات بشأن مسألة شكل السلطة.

غير ان اولئك الذين كانوا ينزعون بلا انقطاع الى اقامة سلطة من نمط جديد

ضمن اطار خط الحكومة الثورية الشعبية، مستنكرين الخط السوفييتى لانه خط يسارى، راقبوا تحركات بان سونغ وى بدوره عن كثب، يساورهم القلق من ان يرفض لاو فان موقفهم المعارض للسوفييت وربما تعرضهم للعقاب باسم الكومنترن فى بعض الاحوال. وتنبأ معظم هؤلاء الناس بان مجىء بان سونغ وى سيعقد الوضع فى مناطق حرب العصابات التى راحت تنعتق لتوها من الخط السوفييتى.

فكان الاولون يظهرون فرحة الانتصار قبل الاوان، بينما يكتم الاخيرون حزن الهزيمة فى سرهم. واذا كان الطرفان اتخذا مثل هذا الموقف، فمرد ذلك الى انهما كلاهما كانا يعتبران نفوذ الكومنترن وصلاحيته شيئا مطلقا. كان الكومنترن، الذى يحق له ان يعلن الغاء حزب ويحاكم انسانا على جريمته، هيئة رهيبة بالنسبة اليهم كما لو انها "محكمة عظمى" دولية. وكان الكومنترن فى عرف هؤلاء الناس هو الذى يقرر مصير الثوريين.

ادى ظهور بان سونغ وى الى توتير الجو فى منطقة حرب العصابات. وقد لمست انا ايضا ذلك الجو المتوتر فى كل لحظة.

والموقف الذى سيتخذه بان سونغ وى تجاه اعمالنا، نحن الذين فرضنا خط الحكومة الثورية الشعبية، الذى يتناقض مع رغبة الكومنترن، محل الخط السوفييتى، واشرنا الى سياسة السوفييت على انها تهور يسارى، كان مثار اهتمامى بنوع خاص.

خطر لى انه من حسن حظ الثورة ان بعث الكومنترن بمبعوث عنه الى انحاء منشوريا الشرقية التى يئن فيها الشعب تحت وطأة جور اليسارية. لان مجىء بان سونغ وى فيما الخط السوفييتى وخط الحكومة الثورية الشعبية يقفان على طرفى نقيض ويؤكد كل منهما على صحته، سيكون حدثا حاسما لتأييد احد الخطين ورفض الآخر.

لم يضمن لنا احد الى الآن ان الكومنترن سيؤيد موقفنا. الا اننى كنت مزمعا على الاحتجاج له على اصدار الكومنترن واللجنة الحزبية فى اقليم منشوريا وغيرهما من المنظمات تعليمات مخالفة للظروف الواقعية فى قواعد حرب العصابات، وعلى الا اتردد فى الدخول فى مجادلة نظرية معه عند الضرورة من اجل تقويم الانحرافات

اليسارية المتطرفة التى تكشفت فى تنفيذ الخط السوفييتى وفى مجرى مكافحة "مينساينغدان". ولم يكن يهمنى انزال العقاب بى او اتخاذ اى اجراء جزائى بحق. بكلمة واحدة، كان جل تفكيرى هو انه قد آن الاوان لاصدار حكم نهائى.

تراءى لى ان بعض الرفاق المتذمرين قد ارسلوا رسالة شكوى من الوضع فى منشوريا الشرقية الى الكومنترن فى ذلك الوقت. ولعل الكومنترن اطلع على تلك الرسالة وامر بان سونغ وى بالتوجه الى منطقة منشوريا الشرقية، حيث يتركز الكوريون، ومعالجة الامور فيها شخصيا باعتباره كوريا. وقد اخبرنى بان سونغ وى بنفسه فيما بعد ان واقعة تقديم الشكوى الى الكومنترن صحيحة.

عند عودتنا الى قواعدنا بعد انتهاء معركة الدفاع عن سياووانغتشينغ، جاء بان سونغ وى الينا مرة ثانية. كان وجهه اقل اشراقا مما كان عليه عند المقابلة الاولى. واتضح لى من خلال ابتسامته الظاهرية انه مثقل بهموم يسعى الى التخلص منها، وتهيأ لى انه وصل اخيرا الى مفترق طرق الحياة الواقعية العصيبة حيث تتقاطع الفلسفات السياسية مختلطة ومتشابكة. ايقنت انه جرت مواجهة بينه وبين تونغ تشانغ رونغ بشأن الخط السياسى.

اخترت منزل العجوز لى تشى بايك، اكبر منزل فى ماتشون، لاستضافة بان سونغ وى وبقيت اكثر من عشرة ايام اتبادل واياه الآراء حول قضايا كثيرة.

كان بان سونغ وى يعرف اللغة الصينية جيدا وحيث انه باشر الحديث بالصينية، وجدتنى منساقا بصورة تلقائية الى مبادلته الحديث بالصينية. كنا نتحادث فى الليل وفى ساعات الفجر اساسا. اذ لم اكن اجد متسعا من الوقت خلال النهار لمحادثته نظرا لانشغالى بواجباتى فى قيادة الوحدة. وكان بان سونغ وى بدوره مشغولا اثناء النهار فى جولاته للوقوف على واقع الامور فى مناطق حرب العصابات.

يعرف اولئك الذين تعودوا على الحياة خارج بيوتهم ان الحياة فى الغرف البرانية من بيوت الآخرين توثق حقا العلاقات بين نزلائها، لانها تتيح لهم التحدث بمودة وصراحة، حتى وان كانت تلك الحياة مزعجة وتبعث على الضيق من بعض جوانبها.

ومن هنا، فقد ربطتنى وبان سونغ وى علاقة صداقة ومودة حميمة خلال تلك الايام العشرة الى درجة اننا لم نكن نتردد فى تقاسم اللحم والعظم اذا اقتضى الامر.

كان بان سونغ وى ثوريا مجربا ذا خبرة غنية فى النضال، وكان يكبرنى بعشرين سنة او اكثر، الا انه لم يحاول التصرف باستعلاء ولم يأبه كثيرا لفارق السن بيننا. كان يبادلنى الحديث بحماسة وقلب مفتوح كأنه رفيق لى.

فى البداية، قدم كل منا الى الآخر نبذة عن حياته، دون التعرض للموضوعات الرسمية المتعلقة بالممارسة الثورية. قدمت له نفسى، ثم فعل هو الشىء نفسه. وبعد ذلك كنا نتناوب فى اضافة شىء او عرض انطباعاتنا دون ان نشعر كيف انقضى الليل.

حين سمع بان سونغ وى بانه القى القبض على اربع مرات وذقت طعم السجن ايضا وعمرى دون العشرين بعد، علت وجهه مسحة استغراب وقال:

"انت معلمى، اذن، فى حياة السجون يا رفيق كيم."

واخبرنى انه هو ايضا ذاق طعم السجن فى هاربين لايام معدودات. فاللجنة الحزبية فى محافظة نينغآن حاق بها دمار كلى نتيجة تنظيمها مظاهرة كبرى بمناسبة الاول من ايار. واستطرد قائلا انه من جراء القمع الذى لا هوادة فيه من جانب موظفى حكومة منشوكو وبفعل حملات الجيش اليابانى "التأديبية"، دمرت كل المنظمات وتفرق اعضاء الحزب وعناصره الاساسية ايدى سبا. وكان ذلك، فى نظر بان سونغ وى، نتيجة الدوار الذى اسقم رؤوسهم فى مجرى توسيع صفوف الحزب وتنشيط عمله بوتائر اسرع مما ينبغى. وعلى النقيض من ذلك، اعترف لى بنفسه ان الدروس التى تمخضت عنها مظاهرة الاول من ايار شكلت العامل السياسى لتأسيس جيش حرب العصابات فى نينغآن بقيادة كيم هاى سان ولى كوانغ ريم.

"لم يدرك الناس ان مظاهرتنا كانت متسرعة وسيئة التنظيم الا بعد ان تعرضوا للضرب فى السجن. ومن المؤسف اننا نظمنا المظاهرة فى شوارع حاضرة المحافظة وكان اعضاء الحزب يتقدمونها، بينما كان الوضع يتطلب اخفاء المنظمات وشن الكفاح المسلح..."

كان بان سونغ وى يلوم نفسه كلما تحدث عن تلك المظاهرة، لكنه كان يطرى

بالمقابل فى كل مناسبة على المظاهرات التى نظمناها نحن ضد مشروع مد الخط الحديدى جيلين– هويريونغ. كان رجلا منصفا وكريما تجاه مآثر الآخرين، لكنه بالعكس، يقلل من قيمة عمله او يتجاهله اكثر مما ينبغى.

وبعد استماعه الى سيرتى كاملة، قال لى:

" اذا كنت قد اكملت الحادية والعشرين من عمرك قبل عدة ايام، فمعنى ذلك ان عمرك هو نصف عمرى. ولكن يبدو انك معلمى يا رفيق كيم فيما يتعلق بحياة السجون وبالحياة الانسانية بمجملها."

ولم استطع ان اوارى خجلى وارتباكى لكثرة ما ردد انى معلمه. فقلت له:

"يا رفيق بان، أ تريد افساد هذا الشاب الواقف امامك بتوجيه كل هذا الاطراء اليه ؟"

فتح بان سونغ وى ذراعيه على مداهما وهز كتفيه كما يفعل الروس عادة، وقال:

"يجب ان تعرف ان اطرائى على الرفيق كيم يوازى فى الواقع ذمى لنفسى وعدم رضاى عن حياتى السابقة. انى رجل لم يعش الحياة كما يجب. يمكن القول اننى وقد ناهزت الثالثة والاربعين، وقد اضعت فترة شبابى دون ان احقق، للاسف، ما استطيع الافتخار به امام الآخرين."

"كلامك ينم عن تواضع اكثر من اللازم ايها الرفيق بان. لقد امضيت حياتك تحت شمس الجنوب المحرقة، وثلوج الشمال العاصفة، امضيتها بالفرح والكدر والدموع. انى، بكل صراحة، لا احب كثيرا الانسان الذى يستهين بنفسه. كيف يمكنك القول ان افضل فترة من حياتك قد ضاعت تماما لمجرد انك تجاوزت الاربعين ؟"

بالرغم من انى وجهت اليه هذا النقد، الا انه لم يتذمر منى . خيل الى انه يحتقر نفسه الى حد الافراط. وحتى اذا ما وضعنا نشاطه فى المنطقة الجنوبية من الصين جانبا، كان من غير الجائز اطلاقا التهاون بمآثره التى اجترحها فى منشوريا الشمالية عند توليه منصب امين اللجنة الحزبية فى محافظة نينغآن وامين اللجنة الحزبية فى محافظة شوينينغ المركزية واضطلاعه بدور مؤسس جيش حرب

العصابات فى نينغآن. كانت اللجنة الحزبية لمحافظة شوينينغ المركزية كبيرة جدا من حيث الحجم، اذ كانت تضم اللجان الحزبية فى محافظات مولينغ ونينغآن ودونغنينغ وميشان وغيرها. وذات وقت، سرت شائعات عن ارتقاء بان سونغ وى الى مرتبة كادر قيادى فى مكتب كيدونغ الذى يقوم بدور همزة الوصل بين الكومنترن واللجنة الحزبية فى اقليم منشوريا. وبالرغم من اننى لم اتبين مدى صحة تلك الشائعات، الا اننى استطعت ان اخمن انه عامل مؤثوق ما دام الكومنترن اختاره ليوفده الى منطقة منشوريا الشرقية لتوجيه العمل فيها ومراقبته.

انتقلنا فى حديثنا الى تبادل المعلومات والآراء حول الوضع السائد وحول ملابسات مسألة سياسية ذات اهتمام مشترك.

كان الموضوع الاول الذى تناولناه يتعلق بالكومنترن والحركة الشيوعية العالمية. وكان النقاش مفيدا للغاية بالنسبة لى، انا الذى لم اتحدث حديثا صريحا وعميقا مع عاملين فى مكتب الاتصال التابع للكومنترن بالرغم من اننى كنت على اتصال بهم.

شرحت لبان سونغ وى ما بذله الشيوعيون الكوريون من جهود من اجل وضع قرارات الكومنترن موضع التنفيذ، ثم اوضحت له نظرتنا وموقفنا من خط الكومنترن وتعليماته، قلت:

"اننا نعتبر ان الكومنترن يقوم بدور هيئة الاركان فى الحركة الشيوعية العالمية على اروع صورة. وقد حقق الكومنترن فى الماضى منجزات باهرة فى النضال الرامى الى احلال السلام وبناء الاشتراكية ومحاربة الامبريالية عن طريق جمع شمل الشيوعيين فى العالم بأسره فى اطار تنظيم دولى موحد. ولسوف نبقى مخلصين لانظمة الكومنترن وخطه فى المستقبل ايضا، تماما كما فعلنا فى الماضى، مدركين انه يؤدى وظيفة المركز بالنسبة للحركة الشيوعية. ولكننى اود ان اشير، يا رفيق بان، الى بعض النقاط حول اساليب الكومنترن، حتى ولو بدا لك ذلك عملا غير لائق ويستحق التأنيب."

فاربد وجه بان سونغ وى فورا وسألنى:

"ماذا تعنى بكلامك ؟ ربما كان لديك شكوى؟"

" لست متأكدا ما اذا كان شكوى ام استياء. منذ زمن بعيد وانا ارغب فى طرح سؤال حول احدى المسائل على الكومنترن."

"لا مانع عندى. فلنتحدث عن كل شىء بقلب مفتوح."

وطفق يتفرس فى وجهى بفضول ظاهر.

بدا لى انها الفرصة المناسبة لاقول الكلام الذى طالما رغبت فى قوله للكومنترن بلا كلفة.

"اننا لسنا من انصار الفئوية، لكننا اسفنا اشد الاسف لاقدام الكومنترن على حل الحزب الشيوعى الكورى. لم تكن الفئوية موجودة بين الشيوعيين الكوريين حصرا، بل رأينا لعبة الاختام المزيفة فى الحزب الشيوعى للهند الصينية وغيره من الاحزاب، أليس كذلك؟"

وحين فرغت من كلامى، بدت على وجه بان سونغ وى علائم الدهشة لا التوتر. بدا لى انه فوجئ بكلامى كما لو كان غارة مباغتة، وهو الذى مر بكل صنوف الشدائد والمحن.

"بصفتى واحدا من الشيوعيين الكوريين الذين لا يختلفون عن الرفيق كيم وليس بصفتى مبعوثا للكومنترن، اتعاطف معك عندما تقول ان حل الحزب الشيوعى الكورى كان خزيا وعارا وتتأسف لتصرف الكومنترن الذى اعلن حله. ولكن، هناك نقطة لا بد لك من ان تعرفها، وهى لماذا بقى الحزب الشيوعى فى الهند الصينية قائما الى الآن بينما جرى حل الحزب الشيوعى الكورى؟ ذلك لان شخصا مرموقا مثل هو شى مينه احتل مكانه فى الكومنترن كممثل للهند الصينية. بينما لم يكن فى صفوف الحركة الشيوعية الكورية، فى ذلك الحين، لا الشخص البارز الجدير بان يحظى باعتراف الكومنترن ولا النواة القيادية."

جاء كلام بان سونغ وى الذى حدد احد الاسباب الرئيسية لحل الحزب بانه الافتقار الى القائد والنواة القيادية ليشكل صدمة قوية لى، انا الذى طالما ارجعت السبب الاول فى ذلك الى النزاعات الفئوية. ان ما قاله بان سونغ وى من ان حل

الحزب الشيوعى الكورى كان امرا محتوما نظرا للافتقار الى زعيم مرموق يحظى باعتراف الكومنترن كان تحليلا واكتشافا معقولين بالنسبة لى.

وانتقلنا بعد ذلك لمناقشة قضايا عملية تتعلق بالثورة الكورية.

وهنا ذكر بان سونغ وى، على وجه الخصوص، ان من واجب الشيوعيين الكوريين ان يسعوا جاهدين الى تأسيس حزبهم من جديد مهما كلف الامر، وان ينهضوا من كبوتهم حتى لا يبقوا يديرون امورهم من الغرفة الجانبية لحزب بلد آخر نتيجة حل حزبهم ونزوح الغالبية الساحقة من اعضاء الحزب السابق الى بلدان اخرى.

"لا اقول هذا لاننى ثورى كورى، بل لانه لا بد للكوريين من ان يؤسسوا حزبهم الشيوعى مهما كلف الامر. اذا ارتضى الشيوعيون الكوريون حل الحزب الشيوعى الكورى باعتباره قضى على كل امكانية لاعادة بناء الحزب، فانهم يقدمون بذلك على الانتحار: فوجود حزب خاص بهم هو حق شرعى لا يمكن لاحد ان يتطاول عليه. اما العيش فى غرف الآخرين الجانبية، فيجب ان يكون امرا عابرا ومؤقتا وليس نهائيا باى حال من الاحوال، أليس كذلك؟"

كانت مطالبة بان سونغ وى بضرورة اعادة بناء الحزب على ايدى الشيوعيين الكوريين منسجمة كل الانسجام مع خطنا الخاص بتأسيس الحزب الذى اقررناه فى كارون.

فاستمديت قوة من كلمات بان سونغ وى تلك، وقلت له:

" الحق معك. ان لا يجهد الكورى نفسه لاعادة بناء الحزب لا يختلف فى شىء عن تخليه عن الثورة الكورية. فلا يجوز لنا ان نكون من اولئك الناس الذين يطلبون مرضاة الآخرين فى غرفة جانبية من بيوت اولئك الآخرين، ويقضون ايامهم على غير طائل. لذلك، طرحنا قبل ثلاث سنوات منهجا جديدا لتأسيس الحزب عن طريق انشاء المنظمات الحزبية القاعدية اولا والعمل على توسيعها وتقويتها، وشكلنا اول منظمة حزبية تحت اسم جمعية تلاحم الرفاق."

وشرحت له بالتفصيل الحيثيات التاريخية لانشاء اول منظمة حزبية والحوادث المختلفة التى جرت لى شخصيا اثناء تشكيلها وتوسيعها.

اصغى بان سونغ وى الى حديثى باهتمام بالغ، ثم عقب قائلا:

"يمكن تصنيفى كطوباوى، اما انت فرجل عملى دقيق، يا رفيق كيم. فمرحى لك والف مرحى! بيد انه كان من الخطر الجسيم، فى نظرى، ان يحفل تاريخ الحركة الشيوعية الكورية بما هب ودب من الزمر الفئوية. لذا، لا بد ان يخطو الخطوة الجديدة اناس شباب من غير طينة اولئك الاشخاص الملوثين بالنزاعات الفئوية. فمع بقاء الفئوية على حالها، يستحيل اى عمل. لقد تحول عدد غير يسير من الفئويين الى كلاب للاعداء اليابانيين. وحتى بين اولئك الذين لم يصبحوا كذلك ثمة عدد لا يستهان به ممن يتنازعون على الهيمنة ولا يفكرون فى صنع الثورة بعدما تشربت عقولهم بالعادات الفئوية حتى النخاع. ولكى نكافح هؤلاء، لا مناص لنا من شن نضال فعال ضد اليابان. ان تقوية الصفوف وتهيئة النواة الصلبة فى مجرى النضال هو بالتحديد، الرصيد اللازم لتأسيس الحزب."

كلام بان سونغ وى هذا جعلنى انفعل اشد الانفعال. لا حاجة للقول ان ذلك لم يكن كلاما غريبا اسمعه لاول مرة. فوجوب تأسيس الحزب على يد جيل جديد من الشباب الذين لم يتلوثوا بالفئوية كان منهجا رئيسيا اصرينا عليه من قبل.

فوطدت العزم اكثر فاكثر على تهيئة عناصر النواة من الكوريين وجمع شملها بغية تأسيس الحزب وتحقيق قضية تحرير الوطن العظمى، مهما كلف الامر.

كان من حسن حظى انى ناقشت مع بان سونغ وى مسألة الحركة الشيوعية العالمية و مسألة الكومنترن و مسألة بناء الحزب فى كوريا وتوصلنا معا الى اتفاق تام فى الآراء حولها.

وتلقائيا، انتقل موضوع حديثنا الى مسألة السوفييت التى كانت تستقطب اهتمام الجماهير فى تشينتاو. فى الحقيقة، كان ما يدور فى خلدى فى تلك اللحظة هو ان اسمع من بان سونغ وى وجهة نظره بصدد السلطة السوفييتية التى يدير لها الشعب ظهره ويبصق عليها ويزدريها.

سألته بشكل عابر: "ما هى انطباعاتك يا لاو فان، بعدما تجولت فى مناطق حرب العصابات فى زيارتك الاولى لتشينتاو؟" فمد يده وفك ازرار سترته بعصبية

وفتحها من غير ان يرد على سؤالى. ثم رفع صوته على حين غرة ليصارحنى بما تكون لديه من انطباعات عن مناطق حرب العصابات:

"اولا وقبل كل شيء، اود ان اعبر عن احترامى لابناء الشعب وسائر الثوريين فى تشينتاو الذين اقاموا على هذه الارض الجرداء عالما استثنائيا كمناطق حرب العصابات. وصحيح ان السكان فى تشينتاو عملوا الشيء الكثير وعانوا مشقة كبيرة، الا انه لا يسعنى الا ان اعبر عن بالغ الاسف لان عالما استثنائيا رائعا كهذا يجوبه شبح غير مقبول بالمرة."

" أتقول شبحا؟ ماذا تقصد بهذه العبارة؟"

هنا، تناول بان سونغ وى بعض التبغ من العلبة التى اهداها له العجوز لى تشى بايك وراح يلف سيجارة غليظة.

"اقصد بكلامى خط السوفييت اليسارى. ان اليسارية تهدم ذلك الصرح الذى بناه سكان تشينتاو بجهود شاقة. اننى لا استطيع ان افهم اطلاقا كيف امكن للشيوعيين فى تشينتاو الذين كانوا طليعيين عند انطلاق الثورة فى منشوريا ان يفقدوا رشدهم الى هذه الدرجة."

"الحقيقة اقول ان شعرى يكاد يشيب بسبب هذه اليسارية."

"لشد ما صار الناس جهلاء ... فعندما اتبادل الحديث معهم، اجدهم يجهلون كل شيء تقريبا عن السلطة السوفييتية فى روسيا. صحيح ان الرفيق تونغ تشانغ رونغ انسان حليم، خلوق ولديه خبرة غنية فى النضال، ولكن ... يا للهفوة الرهيبة التى ارتكبها! وليس مصادفة بعد ذلك ان تنهال على الكومنترن رسائل الشكوى. واعود لاقول انك قد عانيت الكثير دون شك خلال تلك الفترة."

وتطلع الى بنظرة ملؤها الشفقة والتعاطف، فقلت:

"معاناتى ليست مهمة مهما عظمت. لكن ألمى الكبير هو فى رؤية الشعب يعيش منغلقا على نفسه فى ظل التعسف اليسارى."

وبينما انا اتحدث كان بان سونغ وى ينفخ دخان سيجارته المرة تلو الاخرى بعصبية كما لو انه ينفس عن استيائه، ثم تابع يقول:

"ان ظهور خط انشاء الحكومة الثورية الشعبية الذى من شأنه ان ينتشل الثورة من الازمة، من مستنقع هذه اليسارية التى لا يرحب بها احد، ونيل هذا الخط تأييد الشعب فى مناطق حرب العصابات، هو امر يسعدنى حقا. وقد صارحت الرفيق تونغ تشانغ رونغ منذ لحظات بان الرفيق كيم قد وضع صيغة بارعة."

"هل تؤيد خط الحكومة الثورية الشعبية، اذن، يا رفيق بان؟"

"ولماذا اقول للرفيق تونغ تشانغ رونغ ما قلته لو لم اكن اؤيده؟ الرفيق تونغ تشانغ رونغ هو الآخر يؤيد خط انشاء الحكومة الثورية الشعبية. وقد بدا لى ان الرفيق تونغ تشانغ رونغ تأثر جدا بقولك ان الشىء الجيد هو الذى يحظى برضى الشعب. الآن يمكننا ان نعمل بشكل افضل ونحن مطمئنون."

وعلى حين غرة، امسك بان سونغ وى بيدى وشد عليها بقوة.

وهكذا، استطعنا ان نتأكد اخيرا من تأييد الكومنترن لخط انشاء الحكومة الثورية الشعبية.

واشار بان سونغ وى الى ان اضفاء الشرعية على جيش حرب العصابات عن طريق تشكيل المفرزة الخاصة وبناء العلاقات مع جيش الانقاذ الوطنى يعتبر من المآثر الجديرة بالثناء الخاص، وان من واجب الثوريين فى منشوريا الشرقية ان يصونوا هذه المآثر ويطوروها باستمرار فى المستقبل ايضا. واضاف ان خطنا الخاص بانشاء الحكومة الثورية الشعبية يتطابق من حيث الاساس مع خط انشاء السلطة الثورية الجماهيرية الذى تقدم به الحزب الصينى ثم شرح ذلك باقتضاب.

كان الخط المذكور يوضح الاستراتيجية بشأن مسألة منشوريا، وجوهرها هو تحويل الخط السابق، وكانت تلك الاستراتيجية تحمل اسم اللجنة المركزية للحزب الصينى شكليا، لكن الكومنترن هو الذى صاغها فى الواقع. لذا، يمكن القول، فى التحليل الاخير، ان ذلك الخط انما وضع تعبيرا عن ارادة الكومنترن.

ومما استرعى انتباهنا فى هذا الخط فكرة تنظيم لجنة الفلاحين كجهاز للسلطة فى المناطق الريفية، مهمتها تنسيق العلاقات بين الفلاحين وجيش حرب العصابات، ومد جيش حرب العصابات بالمؤن الغذائية فى الايام العادية، وتشكل مفارز الدفاع

الذاتى، بينما يتفرغ الحزب تماما لحشد طاقات الفلاحين الاجراء والفقراء ليكونوا القوة القيادية لتلك اللجنة، ويجمع شمل الفلاحين المتوسطين حولها.

وهذا يعنى ان الكومنترن قد ادرك لاعقلانية صيغة السوفييت اليسارية فى مجال السلطة، واعترف بضرورة استبدال ذلك الخط بآخر يقضى باقامة سلطة من طراز جديد، وتأكدت صحة خط الحكومة الثورية الشعبية الذى دعونا اليه.

الا ان بان سونغ وى كان متوترا وهو يلفظ كلمة لجنة الفلاحين. قال: صحيح ان لجنة الفلاحين هى جهاز انسب من السوفييت بالنسبة لواقع منطقة منشوريا، ولكن توجيه الاهتمام الاساسى الى الفلاحين الاجراء والفقراء يجعل من المتعذر جمع شمل اوسع الجماهير حولها، ولهذا فان الشكل الافضل والاكثر تقدمية هو الحكومة الثورية الشعبية المستندة الى الجبهة المتحدة التى تضم العمال والفلاحين والطلبة والمثقفين وغيرهم من الفئات الشعبية ذات الميول المناهضة لليابان. واضاف انه سيكتب وجهة نظره بشكل السلطة لكل من الكومنترن واللجنة الحزبية فى اقليم منشوريا.

"ما اهمية التسمية، سواء دعيت لجنة الفلاحين ام الحكومة الثورية الشعبية؟ المهم انتهاج سياسة تتفق ومتطلبات الشعب. وحسبنا ان نعتمد تسمية الحكومة الثورية الشعبية او لجنة الفلاحين تبعا للظروف فى كل منطقة."

قلت له ذلك لاهدئ خاطره، لكنه بقى غير مطمئن تماما.

"الحق معك فى نهاية المطاف. لكن اسم جهاز السلطة يجب ان يروق للشعب. ليس امامى سوى ان انقل المسألة الى الكومنترن."

ولا اعرف ان كان قد فعل ذلك فيما بعد.

وفى هذا السياق، تحول السوفييت الى حكومة ثورية شعبية او الى لجنة للفلاحين فى جميع مناطق حرب العصابات فى منشوريا الشرقية، وجيش حرب العصابات العمالى– الفلاحى اصبح يدعى جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان، وتحول الحرس الاحمر الى الحرس الدفاعى الذاتى المناهض لليابان.

كان ظهور بان سونغ وى بمثابة اعصار زعزع اركان النظام القديم فى مناطق

حرب العصابات. واستطاع الموقف المستقل من الثورة الذى ثابرنا على التمسك به منذ نشاطنا فى جيلين ان يحظى بالتأييد والتشجيع الدوليين، وتأكدت مرة اخرى صحة خطوطنا وتوجهاتنا.

ولكن هذا لا يعنى اننا كنا نوافق على كل ما يقوم به الكومنترن او ننقاد لاوامره وتعليماته بشكل اعمى. فبينما كنت احترم سلوك الكومنترن، تعاملت معه من موقف مستقل، وبوحى من مصالح الثورة الكورية والثورة العالمية.

وكان اكثر ما بدا لنا غائما وغير واضح فى استراتيجية الكومنترن وتصرفاته، هو نظرته واسلوبه فى التعامل مع كوريا والثورة الكورية كحلقة من حلقات الثورة العالمية.

فعندما انتقلت الاشتراكية فى روسيا من فكرة الى واقع بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية، واجهت الشيوعيين فى العالم كله مهمة مقدسة، تتمثل فى صون مكاسب ثورة اكتوبر وتوسيع نجاحاتها على نطاق عالمى.

واستجابة لمطلب العصر هذا، نظم لينين الاممية الثالثة فى عام ١٩١٩. وكانت رسالتها التاريخية هى تنظيم وتطوير النضال التحررى للطبقات العاملة والامم المضطهدة فى العالم كله من اجل وضع حد لاضطهاد الامبريالية وتحطيم قيود رأس المال. لقد كانت مهمة كفاحية تختلف عن دور الامميتين الاولى والثانية وتستجيب لمتطلبات العصر الجديد.

كان صون الاتحاد السوفييتى والدفاع عنه هو المهمة الملحة التى تستأثر بالأهمية الكبرى فى نشاطات تلك الاممية. وكان الدفاع عن الموقع الاشتراكى الظافر يبدو مرتبطا بتوسيع قضية الاشتراكية، وبغير ذلك كان من المستحيل توسيع منجزات ثورة اكتوبر وتطويرها على نطاق عالمى. فكان من الطبيعى ان يغدو الدفاع عن الاتحاد السوفييتى شعارا امميا للشيوعيين وان يصبح تطبيق هذا الشعار احد المضامين الهامة للحركة الشيوعية العالمية.

غير ان هذه العلاقة التى اقتضاها التاريخ فى ذلك الحين كحاجة ماسة وحيوية، حولت المياه، ويا للاسف، الى طاحونة العناصر المعادية للشيوعية والمنظرين الرجعيين البورجوازيين الذين راحوا يعتبرون الاحزاب الشيوعية التى تعمل بتوجيهات الكومنترن

"عميلة للاتحاد السوفييتى" او "زمر خائنة ومتنكرة لمصالح امتها".

فكان على الشيوعيين فى مختلف البلدان ان يستخلصوا من ذلك الدروس والعبر، ويربطوا ربطا صحيحا ما بين مهامهم الاممية ومهامهم القومية. وكان على الكومنترن ايضا ان يهتم كثيرا بهذه المسألة . فلو اراد ان يضطلع برسالته على خير وجه، لكان عليه ان يدافع عن الحركة الشيوعية فى البلدان الاخرى، ولا سيما مصالح الشعوب فى الدول الضعيفة المستعمرة التى تئن تحت وطأة الاضطهاد الامبريالى وان يعضد نضالها الثورى باخلاص، وان يركز الجهود فى الوقت نفسه للدفاع عن القاعدة الاشتراكية المنتصرة.

الا ان الكومنترن لم يكترث بهذه المطالب. فبعض الكوادر فى الكومنترن استهانوا بمسألة الثورة فى البلدان الصغيرة او عالجوها كيفما اتفق، فيما هم يرفعون عقيرتهم بالحديث الصاخب عن الحركة الثورية فى البلدان الكبيرة. لقد اتخذوا، فيما ارى، مواقف وممارسات تختلف فى معاملة الثورة من بلد الى آخر، وذلك حسب امكانية اسهامه فى بناء حصن دولى دفاعا عن الاتحاد السوفييتى.

وقد روج بعض الكوادر والمنظرين ممن كانوا يشغلون مناصب هامة فى الكومنترن الفكرة القائلة بان انتصار الحركة الثورية فى بلد كبير يعقبه تلقائيا انتصار النضال الثورى او حركة الاستقلال فى البلدان الصغيرة المجاورة له. وعلى سبيل المجاز، يمكن القول عن تلك النظرية انها اشبه ما تكون "بفانغدويسوك"، اى: "حين ينضج الرأس يتلوه نضج الاذن تلقائيا".

وقد ولدت هذه النظرية النزعة التبعية بين شيوعيى البلدان الصغيرة والتى تمثلت فى تطلعهم الى البلدان الكبيرة وتخليهم عن الموقف المستقل القائل بان الذات الفاعلة للثورة هى قوتهم الذاتية وقوة شعوبهم؛ كما تمخض عنها الميل لدى الشيوعيين فى البلدان الكبيرة الى العنجهية المتمثلة فى الاستهانة بشيوعيى البلدان الصغيرة وردعهم عن ممارسة النشاطات المستقلة.

ولم يكن من قبيل الصدفة ان اخذت تهتز ثقة الثوريين فى مختلف البلدان ويفتر اخلاصهم للكومنترن والحركة الشيوعية العالمية، وهم الذين كانوا يخوضون غمار

الكفاح، مستمدين من الحدث العظيم – ولادة الدولة الاشتراكية وتأسيس الكومنترن– قوة كبيرة، ومتطلعين اليهما كمثل اعلى ومنارة امل لهم.

فى اعقاب انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية وتأسيس الكومنترن، اجتاحت العالم كله موجة ترحيب وتعاطف مع التيار الفكرى الشيوعى بقوة لا سابق لها.

واتسعت صفوف انصار الشيوعية بين الشخصيات الشهيرة فى مختلف بلدان العالم بسرعة فائقة. فبذل عدد غير قليل من رواد العصر، الذين رأوا فى الشيوعية المستقبل الوحيد للبشرية، كل ما لديهم من اجل اقامة اتصالات مع الجمهورية السوفييتية الفتية او مع الكومنترن وتلقى الدعم منهما، متسامين فوق الانتماءات والمعتقدات الدينية.

وخرج من بين القوميين فى بلادنا ايضا عدد كبير من المؤمنين بالشيوعية والمؤيدين لها والمتعاطفين معها. وكان من بين هؤلاء شخصيات ذات نفوذ فى الاوساط الدينية، المسيحية والتشوندوية وغيرهما. وخير مثال على ذلك هو القس هيون سون، الرئيس الثالث لكنيسة زونغدونغ الميثوديستية فى سيؤول، الذى حضر مؤتمر ممثلى شعوب الشرق الاقصى فى موسكو فى كانون الثانى عام ١٩٢٢، كممثل لجمعية المسيحيين الكوريين.

هيون سون قس مشهور فى بلادنا، وقد كان احد الذين اختيروا لتشكيل حكومة شنغهاى المؤقتة عند انشائها. وتفيد المعلومات التى حصل عليها رفاقنا قبل عدة سنوات من ارشيف الكومنترن فى الاتحاد السوفييتى انه حضر ذلك المؤتمر ومعه ورقة تفويض ممهورة بخاتم كيم بيونغ زو، احد واضعى اعلان اول آذار الاستقلالى، علاوة على اختام القساوسة زو سانغ سوب، سون زونغ دو، كيم اين زون وسونغ بيونغ زو. وكتب هيون سون فى الاستمارة التى وضعها قسم كوريو بالحزب الشيوعى الروسى موضحا انه ارتبط فى وقت مبكر بالحزب الشيوعى فى شنغهاى، ومكث فى روسيا ثلاثة اسابيع خلال شهر ايلول من عام ١٩١٩. واكتشف رفاقنا وثيقة جديدة جاء فيها بخط يده " اسعى الى استقلال كوريا وآمل فى ممارسة الشيوعية" وذلك جوابا على سؤال "الاهداف والآمال" الوارد فى الاستمارة.

بالطبع، لا اعرف جيدا كم كان عميقا فهمه للتيار الفكرى الجديد، اعنى الشيوعية، ومدى تعاطفه فكريا معه. ولكن يبدو لى انه كان يعلق آمالا كبيرة على وجود الكومنترن.

ولى دونغ هوى، اول رئيس لمجلس وزراء حكومة شنغهاى المؤقتة، كان هو الآخر على صلة بالحركة الشيوعية. فمن المعروف جيدا انه اوفد الى موسكو لتقديم تقرير الى الكومنترن عن نتائج المؤتمر المشترك لمندوبى حزب كوريو الشيوعى بصفته ممثلا له.

وسعت قوى التجديد فى ديانة تشوندو، هى الاخرى، للبحث عن سبل التعاون مع الكومنترن.

فقد عمل تشاى دونغ هى، حفيد تشاى زاى وو، بطريرك ديانة تشوندو الاول وابن تشاى سى هيونغ بطريركها الثانى، عمل بكل نشاط للتفاوض مع الكومنترن. وقد زار بنفسه فلاديفوستوك، المدينة الروسية، بوصفه رئيس لجنة الشؤون الخارجية فى لجنة الطوارئ الثورية العليا لديانة تشوندو، وكذلك بصفته ممثلا لقوى التجديد فى ديانة تشوندو. وقد بعث الى كاداياما شين وانغلسون ومختلف مسؤولى شؤون مكتب الشرق فى الكومنترن برسالة اكد فيها على ان الروابط المتينة ما بين "ديانة تشوندو، الخادم المخلص لجماهير الشعب المعدمة والبائسة" و"الكومنترن، طليعة الطبقة العاملة" تكفل النجاح المطلق لثورة الشرق، متوسلا اليهم ان يؤيدوا حركة استقلال كوريا ويمدوها بالمساعدة الضرورية.

بل ان تشاى دونغ هى بعث برسالة الى تشيتشيرين، مفوض الشعب للشؤون الخارجية فى الاتحاد السوفييتى فى ذلك الحين، التمس منه فيها مده بالبنادق والمدافع والمتفجرات والذخائر واعتدة الخيالة ووسائط النقل وما اليها لمدة سنتين على الاقل، ليتمكن من تشكيل جيش كوريو الثورى الوطنى من ١٥ لواء مختلطا. ان محاولة قوى التجديد فى ديانة تشوندو خوض حركة الاستقلال باسلوب جديد حتى وان تعرضت للكراهية والاستنكار من جانب القوى المحافظة، كانت موضع ثناء الامة جمعاء. الا ان مطالب قوى التجديد هذه لم تلب لا من قبل الاتحاد السوفييتى ولا الكومنترن.

كما تباحث مونغ يانغ – ريو وون هيونغ – ايضا مع لينين بصدد قضية استقلال كوريا فى موسكو عام ١٩١٩.

ولعل احدا فى العالم لن يصدق ان سينغمان رى، العدو اللدود للشيوعية، سبق وأيد فى وقت من الاوقات روسيا السوفييتية. ولكن ذلك صحيح على ما أرى. فثمة معلومات عن انه ذهب ذات يوم الى موسكو ليطلب منها مبالغ طائلة على سبيل الدعم وحين لم تستجب موسكو الى طلبه، ادار ظهره للاتحاد السوفييتى وللحركة الشيوعية وانتهج سياسة متطرفة فى الولاء للولايات المتحدة الامريكية.

يبدو ان البلد المسمى كوريا الذى لا تكاد مساحته تتعدى واحدا بالمئة من اراضى الاتحاد السوفييتى الشاسعة، والذى لا توجد فيه الا الاكواخ الصغيرة المبعثرة والمسقوفة بالقش والحمير المهزولة، كان، فى الواقع، حقيرا وتافها للغاية فى نظر كوادر الكومنترن. والحقيقة ان موقفهم هذا من كوريا لم يتبدل كثيرا حتى بعد ان خضنا الكفاح المسلح ضد اليابان فى منطقة منشوريا.

ومما اسفت له حقا هو ان الكومنترن كان يستهين على هذا النحو بمصير شعوب البلدان الصغيرة ونضال التحرر الوطنى الذى يخوضه الشيوعيون فى البلدان الصغيرة. ومن نافلة القول ان هذا الاحتقار والفتور فى المعاملة هو الذى جعلنا نعقد العزم الثابت على اقامة زوتشيه فى الثورة وعلى تحقيق التحرر الوطنى بقوانا الذاتية مهما كان الثمن.

وكان اشد ما يحز فى نفسى هو اننى لم اكن قادرا على معارضة تصرفات الكومنترن ومواقفه او تقويمها، رغم اننى اعتبرها غير لائقة؛ ولم يكن فى استطاعتى ردع الكومنترن عن طريقة تنظيمه للعمل واسلوبه البيروقراطى فيه، رغم علمى بان ذلك قد يؤدى الى هلاك الثورة الكورية ويقف حجر عثرة فى وجه تطويرها المستقل.

كان ما رغبنا فيه، نحن شيوعيى الجيل الجديد، بالحاح هو ان يفهم الكومنترن هذه اللوعة التى كانت تعتمل فى صدورنا، ويتخذ خطوات متسقة مع مشيئتنا وتصميمنا الثابت على القيام بالثورة بالطرق المستقلة.

وقد اسعدنا حقا مجيء بان سونغ وى الى منشوريا الشرقية فى الوقت الذى كنا نواجه فيه معضلات معقدة لا بد من حلها سريعا من اجل الممارسة الثورية. ومما لا شك فيه ان لقائى ببان سونغ وى كان حدثا ذا اهمية فائقة فى حياتى، فوجود اناس يفهموننا ويؤيدوننا فى الكومنترن هو امر طيب. وقد ترك فى نفسى، بشكل خاص، انطباعا لا يمحى حينما قال لى انه يجب اعادة بناء صفوف الحركة الشيوعية الكورية وانشاء حزب للكوريين من العناصر الطليعية التى لم تتلوث بالفئوية. فقد جعلتنى تلك النصائح التى اسداها الى فى ذلك الحين أتمسك بزوتشيه فى التفكير والتطبيق بصورة اشد من ذى قبل. ولو لا التأثير والالهام الرفاقى اللذين اسداهما بان سونغ وى الينا آنذاك، لما استطعنا ان نخوض نضالنا العنيد دفاعا عن الامة الكورية وزوتشية ثورتنا فى تلك الفترة التى كان يجرى فيها نضال رهيب ضد "مينساينغدان".

فى حين كان باك سو سيم معلما ارشدنى الى " رأس المال"، وشانغ وى معلما اعطانى دروسا عن رواية "هونغلومينغ"، كان بان سونغ وى مناصرا، ملهما، ومتعاطفا صادقا وطد قناعتى بانه يجب على الكورى ان لا ينسى كوريا ابدا.

ربما لم اشهد فى تاريخ حياتى ابان الثورة المناهضة لليابان مجادلة اكثر جدية وحماسة واستفاضة من تلك التى اجريتها مع بان سونغ وى حول مستقبل الثورة الكورية و مسألة خطها. لقد كان منظرا نادرا ذا نظرة خاصة الى الثورة. ولو ظل على قيد الحياة وعمل معنا حينما انطلقنا الى منطقة جبل بايكدو ضمن وحدة كبيرة فى النصف الثانى من الثلاثينات، لاسهم بقسط كبير، نظريا وتطبيقيا، فى حل المشاكل المعقدة التى واجهت الثورة الكورية.

ان اللقاء مع بان سونغ وى، اتاح لى ان ادرك بوضوح تام ان النضال الثورى يحتاج الى الممارسة والنظرية على السواء لتوجيه نشاطاته وقيادتها.

ومنذ حديثى الذى لا ينسى معه فى سياووانغتشينغ اصبحنا، خلال عشرة ايام، صديقين ورفيقين حميمين وكأننا نعرف بعضنا منذ عشر سنوات. واذا كان هذا الشعور قد نشأ فيما بيننا رغم فارق السن الذى يزيد على عشرين عاما، فان ذلك لم

يكن لدوافع مادية او مصلحية. اذا كنا قد استطعنا ان نقيم تلك العلاقة الاخوية الحارة كحرارة الشمس، فان السبب فى ذلك هو رغبتنا المشتركة فى تحرير كوريا وانعتاقها وتماثل اسلوب التفكير المستقل لدينا والنزوع الى حل كل المسائل حسب قناعاتنا وبالطرق المستقلة.

ان عمق المودة الرفاقية لا يقرره المدى الزمنى او الكلام المسهب. المسألة مرهونة بما يتخذه المرء من موقف وسلوك تجاه الانسان ومصيره، وتجاه امته ومصيرها. ان تماثل الموقف والسلوك او تباينهما هو ما يفضى الى اذكاء المودة الرفاقية او الى اخمادها. حب الانسان، حب الشعب، حب الوطن... هذه كلها هى المحك الذى يقرر المودة الرفاقية.

عندما غادر بان سونغ وى سياووانغتشينغ، رافقته على صهوة الحصان الى حدود هونتشون مودعا. ولما كان يعرج قليلا عند المشى، فقد اوصيت له بحصان.

وفيما نحن على صهوات الجياد، لم نتوقف عن الحديث. وكذلك خلال اليومين اللذين مكثناهما فى شيليبينغ، تبادلنا الآراء حول مسائل عديدة، ومنها مسألة الحركة الشيوعية العالمية و مسألة العلاقات مع الحزب الصينى ولا سيما المسائل الراهنة للثورة الكورية ومستقبلها، وفى اثناء ذلك اخذنا على انفسنا تعهدات راسخة.

ان ما دار بيننا من احاديث آنذاك يكفى لتأليف رواية كاملة. كانت توجد فى قرية شيليبينغ مدرسة للضباط يديرها لى بوم سوك، وهى القرية نفسها التى هاجرت اليها اسرة او زونغ هوا واقامت فيها.

وقد ذهب بان سونغ وى يومها الى حد التحدث عن اسرار حياته العائلية. كانت لديه زوجة فتية لا يكاد عمرها يصل الى نصف عمره. ولا استطيع ان اتذكر اسمها بوضوح، لعله او يونغ اوك او او بونغ اوك.

سألت بان سونغ وى عن سبب زواجه بعد ان تجاوز الاربعين من عمره.

"اوه، ما من داع الى هذا السؤال. لقد كانت تنقصنى مواصفات العريس الجيد، ولهذا لم تعرنى الفتيات اهتماما عند لقائهن بى. ثم من هى تلك الفتاة المستعدة لان تحب رجلا اعرج؟ لولا قرينتى (او) لكنت هرمت دون ان اعرف الحياة الزوجية."

قال بان سونغ وى ذلك ضاحكا. على اية حال، بدا لى انه لم يخرج الى الدنيا الا لكى يزدرى نفسه.

فشعرت بتعاطف عميق مع بان سونغ وى لزواجه المتأخر.

"اصابت قرينتك (او) فى اختيار الانسان الانسان. سمعت بانها فى غاية الجمال. واظنك سعيدا جدا حتى وان جاء زواجكما متأخرا."

"متعة الحياة تفوق تصورى. لكن الغريب فى الامر انها هى التى صارحتنى بالحب. على كل، للحب المتأخر نكهة خاصة."

"سمعت ان جميع السكان فى منشوريا الشمالية يغبطونكما على حياتكما."

"انما... ارجوك، ارجوك يا رفيق كيم الا تتأخر فى الزواج مثلى، ولو من باب الحفاظ على كرامة الرجال."

"لست متأكدا مما اذا كنت سأتزوج متأخرا ام لا. فذلك امر لا يخضع لارادتى."

تبادلنا هذا المزاح ونحن جالسان على العشب فى شيليبينغ. وكنا نضحك من اعماقنا، مما زاد من عمق صداقتنا.

احس بان سونغ وى بأسف شديد للافتراق عنى، قائلا انه تعلق بوانغتشينغ خلال تلك المدة القصيرة. كان عليه ان يذهب الى هونتشون وهيلونغ.

"اعتقد ان انطباعاتى عن الرفيق كيم ستبقى حية فى ذاكرتى طول حياتى. لقد سرنى غاية السرور انى تعرفت اليك ايها الرفيق كيم إيل سونغ فى وانغتشينغ."

هذا ما قاله بان سونغ وى وهو يشد على يدى والدموع تترقرق فى عينيه عند عبوره الحدود ما بين هونتشون ووانغتشينغ.

"لدى نفس الاحساس يا رفيق بان. لقد كان من حسن طالعى ان التقى بك. بصراحة اقول لك انى غير راغب فى فراقك."

"وانا ايضا غير راغب فى فراقك. اود ان انتقل مع زوجتى الى ارض منشوريا الشرقية لكى اعمل معك يدا بيد بعد فراغى من هذه المأمورية. اننى هرم الى حد ما، وملوث... فكن (هو شى مينه) كوريا، ارجوك."

قال بان سونغ وى ذلك وغادر ارض وانغتشينغ. وبعدما مشى قليلا استدار

ورفع قبضته محييا مثلما فعل عندما قابلنى اول مرة. فأحسست وكأننى امضيت زمنا طويلا معه. فكل تقاطيعه وملامحه، وكل تعابيره كانت تجعلنى اشعر بانه شخص مألوف لدى منذ زمن بعيد.

"لقد تعرفت عليه قبل وقت قصير، فلماذا يسبب لى فراقه كل هذا الالم والحزن؟" كان ذلك هو الاحساس الذى طغى على مشاعرى عندما التفت وتطلع نحوى. وبالرغم من انه رسم ابتسامة على وجه، الا اننى كنت اعرف ان احساسا بالكآبة والحزن يسيطر عليه. لقد كان فى تلك الابتسامة شىء يقلقنى. وربما كنت سأشعر براحة اكبر لو انه لم يبتسم. ومضى بعد ذلك على وعد ان يعود. ولكنه للاسف الشديد لقى مصرعه فى هونتشون.

لقد قتله باك دو نام، المفوض السياسى لاحدى كتائب جيش حرب العصابات فى هونتشون. كان بان سونغ وى قد انتقده بشدة فى الاجتماع الموسع للجنة الحزبية فى محافظة هونتشون، المخصص لمناقشة مسألة تبديل الخط. وطرد باك من منصب المفوض السياسى باعتباره الرأس المدبر للنزاعات الفئوية. وحين وصل خبر مصرعه الى وانغتشينغ، انفجر سخط السكان هناك كالبركان ولعل اشد ما اثار حنقهم المعلومات القائلة انه فيما كان الجنود المكلفون بحراسته يتفحصون بندقية من طراز ٣٨، غنموها فى القتال، فى فناء مسكنه حيث كان منكبا على الكتابة، اطلق باك دو نام الرصاص عليه بتلك البندقية.

عندما سمعت بالخبر المفجع، دخلت الغرفة البرانية من منزل العجوز لى تشى بايك، حيث تحادثت واياه حول شؤون الثورة والحياة الانسانية، فاغلقت الباب وقضيت سحابة ذلك النهار فى البكاء على ذكرى ذلك الاخ الفقيد.

٥ـ جوادى الابيض

لم يكن فى نيتى ان اطلع القراء على هذه الحادثة العرضية. ففى هذا الاستحضار التفصيلى لثمانين سنة من حياتى، لا قيمة للاهتمام بجواد، فى الوقت الذى اختزن فى ذاكرتى اخبار ابطال ومحققى مآثر لا حصر لهم واحداثا كثيرة جديرة بأن تروى.

بيد ان ذكرياتى عن ذلك الجواد الابيض حميمة جدا ولدى دافع قوى لعرضها وعدم تركها للنسيان. خصوصا وان ذلك الجواد مرتبط بروابط لا تنفصم مع عدد كبير من الاشخاص الذين لا يمكننى نسيانهم ابدا. ولسوف اشعر بالاسف اذا ما بقيت قصص اولئك الناس طى النسيان.

فى ربيع عام ١٩٣٣، حصلت لاول مرة فى حياتى على جواد.

فذات يوم، زارنى موظف من الحكومة الشعبية الثورية فى شيليبينغ مع عدد من رجال جيش حرب العصابات المرابط فى تلك المنطقة وهو يسوق جوادا ابيض. كان مقر قيادة كتيبة وانغتشينغ آنذاك فى وادى ليشوكو الواقع فى ماتشون بسياووانغتشينغ. وقد كان الموكب اكبر بكثير مما تتطلبه مرافقة جواد فقط. ربط القادمون الجواد فى فناء مقر القيادة ودعونى للخروج.

وقد بادرنى الموظف بالنيابة عن الجماعة قائلا:

"نرجوكم، ايها القائد كيم، ان تقبلوا هذا الجواد هدية منا، لقد حصلنا عليه من اجلكم لانكم تقطعون مسافات طويلة على قدميكم فى الدروب الوعرة."

وقفت امامهم، وقد اعترتنى الحيرة ازاء ظهور هذا الوفد المفاجئ الذى يعاملنى بكياسة وحفاوة كأنه يقيم احتفالا كبيرا. اضف الى ذلك، ان حجم المرافقين الذى كان

يزيد بكثير على قوام حضيرة كاملة اثار دهشتى منذ البداية.

"اشكركم، ولكن حفاوتكم هذه تتعدى الحد فى اعتقادى. ان امتطائى جوادا ابيض وانا لم اتجاوز الا قليلا العشرين من عمرى سيكون ترفا لا استحقه."

هكذا عبرت عن اعتذارى. فاذا بذلك الموظف المتقدم فى السن يقفز مجفلا:

"أتقولون ان فى هذا مبالغة؟ ألا تعلمون ان الاوغاد اليابانيين، حتى وان كانوا مجرد قادة كتائب، يختالون على صهوات الخيل. فلماذا يكون قادة جيش حرب العصابات عندنا ادنى من اولئك الاوغاد؟ هذا غير معقول. قرأت فى الحكايات القديمة ان كواك زاى وو الجنرال ذا الزى الاحمر، قاد هو الآخر جيش المتطوعين الفاضلين من على صهوة حصان. اذا كان المرء قائدا، فيجب ان يتحلى بالهيبة اولا وقبل كل شىء."

"ومن اين اتيتم بهذا الجواد؟ أليس من دواب الجر التى تستعملها الاسر الفلاحية؟"

فانكر الموظف نفسه ذلك ملوحا بكلتا يديه:

"كلا،... وكيف يمكن ان يكون مثل هذا الجواد من دواب الجر؟ انه حصان اصيل. ألا تذكرون ذلك العجوز الذى كان يعمل خادما ثم انتخب قبل فترة وجيزة عضوا فى حكومة شيليبينغ؟"

"اجل، اننى اذكره جيدا. ألم ألق كلمة تأييد له؟"

"هذا الجواد هدية من ذلك العجوز الى القائد كيم."

"لا يمكننى اصدقك. كيف تأتى له ان يملك جوادا رائعا كهذا؟"

ابديت شكوكى تلك وانا اتأمل الجواد الابيض، والسرج الذى على ظهره والركاب، ورحت أمر بيدى على الحيوان. وكلما تمعنت به اكثر كانت قناعتى تزداد بانه من الخيول التى تستعمل كدواب جر. فقد كان من الصعب ان اصدق ان فلاحا فى واد ناء مثل شيليبينغ يربى جوادا للترف. وخاصة، عندما اتذكر ان ذلك العجوز كان خادما لاحد الاقطاعيين، فان امر تربيته جوادا رائعا كذاك الجواد الابيض يغدو امرا غير معقول بالمرة.

الا ان الموظف فى حكومة شيليبينغ اصر بعناد على انه ليس حيوان جر. خيل الى انه قلق من ان ارفض الجواد واعيده الى صاحبه اذا ما اقر بانه من دواب الجر.

يكاد اسم العجوز الذى اهدانى ذلك الجواد الابيض يغيب عن بالى الآن. ولكننى اتذكر ولو بصورة باهتة اسمه العائلى، كان يدعى باك.

وكان لذلك الجواد الابيض الذى اهدانى اياه العجوز باك قصة مثيرة وجديرة بأن تروى.

بدأ كل شىء يوم غادر باك بيت الاقطاعى بعد انتهاء مدة خدمته له. فحين اصبح هرما لا يصلح للخدمة، فصله الاقطاعى من العمل عنده، واعطاه كتعويض عن سنوات خدمته مهرا ابيض كان قد ولد قبل عدة اشهر فقط فى اسطبل خيوله. وبعد ولادته مباشرة، وقعت الفرس الام على ذلك المهر مما جعله عاجزا عن الحركة، فصار يقضى ايامه كئيبا فى الاسطبل بدلا من الركض طليقا فى البرارى، مما سبب له الضعف وسوء تغذيته.

وبالرغم من ان مالك الاراضى البخيل اعطاه مهرا سقيما يمكن ان يموت بين يوم وآخر، الا انه كان يتصرف كما لو انه يمن عليه منة كبرى.

حمل العجوز باك المهر المريض بين ذراعيه وعاد به الى كوخه وهو يذرف دموع الاسى والحزن، مفكرا بمدى بؤس الناس، لانه كان قد خدم الاقطاعى عشرات السنوات، عمل خلالها فى اقسى الاعمال واكثرها مشقة، وها هو ذا يتلقى مهرا يحتضر مقابل ذلك كله. لقد بدت له حياته خاوية وغير مجدية.

مهما يكن من امر، فان العجوز باك الذى كان يعيش وحيدا، لا قريب له، احب ذلك المهر واحاطه بعناية حانية وكأنه درة نفيسة. فكبر المهر تحت تلك الرعاية وصار جوادا رائعا. وكلما احس العجوز بكآبة الوحدة، كان يذهب الى الحصان ويحدثه عن احزانه ومعاناته وشكواه. فقد كان المهر بالنسبة له ابنا عزيزا وابنة عزيزة وصديقا حميما.

ولانه كان موضع احتقار طوال حياته، فان العجوز باك كان يتقبل سوء المعاملة، مهما كان نوعها او مصدرها؛ ويرى انها امر طبيعى، وكان يعتبر انه لا

فرق بينه وبين حصان او ثور او اى حيوان آخر من دواب الحراثة. اما اذا عامله احدهم معاملة انسانية، فانه يشعر بالانقباض والحرج.

وقد انتخب ذلك العجوز بالذات لعضوية حكومة منطقة حرب العصابات فى شيليبينغ. ولعلكم تتصورون بسهولة مدى تأثره وكم ذرف من الدموع حتى دون ان استرسل فى ذكر التفاصيل.

وتعبيرا عن مشاعره تلك، اقتاد العجوز الجواد الابيض بصمت الى فناء مبنى الحكومة فى مساء ذلك اليوم، وقال لرئيس الحكومة الشعبية الثورية:

"ايها السيد الرئيس، ارجو منك ان تسلم هذا الجواد الابيض الى القائد كيم إيل سونغ بالنيابة عنى. فبفضل القائد، نعمت اليوم بمعاملة انسانية لاول مرة فى حياتى. ولكى اعبر عن فائق عرفانى وامتنانى له اقدم اليه هذا الجواد الحبيب الذى ربيته على مدى سنوات، وارجوك ان تنقل له مشاعرى جيدا."

عندما سمعت ذلك، شعرت بالحرج اذ وجدت نفسى فى وضع لا يمكننى معه ان امتنع عن قبول الجواد الابيض.

فتناولت من يد موظف الحكومة فى شيليبينغ لجام الجواد وانا اجول بعينى على مرافقيه وقلت لهم:

"اخبروا العجوز اننى كنت اريد رفض الهدية فى اول الامر، ولكننى قررت قبولها شاكرا بعد ان سمعت قصته المؤثرة. ولكن، كان يكفى ان يأتى واحد منكم بالجواد. فما الداعى الى مجيئكم جميعا هكذا؟"

فأجاب الموظف على استفسارى بنبرة جادة:

"اننا ممثلون لرجال الجيش وابناء الشعب الذين يرغبون فى رؤية القائد كيم يمتطى صهوة الجواد ولو مرة واحدة. فتفضلوا، ايها القائد، بركوب الجواد!"

وحتى جنود السرية الثانية انضموا اليه فى التوسل لكى امتطى صهوة الجواد. ولم يرجعوا الى شيليبينغ راضين الا بعد ان رأونى راكبا الجواد.

على الرغم من ان اخلاص العجوز باك واجلاله لى كانا مثار امتنانى الى حد لا يوصف، غير اننى امتنعت عن ركوب ذلك الجواد حتى بعد مرور عدة ايام على

ذلك. فقد ساورنى القلق من ان ينفر ابناء الشعب منى اذا رأونى امتع نفسى على ظهر الجواد، وخشيت ان يترك ذلك لدى الجنود انطباعا سيئا عن القادة.

فسلمت الجواد الى لى وونغ مان، العامل فى ورشة السلاح، الذى انتسب الى جيش حرب العصابات لقاء صندوق مسدسات براونينغ كان قد اشتراه. لقد كان رجلا جسورا وجريئا جدا، ولكنه كان قد فقد احدى ساقيه بعد اصابته برصاصة. ومن اجرى له عملية البتر هو زانغ وون فو طبيب مستشفى منطقة حرب العصابات القائم قرب ثكنة الكتيبة فى سياوليشوكو. وكان الطبيب الوحيد فى سياووانغتشينغ، فكان عليه ان يداوى كل شيء، سواء الامراض الباطنية، او اجراء العمليات الجراحية.

فى ذلك الوقت، كانت رابطة المساعدة تدير مستشفى منطقة حرب العصابات، وكان رئيس الحكومة الشعبية الثورية يتولى مسؤولية توقيع اوراق ايفاد المرضى الى المستشفى. وكانت تلك الرابطة تنوب مناب مجلس الاطباء وتتخذ قرار اجراء العمليات الجراحية للمصابين فى عظامه اثناء القتال على وتيرة واحدة. وكانت تجد نفسها مضطرة الى اتخاذ قرارات متطرفة من جراء نقص الادوية الطبية والوسائل العلاجية الخاصة.

اتخذ زانغ وون فو مبضعا من زنبرك ساعة وبتر به ساق لى وونغ مان. وهكذا اصبح لى وونغ مان مقعدا لا يمكنه المشاركة فى عمليات جيش حرب العصابات. وبعد خروجه من المستشفى، مكث مدة من الزمن فى بيت ريانغ سونغ ريونغ القريب من المستشفى، حيث كانت والدة ريانغ تقوم على تمريضه.

لقد كان الجواد الذى قدمته اليه مفيدا جدا، اذ اصبح متفائلا فى حياته وكفوءا فى عمله فى ورشة السلاح.

وبعد مدة وجيزة، سنحت لى الفرصة للحصول على جواد ابيض ثان، وكان جوادا غنمته وحدتنا من احدى وحدات الجيش اليابانى فى معركة داهوانغكو. سمعت ان بعض المناضلين يتذكرون اننا غنمناه فى معركة جوانجياولو، ولكن ليس لدى ما يحملنى على نفى ذلك. فالمكان الذى غنمناه فيه ليس مهما، الشيء المهم هو اننا حصلنا على جواد كان يمتطيه ضابط من الجيش اليابانى، وان ذلك الجواد كان جوادا عسكريا لا غبار عليه يسترعى انتباه الجميع.

نصبنا فى تلك المعركة كمينا، وكان الضابط اليابانى، صاحب ذلك الجواد، عاثر الحظ، اذ كان اول هدف لنا، فخر صريعا على الارض من فوق صهوة جواده. عندئذ وقع امر عجيب حقا. فبعد ان فقد الجواد صاحبه، ركض مباشرة نحو مقر قيادتنا عند سفح الجبل بدلا من ان يهرب باتجاه مواقع العدو.

حين ظهر الجواد الابيض امام مقر القيادة، سارع زو وال نام، جندى الاتصال، الى طرده بالحاح نحو الطريق العام خشية ان يكون مقر القيادة مستهدفا من قبل العدو. فرمى الجواد بقطع من جذور الاشجار وبأغلفة الطلقات الفارغة، لكن الجواد ابى ان يتجه نحو اصحابه، وانما كان يعود الينا فى كل مرة. وفى النهاية، وقف امامنا وكأنه تسمر بالارض.

فأنبت زو وال نام:

"لماذا تطرد الحيوان اذا كان لا يرغب فى العودة من حيث جاء؟ ليست هذه بضيافة تليق بنا."

ثم داعبت ناصية الجواد برفق هنيهة.

واذا بجندى الاتصال يغطينى بجسمه ويطلق صرخة رعب:

"كيف تقف هكذا مكشوفا بينما اهتمام العدو موجه الى مقر القيادة؟"

" ها، ها، العدو؟ ! وكيف للعدو ان يميز مقر القيادة فيما هو يسابق الريح موليا الادبار؟"

وطبعا، بقى الجواد غنيمة لدى جيش حرب العصابات.

ومنذ البداية، حاول الجنود اضفاء هالة من الغيبية على جنوح الجواد الى طرفنا بعد ان كان يخدم ضابطا يابانيا.

"هذا الحيوان يميز الكوريين من اليابانيين. وحالما فطن الى اننا كوريون، لم يتورع عن التمرد على العدو."

قال الجنود ذلك بعدما عرفوا انه مولود فى كيونغوون (سايبيول اليوم) من خلال الصفيحة المعدنية المعلقة فى عنقه.

ولكن آخرين فسروا الدافع لتمرد الجواد على نحو ادعى للتصديق:

" يبدو ان الضابط اليابانى كان يعامله معاملة سيئة. والا لماذا تمرد هذا الحيوان على صاحبه فور سقوطه عن متنه؟"

وفى طريق عودتنا من ساحة المعركة الى ماتشون، اعطينا هذا الجواد الابيض لشيخ صينى كى يستعمله فى العمل. كانت الاحصنة تستعمل بكثرة كدواب جر فى ذلك الحين فى منطقة تشينتاو مثلها مثل الثيران.

ولكن، بعد مرور زمن قصير، قصد ذلك العجوز وحدتنا واعاد الينا الجواد بحجة ان قوائمه نحيلة وضعيفة بحيث لا يصلح لجر المحراث. وقال كذلك ، انه حيوان غريب الاطوار، وليس بامكان شخص مثله الاقتراب منه او ترويضه ابدا.

عندما سمعوا منه ذلك، قال رفاقى فى السلاح: "قدره ان يعيش معنا على كل حال" ورجونى ان اركب ذلك الجواد، لقلقهم من الاوجاع التى تنتاب ربلة ساقى. ونبهونى الى ان حرب العصابات لن تنتهى فى سنة او سنتين، واذا ما اجهدت ساقى التى تؤلمنى اكثر من طاقتها، فقد اصبح مقعدا الى الابد. وبالفعل، كنت اشعر بالانزعاج الشديد اثناء المسير فى ذلك الوقت بسبب تلك الآلام. ولعل افراطى فى المشى منذ صغرى سبب لى ذلك. وعلى الرغم من اننى كنت اركب القطار من حين لآخر او الدراجة على الاقل اثناء وجودى فى جيلين، الا انى ما كنت اتصور الحصول على ذلك الترف فى وادى وانغتشينغ المحاصر دائما. كانت الحياة فى منطقة حرب العصابات التى تفرض علينا ان نقطع عشرات او مئات الريات يوميا عبر متون الجبال عبئا جسديا مرهقا بالنسبة لى، انا الذى ما كنت امشى مرتاحا.

بالرغم من ذلك، امتنعت عن قبول رجاء رفاقى فى السلاح هذه المرة ايضا. عندها، عقد رفاق السلاح اجتماعا حزبيا اتفقوا فيه على اصدار قرار يلزم الرفيق كيم إيل سونغ بركوب الجواد ابتداء من يوم كذا. لقد صاغوا القرار بصورة حاذقة جدا، على ما اعتقد، بحيث كان يقضى بان يركب ريانغ سونغ ريونغ، آمر الكتيبة، الجواد هو الآخر. لقد وضعوا فى حسبانهم مسبقا اننى قد اعارض بشدة القرار اذا كان يقضى بأن امتطى وحدى صهوة الحصان.

وما كنت لاعارض قط اى قرار يتخذه التنظيم.

فى اول يوم ركبت فيه الجواد، تحلق رفاق السلاح حولى، وراحوا يصفقون معبرين عن رضاهم.

كانت الصفيحة المعلقة فى عنق الجواد تقول انه ولد فى مركز تأهيل الخيول العسكرية فى كيونغوون. كان جوادا رشيقا، لونه يبدو رماديا فاتحا حينا، ويبدو ابيض ناصعا كالثلج فى حين آخر. وكانت قوائمه دقيقة كأنه من خيول السباق، وقد كان سريعا فى العدو بالفعل، حتى وكأنه النمر.

لقد شاركنا هذا الجواد المصاعب والمشقات طوال سنتين تقريبا وهو يحملنى الى ساحات المعارك او عمق الغابات الكثيفة العذراء. لهذا السبب، فما اعتقد، اتذكره احيانا وتثير ذكراه فى قلبى مشاعر الحنين المرهفة.

كنت ابدأ نشاطى اليومى بالاعتناء بالجواد. استيقظ من النوم فى الصباح الباكر، فأداعب رأسه برفق، وانفض الغبار عنه بالمقشة. ولما لم يكن لى سابق خبرة بالاعتناء بالخيل او براعة فيها، فقد كنت اتذكر كيف كان جدى فى مانكيونغداى ينظف ويفرك جسم الثور هنا وهناك بالمقشة واحاكيه فى ذلك تماما.

ولكن الجواد الابيض كان يبتعد عنى كلما وضعت المقشة عليه. وفيما انا اتعارك مع الجواد ذات مرة، اعطانى العجوز لى تشى بايك مشطا حديديا وقال لى اذا هرشت به ظهر الجواد مرة واحدة، فانه يفعل مفعوله فى الحال. فهرشت اولا ظهره بالمشط الحديدى، فاذا به يقف مكانه دون حراك.

عندما اردت وضع السرج على ظهر الجواد، وجدت كيسا صغيرا بين طيات الجلد واللباد فى السرج. ووجدت داخله مشطا حديديا وفرشاة للشعر وخرقا قماشية ومخرزا وكذلك دفترا صغيرا يضم ملاحظات ومعلومات عنه. كان بامكانى ان اخمن بسهولة وظيفة المشط الحديدى وفرشاة الشعر والخرق القماشية بمجرد رؤيتها، ولكن المخرز الذى كان طرفه المدبب شبيها بالمبضع، فكان فوق قدرتى على التكهن.

تناولتها واقتربت بها من الجواد الابيض.

واذا بى ارى امرا عجيبا. اذ رفع الجواد احدى قائمتيه الاماميتين مثل افراس

السيرك. كان تصرفه هذا يومئ الى وجود صلة ما بين تلك الاداة والحافر. غير اننى لم استطع اكتناه تلك الصلة.

راح الجواد يدور حولى ملهوفا، ثم اقترب من الوتد المدقوق فى الارض على بعد معين منى ووضع قائمته الامامية فوقه. كانت الفجوة بين حافره والحدوة محشوة بالتراب والحصى الصغيرة والقش.

ازلتها بذلك المخرز، فاذا به يضع قائمته الاخرى على الوتد وينظر الى نظرة ماكرة.

وبينما كنت اتدرب على هذا النحو على اساليب الاعتناء بالخيل بطريقة التخمين، تطوع رجل جاء يزور بيت اقاربه فى سياووانغتشينغ ويعمل فى مركز تربية الخيول داخل الوطن فعلمنى قواعد الاعتناء بالحصان وطريقة ركوبه قبل ان يعود الى قريته. وبناء على ارشاداته، فان الحصان يكره اكثر ما يكره اتساخ جسمه بالغبار وانغراز شظايا الخزف فى حوافره. فيجب على صاحبه ان يغسله بالماء النظيف ويفرك ظهره ويدهن بالزيت جسمه كل يوم مرتين تقريبا، ويزيل الاتربة ونثرات القش من حدوته. وبنوع اخص، يتعين عليه ان ينشف جسم الفرس من الرطوبة بعد هطول المطر او التعرق.

ومن الاسرار التى علمنى اياها ذلك الرجل العامل فى مركز تربية الخيول انه لا بد لصاحب الفرس من ان يعرف ان افضل علف للخيل هو الحشيش الجاف والشوفان، كما ان الشعير وفول الصويا هما ايضا من الاعلاف المغذية، وان الحصان يحتاج يوميا كما الانسان، الى قدر من الملح، وانه من غير المستحسن اعطاء الحصان ماء باردا بعد الاجهاد لان ذلك يضر بصحته.

وشيئا فشيئا وجدتنى آنس بالجواد الابيض. كان الجواد على الدوام مطيعا لمطالبى ونواياى. وكان يفطن الى واجبه فى خدمتى بمجرد الايماء له بالعين او باليد حتى ادهشنى بذكائه. وكثيرا ما كان يجد الناس فيه اشياء كاملة شبيهة بالانسان من حيث الطبع او السلوك، فكانوا يعجبون منه ويتساءلون: أهو جواد حقا ام كائن بشرى؟

هكذا، كان الجواد الابيض ذكيا ومخلصا، لكنه كان نزقا فى الوقت نفسه. فلم يكن يسمح سوى لصاحبه ان يمسه او يمتطى صهوته. واذا ما حاول مازح ان يمسك بلجامه ليركبه، كان يدور فى مكانه دورانا متصلا لكى يحول دونه وذلك او يحاول ركله بقائمتيه الخلفيتين او يعضه.

حاول زو وال نام ان يمتطيه، لكنه لقى منه هو الآخر معاملة خشنة. فى بداية الامر، اوقف الجواد الابيض عند المصطبة وهرش اضلاعه بالمشط برفق، ثم فجأة قفز الى ظهره بحركة خفيفة، لكنه سرعان ما هوى على الارض لان الجواد جنح بسرعة جانبيا فى اللحظة التى استقر فيها زو وال نام على صهوته.

وبعد ان اخفق فى ركوب الجواد على هذا النحو، اخترع زو وال نام طريقة حاذقة جدا لامتطائه؛ اذ قاد الجواد الى مستنقع حيث غطست حوافره فى الوحل، وامتطى صهوته وهو يأكل العشب. لكن هذه الطريقة لم تنفع زو وال نام ايضا، ووقع فى مياه المستنقع الموحلة.

فربط جندى الاتصال الغر الجواد الى شجرة وضربه ضربا شديدا بعصا خشبية انتقاما منه. ومنذ ذلك الحين، لم يعد الجواد الابيض يسمح لجندى الاتصال بالاقتراب منه، وكان يهرب مبتعدا او يرفس كلما دنا منه.

وصل الامر بجندى الاتصال الى حد البكاء بعد ان عيل صبره، وقرر اخيرا العودة الى سريته السابقة لان الجواد لا يفهمه ولا يسمح له بركوبه مهما كان اعتناؤه به عظيما.

فقلت له ان الجواد ينفر منه بسبب قصوره فى الاعتناء به. ثم، علمته بالتفصيل اسرار تربية الخيل.

وعملا بنصيحتى، اخذ زو وال نام يبذل عناية كبرى بالجواد الابيض فيما بعد. وغنى عن القول ان الجواد الابيض رد على عنايته المبذولة من اجله بعناية من عنده.

هذه الواقعة ترجع الى امد بعيد جدا، لذلك نسيت الاقاصيص الهامشية كلها تقريبا. ولكن بعض الصور ما زالت تتراءى امام عينى حتى الآن حية وواضحة من مخلفات تلك الواقعة.

حدث ذات مرة ان غادرت ماتشون برفقة الفصيلة التى يعمل او بايك ريونغ آمرا لها، متجها الى منطقة لوزوكو للقيام بعمل سياسى بين الجماهير. فلم اكن انام سوى ساعتين الى ثلاث ساعات فقط فى اليوم. ولم اكن اخلد الى النوم الا فى نحو الساعة الواحدة او الثانية بعد منتصف الليل بعد ان اكون قد فرغت من القتال او التدرب العسكرى او العمل مع الجماهير، واحيانا كنت ابقى ساهرا طوال الليل دون نوم اذا ما تراكم العمل على.

منذ وصولنا الى مدخل ممر جيافيكولينغ، غلبنى النعاس وانا على صهوة الجواد. لعل ذلك ناتج عن قضائى الليلة السابقة فى العمل دون نوم اما فى ماتشون او شيليبينغ. ومع ذلك، لم يفطن احد من الجنود الى اننى اغط فى نوم خفيف، لان الجواد الابيض كان يسير فى طليعة الفصيلة.

ولكن العجيب فى الامر ان خطوات الجواد تغيرت منذ ان عبرت الفصيلة ممر جيافيكولينغ. وكان آمر الفصيلة او بايك ريونغ هو الذى فطن الى ذلك.

اخذ الجواد الابيض يتسلق التلة ببطء وبحذر شديد وهو يجمع قائمتيه الاماميتين الى بعضهما، مما اثار اعصاب او بايك ريونغ. فتساءل هذا الاخير فى سره: (لماذا يسير الجواد بهذه الخطوات الغريبة اليوم وكأنه نبيل انكليزى؟!)

وعند المنحدر ايضا، راح الجواد ينزل خطوة خطوة بصعوبة وهو يجمع قائمتيه الخلفيتين الى بعضهما حتى تقدمته الصفوف وابتعدت عنه. وهكذا تخلفت مع او بايك ريونغ والجواد الابيض عن بقية الصفوف. فتضايق او بايك ريونغ لانه عاجز عن استعمال السوط لحث الجواد الذى امتطيته، انا قائده، على الاسراع، مع ان هواجسه كلها كانت منصبة على تأمين سلامتى.

بعدما نزل الجواد الابيض المنحدر، توقف عن السير امام جذع شجرة ملقى على ضفة نهر جيافيكو. وحين شاهد او بايك ريونغ الجواد مترددا امام ذلك الحاجز الصغير، وهو الذى اعتاد ان يقفز من فوق حواجز اكبر بخفة وبسهولة، خطرت له فكرة اشد غرابة:

(اذا كان الجواد يتكاسل الى هذا الحد، فلماذا لا يلكزه ولا يهمزه؟)

وفيما هو يكلم نفسه هكذا، نظر الى وانا على صهوة الجواد، وادرك حينئذ اننى نائم.

واذا به يصيح بصوت عال:

"يا له من جواد كريم واصيل!"

فطرق الجواد الابيض جذع الشجرة بقائمته الامامية حتى صدر منها صوت: طق، طق.

فانتبهت من غفوتى على ذلك الصوت.

" لنكرم هذا الجواد الابيض بوجبة فاخرة اليوم!"

واخذ او بايك ريونغ يمسد ناصية الجواد سعيدا. ففكرت متسائلا: "ترى هل حدثت معجزة وانا غاف؟". ثم سألته:

" الاغذية الفاخرة ! لماذا؟"

فشرح لى او بايك ريونغ منفعلا كيف عبر بى الجواد الابيض ممر جيافيكولينغ، وكيف توقف امام جذع الشجرة.

" لقد اخبرنى والدى ان افضل جواد فى البلاد كان يطلق عليه فى القديم اسم جواد الدولة، فلا بد من ان نطلق على هذا الجواد الابيض اسم جواد الدولة من الآن فصاعدا. ما رأيكم فى ذلك؟"

" ولماذا نقتصر على تسميته بجواد الدولة؟ حسب قول الرفيق بايك ريونغ، ان هذا الجواد خليق بان يدعى جواد الدنيا."

" وما معنى جواد الدنيا؟"

" يعنى انه افضل جواد فى العالم."

" طيب، فلنناديه، اذن، جواد الدنيا. سمعت يوما من اخى الكبير او زونغ هوا انهم كانوا فى احد البلدان قديما يمنحون القابا اجتماعية رفيعة للخيول."

" وانا ايضا سمعت شيئا من هذا القبيل. يقال ان امبراطور احد البلدان قلد حصانه المفضل منصب حاكم، فكان يأكل العلف فى مذود مصنوع من العاج ويشرب من اوان ذهبية. فما رأيك فى ان نقلد نحن هذا الجواد منصب ريونغويزونغ (منصب الوزير الاكبر فى كوريا القديمة – المترجم)؟"

"على كل حال، انه حيوان نادر واستثنائى. فكيف عرف انك نائم لو لم تكن له عينان فى ظهره؟"

ما ان شددت اللجام حتى قفز الجواد من فوق جذع الشجرة واندفع الى الامام كعصف الريح. والتحقنا بعد قليل بالفصيلة قرب سانداوهيجى بلوزكو، حيث ثمة مكان فيه صخرتان بارزتان ومتماثلتان يفصل بينهما نهر يعج بسمك الشار.

رسمت دائرة على العشب ورددت اللجام على عنق الجواد وتركته ضمن الدائرة، ثم ارسلت الجنود الى ساندواهيجى وسيداوهيجى ولاوموجوهى بمهمة العمل السياسى بين الجماهير. وبعدئذ، قابلت العاملين السياسيين السريين ومسؤولى المنظمات السرية الذين كانوا ينتظروننى على ضفة النهر وتحدثت معهم مطولا.

وعندما عدت الى حيث يقف الجواد بعد ان فرغت من اللقاءات والمحادثات، كانت مفاجأتى كبيرة حين وجدته يرعى بهدوء داخل الدائرة التى رسمتها له. حقا، لقد كان جوادا فريدا.

وبفضل هذا الجواد بالذات، نجت الثورية هونغ هى سونغ ذات يوم من خطر كبير. كانت هونغ هى سونغ تقوم بالعمل السياسى فى وانغتشينغ وهى على قناعة من ان منطقة حرب العصابات جنة النعيم بعد ان مارست العمل السرى مع الشباب والطلاب التقدميين فى لونغجينغ وهى المثقفة التى تلقت تعليمها فى مدرسة ثانوية للبنات داخل الوطن.

كان والدها طبيبا معروفا فى مجال الطب التقليدى الكوريوى. وبعد ان انتقلت هونغ هى سونغ الى منطقة حرب العصابات، اسهمت بدور كبير فى علاج رجال جيش حرب العصابات والسكان المصابين بمرض الجرب بفضل المهارات العلاجية التى تعلمتها من والدها. كان رجال الجيش والشعب فى منطقة حرب العصابات يكنون الحب لتلك العاملة السياسية السرية المثقفة، الجريئة والجميلة، مرحة الطبع وحسنة المعشر، والضليعة فوق ذلك فى الطب التقليدى.

ذات يوم، كنت ذاهبا مع زو وال نام بمهمة سياسية الى سيدابو. وفى طريقى،

سمعت فجأة ازيز طلقات نارية على مقربة منا. واذ ساورنى القلق من ان يكون هجوما للقوات "التأديبية" على منطقة حرب العصابات، فقد حثثنا الجواد ليعدو بأقصى سرعة نحو مصدر الطلقات النارية ففوجئنا فى منتصف الطريق بهونغ هى سونغ تتصدى للعدو بصعوبة بعد وقوعها فى كمين اثناء عودتها من تنفيذ احدى المهمات السرية.

كان العدو يهاجم بشكل هستيرى لكى يأسرها حية وهو يطلق الصيحات المحمومة والعيارات النارية فى الهواء.

فأدرت الجواد الابيض نحو ساحة الاشتباك على عجل وهناك امسكت بهونغ هى سونغ التى كانت تقاتل العدو وجها لوجه وهى فى موقف حرج للغاية، اذ كان العدو على وشك القبض عليها، ورفعتها الى ظهر الجواد الذى انطلق يجرى بأقصى سرعة حوالى ١٠ ريات دفعة واحدة، وكأنه فهم ما اردته. وعلى هذا النحو، انقذتها من مطاردة العدو.

ومنذ ذلك الحادث، لم يبخل السكان فى منطقة حرب العصابات بالمديح على جوادى الابيض، واجمعوا على القول بأنه جواد نادر واستثنائى.

ولو لم تستشهد هونغ هى سونغ فى احدى العمليات "التأديبية" المعادية فى بايتشاوكو، لكانت تذكرت معى الآن ذلك الجواد الابيض واعربت عن امتنانها له.

لقد ترددت على منطقة ليانغشويتشوانجى اكثر من مرة ممتطيا صهوة ذلك الجواد لكى ابنيها كشبه منطقة حرب عصابات. فكانت منظماتنا تغطى بشبكاتها محيط ليانغشويتشوانجى، مثل نانداودونغ وبيدادونغ وشيتووهيجى، ومحيط كازايغول والقرى المجاورة لتومين، فضلا عن لوزوكو وسانداوهيجى وسيداوهيجى ولاوموجوهى وتايبينغكو.

واذا قلت لكم اننى حاولت ذات مرة ان اسلم ذلك الجواد العسكرى الرائع الى شخص آخر، ربما لا تصدقوننى بسهولة.

واجهنى ظرف قاهر اضطررت معه الى ان افارق الجواد الابيض اثناء قيامى مع جنود او بايك ريونغ بالنشاط فى كولبانغريونغ على ما اظن. كان الوقت قبيل

حصاد الشعير الربيعى، وهذا يعنى ان القرويين كانوا يعانون ضائقة شديدة بسبب نقص الحبوب.

فهاجمنا العدو المرابط فى الجوار عدة مرات ووفرنا المؤن الغذائية لابناء الشعب فى المنطقة التى كنا نعمل فيها. غير اننا لم نكن قادرين ابدا على تغطية حاجة السكان بتلك الغنائم وحدها. فاقتصدنا فى استهلاك الحبوب الى الحد الاقصى كى نوفرها لابناء الشعب. وتوخينا من جهة اخرى التقشف الشديد حتى اننا كنا لا نكاد نتناول ثلاث وجبات يوميا، وهذا يعنى تقليص كمية العلف المخصصة للجواد الابيض ايضا الى اقصى حد. فالحصول على التبن او العلف البديل، ناهيك عن العلف الممتاز مثل الشوفان او الشعير او فول الصويا، كان يعتبر من رابع المستحيلات.

لكن الجنود المخلصين لى لم يضنوا بشىء من اجل جوادى الابيض. فحتى فى تلك الظروف بالغة الصعوبة التى تتقيد فيها تحركات الوحدة، كانوا يحصلون على الشوفان او الملح فى الوقت المناسب لاطعام الجواد من خلال ترددهم على القرى المجاورة وعلى مناطق العدو. كان بعض الجنود يتجولون فى الحقول التى تم فيها الحصاد لكى يجمعوا السنابل المتروكة فيها، وكان من بينهم جنود يطعمون الجواد الحبوب التى جمعوها بصعوبة سنبلة سنبلة وحملوها اليه فى جيوبهم. وكلما اقترب اولئك الجنود منه، كان الجواد الابيض يشمشم جيوب بزاتهم العسكرية.

اذا كان الجنود يحبون جوادى الابيض على هذا النحو ويعتزون به، فليس ذلك الا تعبيرا منهم عن رفاقيتهم الثورية واخلاصهم لى.

وعلى الرغم من اننى كنت ممتنا لهذه المودة وهذا الاخلاص، الا اننى لم اكن استطيع التخلص من شعور الحرج والاسف. فكلما رأيتهم يثابرون على توفير علف الجواد او يعتنون به، كنت اشعر من صميم قلبى بأنه لا يحق لى ان اتمتع بكرم ضيافتهم بعد الآن. خصوصا واننى لم اكن معتادا على تلقى الضيافة من الآخرين. واذا ما سألنى احد عن الوضع الذى كنت اشعر فيه بأشد الحرج فى حياتى الخاصة ضمن جيش حرب العصابات، اجبته بأنه الوضع الذى كان يخصنى فيه الجنود بضيافة اسخى من ضيافتهم للآخرين.

فكلما حظيت بضيافة خاصة او تقديمة استثنائية تميزنى عن الآخرين، لم اكن اشعر باننى كائن مميز او احس بالرضا الذاتى، بل على العكس كنت اشعر بالضيق والاسف وترانى اتململ وكأنى اجلس على حصيرة مليئة بالابر.

ورغبة منى فى ان اخفف من اعباء الجنود، قررت التخلى عن جوادى الحبيب والمخلص الى الفلاحين حتى ولو عانيت من آلام ربلة ساقى عدة اشهر اخرى. ثم انه لو تركت الجواد الابيض يعمل كدابة جر فى شبه منطقة لحرب العصابات او غيرها من المناطق المشابهة، لتخلص من العيش فى ساحات القتال وتجنب خطر الموت. ففكرت، فى بداية الامر، ان اعطيه للعجوز المنحدر من اسرة الخدم فى شيليبينغ الذى سبق واعطانى جوادا ابيض، لكننى نبذت الفكرة خشية ان احرجه.

أمرت الضابط المناوب بأن يطعم الجواد الابيض من العلف الخاص فى وجبة الغداء حتى ولو اتى على كل ما تبقى من العلف:

"اطعم الجواد اليوم اجود الاعلاف المدخرة، ثم اقتده بعد الظهر الى القرية خلف الجبل وسلمه الى رئيس جمعية مناهضة اليابان فيها. ويحسن بك ان تأخذ كل الاعلاف المتبقية مع الجواد. وقل له بأن يعطى الجواد الابيض لأفقر عائلة لا تملك اى دابة للعمل."

"تحت أمركم!"

هكذا رد الضابط المناوب على طلبى، لكنه بقى يتوانى فى مكانه، بدلا من ان يغادر الغرفة حالا.

فحثثته على ذلك بنبرة حادة:

"اخرج حالا ونفذ الامر."

وبعد خروج الضابط المناوب من الغرفة، اعدت التفكير فى الامر وشعرت بالندم لاحساسى بان الامر الذى اصدرته بشأن الجواد الابيض كان قاسيا. خرجت الى الفناء وانا راغب فى ان اودعه الوداع الاخير، ورحت افرك جسمه بالمشط الحديدى وبالفرشاة كالعادة، وداعبت ناصيته برفق مرة بعد الاخرى. واحسست بقلبى ينفطر حزنا وانا اتذكر آلاف الريات التى قطعتها معه.

وفجأة، حدث امر غير متوقع.

فقد كانت الدموع تنهمر من عينى الجواد الابيض اللتين كان يرمقنى بهما. ولشد ما كانت دهشتى عندما رأيته على تلك الحال. كيف خمن الجواد الحبيب اننا سنفترق؟ لعله قرأ من ملامحى ما حكمت به عليه. لا بل ان الامر كان كذلك بالتأكيد على ما اعتقد.

حين رأيت مظهره الكئيب، ادركت لاول مرة ان المشاعر الطيبة التى تؤثر فى الانسان موجودة حتى فى عالم الحيوانات التى نسخرها كما يحلو لنا بالسياط، وان تلك المشاعر تضفى غنى وتنوعا على عالمنا هذا.

(اعذرنى ايها الجواد الابيض. ولكن لا بد ان نفترق اليوم. ورغم ان فراقنا يحز فى قلبى، الا انه لا يسعنى بعد الآن ان انعم بمتعة امتطاء صهوتك. لن انسى طول حياتى العناء الكبير الذى تجشمته من اجلى.)

وقبل ان ارجع الى غرفتى، مرغت وجهى طويلا بناصيته.

لم استطع ان اعمل فى ذلك اليوم شيئا، ذلك اننى شعرت بالوحشة الشديدة. وفى بعض اللحظات كنت اشعر بالندم لقرارى المتسرع الذى اتخذته للمبالغة فى الحفاظ على شرفى. ولكننى كنت قد اصدرت الامر ولم يعد امامى سبيل للتراجع عنه. انتظرت التقرير الذى سيرفعه الى الضابط المناوب فى المساء، وانا اتمنى بكل جوارحى ان يظفر هذا الجواد الابيض الحبيب بسيد جديد مجتهد وحنون.

ولكن الضابط المناوب لم يظهر حتى بعد حلول المساء. وجاءنى بدلا منه آمر الفصيلة او بايك ريونغ مع بداية الليل، حاملا الى العشاء، وطلب منى الصفح دون سبب.

"لقد خالفت قواعد الانضباط، واستحق العقوبة."

لم استطع ان ادرك معنى كلامه، فسألته:

"وكيف خالفت قواعد الانضباط؟"

"لقد اغرت على محطة قطع الاشجار دون اذن منك."

وراح او بايك ريونغ يشرح لى ملابسات تلك الاغارة على عجل.

فبعد ان كلفت الضابط المناوب صباحا بمهمة ارسال الجواد الابيض الى القرية المجاورة، عاد الى الفصيلة وحدث او بايك ريونغ عن امر تلك المهمة وطلب منه المشورة فى ايجاد طريقة بديلة، قائلا انه مستعد لتنفيذ كل الاوامر ايا كانت، ولكنه لا يستطيع تنفيذ تلك المهمة اطلاقا.

فوافق او بايك ريونغ الضابط المناوب على رأيه، وعقب قائلا:

"اعتقد ان الرفيق القائد اصدر ذلك الامر مكرها، لانه لم يطق رؤية الجنود يتجشمون العناء من اجل الجواد الابيض. ولكن كيف يسعنا ان نبعد ذلك الجواد عن الرفيق القائد الذى يعانى حتى الآن من الم فى ساقه؟ اذا ما حصلنا على كمية كافية من العلف وتشبثنا بالابقاء عليه، فقد يعود الرفيق القائد عن قراره. فاربط يا رفيقى الضابط المناوب الجواد فى مكان غير مرئى بدلا من ارساله الى القرية المجاورة. وخلال ذلك، ساحصل على العلف من محطة تشينهى لقطع الاشجار. فلا تبلغ الرفيق القائد عن المكان الذى اقصده."

كانت محطة تشينهى لقطع الاشجار تبعد نحو اربعين او خمسين رى عن سياووانغتشينغ. وكان بين الناظرين فى تلك المحطة واحد يعرفه او بايك ريونغ. ولعل او بايك ريونغ تعرف عليه منذ بدأ ذلك الناظر التردد على منطقة حرب العصابات لأمور تتصل بقطع الاشجار.

شكل او بايك ريونغ رهطا مكونا من خمسة او ستة من جنوده للحصول على العلف، ومضى معهم الى محطة تشينهى لقطع الاشجار فى وثبة واحدة. ولكن الناظر الذى يعرفه او بايك ريونغ جيدا قال له انه يخشى ان يتعرض للاذى فيما لو سلم المغاورين الحبوب من دون مسوغ مقبول، وانه من الافضل ان يشنوا غارة على المحطة.

رأى او بايك ريونغ ان كلامه منطقى. فحبس الحارس، ثم داهم المكتب حيث كان موظفو المحطة وحراسها يلعبون القمار. فنزع اسلحتهم فى غمضة عين وقفل راجعا الى القاعدة مع الجنود بسلام وهم يحملون على ظهورهم اربعة او خمسة اكياس من الشوفان وفول الصويا.

ما ان انتهى او بايك ريونغ من تقديم تقريره حتى دفعت العشاء جانبا وخرجت الى الفناء. اجل، كان الجواد الابيض فى الاصطبل، تماما كما قال لى او بايك ريونغ، بعد ان اعيد من مخبئه الذى امضى فيه النهار بعيدا عن الانظار، ولم يؤخذ كما طلبت الى فلاح فقير فى القرية المجاورة.

شخر الجواد الابيض بشدة ثم اومأ برأسه نحوى عدة مرات كأنه يشكرنى.

احسست بعينى تنديان. وقد اسعدنى على اية حال وجوده قريبا منى.

ولكن فكرة اخرى كانت تسيطر على ذهنى: كيف سأعالج قضية المتهور او بايك ريونغ الجسور جسارة دب جبل بايكدو والضابط المناوب اللذين خالفا اوامر القائد؟ كم كانت ساذجة ذاتية او بايك ريونغ وجسارته حتى يبلغ الامر به حد مهاجمة محطة قطع الاشجار لتوفير كمية كبيرة من العلف معتقدا ان القائد سيغير قراره بارسال الجواد الابيض الى القرية المجاورة! وقد انتابنى القلق وانا افكر باننى ما لم اخلصه من سلوكه الذاتى ذاك، فان احدا لا يعرف النتائج التى قد يؤدى اليها، ولكننى فى الوقت نفسه كنت اشعر بالامتنان له فى قرارة نفسى.

والغريب انى ما استطعت لحظتها ان اضع المبادئ فى المقام الاول كما اعتدت ان افعل، حيث لم اكن ارحم اى مخالف لتلك المبادئ. فمنذ ان شاهدت الجواد الابيض يومئ لى برأسه مخضل العينين وانا امسح ظهره بالفرشاة، بت عاجزا عن توبيخ او بايك ريونغ الذى لم ينفذ اوامرى.

والانكى من ذلك ان او بايك ريونغ وقف امامى مصرا على رأيه مثل ثور. فلم اعد قادرا على ان اطلب منه ارسال الجواد الابيض الى القرية المجاورة.

"ايها الرفيق القائد، لا مانع عندى من ان تعاقبونى او تجردونى حتى من رتبتى. ولكن، يجب ان تعرفوا انه لا يمكن ارسال الجواد الابيض الى اى مكان آخر، ما دمت انا او بايك ريونغ على قيد الحياة!"

وبعد ان افصح عن موقفه المهيب هذا، شخر شخرة قوية كأنه انتهى لتوه من حرب عظمى.

ولو تصرفت عندئذ بوحى من مشاعرى، لكنت ضممته الى صدرى وربت على

ظهره قائلا: " اشكرك، اشكرك!". لطالما تأثرت باخلاص آمر الفصيلة الجسور هذا، الذى كان مستعدا لان يلقى بنفسه فى بحور الماء والنار، مخاطرا بحياته فى سبيل ضمان سلامتى. كان يحترمنى ويجلنى كأنى اخوه الاكبر، ولسان حاله يقول دائما: ان كيم إيل سونغ هو الذى علمنى الابجدية الكورية بعد ان كنت اميا، وهو الذى اطلعنى على ما يدور فى العالم لاول مرة فى حياتى.

وبدورى اعتنيت به واحببته كأنه اخى الصغير. وها هو ذا يصبح امرا يعود الى اليوم بعد ان اغار على محطة قطع الاشجار، مجازفا بحياته من اجل تأمين علف لجوادى الابيض.

ولكن، عمله الذى قام به دون اذن من القائد يشكل انتهاكا خطيرا للانضباط. واذا غفرت له هذه المرة، فانه سيقترف اخطاء اكبر فى المستقبل. فاى اجراء اتخذ بحقه؟

من المهم فى موقف كهذا ان يتخذ القائد القرار السليم.

قال لى او بايك ريونغ بنبرة يشوبها القلق وهو ينظر الى قصعة حسائى:

" الحساء يبرد. تفضلوا كلوا اولا ثم عاقبونى كما تشاؤون."

غامت عيناى وشعرت بغصة فى حلقى وانا اراه يقف امامى ويطالبنى بان انزل العقاب به.

كانت سيرة حياته سجلا حافلا وفريدا. فقد انتزع، وهو فتى فى طليعة الاحداث، سلاح شرطى جمركى فى اونسونغ بعد ان قتله بمسدس من صنع يدوى يعرف بمسدس "الكبريت". وترعرع فى كنف اسرة فقيرة مكونة من سبعة عشر فردا، فعرف وطأة الفقر المدقع منذ نعومة اظفاره، كما كان يحظى بمحبة اترابه منذ الصغر، نظرا لتحليه بالاستقامة وحب مساعدة الآخرين.

كان شوقه الى ان يكون مقاتلا فى جيش حرب العصابات شديدا للغاية مذ كان فتى فى طليعة الاحداث، حتى انه كان بطل "حادثة الخراطيش" المشهورة. فقد قيل له ان المرء لكى يقبل فى صفوف جيش حرب العصابات يجب ان يأتى بكفيل موثوق يكفله، او ان ينتزع بندقية من العدو، او قنبلة يدوية على الاقل. فأسرع الى ساحة

المعركة حيث كان قد دار قتال قبل وقت قصير وراح يجمع الطلقات الحية واغلفة الطلقات الفارغة ويضعها فى ساقى سرواله بعد ان ربط طرفيهما السفليين بألياف من لحاء الشجر، وعندما امتلأت ساقا السروال حتى خاصرته، ذهب الى جيش حرب العصابات والعرق يتصبب من جسمه.

وما ان حل رباط سرواله حتى تساقطت منه طلقات حية واغلفة طلقات فارغة تعادل "مالا" (٠) واحدا.

نظر او بايك ريونغ الى وجه آمر السرية وهو يشمخ بأنفه، وسأله:

"كيف ترونني، ألا يحق لى الانضمام الى جيش حرب العصابات؟"

وفيما هو ينتظر الرد من آمر السرية، انفجر رجال جيش حرب العصابات فى الضحك. فقال له الآمر باسما:

"ولماذا جمعت كل هذه الطلقات الفارغة يا بايك ريونغ؟ انها مجرد خراطيش فارغة اطلقت وانتهى امرها."

كان او بايك ريونغ يظن انه يمكن استخدام تلك الطلقات الفارغة لقتل العدو ايضا. وبعد ان فهم خطأه، قام بفرز الطلقات الحية وكانت عدة مئات.

وهكذا، كانت "حادثة الخراطيش" هى المهر الذى اهله للانضمام الى جيش حرب العصابات.

ومنذ ان انضم الى الجيش قاتل ببسالة ليثأر لوالديه واخوته واخواته القتلى فى العمليات "التأديبية" المعادية. وفى مستهل انضمامه الى الجيش، كان يشعر بشىء من الغم والكآبة اثر عقوبة تعرض لها بسبب حادث انطلاق النار من بندقيته دون قصد حين كان ينظفها.

كان الموجه السياسى للسرية الذى انزل به العقاب جاسوسا مأجورا للعدو. وقد ترقى حتى صار موجها سياسيا للسرية بفضل العناصر الفئوية التى كانت تحتل اعلى المناصب فى اللجنة الحزبية الخاصة فى منشوريا الشرقية واللجنة الحزبية فى

---

(٠) "مال": مكيال خشبى له شكل الدلو– المترجم

المحافظـة، فكـان يحـيك شـتى اشـكال المؤامـرات والدسـائس لتفكـيك جـيش حـرب العصابات من الداخل.

لقـد حكـم هـذا الـوغد علـى او بايـك ريونـغ، الـذى اخطـأ دون قـصد فـى حادثـة انطـلاق الـنار تلك، بعقاب لا انسانى ودنىء لا يمكن ان يتصوره عقل سواء من حيث قواعد انضباط الجيش الثورى او من حيث الوجهة الاخلاقية. أمره، كى يعفيه من العقاب، بـان ينـزل علـم منـشوكو المرفرف علـى السارية العالية وسط السور الترابى فى مودان حيث ترابط سرية كاملة من جيش منشوكو العميل.

كـان هذا الامـر، فـى الواقع، يعنـى الموت المحتم فى عملية مغامرة داخل منطقة العدو. وكان رفاقه فى السلاح متأكدين من انه لن يعود اليهم حيا.

غير ان او بايك ريونغ عاد اليهم بسلام، بعد ان انزل علم منشوكو فى مودان التى تبعد مسافة ١٠٠ رى عن مكان مرابطة جيش حرب العصابات.

وفـيما بعـد، كـان ذلـك الـوغد الـذى لـبس قـبعة المـوجه الـسياسى يتحـين الفـرص باستماتة لكـى يوقـع الاذى بـأو بايك ريونـغ. ووصـل بـه الامـر ان فرض علـى الجنود عدم مزج ارزهم بالماء، قائلا انه يجب على الجنود الا يتناولوا السوائل، بما فى ذلك الحساء، بل عليهم ان يأكلوا اطعمة ناشفة.

ذات مـرة، ذبحـت الـسرية رأسـا مـن البقـر وكـان ذلـك امـرا نـادر الحـدوث. فكـاد الجنـود يخرجـون عن طورهم من شدة الفرح، قائلين بـان الفرصة لتناول طعام العشاء مـع حساء لحم البقـر قد سنحت لهم هذا المساء بعد ان كـاد الشعر ينبت فى معدتهم لكثرة ما تناولوا "الارز الجاف والاطعمة الناشفة".

ولكـن ذلـك المـوجه الـسياسى اللعين جاءهم يومئذ ايضا وأمرهم بأن يمتنعوا عن اكل اى شـىء سوى الارز وقطعـة مـن اللحـم مـن غيـر حـساء، معلـلا ذلك بان الجنود الـذين لـم يعتـادوا علـى تنـاول حساء لحـم البقر قد يصـابون بالاسهال اذا تناولوه، وهكذا حرمهم من تنـاول حساء لحم البقر الذى يشتهونـه.

ولكـن او بايـك ريونـغ خالف الامر وتناول مع جندى آخر الحساء. اذ اعدت لهما زوجـة شـقيق او بايك ريونـغ الثانـى التـى تخـدم فـى المطـبخ حـساء البقـر خلـسة. ومن

سوء حظه، رآه الموجه السياسى وهو يتناول الحساء خلف كومة من الحطب فى فناء الثكنة. فاستغل هذا الامر ليلصق به تهمة الانتساب الى "مينساينغدان". ولو لا كفالة رفاقه فى السلاح لكان او بايك ريونغ اعدم رميا بالرصاص بتهمة "المينساينغدانية".

وقد انكشفت هوية الموجه السياسى فيما بعد، فحكم بالاعدام بتهمة التجسس، وكان او بايك ريونغ بالذات هو الذى نفذ فيه الحكم.

وفكرت باننى اذا عاقبت او بايك ريونغ هذه المرة فسوف اتسبب بفتح جرح جديد فى وجدانه وهو الذى ما انفك يتذمر من ذلك العقاب الذى كاد ان يؤدى به الى موت محقق.

"ايها الرفيق آمر الفصيلة، اشكرك على ذهابك الى منطقة معادية من اجل الحصول على علف لجوادى. ولكن مخالفة الانضباط خطأ خطير لا يجوز للآمر ان يرتكبه. اياك ان تكرر مثل هذا الخطأ فيما بعد. وما دمت افهم رغبتكم جيدا، فلن ارسل الجواد الابيض الى اى مكان آخر. هل يرضيكم ذلك؟"

فابتسم او بايك ريونغ ابتسامة عذبة حين سمع منى ذلك واجابنى "انى راض تماما!"، ثم عاد الى الثكنة وهو يقفز مرحا كالاطفال.

وهكذا، انهيت تلك القضية ببعض كلمات تربوية اسديتها له.

وبقى الجواد الابيض يخدمنى باخلاص كعادته.

ولا انسى حتى الآن ما حدث حين بلغت معركة الدفاع عن سياوانغتشينغ ذروتها.

فى ذلك الوقت، تمكن العدو من التسلل الى وادى هوانغكارى النائى فى ليشوكو حيث عمل قتلا وتذبيحا بأهالى منطقة حرب العصابات، حتى غطت الجثث الجبال والسهول والاودية واستحالت المساكن اكواما من الرماد.

كنت اقود المعارك كل يوم تقريبا متنقلا تحت وابل الرصاص على صهوة الجواد الابيض. فكنت اقود يوما معركة الدفاع عن جبل جيانشان، واذهب فى اليوم التالى الى جبل مابانشان لصد هجوم معاد، وانطلق فى اليوم الذى يليه الى المرتفعات القائمة وراء ليشوكو لحماية مخابئ الاهالى. وفى هذا المعترك، واجهت العديد من المواقف الحرجة جدا.

انهمر على الرصاص بغزارة فى احدى المرات حتى اشتعل الفرو داخل معطفى المبطن. كانت النار المندلعة فى المعطف على وشك ابتلاعى بالكامل. ولكن لم اكن اشعر بها، نظرا لان الجواد الابيض كان يندفع باتجاه معاكس للريح، فكانت اطراف المعطف الملتهبة تتطاير خلف ظهرى.

لم افطن الى النار فى معطفى الا عندما اندفع الجواد الابيض فى اتجاه الرياح. فرأيت حينئذ ألسنة اللهب تتراقص امامى. ومع ذلك، من اين لى ان اخلع معطفى؟ اذا قفزت عن الجواد المندفع كالسهم، فقد اعرض نفسى للموت سحقا على صخرة او سأصاب على الاقل بكدمات ورضات فى احسن الاحوال.

فى لحظة اليأس تلك، راح جوادى الابيض الذى كان يندفع بسرعة النمر يخفف من سرعته امام هوة عميقة فى الثلج ثم ثنى قائمتيه الاماميتين وسقط ارضا منقلبا على الجانب. فانزلقت عن ظهره وتدحرجت فى الثلج الى ان انطفأت النار التى كانت قد انتقلت من معطفى الى بزتى العسكرية.

وعندما التفت الى الجواد، رأيت الدم يسيل من قائمتيه.

ولولا الجواد الابيض لما استطعت انقاذ حياتى فى ذلك اليوم. وحتى لو استطعت، كنت سأصاب بحروق خطيرة لا تقل باى حال عن الموت.

ولم اعرف باى كلمات يمكننى الثناء على نباهة الجواد الاستثنائية وحسه المرهف. ترى، كيف تسنى له ان يفطن الى نشوب النار فى جسمى؟ حقا، لقد كان ذلك لغزا لا يمكن حله ابدا.

وحتى يومنا هذا لم استطع ان احل ذلك اللغز. فحتى لو عزوت فطنته غير العادية الى تفوقه البيولوجى، فكيف افسر تفانيه العجيب فى انقاذ حياة صاحبه على حساب قوائمه هو؟

ثمة فى العالم قول مأثور: "كلب وفى وحصان محبوب". ولكن، تعن لى احيانا فكرة ان استبدل هذا القول بقول آخر: " حصان وفى وكلب محبوب".

اضحى جوادى الابيض كائنا اسطوريا يحظى بحب وتقدير ابناء الشعب فى منطقة حرب العصابات. وقد وصلت اخباره حتى الى ابناء الشعب فى اشباه مناطق

حرب العصابات حول سياووانغتشينغ والمناطق الخاضعة لسيطرة العدو.

وقد رغب وو وى تشينغ فى الحصول على الجواد حين سمع اخباره.

وعندما زرت لوزوكو للتفاوض مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان بشأن الجبهة المتحدة، قال لى وو وى تشينغ: "ما رأيك، ايها القائد كيم، ان تستبدل ذلك الجواد الابيض بخمسين حصانا عسكريا؟"

ولا اذكر بالضبط كيف كان ردى عليه. المهم انى رجعت الى ماتشون بعد انتهاء المفاوضات فى لوزوكو وانا على صهوة ذلك الجواد الابيض الذى كان القائد وو يرغب فى الحصول عليه.

لقى ذلك الجواد الابيض حتفه فى شتاء عام ١٩٣٤ فى سياووانغتشينغ بعد ما قطع معى آلاف الريات على مدى عامين تقريبا، من غير اعتبار للطرقات الموحلة والوعرة، حتى غيرنا له حدواته مرات لا تعد ولا تحصى.

وحين عدت من الحملة الاولى الى منشوريا الشمالية، لم اجد اثرا للجواد الابيض سوى قبره الموحش الذى اقامه رفاقى فى السلاح. لا استطيع ان اعبر عن الحزن الاليم الذى تملكنى فى ذلك الوقت.

رآنى الجنود فى قنوط شديد، فاقترحوا على ان نطلق الرصاص على شرف الجواد الابيض. لكننى لم اقبل اقتراحهم ذاك. فما معنى اطلاق الرصاص من اجله، اذا كان قد امضى حياة عاصفة وسط ازيز الرصاص والانفجارات. وقلت لهم: لا تفعلوا ذلك، فلندعه يرقد بسكينة وهدوء بعد مماته. ولعل قبر الجواد الابيض ما زال قائما فى مكان ما من وانغتشينغ حتى الآن.

وحدث ان تبادلت فى اوائل الستينات الذكريات عن الجواد الابيض مع او بايك ريونغ الذى كان يشغل فى ذلك الوقت منصب رئيس الادارة العامة للحرس الرئاسى فيما كنا نتنزه سوية على صهوات الخيل. وعلى الرغم من ان عشرات السنين قد انقضت على تلك الايام، الا ان آمر الفصيلة القديم فى جيش حرب العصابات كان يذكر ادق التفاصيل المتعلقة بالجواد الابيض.

ولا ادرى كيف بلغت تلك الذكريات الكاتبين سونغ يونغ ولى كى يونغ. وسمعت

بـان احد الـضباط طلـب منهما كتابة مقالة عن الجواد الابيض، ولكنى لا اعرف تماما ماذا تم بشأنها.

ومـع ذلـك، فقـد ظهـر الجـواد الابـيض الـذى ولـد ومـات وسـط لـهيب الحـرب المناهضة لليابان فـى لوحة زيتية محفوظة بمتحف الثورة الكورية وليس فى كتاب مذكرات عنه. فالقصة الاسطورية عن الجواد الابيض وصلت، على ما اعتقد، الى الرسام زونـغ كوان تشول عبر الكاتبين لى كى يونغ وسونغ يونغ. فكانت تلك اللوحة التـى رسمها زونـغ كـوان تـشول للجواد الابيض قبل وفاته. ونزولا عند طلب او بايك ريونـغ، زرت المـتحف وشـاهدت اللـوحة المعروضـة فـيه. وفوجـئت بـان اللـوحة تـصورنى انـا والجـواد الابـيض فقط. فتواردت الـى ذهنى حينئذ وجوه جنود الاتصال ووجـه او بايك ريونـغ الذين اخلصوا لـى مع الجواد الابيض اخلاصا لا حد له. فقلت للرسـام: حبذا، فـى رأيـى، لو تضم هذه اللوحة اولئك الرفاق! ووفقا لرغبتى، استكمل الرسام اللوحة بحيث صارت تصورنى انا والجواد واثنين من جنود الاتصال. وتلكم هى بالذات اللوحة المعروضة فى متحف الثورة الكورية الآن.

وكلمـا شـعرت بالحنين الـى جنود الاتـصال المخلصين والجواد الابيض، تجدنى ازور المتحف حينا بعد حين.

والـيوم، وبعد ان تقدمت بـى السن وتخطيت الثمانين، كثيرا ما استعيد صورتهم فـى مخيلتى. فيتراءى لى ذلك الجواد الابيض الوفى بصورته الحية النابضة التى كان عليها قبل ٦٠ عاما.

ولـو كـان ذلـك الجـواد الابـيض انـسانا لـنال ارفـع آيـات الجـدارة كـأخلص خـادم للانسان.

الفصل الثامن   تحت راية مناهضة اليابان الخفاقة

(شباط ١٩٣٤ – تشرين الاول ١٩٣٤)

١ـ لى كوانغ

بدأت علاقتى الرفاقية الودية مع لى كوانغ فى جيلين.

فذات يوم من الايام، جاءنى كيم زون ورفاقه من اتحاد الشباب العام فى منشوريا الشرقية باحد الشباب الغرباء لكى يقدموه الى. ذلكم كان لى كوانغ.

وعن سبب مجىء لى كوانغ الى جيلين آنذاك، استنتج رفاقنا استنتاجات عدة. ففسر كل منهم الامر على طريقته. واحد قال بانه جاء رغبة فى الدراسة، وآخر لاتصال بالمنظمة، وثالث لمعرفة حالة الحركة الشبابية والطلابية فى منطقة جيلين. لفت كيم زون نظرى بصورة عابرة الى ان لى كوانغ وصل، على ما يظهر، الى جيلين لحضور الاجتماع السرى للمعلمين الذى سيجرى على مستوى المقاطعة.

كان انطباعى الاول عن لى كوانغ انه شخص ذكى، جرىء وكتوم. ومن خلال اتصالى المتكرر به فيما بعد، عرفت انه شاب حساس للغاية وحنون وودود جدا.

كان رفاقنا آنذاك متلهفين الى اقناع لى كوانغ، الشخص الغريب عنهم، بالبقاء فى جيلين لشدة ولعهم به، فاخبروه بانه من الانسب له التعلم فى مدرسة وينغيانغ الثانوية اذا اراد رفع مستواه الثقافى، ونيل العلم فى جامعة الحقوق اذا اراد المناصب الرفيعة، والدراسة فى مدرسة يووين الثانوية اذا اراد صنع الثورة.

وكان لى كوانغ غير راغب بدوره فى مغادرة جيلين. كان مأخوذا بالمدينة تماما، وقال انه سبق له ان زار جيلين عدة مرات، حينما كان يدرس فى المدرسة الابتدائية فى غوتشينغجى بمحافظة آنزى لاداء بعض الخدمات لشيوخ جيش الاستقلال، لكن عادات الطلبة الشباب الحياتية تغيرت تغيرا جذريا عن ذى قبل، وانه لم يكن يحس فى السابق ان كان الشباب موجودا فى المدينة ام لا، لكنه يشعر الآن كما لو ان المدينة مرجل يغلى نظرا لنشاط حركات الطلاب الاجتماعية فيها. وهكذا، درس لى كوانغ فى مدرسة جيلين الثانوية الخامسة لبعض الوقت.

فى البداية، انحصرت اتصالات لى كوانغ، بكبار قادة جيش الاستقلال، مثل هونغ بوم دو، كيم زوا زين، هوانغ بيونغ كيل وتشاى ميونغ روك. وكان بيت حمويه فى غوتشينغجى مقر قيادة لاحدى وحدات جيش الاستقلال مدة طويلة، مما اتاح له الاتصال بعدد عديد من قادة الحركة القومية. وقد استرعت خصائص شخصيته انتباه شيوخ جيش الاستقلال فى الحال، اذ كان ذا نظرة ثاقبة وقدرة سريعة على التقدير، وقليل الكلام.

ويبدو انهم خططوا لاعداد لى كوانغ ككادر احتياطى لجيش الاستقلال، مثلما خطط او دونغ زين ولى وونغ لجعلى رديفا لهما.

تعلم لى كوانغ الرموز الصينية منذ طفولته فى مدرسة القرية الخاصة التى كان يديرها جده لأمه. ولكن اصابة ابيه بمرض خطير اطاحت باحلامه فى مواصلة الدراسة، وبدأ يعيل عائلته وهو بعد صبى فى الرابعة عشرة من عمره. وحين بلغ السادسة عشرة، صار يقوم بكل شؤون العائلة وكأنه رب البيت. لهذا السبب، لم تسنح له الفرصة للتعلم الا بعد ان بلغ سن الشباب. ثم عمل بعد ذلك معلما فى المدارس الابتدائية فى آنزى ووانغتشينغ.

حتى ذلك الحين، كان الناس ينادونه باسمه الاصلى، لى ميونغ تشون. لكن اسم لى كوانغ بدأ يحل محل لى ميونغ تشون منذ ان اشتغل معلما فى بييهاماتانغ بتشونهواسيانغ. حينذاك، كانت تقام فى بييهاماتانغ مهرجانات الخطابة والمباريات الرياضية كحلقة من نشاطات التنوير باشتراك المدارس الثمانى الواقعة فى المناطق

المجاورة لها. فكان لى ميونغ تشون، الذى كان على صلة بالعمل السرى فى ذلك الوقت، يشترك فى مباريات كرة القدم ضمن فريق هاماتانغ تحت اسم مستعار هو لى كوانغ. ومنذ ذلك الحين، دعاه السكان بهذا الاسم.

"جيش الاستقلال هو الذى قادنى الى القومية والى الشيوعية."

هذا ما قاله لى لى كوانغ عندما قابلنى لاول مرة، متذكرا حياته فى غوتشينغجى.

فاستغربت الامر حين سمعت قوله هذا.

"أمعنى ذلك، يا رفيق لى كوانغ، ان شيوخ جيش الاستقلال فرضوا عليك تيارين فكريين دفعة واحدة؟"

"لا، لا يعنى انهم فرضوا على ... من الافضل القول انهم وضعونى تحت تأثيرهم. ... على كل حال، من خلال اولئك الشيوخ وصلنى الفكر القومى، وفى الوقت نفسه الفكر الماركسى اللينينى."

"ربما كانوا من انصار تيار فكرى مزدوج."

"يمكن القول انهم كانوا يحاولون تحويل مسارهم. فقد كان اولئك الشيوخ يقرؤون الكتب الشيوعية خفية، فى الوقت الذى كانوا يعملون فيه ضمن حركة الاستقلال. ففى ركن الغرفة فى بيت حموى، كنت تجد الكتب التى يقرؤها اولئك الشيوخ. فأخذت بدورى اقرأ تلك الكتب كلما شعرت بالضجر، لذا تجدنى متشربا بها الآن الى درجة كبيرة."

فأمسكت يد لى كوانغ بقوة وشددت عليها وقلت له بلا تكليف:

"اننى سعيد بتعرفى الى مؤمن آخر بالشيوعية."

ما ان تلفظت بهذه العبارة حتى لوح بيده على عجل كعلامة نفى لكلامى من دون ان اعرف السبب، وقال:

"لا، انى لم اتوصل بعد الى المستوى الذى يؤهلنى لان اكون شيوعيا. فمن بين المبادئ الشيوعية التى صاغها ماركس او لينين، هناك قدر لا يستهان به من المفاهيم التى لم اتمكن بعد من استيعابها. فبنظرتى البسيطة للامور، تراودنى احيانا فكرة مبهمة

وهى المثل العليا الشيوعية امر فى منتهى الخطل. اطلب منك، يا رفيق سونغ جو، الصفح عن كلامى هذا لاننى اكره اللف والدوران، مع علمى بان ذلك قد يزعجك."

كانت تلك اول مقابلة بينى وبين لى كوانغ، لكن صراحته تلك اعجبتنى. وكانت صراحته هى مصدر جاذبيته الاول.

لم يكن لى كوانغ، فى البداية، قوميا او شيوعيا على ما يبدو. بكلمة اخرى، كان شخصا يقف على مفترق طرق. وفى مجرى اتصاله بنا فى جيلين، اختار طريقه وبات مؤمنا ايمانا تاما بالشيوعية. الا انه لم ينضم الى اتحاد الشباب الشيوعى او اتحاد الشباب المناهض للامبريالية اللذين شكلناهما.

وتحدثت معلومات عن ان لى كوانغ حصل على مبلغ يزيد على ٤٠٠ يوان من اجل سفره الى جيلين وذلك برهن ثلاث سندات ملكية اراضى "هاكزون" تزيد مساحتها على ٣٠ الف بيونغ، وان كنت لا اعرف تماما ان كان ذلك صحيحا ام لا. واراضى "هاكزون" هى حقول تقتطعها الدولة خصيصا لادارة الهيئات التعليمية. واذا كانت تلك المعلومات صحيحة، فان طموحاته كانت عظيمة للغاية، حتى انها دفعته الى مغامرة رهن حقول تعود ملكيتها للدولة.

ولدى مغادرته البيت، ترك رسالة لصهره يعرب فيها عن قراره الحازم:

"سأبحث عن وطنى حقيقى حتى ولو اضطرنى الامر الى ان انبش كل سهول منشوريا وكل محافظات كوريا الثمانى. لا احد يعرف ان كانت هذه الرغبة ستتحقق فى عشر سنين او عشرين سنة. لكننى اقسم بانى لن اعود الى ابى وامى ما لم احقق ذلك."

هذا الهدف الذى وضعه نصب عينيه يتيح التعرف على طباعه واسباب طوافه دون كلل او ملل بين المدن الرئيسية ومراكز النشاطات السياسية فى منشوريا.

كان لى كوانغ رجلا مستقيما ودقيقا، وواسع الحيلة. كما كان يتكلم اللغة الصينية بطلاقة لا تقل عن طلاقة السكان الاصليين فى شمال شرقى الصين. ومزاياه هذه اهلته لان يشغل لاحقا وظائف عدة، كمسؤول عشر اسر ومسؤول مائة اسرة وحتى عمدة دسكرة.

ومن خلال علاقتى به، استطعت، انا المتحدر من المنطقة الغربية من كوريا،

ان اتعلم عادات تشينتاو ومحافظة هامكيونغ. ولسبب ما، ابدى لى كوانغ نفورا من الاشتراك فى الحياة التنظيمية بعد مجيئه الى جيلين. وارجح انه فعل ذلك بدافع من المفهوم الذى تشكل لديه عن جيلين، اذ اعتبرها مجرد محطة عابرة فى حياته لن يلبث ان يغادرها. لكنه، مع ذلك، كان يكثر من التردد على ومن الاحتكاك والاتصال بى، ومن خلالى اقام علاقات خاصة مع امى.

قابل لى كوانغ امى لدى عودته الى تشينتاو بعد ان انهى دراسته فى جيلين. وعشية انصرافه، جاء يودعنى. وفيما نحن نتبادل تحية الوداع اذا به يقول لى فجأة:

"ما رأيك يا سونغ جو، لو عرجت على فوسونغ وانا فى طريقى الى تشينتاو لمقابلة والدتك؟"

فشعرت بالامتنان لشهامته، لكننى قلت له:

"ولماذا تسألنى الرأى، فهذا ما لا يليق بك يا لى كوانغ. اذا اردت مقابلتها قابلها. وهل يحتاج ذلك الى اذن؟"

"اذن، انت موافق على رأيى ؟ حسنا، سأقابل والدتك كما عزمت. الجميع دون استثناء يلهجون بذكر امك، وينادونها، (بأمنا) احتراما لها. اما انا فلم اتعرف عليها حتى الآن، وهذا تصرف غير لائق بى! لماذا تكون امك اما لكيم هيوك او غى يونغ تشون دون سواهما. انا ايضا اريدها ان تكون بمثابة ام لى."

"شكرا يا لى كوانغ. سيكون لامى ابن آخر، اذن. واعتبارا من هذا اليوم سأكون ولى كوانغ شقيقين حقيقيين."

"وفى هذه الحال يجب ان نشرب نخبا، او ان نتناول الشعيرية معا."

وبطبيعة الحال، شربنا بعض كؤوس الخمر وتناولنا الشعيرية معا.

عرج لى كوانغ على فوسونغ كما اعتزم ومكث الى جانب والدتى عدة ايام ثم عاد الى وانغتشينغ. آنذاك، كانت اسرته تقيم فى محافظة وانغتشينغ وليس فى يلانكو بمحافظة آنزى.

وفى اعقاب مغادرة لى كوانغ فوسونغ، بعثت امى الى برسالة خصصتها من اولها الى آخرها لاخبار لى كوانغ.

"يا ولدى سونغ جو، اليوم غادر لى كوانغ بيتنا قاصدا تشينتاو. رافقته حتى معبر نهر سونغارى ثم ودعته. لا اشعر بالرغبة فى عمل اى شىء، فقلبى ملىء بالوحشة كاليوم الذى ارسلتك فيه الى مكان آخر. يا له من شخص لطيف! والغريب اننى لم اشعر لحظة واحدة بانه ابن اناس آخرين. وهو بدوره اسر لى بانه يعتبرنى اما حقيقية له. اننى سعيدة جدا لان ابناء اقوياء يتكاثرون من حولى على مر الايام. فأين اجد متعة اكبر مما انا فيه الآن. لقد عرفتنى على شاب طيب حقا. لقد ذهب بصحبة تشول جو الى قرية يانغزى حيث قدم التحية الى ابيك فى مثواه وازال عن قبره الاعشاب. بالرغم من ان رفاقا لك عديدين يترددون على بيتنا، وانا اعرف العديد من الشباب، الا اننى لم أر من قبل احدا على هذا القدر من العطف والحنان مثل لى كوانغ. على كل، ارجو منكما ان تحافظا على مودتكما الرفاقية نقية خالصة مثل لون الصنوبر الاخضر فى جبل نام."

فى اليوم الذى تلقيت فيه رسالة امى، امضيت ساعات طويلة على ضفة نهر سونغارى وانا اشعر بالغبطة والسعادة. فقد انتقل رضى امى الذى بثته فى كل سطر من سطور رسالتها الى. فكل ما يسعد امى كان يسعدنى، وما يريحها يريحنى. واذا كانت زيارة لى كوانغ قد ابهجت امى الى هذه الدرجة، فذلك اكبر مدعاة لسعادتى انا ايضا.

وبعد مغادرة لى كوانغ جيلين، تلقيت من مكتب البريد اشعارا عن وجود حوالة مالية لى.

لقد سبق وتحدثت اكثر من مرة وفى مختلف المناسبات عن ان عددا كبيرا من الناس قدموا الى اعانات مالية، عندما كنت ادرس فى مدرسة يووين الثانوية بجيلين. وكان معظم هؤلاء من اصدقاء والدى المقيمين فى مدينة جيلين، امثال او دونغ زين، سون زونغ دو، ريانغ سى بونغ، زانغ تشول هو وهيون موك كوان، او ممن يترددون على مقر مجموعة زونغوى فى مراكز جيش الاستقلال مثل ليوهى، سينغجينغ، فوسونغ وهواتين.

وكان من بين الذين امدونى بالعون المادى اثناء اقامتى فى جيلين، اعضاء

اتحاد الشباب الشيوعى واعضاء رابطة ليوكيل للطلاب. فسين يونغ كون، الذى كان احد نشطاء اتحاد الشباب الشيوعى اثناء فترة دراسته فى مدرسة وينغيانغ الثانوية، ساعدنى هو الآخر فى تأمين الرسوم المدرسية رغم انه لم يكن ثريا.

كما سبق وذكرت، كانت امى تحصل فى ذلك الحين على خمسة الى عشرة زيانات يوميا من عملها فى الخياطة بالابرة. فكانت تكسب ٣ يوانات فى الشهر اذا حصلت على ١٠ زيانات فى اليوم. وتلك هى قيمة الرسم الشهرى الذى تتقاضاه مدرسة يووين الثانوية.

عندما كان يتجمع لديها هذا المبلغ، كانت ترسله مع احد الذاهبين الى جيلين، ولم تكن ترسله عن طريق البريد توفيرا للنفقات. ولهذا لم اكن بحاجة للذهاب الى مكتب البريد.

وكلما وصلنى ذلك المبلغ منها، كان يخالجنى شعوران متناقضان: شعور بالارتياح لتفادى الخزى والعار بوجود القسط المدرسى فى جيبى، وشعور بالقلق عما تفعله اسرتى لتدبير حياتها وهى التى ترسل لى كامل دخلها الشهرى.

فى الحقيقة، كان ثلاثة يوانات مبلغا تافها لا يكفى ثمن وجبة طعام واحدة بالنسبة لاولاد الاسر الغنية. وكانت نسبة كبيرة جدا من طلاب مدرسة يووين الثانوية من اولاد الاسر الغنية. وفى احد الايام، جاءت الى المدرسة عشرات الاشعارات بوجود حوالات مالية. فكان من الطبيعى ان يشعر اولاد الاسر العادية الذين لم يسبق لهم ان رأوا قط شكل تلك الاشعارات مثلى بالانكماش والاكتئاب.

كان حدثا عظيما بالنسبة لى ان اتلقى حوالة بعشرة يوانات دفعة واحدة، انا افقر التلاميذ العاديين فى المدرسة.

واثناء ذهابى الى مكتب البريد وبيدى ذلك الاشعار عن الحوالة المالية، اعدت التخمين فيمن يكون مرسلها يا ترى.

لكننى لم اتوصل البتة الى التكهن بهوية ذلك الشخص الذى يقدر على تحويل هذا المبلغ الكبير الى. امى وحدها هى القادرة على ان ترسل لى نقودا من مكان آخر خارج جيلين، انما يستحيل عليها ان تحصل على هذا القدر من النقود. فخطرت لى

فكرة ان يكون موظفو مكتب البريد قد اخطأوا فى تمييز الاسماء، فبعثوا بالاشعار الى بدلا من شخص آخر. لكن بدا لى ان امرا كهذا مستبعد الحدوث.

لا يسلم مكتب البريد النقود الى المرسل اليه، ما لم يلفظ هذا الاخير اسم المرسل بشكل صحيح. لكن موظف مكتب البريد الذى تسلم منى اشعار الحوالة المالية فى ذلك اليوم اعطانى النقود دون ان يسألنى عن اسم المرسل. بالعكس، انا الذى سألته عن اسم الذى حول لى النقود. فطرق مسمعى جوابه عبر الشباك على غير توقع منى: "انه لى كوانغ".

لدى سماعى الاسم، تملكتنى دهشة لا يمكن وصفها. فمن بين اصدقائى، كان ثمة عدد غير قليل ممن تربطنى بهم علاقة اقرب واوثق من علاقتى بلى كوانغ. صحيح ان علاقة وثيقة ربطتنى به اثناء اقامته فى جيلين، لكننى لم اتصور قط ان يرسل لى نقودا عن طريق البريد.

لقد هزت طيبة قلب لى كوانغ وجدانى من الاعماق.

وحتى بعد عودته الى وانغتشينغ، حافظ لى كوانغ على اتصاله بأسرتى. فعندما انتقلت امى الى سيلونغتشون فى آنتو، زارها حاملا كمية كبيرة من العقاقير الطبية، بالاضافة الى مبلغ غير زهيد من المال، هو كل ما جمعه من وظيفته كمسؤول مائة اسرة. كان لى كوانغ كريما الى ابعد الحدود، فلم يكن يضن بشىء لمساعدة الآخرين حتى دون ان يفطن الى انه انفق كل ما لديه من رصيد.

كان لى كوانغ يأتى فيعتنى بشؤون اسرتى الاقتصادية اثناء مكوثه عدة ايام الى جانب والدتى ثم يعود الى وانغتشينغ. وفى هذا السياق، اصبح من زوار اسرتى المألوفين الذين يحظون بمعزة خاصة لديها.

كنت كلما مدنى آخرون بعون مالى، اشعر ببالغ الاسف لانى غير قادر على تعويضهم عنه. ذلك لان كل ما لدى اسرتى لا يكفى للتعويض عنه نقدا. لذلك، قررت ان ارد على عناية اصدقائى ورفاقى بان اكون ابنا بارا بالوطن وخادما مخلصا لجماهير الشعب.

فى شتاء عام ١٩٢٩، استقل لى كوانغ قطار جيلين- تونهوا بهدف مقابلتى،

ولكنه اخطأ فى اختيار الوقت، فقد كنت معتقلا فى السجن حينئذ.

ومع ذلك، فقد اطلع عن كثب على اوضاع الحركة الشبابية والطلابية فى منطقة جيلين واشكال النضال التى كانت تتبعها عناصرها القيادية، وذلك من خلال كونغ سوك زا، مضيفة النزل الذى اقام فيه. كان كونغ سوك زا تعمل فى الظاهر كمضيفة، ولكنها كانت تقوم سرا بمهام صلة الوصل بيننا وبين الشباب الذين يأتون الى مدينة جيلين بتكليف من منظمة اتحاد الشباب الشيوعى. وقد كان لقاؤهما فى ذلك النزل مناسبة لان تصبح زوجة ثانية لصديقى لى كوانغ فيما بعد. اذ ان زوجته الاولى، كيم او رين نيو، ماتت بسبب المرض.

بعد فقدانه زوجته تلك، بقى لى كوانغ فترة طويلة لا يستطيع نسيانها. حتى انه قرر قضاء بقية حياته ارملا، لاعتقاده بأن ما من امرأة مثلها فى الدنيا، فعلاقته بزوجته الاولى كانت طيبة وحميمة. قبل مضى سنة على رحيلها، ظهرت العديد من النساء اللواتى يرغبن فى الزواج منه من مختلف المناطق، لكن لى كوانغ الشريف والطيب رفض حتى مجرد التطلع الى اولئك النساء.

لهذا السبب، كنت كلما قابلت لى كوانغ، احاول اقناعه مع رفاقى بان يتزوج، مفكرا فى وضع اولاده الصغار وابويه العليلين. لكن ثنيه عن قراره كان اصعب من عصر الخشب الجاف. ولم يقبل لى كوانغ نصيحتى الا بعد ان هيأ مائدة الاضاحى احياء لذكرى وفاتها الثالثة. كانت كونغ سوك زا، زوجته الثانية، امرأة طيبة القلب ودمثة الخلق، فربت اولاده من زوجته الراحلة تربية جيدة واحاطتهم بعناية دافئة الى درجة اثارت اعجاب الناس. وقد احترمها الاولاد، بدورهم، مثلما يحترمون امهم الحقيقية، ومن سوء الطالع ان كونغ سوك زا كانت عاقرا.

ورغم ان لى كوانغ لم يتمكن من مقابلتى حينذاك، الا انه من خلال كونغ سوك زا، ارتبط بعلاقات صداقة مع الشباب المنضوين الى الحركة الذين كانوا يدرسون فى مدرسة يووين الثانوية ودار المعلمين فى جيلين. غرست منظمة جيلين فى صدر لى كوانغ حقيقة انه يتعين قبل كل شىء جمع شمل القوى الوطنية كافة بغية تحقيق استقلال البلاد، ومن اجل جمع شملها يجب طرح فكر وخط يكونان راية هذا

الاستقلال، ومحور الوحدة والتلاحم. وقد عاد لى كوانغ الى تشينتاو مقتنعا بهذه الحقيقة.

كانت رحلة لى كوانغ الى جيلين حدثا فاصلا فى نشاطه الثورى. وبسبب تلك الرحلة، وضع تحت مراقبة جواسيس القنصلية اليابانية والشرطة المنشورية. لكنه واصل التقدم بشجاعة وبخطى حثيثة على الطريق الجديد غير آبه بتلك المراقبة على الاطلاق.

وكان اضراب موسم الحصاد الخريفى واضراب البؤس الربيعى عاملا هاما فى تأكيد الحقيقة التى تعلمها فى جيلين. فمن خلال تلك النضالات، ارتقى مفهومه عن العالم الى درجة اخرى جديدة.

بعد انتقال لى كوانغ الى وانغتشينغ، عمل فى بييهاماتانغ كعمدة لاحدى الدساكر. وهذا الرجل الذى كان يقول ان الثورة هى ذروة مثله العليا، ثم تبوأ منصب عمدة دسكرة، اى مجرد خادم لأدنى هيئات الجهاز الادارى؛ بدا لنا شخصا يستحق الاهتمام.

قابلت لى كوانغ مرة ثانية فى مينغويكو فى كانون الاول عام ١٩٣١.

فى ذلك الحين، كان مشغولا جدا بتأمين ظروف الاقامة والطعام للمشاركين فى اجتماع مينغويكو الشتوى. وعندما رأيته يدخل غرفة الاجتماع وعلى ظهره زكيبة دخن وفوقها خمسة من طيور التدرج، دهشت جدا. لكنى قلت فى نفسى: احسنت يا لى كوانغ، انك رجل حقيقى.

كانت الشعيرية المصنوعة من نشا البطاطا، ومعها لحم التدرج والدجاج هى طبق تشينتاو الخاص، وقد كانت شهية ولذيذة جدا لدرجة تحمل المرء على طلب المزيد منها.

بعد ان تناولت ولى كوانغ ملء قصعتين من تلك الشعيرية وشبعنا، استلقينا فى الغرفة البرانية من منزل لى تشونغ سان ووضعت رأسى على وسادة خشبية، وبقيت اتحدث معه حتى الفجر.

فى بداية الحديث، شكرته من اعماق قلبى على عنايته الرقيقة بأمور امى

الحياتية وعلى مساعدته لى فى تأمين الرسوم المدرسية. قلت له:

"لقد فكرت طويلا وانا اتناول الشعيرية هذا المساء. فقد تأثرت جدا بالجهود التى بذلتها لكى تصطاد طيور التدرج هذه. وعندما كنت تدرس فى جيلين، كنت تدعونى الى المطعم من حين لآخر. فمتى استطيع ان ارد لك هذا الجميل؟..."

ما ان تفوهت بهذه العبارة حتى ربت على كتفى برفق وقال:

" هذا ليس جميلا. لم افعل شيئا سوى انى ساعدت اسرتك، يا سونغ جو، ببعض التبرعات المالية، لان اباك كرس حياته كلها لحركة الاستقلال، وتتجشم انت ايضا عناء كبيرا فى قيادة الحركة الشبابية والطلابية. فمن الطبيعى، والحال هذه، ان ارفد هذه الاسرة الوطنية بمبالغ زهيدة من المال. ... فأى شأن لعون كهذا ؟ ارجوك الا تعود الى مثل هذا الحديث مرة ثانية."

واشار بيده كما لو انه يتوعد، وقد اظهر على وجهه علائم غضب مفتعل.

وفى تلك اللحظة بالذات، وجدت جانبا آخر من شخصيته الرائعة.

"حسبك يا لى كوانغ. فالمعروف لا بد ان يقابل بالعرفان. انى اوجه لك الشكر مرة اخرى، مقرونا بتحيات والدتى ايضا. بصراحة اقول لك انى لم اكن اتصور انك ستقدم الينا كل هذه المؤازرة النزيهة يا لى كوانغ."

"هذا ما خمنته انا ايضا. لكن هذا الصنيع الذى فعلته معكم لم يأت هكذا مصادفة، بل كانت له اسبابه."

"اسباب! ... اية اسباب ؟"

"ذات يوم، قصت على امك ما جرى عند اقترانها بأبيك كما لو انها تروى احدى حكايات الجدات. قالت لى ان زواجهما لم يتم الا بمنتهى الصعوبة."

"انا ايضا اعرف تلك القصة. فبعد وفاة ابى، استدعتنا امى، نحن الاخوة الثلاثة، اليها وحدثتنا عن تلك القصة. كانت، والحق يقال، قصة مؤثرة تدمع لها الاعين."

وحيث ان القصة جرت عند اقتران امى بوالدى، فاعتقد ان الفترة كانت غداة فرض "ضم كوريا الى اليابان".

المسافة ما بين قرية تشيلغول حيث كان بيت امى وقرية نام حيث بيت ابى لا

تزيد عن ٧ رى، ويفصل بين القريتين تل منخفض. وللذهاب من قرية نام الى مدينة بيونغ يانغ المسورة، كان لا بد من المرور بقرية تشيلغول. وكان سكان قرية تشيلغول، هم الآخرون، يمرون بمحاذاة قرية نام عندما يذهبون باتجاه نامبو. ونظرا الى ان سكان هاتين القريتين ارتبطوا معا بعلاقات حميمة وكانوا يتزاورون باستمرار، فكثيرا ما كانوا يتصاهرون فيما بينهم ايضا.

جدى لامى بحث هو ايضا عن صهر له فى قرية نام وكان ابى بالذات اول المرشحين ليكون صهره العتيد. وبعد ان تنقل الوسيط ذهابا وايابا بين الاسرتين، قام جدى لامى بزيارة بيت والدى فى قرية نام. الا انه عاد دون ان يحسم الامر. لقد اعجبه الشاب ولكنه كان فقيرا جدا. وقد احس جدى بالقلق والانزعاج حين فكر بما ستعانيه ابنته اذا ما تزوجت من ذلك الشاب الفقير. وقد ذهب بعد ذلك خمس مرات اخرى لزيارة بيت ابى.

ولكنهم لم يستطيعوا ان يقدموا لجدى خلال تلك الزيارات الست وجبة واحدة لائقة. فالفقر عدو لدود حقا مثلما يقول المثل.

وبعد الزيارة السادسة، بعث جدى رسالة الى قرية نام تتضمن الموافقة على الزواج، وجاءت تلك الموافقة بعد ان تباحث الامر مع جدتى.

"هذه القصة جعلتنى اتعرف على اهلك جيدا، يا سونغ جو، واذا قلت لك انى اعرف حتى قصة السرطانات، فانك ستفاجأ، أليس كذلك؟ "

ما ان اشار لى كوانغ الى تلك الحادثة حتى اعترانى ذهول شديد فعلا. فالحادثة المشار اليها لا يعرفها احد سوى امى وجدى بو هيون وبعض الكبار فى الاسرة وانا. فسألته:

"وكيف عرفت بتلك الحادثة، يا لى كوانغ؟"

"اظنك ستدرك يا سونغ جو مدى حميمية علاقتى باسرتك."

وتظاهر لى كوانغ بشىء من الزهو عندما رآنى مندهشا على تلك الصورة.

بدأت بصيد السرطانات فى مانكيونغداى عندما كنت فى السادسة او السابعة من عمرى. فكثيرا ما كان جدى يصيد السرطانات لمعاونة العائلة فى تدبير امورها

المعيشية. كان نهر سونهوا احد فروع نهر دايدونغ يعج بالكثير من السرطانات. ولست ادرى لماذا كان جدى يصطحبنى معه كلما ذهب لالتقاط السرطانات. ربما كان يفعل ذلك ليعلمنى طريقة كسب القوت منذ طفولتى. رغم ان الاثرياء لا يعيرون السرطانات التفاتا، الا انها لذيذة للغاية اذا ما اكلت مملحة.

كانت طريقة صيد السرطانات بسيطة ورتيبة جدا. يكفى ان تغمس سنابل السرغوم فى الماء بعد سلقها جيدا حتى تتقاطر السرطانات اليها بالجملة. فكنا نصيد فى اليوم الواحد عشرات بل مئات السرطانات. وعندما نعود الى البيت ومعنا كيس ملىء بها، كنت تجدنا فى سعادة وغبطة لا حد لهما.

كانت تلك السرطانات تسد بالفعل ثغرة واسعة فى مؤونة اسرتنا. وكانت جدتى كلما حل ضيف فى بيتنا، تعد له طبقا من السرطانات المملحة. وكنت افكر فى كل مرة، كم سيكون جميلا تقديم شىء من تلك السرطانات الى جدى وجدتى لامى. كان بيت امى فى تشيلغول عالما سحريا يستثير فى نفسى ولعا وتعاطفا غير متناهيين. فقد كنت احب رائحة علف البقر الصادرة من الحظيرة، واطرب لتغريد الطيور التى تتهادى الى مسمعى من اغصان شجرة العناب فى فناء ذلك البيت. كذلك، كنت احس بتعلق لا يوصف بالحكايات القديمة التى كنت اصغى اليها وانا جالس على حصيرة من القش ودخان الافسنتين يتصاعد من حولنا فى ليالى الصيف لابعاد البعوض.

كانت خالتى تنصحنى دوما بعدم نسيان تشيلغول ولو لحظة واحدة لانها مسقط رأسى. ربما لان امى اقامت فى بيت والديها لبعض الوقت عند ولادتى. الا ان جدى وجدتى اكدا لى دائما بان مسقط رأسى هو قرية نام. وقالا ايضا: صحيح ان امى اقامت فى بيت امها عدة ايام قبل ولادتى وبعدها، الا ان تشيلغول لا يمكن ان تكون مسقط رأسى الحقيقى. اضف الى ذلك انه طبقا للعرف السائد منذ القديم، فان البيت الذى يقيم فيه ابو المولود هو مسقط رأسه، حتى وان ولدته امه خارج ذلك البيت.

على كل حال، احببت اسرة امى جدا وبما لا يقل عن حبى لاسرة ابى. وكثيرا ما كان هذا الشعور يتملكنى بشدة وانا اصطاد السرطانات.

وحينما كنت ادرس فى مدرسة تشانغدوك فى تشيلغول ايضا، اعتدت ان اذهب

الى مانكيونغداى كل يوم احد لكى اصطاد السرطانات فى النهر مع جدى. وذات يوم، اخفيت نصف ما اصطدناه بين العشب وقدمت الكيس الى جدى. فتأسف جدى لضآلة الصيد، قائلا: "لست راضيا عن صيدنا اليوم". الا اننى تظاهرت بانى لم اسمعه.

كان على ان اصارحه آنئذ بانى تركت نصف الكمية جانبا لاخذها الى بيت ابوى امى. لكنى لم اجرؤ على مصارحته بتلك الحقيقة لاننى لم استطع التكهن ان كانت تلك المصارحة ستسره ام تزعجه. عدت معه الى البيت حاملا ذلك الكيس، ثم ما لبثت ان رجعت الى ضفة نهر سونهوا لاحمل السرطانات التى اخفيتها بين العشب. وضعتها فى كيس ثم هرولت مسرعا نحو تشيلغول. سر افراد اسرة امى للغاية، وقالوا اذا كانوا يتناولون اليوم السرطانات، فان ذلك بفضل سونغ جو. فقلت لهم على الفور ان السرطانات التى يأكلونها اصطادها جدى بو هيون فى مانكيونغداى، ويجب توجيه الشكر اليه اذا ارادوا ان يشكروا احدا.

وهكذا كان. فقد زار جدى لامى جدى بو هيون فى مانكيونغداى واغتنم الفرصة ليشكره على السرطانات، قائلا انها من نوع خاص ولذيذة جدا.

حينما سمع جدى بو هيون هذا الكلام، تملكته الحيرة هنيهة ثم ابتهج كثيرا عندما عرف القصة.

وبعد عدة ايام، اثنى جدى على وقال انى ولد نبيه.

هذه هى حادثة السرطانات التى يعرفها لى كوانغ، الطرفة المتولدة عن الفقر وعن درامية الوضع الانسانى.

ولكن بدا لى ان لى كوانغ تمثل هذه الطرفة من زاوية تختلف عن الزاوية الانسانية.

قال لى كوانغ بالحرف الواحد:

"منذ ان سمعت بقصة الزواج وقصة السرطانات، بدأت اتعاطف مع افراد اسرتك، يا سونغ جو."

وقد تأثرت جدا من الاحاسيس الوجدانية العميقة التى يبثها لى كوانغ فى ثنايا ذلك الحديث.

"قل لى، يا لى كوانغ، أتشعر بمتعة فى وظيفة عمدة الدسكرة ؟"

كانت تلك مسألة ارغب فى معرفتها منذ ان اقمت فى المنطقة الوسطى من منشوريا. اذ انه ورد ضمن المعلومات التى ارسلها الينا حينذاك من منطقة تشينتاو العاملون السياسيون الذين اوفدناهم الى منشوريا الشرقية، ان لى كوانغ، وهو احد اهداف عملى الذين يستأثرون باهتمامى، يعمل كعمدة دسكرة فى وانغتشينغ.

ابتسم لى كوانغ قبل ان يجيب على سؤالى:

" ذلك العمل يتعبنى، لكن الفائدة منه لا بأس بها. فى خريف العام الماضى، حدث ان اعتقل رفاق لنا على ايدى افراد من فرقة الدفاع فى هاماتانغ. وقد افرج عنهم فيما بعد بكفالة منى. ان منصب عمدة الدسكرة بات يؤتى مفعوله."

وقال لى مازحا بان لديه رغبة فى ان يعمل عمدة للدسكرة مدى الحياة، اذا لزم الامر.

ولاننى غالبا ما كنت اتباهى بمسقط رأسى امامه، فقد ذهب لى كوانغ الى حد القول مازحا:

"اذا كان فى مانكيونغداى مثل هذه المناظر الجميلة حقا، فاننى سأذهب اليها برفقتك ومعى كل افراد اسرتى متى نالت البلاد استقلالها."

"أ تتخلى عن زونغسونغ، اذن ؟ سمعت بأن زونغسونغ هى مسقط رأسك."

"اى مكان اتعلق به هو مسقط رأسى. فليس مفهومى عن مسقط الرأس هو ذلك المكان الذى ابصرت فيه النور فحسب. على كل حال، ارجو منك ان تختار لى وظيفة معلم مدرسة ابتدائية فى مانكيونغداى. انت، يا سونغ جو، تعمل مديرا فى المدرسة فيما اعمل انا معلما تحت اشرافك."

"ايه، لا احب ان اكون معلما فى مدرسة ابتدائية..."

"لا اظنك جادا فيما تقول. لقد سمعت بانك عملت فيما مضى معلما فى آنتو او غويوشو. وقيل لى ايضا ان والدك اشتغل معلما سنوات عديدة."

وقد توثقت مودتنا الرفاقية اكثر فاكثر فى تلك الايام التى كنا ننظم فيها المفرزة الخاصة.

زارنى لى كوانغ فى سياوشاهى بعيد تشكيله المفرزة الخاصة فى وانغتشينغ،

بناء على نصيحتى. وكان رفاقنا فى وانغتشينغ حينئذ يواجهون مصاعب كثيرة فى التحضير لتأسيس جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان، وذلك من جراء الاعمال العدائية التى يقوم بها جيش الانقاذ الوطنى ضد الشيوعيين الكوريين والشباب الوطنيين الكوريين. وحتى بعد تشكيله المفرزة الخاصة، ظل لى كوانغ منزعجا لعدم تمكنه من تحديد توجه نشاطها.

آنذاك، قلت له رأيى فى بعض المسائل المبدئية على صعيد اقامة الجبهة المتحدة مع الوحدات الصينية المعادية لليابان، ثم ناقشت واياه توجه واساليب نشاط مفرزته الخاصة بصورة مستفيضة.

وقد قبل لى كوانغ نصائحى بعقل منفتح.

على الرغم من انه لم يكن فى حوزة امى حينذاك سوى خليط من الدخن والسرغوم المطبوخ، وحساء عجينة الصويا والبقول البرية المتبلة، الا انها استطاعت ان تحيط لى كوانغ بضيافة كريمة. واحب لى كوانغ بدوره امى وعاملها بمنتهى الاحترام. وقد اثارت معاملة امى الودودة عواطف لى كوانغ، بينما ارضت امى حماسة لى كوانغ الشبابية وتواضعه.

اثناء وجود لى كوانغ فى سينغلونغتشون، اسسنا جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان. يومها جاءت امى المريضة لزيارة صفوف جيش حرب العصابات بصحبة تشول جو. وهناك قالت للى كوانغ وهى تلمس البندقية على كتفه: بمثل هذه البندقية فقط يمكن خوض القتال الحقيقى. كيف يمكن الحاق الهزيمة بالجيش اليابانى بمسدسات قديمة كتلك التى كان يحملها الاستقلاليون؟ رؤيتكم مغاورين تتنكبون السلاح هكذا سوف تشفى غليلى طول حياتى. ولشد ما ستكون امهاتكم سعيدات اذا ما رأينكم بهذه الحال. الامهات، فى العادة، يبكين متألمات عندما يتصرف اولادهن بحماقة او يقومون باعمال طائشة، لكنهن يذرفن دموع الفرح حين يرين اولادهن يخرجون الى القتال فى سبيل الوطن.

اقبل لى كوانغ على العمل مع جيش الانقاذ الوطنى بهمة بعد عودته الى وانغتشينغ.

وقد كان لتجربة العمل المشترك الناجحة التى قمنا بها فى آنتو مع وحدة القائد

يو، فائدة كبيرة فى هذه النشاطات. فسارت على خير ما يرام فى اول الامر، ودون اى عثرات، وحققت نجاحات لا يستهان بها.

فقد شاركت وحدات عديدة من جيش الانقاذ الوطنى بنشاط فى الجبهة المشتركة المناهضة للامبريالية معنا.

وكان للشيوعيين الدور الرئيسى والقيادى فى تلك العملية.

ولكن اليسارية كانت تشكل عقبة. فانصار الشعار المغامر الداعى الى: "تصفية الفئة العليا وكسب الفئة الدنيا"، اثاروا ردة فعل من الغضب والعداء لدى الدوائر العليا فى الوحدات الصينية المعادية لليابان، وذهب عدد غير قليل من ضباط جيش الانقاذ الوطنى الى حد الريبة والحذر من الشيوعيين وحتى الى التنكيل بهم وقتلهم.

فى ذلك الوقت بالذات، القى لى كوانغ بنفسه للعمل على اجتذاب الوحدات الصينية المعادية لليابان. وكان ذلك امرا جديرا بالتحية من كل زواياه.

وقد انتقل لى كوانغ من بييهاماتانغ الى تايبينغكو لهذا الغرض.

وكنت كثيرا ما ازوره فى بيته فى تايبينغكو التى تضم نحو ٣٠٠ اسرة فلاحية وتقع فى قلب مثلث سياووانغتشينغ – ياوينغكو – لاوهيشان، ويمر بالقرب منها خط الحدود السوفييتية – المنشورية، وتبعد نحو ٢٠ الى ٣٠ رى عن لوزوكو. وكانت تتمركز فيما حولها التجمعات الرئيسية لجيش الانقاذ الوطنى. وكانت المفرزة الخاصة بقيادة لى كوانغ ترابط فى جيانتشانغكو التى لا تبعد سوى خمسة ريات تقريبا عن مدينة لوزوكو.

كان بيت لى كوانغ يقوم بمفرده على مرتفع متصل بضفة النهر فى كبرى قرى تايبينغكو. وكان اكثر ما اثار اهتمامى هو البئر المجهز بالشادوف فى جوار بيته. ومن هنا جاءت تسميته ببيت الشادوف. ومن هذا البئر شربت الماء مرات عديدة. فعندما كنت اصل الى بيته فى ايام الصيف القائظة وجبينى يتفصد عرقا، كان لى كوانغ يخرج الماء من البئر ويقدمه لى بالدلو. وقد كان لذلك الماء طعم خاص.

وكنت كلما ذهبت الى لوزوكو، اعرج على تايبينغكو لكى احيى والدى لى كوانغ. وفى ذلك البيت بالذات، عقدنا الاجتماع الاخير للجنة الجنود المعادين لليابان،

حيث ناقشنا مع جو باو جونغ، وتشين هان جيانغ وهو جى مين ووانغ ريون تشينغ وغيرهم من الشيوعيين الصينيين، مسألة الجبهة المتحدة مع جيش الانقاذ الوطنى.

ابدى لى كوانغ درجة عالية من المهارة والكفاءة كضابط آمر فى العديد من المعارك الكبيرة والصغيرة، مثل معركة الدفاع عن سياووانغتشينغ. فكان قدوة أثر تأثيرا كثيرا فى الجنود، كما اشتهر فى اوساط اوسع جماهير الشعب فى منشوريا الشرقية ككادر عسكرى وسياسى محنك.

وثق وو وى تشينغ بمفرزة لى كوانغ الخاصة باعتبارها قوة مسلحة حقيقية ضد منشوكو واليابان، فعينه قائدا لفرقة حرس القيادة الميدانية لجيش الانقاذ الوطنى ووضع تحت تصرفه حراسا خاصين به.

وفيما بعد، اقام لى كوانغ اتصالا مع تونغ شان هو بهدف التحالف مع قواته للعمل المشترك ضد اليابان.

رغم ان تونغ شان هو كان قد شهر السلاح ضد اليابان، الا انه تحول الى قاطع طريق. وكما هى الحال الآن، كان عدد غير قليل من الناس آنذاك ينظرون اليه على انه "ماجوك"(٠).

فى قديم الزمان، كان يوجد فى مناطق منشوريا "ماجوك" كثيرون. فعندما تدفقت اعداد كبيرة من الصينيين، فى اواخر عهد سلالة تشنغ، الى منطقة منشوريا عبر شانهايكوان، قادمة من مناطق البلاد الداخلية، راح السكان الاصليون فى تلك المنطقة يشكلون جماعات مسلحة للدفاع عن الاراضى الزراعية وتراث الاسلاف من تطاول اولئك المهاجرين. وهكذا ظهرت فى منشوريا جماعات المتطوعين التى اطلق عليها اليابانيون اسم "ماجوك".

وخلافا لشراذم "سانجوك"(٠) او "ريوجوك"(٠)، التى كانت تضم لصوصا عاديين،

---

(٠) ماجوك: جماعة من قطاع الطرق الفرسان– المترجم

(٠) سانجوك: جماعة من اللصوص الجبليين – المترجم

(٠) ريوجوك: جماعة من اللصوص المتجولين– المترجم

يمارسون القتل والسلب والحرق، كانت جماعة "ماجوك" ترى فى افرادها رجالا عادلين يتقيدون بقوانينهم الخاصة ولا يستولون على ممتلكات الآخرين بالقوة. وكانت جماعة "ماجوك" منفصلة تماما عن السلطة السياسية المركزية، واكثر ميلا الى مقاومتها.

ولم يكن بالامكان تصور حياة تلك الجماعة دون السلاح. وقد عاش افرادها مدججين بالسلاح منذ زمن بعيد. واثارت طريقتهم هذه فى الحياة شيئا من الحسد او التعاطف بين الناس حتى شاعت فى منطقة منشوريا عبارة "نيوفيو نامبي" ومعناها انه على النساء ان يكن عاهرات، وعلى الرجال ان يكونوا قطاع طرق.

وبطبيعة الحال، لم تكن قوانين "الماجوك" الصارمة موضع احترام فى مجتمعهم دائما. فقد اصاب التفسخ والفساد كثيرين منهم، وتحولوا الى لصوص. وكانت ثمة عصابات ذات طابع غامض لدرجة يصعب معها معرفة ان كانت من قطاع الطرق العادلين او من اللصوص. وكان عدد كبير من قطاع الطرق يتظاهرون بانهم من العادلين. وكلما اقترف اولئك اللصوص المتنكرون بقناع العادلين المجازر الوحشية ضد السكان لتحقيق مآرب سياسية لاسيادهم من المعتدين الامبرياليين وامراء الحرب المحليين، كانت الاضرار الناجمة تفوق حد التصور.

وسرعان ما التقط المتآمرون الامبرياليون الاحقاد والضغائن التى كان يكنها عدد كبير من ضباط جيش الانقاذ الوطنى تجاه الشيوعيين بسبب استراتيجية "تصفية الفئة العليا" التى انتهجتها العناصر اليسارية فى العمل مع الوحدات الصينية المعادية لليابان، واستخدموها لشق القوى المناهضة لليابان من الداخل. كانت "ييزى" و"ييفيزينغفى" من الاساليب الخبيثة المشهورة التى لجأ اليها الامبرياليون اليابانيون، البارعون فى تدبير المكائد لبث الفرقة والاقتتال بين القوى المناهضة لليابان.

وقد استخدمت الامبريالية اليابانية هذا الاسلوب بالذات، عندما اباد تونغ شان هو افراد المفرزة الخاصة بقيادة لى كوانغ عن بكرة ابيها.

وكخطوة اولى فى هذا السبيل، طلب العدو من لى كوانغ الاستسلام. وظهر فى

كل الارجاء اعلان مشؤوم يعرض مكافأة كبيرة لمن يلقى القبض عليه، اما اذا سلم لى كوانغ نفسه فانه سيمنح منصبا رفيعا. فقد تأكد للعدو انه لتفكيك وحدة وو وى تشينغ لا بد من منع تأثير الشيوعيين عنها، وان لى كوانغ هو الرأس المدبر وراء ممارسة مثل هذا التأثير عليهم. ويمكن القول ان مفرزته الخاصة كانت اشبه بفرقة صدام للجبهة المتحدة تغلغلت فى اعماق جيش الانقاذ الوطنى. وعليه، فقد كانت اجهزة الاستخبارات اليابانية تعرف جيدا ما يمثله لى كوانغ.

وقع تونغ شان هو، المثال النموذجى لقاطع الطريق، فى الشرك الذى نصبه المتآمرون اليابانيون بكل سهولة، نظرا لجهله السياسى وشراسته وكثرة نزواته. وحيث انه كان يعرف جيدا ما يريده لى كوانغ، فقد عمل وفقا للسيناريو الذى وضعه له الامبرياليون اليابانيون، وخدعه بان اقترح عليه التفاوض فى لاوهيشان حول العمليات العسكرية المشتركة.

وكانت هفوة لى كوانغ انه ابتلع الطعم دون ترو. فقد اتجه الى لاوهيشان مع اكثر من عشرة من افراد مفرزته الخاصة، بينهم وانغ تشينغ فو رئيس سكرتارية القيادة الميدانية لجيش الانقاذ الوطنى، دون ان يفطن الى حقيقة تحول تونغ شان هو الى كلب للامبريالية اليابانية. حذرته المنظمة الحزبية من خطورة الاتصال بتونغ شان هو، قائد قطاع الطرق الجاهل والشرس، ودعته الى التفكير مليا فى الامر. لكن لى كوانغ لم يتراجع عن قراره، قائلا: ما دامت الثورة لن تتقدم الى الامام اذا لم نحقق خط الجبهة المشتركة المناهضة للامبريالية، فعلى ان اذهب اليه ولو ادى ذلك الى اغتيالى.

اقام تونغ شان هو مأدبة على شرف لى كوانغ ومرافقيه ثم اقدم على قتلهم جميعا. وقد بقى واحد منهم على قيد الحياة، فاخذناه بعد ان هرب قطاع الطرق معتقدين ان الجميع قد ماتوا. وقد استشهد هذا الرفيق ايضا فيما بعد فى معركة جرت داخل غابة ما بين لوزوكو ولاوهيشان.

عندما حدثت هذه المجزرة، كان عمر لى كوانغ سبعة وعشرين عاما. وكان خطأه الوحيد الافتقار الى اليقظة. فمن اجل اقامة الجبهة المتحدة مع تونغ شان هو،

كان عليه ان يعيد تكوين هذا الاخير من الناحية الفكرية، لكنه خطط لتحقيقها بمجرد اقامة علاقات صداقة انسانية. لذلك، اعتقل فى كوخ فى جبل لاوهيشان حيث جرى اغتياله.

لقد كان لموته اثر بالغ على. وقد تملكنى حقد شديد على القتلة حتى اننى فكرت بالذهاب مع وحدتى لتصفية عصابة تونغ شان هو. ولو لا صوت العقل الذى كان يقول لى ان اقامة الجبهة المشتركة مع الوحدات الصينية المعادية لليابان هو واجب الشيوعيين الآنى واستراتيجيتهم العامة، لالقيت بنفسى فى معركة الانتقام الدموى دون تردد.

جميع السكان فى منشوريا الشرقية شجبوا بشدة تلك الجريمة النكراء التى اقترفها تونغ شان هو، ودعوا الى الثأر بالدم. وتذمرت العناصر اليسارية المتهورة قائلة: لماذا لا ينطلق الجيش لقطع دابر اولئك الاعداء الطبقيين الذين قتلوا لى كوانغ؟ فيما اعتبر آخرون عدم قضاء جيش حرب العصابات على تونغ شان هو تعبيرا عن النزعة اليمينية.

تعرضت قضية الشيوعيين فى الجبهة المشتركة المناهضة للامبريالية لضربة قاصمة بمقتل لى كوانغ. فقد فقدنا رفيقا غاليا لا يقايض حتى بألف جندى من العدو. لقد انتزع العدو منا دعامة اخرى من دعائم الثورة الكورية.

احسست عند مقتله وكأن احدا يقتطع من لحمى دون رحمة، لكننى ضغطت على شفتى وكبحت دموعى وقلت: " لم تكد تنقضى سنة واحدة فقط على بدء الحرب المناهضة لليابان ولكن، كم من رفاق السلاح غادرونا! لماذا يرحل اصدقائى من الدنيا هكذا مسرعين، فور ارتباطى بهم بعلاقات حميمة؟ أهو قدرى يا ترى؟"

همت على وجهى دون هدف، وانا اشد قبضتى، على ضفاف نهر سياووانغتشينغ، حيث كنت اتناقش مع لى كوانغ حول استراتيجية الحرب المناهضة لليابان، ورفضت الف مرة هذا المصير الذى يدفعنى الى لجة الحزن، وقررت:

(لن يذهب موت لى كوانغ عبثا. اذا ما مضينا قدما بنجاح فى دفع عجلة الجبهة المتحدة مع الوحدات الصينية المعادية لليابان، التى كرس لى كوانغ فى الواقع قدرا

كبيرا من الجهود والطاقات من اجلها، فلسوف يسعده ذلك حتى وهو تحت الثرى.)

جعلني موت لي كوانغ اعجل بالتفاوض مع وو وي تشينغ. لم يبعدني موته عن طريق الجبهة المتحدة، بل بالعكس قربني منها اكثر فاكثر حتى بت لا استطيع التراجع او النكوص.

"يجب ان اذهب واقابل وو وي تشينغ. فاذا نجحت في التفاوض معه، سأكون قد ثأرت للي كوانغ."

فكرت بذلك، واسرعت الخطى الى لوزوكو.

وفي الطريق توقفت في تايبينغتشون لاقدم تعازي الى اهل لي كوانغ. وعندما اردت الذهاب، وقفت كونغ سوك زا، ارملته، فاتحة ذراعيها على مداهما في وجهي وقالت:

"لا يجوز ان تذهب الى هناك ايها القائد. يجب عدم الذهاب. في ذلك الطريق حلت المصيبة بزوجي. ارجوك ايها القائد."

والغريب ان صرخات تلك المرأة الملتاعة جعلتني اعجل في الذهاب في وضح النهار.

كانت الارملة تحتضن بقوة صبيا في السابعة او الثامنة من عمره وتتأوه وتمسح دموعها بشريط ثوبها.

الصبي الذي كانت تحتضنه المرأة هو لي بو تشون ابن لي كوانغ. وكان يتطلع الي ايضا بعينين دامعتين. لقد كان كلما رآني قادما في السابق، يتوقف عن اللعب في فناء البيت، ويركض نحوي صارخا:" العم سونغ جو! ". وذات مرة، طلب مني بالحاح وهو يتعلق بي ان اصنع له جرادة من العشب.

وحين رأيته مع خالته زوجة ابيه، شعرت بتأنيب الضمير لانني لم الب طلبه يومها. ليته يلقي بنفسه نحوي مثلما كان يفعل، ويطلب مني ان اصنع له جرادة من العشب. وكم سيخفف من احزاني لو انه يتوسل الي ببراءته مناديا اياي "يا عمي! " لكي ارفعه واحمله على كتفي.

غير ان بو تشون كان يبكي بصمت. لم يعد ذلك الطفل اللعوب والمنفتح، بل

طفل حزين منطو يدخل مبكرا فى عالم الآلام، مودعا طفولته الجميلة جمال قوس قزح. لقد انتزع موت ابيه الى الابد احلامه بصنع جرادة من اوراق العشب. وهكذا اصبح بو تشون يتيم الابوين قبل ان يبلغ العاشرة من عمره.

فكرت فى نفسى: "لن يطلب منى بعد اليوم صنع تلك الجرادة". فقد امتلأت روحه الغضة بموت ابيه المأساوى.

نظرت الى وجهه، وكنت على وشك ان اقول:

(وداعا يا بو تشون. ساعود اليك بعد ان اثأر لك من عدو ابيك.)

ولكننى كبحت تلك العبارة وقلت له:

"عمك لا يطيق صبرا على الظمأ يا بو تشون. كلما كنت آتى الى هذا البيت، كان ابوك يقدم لى الماء البارد. ألا تريد ان تفعل مثله وتأتينى بشربة ماء؟ "

وعلى الفور، لمعت عينا لى بو تشون الدامعتان بحيوية. واختفى مثل نيزك ليعود بعد قليل حاملا طاسا نحاسيا مملوءا بالماء من بئر الشادوف. بدا لى ان هذه الحركة الصغيرة قد غيرت مزاجه تماما.

حينما رأيت الماء يترجرج فى الطاس النحاسى، ارتسمت امام ناظرى فجأة صورة لى كوانغ. ثم تلاشت لتحل محلها صورة ابنه، فكادت الدموع تنفر من عينى.

وردا على كرم الصبى، شربت الماء كله دون ان اترك قطرة واحدة.

مسح بو تشون انفه بظاهر كفه ثم رمقنى بنظرة حانية وهو يأخذ الطاس من يدى.

فاصدرت امر الانطلاق للوحدة، وانا اشعر بشىء من الارتياح.

ولكننى ما ان التفت لكى اودعه، حتى انطلق يجرى صوب البيت بأقصى سرعة. فتساءلت مستغربا:

"ماذا جرى له؟ "

لكن بو تشون ما لبث ان عاد بالسرعة نفسها التى اختفى بها، حاملا حفنة من الشوفان، وقدمها لجوادى الابيض. حركته الصامتة هذه حركت مشاعرى وانتزعت الدموع من عينى اخيرا.

وبعد ان عبرنا النهر وابتعدنا مسافة لا بأس بها، ظل بو تشون واقفا على ضفة النهر يتابعنا من بعيد. وعندما التفت برأسى ناحيته من فوق صهوة الجواد، تراءى لعينى كنقطة بيضاء تهتز.

(واجبك يا بو تشون ان تخلف اباك وتقوم بالثورة عندما تكبر!) هكذا، تمنيت فى قرارة نفسى ان يكون مستقبل بو تشون، وانا ارفع يدى عاليا له من بعيد.

وعندما شرعت بالحملة الثانية الى منشوريا الشمالية، اثر حل مناطق حرب العصابات، عرجت فى طريقى على بيت لى كوانغ ومكثت فيه نحو اسبوع، وتحدثت مع كونغ سوك زا مطولا حول مستقبل بو تشون.

وقد شب بو تشون ثوريا كما اردته. وفى اثناء عمله فى السكك الحديدية فى لينكو، اعتقل وبقى فى السجن سنتين، بسبب انكشاف دوره فى هجوم على قطار يحمل اعتدة حربية للامبريالية اليابانية. حدث كل ذلك وهو بعد دون العشرين من عمره.

اطلق سراحه من السجن مع تحرر الوطن عام ١٩٤٥. فرجع مرة ثانية الى لينكو بعد ان تجول فى بيونغ يانغ وسيؤول مرورا بداندونغ فى خريف ذلك العام. لقد كان يتحرق شوقا الى ارض الوطن وسمائه ومياهه، الوطن الذى ولد فيه جده. فتركت الرحلة انطباعات لا تمحى فى قلب ذلك الشاب الحساس الواعد ذى العشرين ربيعا.

لقد عبر الجسر الحديدى فوق نهر آمروك بخطوات متثاقلة عائدا نحو الصين، وهو يشعر فى قرارة نفسه برغبة عارمة فى تكريس نفسه جسدا وروحا لبناء البلاد التى يوجد فيها اصدقاء والده، ففيها كان يبنى العالم الجديد الذى تطلع اليه والده والفردوس الذى حلم به هو نفسه منذ طفولته.

ولكن نيران الحرب ما لبثت ان اكتسحت هذا الفردوس بعد خمس سنوات، وخاضت جمهوريتنا الفتية غمار معركة مصيرية دفاعا عن وجودها.

لكن لى بو تشون، آمر السرية فى جيش التحرير الشعبى الصينى، الذى شم رائحة الدخان من بعد آلاف الريات، تطوع للقتال على الجبهة الكورية وانتسب الى

الجيش الشعبى. وقاتل كضابط فى احدى الفرق الميكانيكية الى ان سقط شهيدا، للاسف الشديد، فى خريف عام ١٩٥٠.

ان الرفيق كيم جونغ إيل الذى كان يعرف جيدا ما تمثله حياة لى كوانغ المتقدة ونشاطاته الثورية، اسند الى السينمائيين فى السبعينات مهمة اخراج فيلم روائى يحكى قصة لى كوانغ. فكان فيلم "فى الوحدة المسلحة الاولى". ومنذ ذلك الحين، صار اسم لى كوانغ معروفا فى طول البلاد وعرضها.

كذلك استشهدت كونغ سوك زا، ارملة لى كوانغ، اثناء عملها كخياطة فى صفوف جيش حرب العصابات.

كما ان لى زو بيونغ، والد لى كوانغ، الذى كان يستعيض عن الحزن على استشهاد ابنه بالتحمس لدعم الجيش الثورى، ولى بونغ زو، اخته، وافتهما المنية بسبب آثار التعذيب على ايدى جلاوزة العدو.

وانه لمن حسن الحظ حقا ان لى بو تشون ترك لنا قبل ان يستشهد ابنه الوحيد الذى يسلك الآن الدرب التى شقها جيل جده ووسعها جيل ابيه، قابضا بيده على البندقية باحكام.

وهكذا، فان اجيالا ثلاثة من اسرة لى كوانغ خدمت وتخدم فى الجيش الثورى. وانه لأمر مقدس ويبعث على الافتخار حقا ان تحمل ثلاثة اجيال من اسرة واحدة البندقية بأيديها. وقد كان شيئا عظيما للغاية ان يخدم حفيد لى كوانغ فى صفوف الجيش، مترسما خطى جده وابيه، بدلا من العمل فى مجال آخر.

حين ظهر الضابط الفتى، الكبير الشبه بجده من حيث وجهه وهندامه وخطواته، امامى مع امه، لم استطع ان اتمالك مشاعر التأثر وفيض الذكريات الخافقة فى قلبى كما لو ان لى كوانغ الذى غادرنا الى غير رجعة قبل ستين عاما عاد الينا حيا يرزق.

وان تربى زوجة لى بو تشون، التى ترملت وهى فى الخامسة والعشرين من عمرها، ذلك الابن الوحيد تربية سديدة، واضعة ثقتها فيه طوال اربعين عاما لكى يكون جديرا بوراثة لى كوانغ وروحه الثورية، لصنيع مشكور وجدير بالتقدير.

وخلال مقابلتى له، اقسم ابن لى بو تشون على ان يجعل ابناءه وبناته يخدمون

مثله ايضا فى صفوف الجيش، ليتواصل ولاءهم لى وللمارشال كيم جونغ إيل جيلا بعد جيل. وانى لعلى ثقة تامة من انه سيفى بقسمه. فآل لى كوانغ لا يطلقون ابدا الكلام جزافا.

لو عاد لى كوانغ الى الوطن المحرر حيا، فاى عمل كان سيتولى؟

هذا السؤال يتبادر الى ذهنى احيانا. غنى عن القول ان نشاطاته الاجتماعية بدأت بالتعليم، وقد كانت رغبته التى عبر لى عنها فى بيت لى تشونغ سان اثناء اجتماع مينغويكو الشتوى انه يجب ان يعمل مدرسا.

الا اننى اعتقد انه لو عاد الى الوطن المحرر حيا، مكللا باكاليل الظفر، لارتدى البزة العسكرية مثله مثل كانغ كون او تشاى هيون. لقد كان حقا شيوعيا متفانيا عاش حياته كلها وهو يأخذ على عاتقه اصعب المهام واكثرها مشقة.

٢ـ مفاوضات مع وو وى تشينغ

احدى اكثر المشاكل صعوبة واشدها الحاحا فى ايجاد حل لها بعد انتقال مسرح نضالنا الى وانغتشينغ هى الخلافات الحادة التى ظهرت فى العلاقات مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان. فمن جراء مؤامرات الامبريالية اليابانية المستميتة لبذر الشقاق وبسبب كثرة تذبذب زعماء تلك الوحدات والنتائج الوخيمة لخط السوفييت اليسارى، وصلت العلاقات ما بين جيش حرب العصابات المناهض لليابان وجيش الانقاذ الوطنى الى عتبة الاشتباك المسلح مرة اخرى فى مطلع عام ١٩٣٣.

لقد سبق وذكرت ان الشيوعيين الكوريين والصينيين بذلوا جهودا جبارة لتعزيز العمل مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان فى منشوريا منذ حادثة ١٨ ايلول.

ونتيجة لتلك الجهود، استطاع جيش وانغتشينغ لحرب العصابات ان يحافظ على علاقة طيبة مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان فى بداية الامر. ولعل اروع مثال على تلك العلاقة الطيبة هو صد هجوم احدى الحاميات اليابانية على توكغول فى ربيع عام ١٩٣٢ بتضافر قوى جيش حرب العصابات وفرقة الدفاع الذاتى ووحدة آمر الكتيبة غوان.

فالعدو الذى انطلق من دادوتشوان، ظهر فى توكغول مع عشرات العربات التى تجرها الخيول لنقل الاخشاب التى تم قطعها فى عهد الكومنتانغ. كانت ثمة كميات هائلة من الخشب مكدسة فى وديان داوانغتشينغ وسياووانغتشينغ.

وقد اباد جيشنا فى ذلك اليوم معظم افراد الحامية اليابانية البالغ قوامها نحو اربعين او خمسين جنديا باستدراجهم الى الكمائن، وانتزع منهم كمية كبيرة من الاسلحة.

كانت معركة توكغول فرصة طيبة لتحسين صورة الشيوعيين فى منطقة وانغتشينغ حيث تأصلت ميول معاداة الشيوعية، ولتحويل العلاقات مع جيش الانقاذ الوطنى من علاقات عدائية الى علاقات تعاون. وقد فتحت هذه المعركة الطريق لتغلغل الشيوعيين بين رجال جيش الانقاذ الوطنى. فبعد معركة توكغول، انتسب كيم وون سيك وهونغ هاى ايل ووون هونغ كوون وزانغ ريونغ سام وكيم ها ايل وغيرهم الى وحدة غوان.

ولم يمض وقت طويل، حتى عين الرامى الماهر كيم ها ايل مراسلا، والمثقف كيم وون سيك رئيسا لاركان الوحدة.

لا بل انه فى اعقاب معركة توكغول قام الجمهور فى ماتشون بغسل ملابس ضباط وجنود وحدة غوان وقدموا اليهم الهدايا المضمخة بمشاعر الولاء، مثل فراشى ومسحوق الاسنان والصابون والمناشف وعلب السجائر، على نحو ما كانوا يفعلون فى الماضى، ونظموا العديد من العروض الفنية التشجيعية لاعضاء رابطة الاطفال. ومن جانبهم، قام اعضاء اتحاد الشباب الشيوعى بالعمل السياسى مستخدمين المنشورات والكتيبات الدعائية.

نادرا ما كنت تسمع رجال جيش الانقاذ الوطنى ينادون الشيوعيين بكلمة "تونغزو" (رفيق– المترجم). الا ان ضباط وجنود وحدة غوان صاروا يحيون رجال الجيش الثورى "بتونغزو" كلما التقوا بهم.

كان الرفاق الموفدون الى تلك الوحدة جميعا على مستوى اعلى من مستوى اعضاء اللجان الحزبية فى الدوائر، وهذا اتاح لهم العمل مع ضباط وجنود جيش الانقاذ الوطنى بمهارة. وقد اعجب آمر الكتيبة غوان بسجايا الشيوعيين الانسانية وكفاءاتهم. وكان كسبهم الى جانبنا حدثا بالغ الاهمية فى تحسين العلاقات مع وحدات جيش الانقاذ الوطنى الاخرى.

راح جيش حرب العصابات المناهض لليابان فى منطقة هونتشون يتبادل حتى المعلومات مع وحدات جيش الانقاذ الوطنى، بل وصل الامر بهما الى حد التعاون فى تصفية العملاء. وتسلحت وحدة يانتونغلاجى لحرب العصابات بالاسلحة التى قدمها لها جيش الانقاذ الوطنى.

وكان الوضع مؤاتيا لاحداث انعطاف فى تحقيق الجبهة المتحدة مع جيش الانقاذ الوطنى فيما لو انكب الشيوعيون على العمل بمزيد من العنفوان.

ولكن العلاقات الودية مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان التى بنيت بجهد جهيد، ما لبثت ان ذهبت ادراج الرياح نتيجة "حادثة كيم ميونغ سان" التى اقترفها المغامرون اليساريون. فقد ادت تلك الحادثة الى عواقب خطيرة تمثلت فى استسلام آمر الكتيبة غوان للامبريالية اليابانية، رافعا العلم الابيض، وابتعاد وحدات جيش الانقاذ الوطنى الاخرى عن الشيوعيين. وقد تزامن ذلك تقريبا مع تعقيدات الوضع التى نشأت اثر اطلاق وحدة تشاى هيون بمحافظة آنزى نيران رشاشاتها على جنود الوحدة الصينية المناهضة لليابان الذين استسلموا للعدو.

لقد اقترفت وحدة وانغتشينغ لحرب العصابات اخطاء كثيرة فى علاقاتها مع جيش الانقاذ الوطنى فى البداية. فلم ينفذ آمر الكتيبة ريانغ سونغ ريونغ سياسة الجبهة المتحدة كما كان ينبغى نتيجة الهوس بالبنادق. كان ريانغ سونغ ريونغ ضابطا كفوءا يتصف بحسن الخلق والمهارة فى القتال، الا انه اهمل شأن الجبهة المتحدة، لوقوعه اسير النزعة العسكرية والمغامرة، ولذلك انتقدناه بشدة.

اما وحدة كاو شان التى تأثرت بنا كثيرا، فتمسكت على الدوام بالتحالف مع جيش حرب العصابات المناهض لليابان ولم تتبع اخطاء آمر الكتيبة غوان. ففى يوم عيد "دانو" فى الشهر الخامس القمرى من عام ١٩٣٣، احبطت تلك الوحدة بالاشتراك مع فرقة الدفاع الذاتى فى زاتوغى (قرية تايبينغتشون حاليا) بقيادة باك دو سونغ هجوم حامية من الجيش اليابانى وجيش منشوكو العميل قوامها اكثر من ٣٠٠ جندى زحفت على شيليبينغ عبر دونغنانتشا من مواقعها فى حاضرة محافظة دونغنينغ، وابادت اعدادا كبيرة من العدو.

ولان جيش الانقاذ الوطنى كان يوزع الحراس على مداخل ثكناته فقط ويهمل امر الحراسة البعيدة، تولت فرقة الدفاع الذاتى المناهضة لليابان مهام هذه الحراسة لوحدة كاو شان. وعندما كان هذا الاخير يريد ارسال رسائل هامة وعاجلة الى الوحدات الصينية الاخرى المناهضة لليابان، كان يطلب عادة من منظماتنا شبه

العسكرية فى شيليبينغ معاونته فى ذلك. وهكذا، كان اعضاء طليعة الاحداث ينقلون الرسائل بصورة مسؤولة بدلا من الجنود.

الا ان هذه العلاقات الودية لم تتسع لتشمل الوحدات الاخرى. فرياح العبث اليسارى التى كانت تكتسح مناطق حرب العصابات كانت تنطوى على خطر من شأنه ان يحطم حتى علاقات التحالف هذه مع كاو شان.

لقد كانت سياسة السوفييت اليسارية هى الحافز لتسريع فساد وتفسخ الوحدات الصينية المناهضة لليابان التى كانت تربطنا بها علاقات تحالف او علاقات تعاطف حتى الامس القريب.

فقد لجأ الانتهازيون اليساريون الى استخدام التطرف اليسارى حتى فى العمل مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان. واطلقوا بتهور شعارات من نوع: "ليسقط الضباط، سليلو الاقطاعيين والطبقة المالكة! "، "فليعلن الجنود العصيان وينضموا الى جيش حرب العصابات!"، ويهرفون بكلام من قبيل: "يجب حصر التلاحم مع الفئة الدنيا فقط من جيش الانقاذ الوطنى"، و"ينبغى تحريض جنود جيش الانقاذ الوطنى على التمرد والاجهاز على زعمائهم". وقد كان لمثل تلك الشعارات عواقب وخيمة، منها تحطم التلاحم مع الفئة العليا من الوحدات الصينية المناهضة لليابان.

فراحت الوحدات الصينية المناهضة لليابان تقتل الكوريين، زاعمة انهم "عملاء لليابان" او "الاوكولى كونغتشانتانغ" اى شيوعيون كوريون.

استغل الامبرياليون اليابانيون هذه الفرصة للقيام بحملة شاملة لدق الاسافين وبذر بذور التنافر بين الشعب الكورى والشعب الصينى، وبين الشيوعيين الكوريين والشيوعيين الصينيين، وبين جيش حرب العصابات والوحدات الصينية المناهضة لليابان. فمنذ اليوم الاول لاحتلالهم منشوريا، سعى الامبرياليون اليابانيون باستماتة لسحق وحدات جيش الانقاذ الوطنى التى انفصلت عن جيش الشمال الشرقى القديم بقيادة تشانغ سو ليانغ، رافعة راية مناهضة اليابان. ولعل اكثر ما كان يخيفهم هو تحالفنا مع جيش الانقاذ الوطنى. فقد كانوا يدركون جيدا انه اذا ما نجح الشيوعيون فى التعاون مع وحدات جيش الانقاذ الوطنى، فانهم سيتحولون الى قوة جبارة تمنع

الامبريالية اليابانية من الحفاظ على امنها العام ومن تحقيق مخططاتها فى غزو القارة وتضغط على عنقها.

وقد تجلت براعة اليابان فى دق الاسافين بجلاء فى حادثة وانبوشان وحادثة لونغجينغ (التى جرى الاعداد لها ولكنها لم تنفذ) وحادثة فوشون. ان جهاز مخابرات الامبريالية اليابانية، صاحب الباع الطويل فى تدبير المكائد، اقدم بلا تردد على افتعال مسرحية القتل المسماة بحادثة فوشون، والتى تخجل منها حتى الوحوش والاصنام الحجرية، بهدف تقويض علاقات حسن الجوار بين الشعبين الكورى والصينى.

وقائع الحادثة جرت على النحو التالى: كلف جهاز المخابرات اليابانى احد اليابانيين بقتل صينى برىء فى فوشون بمدية. ولكى يروجوا ان كوريا قتل صينيا وهرب، البس المتآمرون اليابانيون ذلك القاتل اليابانى "دورماغي" (٠) كى يبدو انه كورى. ولئن نجح المجرم فى القتل الا ان ثيابه اليابانية انكشفت تحت معطفه الكورى فعرف انه يابانى، وباءت المكيدة بالفشل.

واذا توسعنا فى ذكر مثل هذه الحوادث، فاننا نذكر ايضا حادثتى ليوتيا كو وجسر لوغوتشياو. لقد كانت المعادلة التى تطبقها اليابان فى تدبير المكائد دنيئة وشرسة على نحو ما مر معنا. الا ان عددا غير قليل من الناس انطلت عليهم المكائد بسبب براعة الامبرياليين اليابانيين فى تلفيق الزيف، فكانوا ينخدعون بسهولة بهذا الزيف.

ولبذر الشقاق بين الكوريين والصينيين، اشاع الامبرياليون اليابانيون ان "الكوريين يحاولون اغتصاب منشوريا"، وان "الحزب الشيوعى يسعى الى نزع سلاح جيش الانقاذ الوطنى"، وعمدوا الى تحريض الرجعيين المنضمين الى "مينساينغدان " للمطالبة بالحكم الذاتى للكوريين فى تشينتاو، وجوهره اقامة "منطقة حكم ذاتى للكوريين فى تشينتاو" و"حكومة ذاتية دستورية للكوريين". وكانوا يضرمون النار احيانا فى منازل الصينيين ثم ينشرون الشائعات الكاذبة بان جيش حرب العصابات الكورى هو الذى فعل ذلك.

---

(٠) دورماغى: لباس تقليدى كورى يشبه المعطف – المترجم

وثمة عامل آخر ساهم فى اخفاق الجبهة المتحدة بين جيش حرب العصابات المناهض لليابان والوحدات الصينية المناهضة لليابان، وهو مؤامرات الامبريالية اليابانية الغادرة فى ما سمى العودة الى الطاعة، مما ادى الى انحطاط الوعى المناهض لليابان لدى زعماء الوحدات الصينية.

فى كانون الثانى عام ١٩٣٣، استسلم وانغ يو جين، الذى كان يرابط فى تومينجى بمحافظة هونتشون، مع جنوده للعدو. وهكذا اعيد تنظيم المئات منهم فى جيش حرب عصابات مؤقت معارض لنا. وفى شباط، استسلم نصف جنود وحدة غوان التى كانت فى سياووانغتشينغ وعادوا الى الطاعة، واستخدموا فى فرقة الدفاع وفى ادارة الامن العام لحكومة منشوكو. وفى الشهر نفسه، جاء العشرات من ضباط وجنود وحدة ما غوى لين التى كانت تظهر وتختفى قرب داهوانغكو مستسلمين وانضموا الى فرقة هاماتانغ للدفاع الذاتى. كما قام ضباط وجنود وحدة جيانغ هاى فى ايرتشاجيكو بمحافظة وانغتشينغ ووحدة تشينغ شان فى هوشاوبو بالاستسلام.

ورشت الامبريالية اليابانية تونغ شان هو، زعيم قطاع الطرق سىء الصيت، الذى كان يرابط فى منطقة لاوهيشان، وتمكن من ابادة مفرزة لى كوانغ الخاصة عن بكرة ابيها.

كان الوضع سيئا الى حد ان جيش حرب العصابات صار يقوم بمسيراته اثناء الليل فقط، خشية التعرض لاعتداءات جيش الانقاذ الوطنى. لم يكن باستطاعة الكوريين ان يعيشوا او حتى يتنفسوا بدون تحسين العلاقات مع جيش الانقاذ الوطنى. وتحويل تلك العلاقات من العداء الى التحالف طرح نفسه من جديد كمسألة مصيرية بالنسبة للشيوعيين، يتوقف عليها مستقبل الثورة ومصيرها.

فقررت، وبكل جرأة ان ازور وو وى تشينغ، قائد الجبهة الامامية لجيش الانقاذ الوطنى. وكان زمام امور هذا الجيش قد آل اليه بعد مغادرة وانغ دى لين تشينتاو. كنت مؤمنا باننى اذا تمكنت من اقناع وو وى تشينغ، فاننا سنتوصل الى وضع حد لحالة التوتر التى تكتنف نشاطات حرب العصابات فى منشوريا الشرقية من جراء "حادثة كيم ميونغ سان" والمجزرة الوحشية التى اودت بمفرزة لى كوانغ

الخاصة، ونتغلب تماما على المصاعب التى تواجه ثورتنا.

ولضمان النجاح فى المفاوضات مع وو وى تشينغ، ناقشت الامر بمنتهى الجدية مع بان سونغ وى. ولئن ايد بان سونغ وى قرارى واعتبره سليما، فانه طلب منى فى الوقت ذاته ان احترس من الذهاب بنفسى اليه. وقال بان الصينى قد ينجح، ولكن الكورى اذا ذهب اليه فلن يتمكن من اقناع ذلك الرجل المتغطرس والمغرور، والمتمادى فى تحيزه. ومما قاله بان سونغ وى ايضا انه لكسب القائد وو او القائد تشاى الى جانبنا، لا بد من قطع الخيوط التى يحركهما بها لى تشونغ تشون فى الخفاء، وكان هذا بحد ذاته مشكلة.

اصريت على الذهاب اليه شخصيا، متحديا كل العقبات، ومخالفا نصيحة بان سونغ وى. وقلت:

"لى تشونغ تشون هو الآخر كورى، ولن يضع امامنا العراقيل اذا نحن احسنا اقناعه، رغم انه معاد للشيوعية. انى اعرفه منذ زمان. وقد تبادلت الحديث معه عدة مرات اثناء اجتماع ضم الجماعات الثلاث فى جيلين. ووالدى ايضا كان يعرفه معرفة جيدة."

"وما صلة المعارف او غير المعارف بهذا الشأن؟ أتظن ان هذا النوع من الناس يعرف التمييز بين الغرباء والمعارف؟ اضف الى ذلك ان وو وى تشينغ متعنت جدا. لا ارى اى امل فى كسبه."

بذل بان سونغ وى قصارى جهده ليثنى عن خطتى الجريئة.

"لدى تجربة مع القائد يو فى آنتو. وما دمت قد كسبته، فماذا يحول دون امكانية كسب وو وى تشينغ، هيه؟"

"عند التفاوض مع القائد يو، كان السيد ليو بين تشاو يعمل رئيسا لاركانه، أليس كذلك؟ وقد افادك ذلك كثيرا."

"وفى وحدة وو وى تشينغ ايضا من يدعمنا. أليس تشين هان جيانغ هو امين سكرتاريتها ثم ان رئيس الاركان هو جى مين، وهو الآخر، من انصارنا."

وحين قلت ذلك كشفت تناقضى بنفسى. اذ كانت قد وصلتنى قبل فترة قصيرة

رسالة من تشين هان جيانغ، الذى قلت عنه انه مؤيد مضمون، يطلب فيها المساندة الحاسمة منى. كتب فى تلك الرسالة ان حل مسألة التحالف مع القائد وو بمساعيه الذاتية لم يعد واردا، و"ان هذه المسألة لا يمكن حلها الا بمجيء الرفيق كيم إيل سونغ، فأرجو من المنظمة اتخاذ التدابير العاجلة بهذا الشأن". كان بان سونغ وى، هو الآخر، على علم بذلك. فقال لى:

"هل يجوز ان تجازف بنفسك على هذا النحو، ما دامت آفاق الثورة غير واضحة بعد؟ ارجوك ان تعيد التفكير بالامر."

لقد اصر بان سونغ وى على انتزاع تلك الفكرة من رأسى:

"لا يجوز ان تعتبر نفسك ملكا لنفسك. لا تنس انك قد تصبح لى كوانغ الآخر اذا وقع ادنى خطأ. عليكم انتم ان تعيشوا وتناضلوا من اجل كوريا الى النهاية حتى ولو متنا نحن جميعا وصرنا عظاما."

اثرت فى كلمات بان سونغ وى تلك، الا انى لم اتخل عن ذرة واحدة من رغبتى الملحة فى تحقيق الجبهة المشتركة.

بعد مغادرة بان سونغ وى متوجها الى محافظة هونتشون، عقد ممثلو وحدات جيش حرب العصابات المرابطة فى مختلف محافظات منشوريا الشرقية اجتماعا فى وانغتشينغ وناقشوا بالتفصيل مسألة الجبهة المتحدة. كانت اهم النقاط فى جدول اعمال ذلك الاجتماع هى مسألة التحالف مع جيش الانقاذ الوطنى، اى مسألة من سيذهب الى لوزوكو حيث تتمركز وحدات وو وى تشينغ وتشاى شى رونغ وشا تشون هينغ...، للتفاوض معهم.

اصريت على ضرورة ذهابى شخصيا. فأقر الاجتماع ذهابى الى لوزوكو شريطة ان يرافقنى نحو مئة عنصر حراسة. وهكذا فان زيارة القائد وو وى تشينغ لم تكن سهلة على الاطلاق. وللتفاوض معه كان من الضرورى الاطلاع اولا على الوضع من خلال اشخاص مثل تشين هان جيانغ وهو جى مين. لقد كان تشين هان جيانغ امينا لسر وو وى تشينغ، وشخصا مخلصا فى عمله يلازم مكتبه ولا يكاد يخرج منه. وحتى اذا خرج فلا يمكنه ان يلتقى بكوريين حتى لا يثير الشبهات.

ولكن، بما انه كان عضوا فى منظمة الشباب الشيوعى التى كنت اقودها، فان بامكانه مساعدتى دون ان يأبه للخطر، لاننا اقسمنا يمين الولاء معا.

كتبت اولا الى تشين هان جيانغ وهو جى مين، ثم بعثت رسائل الى وو وى تشينغ وتشاى شى رونغ اوضحت فيها القصد من زيارتنا للوزوكو. وبجانب اسم المرسل مهرت مغلف الرسالة بخاتم مربع ضخم لاضفاء الصفة الرسمية على الرسالة.

بعد توجيه الرسائل، بدأت اهتم بمعرفة رد فعل وحدة وو وى تشينغ من خلال المنظمات الثورية فى منطقة لوزوكو، وقد كان الرد ايجابيا. فقد ابلغتنا تلك المنظمات حتى بواقعة ان جيش الانقاذ الوطنى علق يافطة تقول "اهلا برجال جيش حرب العصابات الكوريين المناهضين لليابان! " عند مدخل المدينة.

انطلقت الى لوزوكو مع حوالى مئة من المقاتلين المختارين. كان منظر موكبنا المنتظم مهيبا ورائعا حقا، فالجميع كانوا يلبسون البدلات الجديدة ويحملون البنادق الجديدة والحقائب الجلدية الجديدة.

وكنت امضى فى المقدمة فوق صهوة الجواد الابيض.

عند وصولنا الى تايبينغكو، اعلنا بيانا عن دخول جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان الى لوزوكو، واوفدنا جندى اتصال الى وحدة وو وى تشينغ، وبتنا تلك الليلة هناك منتظرين رده.

وفى اليوم التالى تلقينا خبر الموافقة على التفاوض. لقد كان لضمانة تشين هان جيانغ اثر كبير فى استجابة القائد وو للتفاوض. فبعدما تلقى تشين هان جيانغ رسالتى، اخبر وو وى تشينغ بأن القائد كيم شخص طيب للغاية وقال له انه يعرفنى جيدا.

فسأله وو وى تشينغ: "وكيف تعرفه طالما انه شيوعى ؟ ألست شيوعيا ايضا ؟ ".

اجابه تشين هان جيانغ بانه يعرفنى منذ زمن بعيد لانى كنت زميله فى الدراسة.

"اذا كان زميلك فى الدراسة وشخصا طيبا كما تقول، سألتقى به على مائدة الغداء."

وتحسبا للطوارئ، كأن يعتقلنا جيش الانقاذ الوطنى ويلحق الاذى بنا، نشرنا سرية قادمة من هونتشون فى قرية ادنى من تايبينغكو كى تساندنا فورا عند اللزوم، ثم دخلنا بصحبة خمسين فردا مدينة لوزوكو دخولا مهيبا على نفير الابواق، رافعين العلم الاحمر فى مقدمة الصفوف.

كان تشين هان جيانغ فى استقبال جيش حرب العصابات وقام باصطحابى الى مقر قيادة جيش الانقاذ الوطنى. فتبعنا كل من زو دونغ ووك، المكلف بمساعدتى فى المفاوضات، وجندى الاتصال لى سونغ ريم، وكلاهما كانا يحملان مسدسا رشاشا يتدلى من خاصرتيهما. وكان عدد من المساعدين ممن كانوا ينتمون اصلا الى الكومنتانغ، ينتظرون فى مقر القيادة.

كان وو وى تشينغ شخصا مهيب الطلعة وله لحية طويلة. لقد سمعت عنه بانه شخص متعجرف لا يقوم من مقعد عند قدوم الضيف، ويتبادل الحديث معه وهو يشرب الشاى مستندا الى مسند من جلد النمر. الا انه استقبلنى استقبالا رسميا وبمنتهى الكياسة فى ذلك اليوم. ومع ذلك، لم يلتزم بآداب الضيافة الصينية التى يقدم بموجبها المضيف الشاى للضيف.

حييته فى البداية بتواضع، قائلا: "اننى اقدر عالى التقدير اعلان وحدتكم ايها القائد بمواصلة طريق مناهضة اليابان، فى الوقت الذى استسلمت فيه عدة وحدات من جيش الشمال الشرقى القديم بقيادة تشانغ سو ليانغ للقوات اليابانية. ان موقفكم هذا هو عمل وطنى حميد حقا."

ما ان استمع وو وى تشينغ الى كلماتى هذه حتى افترت شفتاه عن ابتسامة وامر احد مساعديه باحضار الشاى.

"لقد قيل لى ان القائد كيم يقاتل اليابانيين بشجاعة. جيشكم يقاتل جيدا رغم قلة عدده، الا ان جيشنا لا يقاتل جيدا مثلكم رغم كثرة عدده. لقد قيل لى ان الجنود الذين يرافقونكم مسلحون جميعهم بالبنادق الجديدة، ألا يمكنكم ان تبادلونا بعضا منها ببنادقنا القديمة ؟"

ابتدأ وو وى تشينغ المفاوضات بهذه الكلمات. واذا اعتبرناها تحية منه، فانها

تحية لاذعة. لقد حاول استشفاف نوايا مفاوضيه عن طريق مدحهم من جهة، وطرح صفقة من الصعب القبول بها من جهة اخرى. ومن خلال هذه الصورة، حكمت عليه بانه دبلوماسى ماهر وماكر قد جرب حلاوة الحياة ومرها. لم اكن اعتقد انه سيطلب مثل هذا الطلب منذ المقابلة الاولى وبهذه الطريقة غير المهذبة، طمعا بعدة بنادق جديدة، وهو قائد الجبهة الامامية الذى يقود آلاف الجنود.

"ولماذا المبادلة ؟ يمكننا ان نهديكم اياها بلا مقابل."

ومع اننى اعلنت بهذا موافقتى على اقتراح القائد، الا اننى استطردت مقلبا الكلام:

"ولماذا المساومة كالبخلاء ؟ يمكننا ان نحل هذه المشكلة معا بالاشتراك فى خوض معركة ضد الجيش اليابانى... على كل حال، اذا كنتم تصرون على طلبها منا فيمكننا ان نعطيكم اياها بلا مقابل."

مسد وو وى تشينغ لحيته ثم عاود الهجوم من زاوية جديدة هذه المرة.

"ما هو حزبكم الشيوعى هذا ؟ يقول تشين هان جيانغ ان الحزب الشيوعى ليس سيئا، الا اننى لا استطيع ان اصدق ذلك. كان جو باو جونغ عضو الحزب الشيوعى مستشارا لى، ولكنه لم يعجبنى اذ كان سلوكه غامضا لا افهمه. ولهذا طردته. ولكننى سمعت ان حزبكم الشيوعى يحطم حتى المزارات، هل هذا صحيح؟"

" لماذا نحطم المزارات. انها مجرد دعاية كاذبة يشيعها المغرضون لتحميل الحزب الشيوعى وزر الجريمة."

"هل تصلى اذن فى المزارات، ايها القائد كيم؟"

"لا احطم المزارات ولا اصلى فيها، اذ لا شأن لى بها على الاطلاق. او تراك تصلى انت فى المزارات ايها القائد وو؟"

"كلا."

"انت لا تصلى وانا لا اصلى، اذن نحن سيان، أليس كذلك؟"

فعاود وو وى تشينغ تمسيد لحيته مبتسما، حين لم يجد ما يجيب به.

" معك حق. ولكننى سمعت ان الشيوعيين، رجالا ونساء، ينامون فى فراش واحد. كما انهم يغتصبون ممتلكات الآخرين. هل هذا صحيح؟"

خطر لى ان مصير المفاوضات مرهون بطريقة معالجة هذه المسألة ، واحسست بانه على ان استغل بفطنة المغريات التى يرميها لى وو وى تشينغ كى ارسم صورة صحيحة فى ذهنه عن الشيوعيين.

"وهذه ايضا دعاية مضللة ابتدعها المغرضون. لقد حدث ان اغتصب بعض من لم يستوعبوا الافكار الشيوعية على نحو سليم ممتلكات الاقطاعيين الموالين لليابان والمعادين لليابان دونما تمييز. وهذا بنظرنا سلوك سىء. ولكننا فى الوقت نفسه لا نرى من العدالة فى شىء سلوك الاقطاعيين الذين يرون فلاحيهم المأجورين يموتون جوعا، ويغمضون اعينهم دون ان يهتموا سوى بعيشهم الرغيد، بدلا من ان يقدموا شيئا من الحبوب لاولئك الجياع، ولو من باب الاحسان. أليس كذلك؟ فعندما يجوع الناس ولا يجدون ما يقيم اودهم، هل يكون امامهم طريق آخر سوى النضال ؟ لقد سمعت انه حدث تمرد فى الصين ايضا لهذه الاسباب ذاتها، وقد ادى الى قيام (تايبينغتيانغو)(٠)."

فأوما وو وى تشينغ برأسه موافقا:

"كلامكم صحيح. الذين يؤثرون العيش الرغيد وحدهم فيما البلاد تعانى من الكوارث هم قوم سيئون."

فواصلت هجومى:

" ان التخرصات القائلة بان الرجال والنساء ينامون فى فراش واحد هى اقاويل كاذبة لفقها اليابانيون لاهانة الشيوعيين. لا يوجد مثل هذا الشىء فى جيشنا لحرب العصابات رغم كثرة النساء فيه. اذا احب رجل وامرأة بعضهما بعضا، يمكنهما ان يتزوجا. اما الانضباط بين الجنسين عندنا فهو صارم جدا."

"لا اشك فى ذلك. اذ لم يحدث قط ان واقع عدة رجال امرأة واحدة بالتناوب."

"طبعا. ما من احد فى العالم اكثر تمسكا منا نحن الشيوعيين بالشرف."

---

(٠) تايبينغتيانغو: كلمة صينية تعنى "جنة السلام". وقد حدثت هذه الثورة الفلاحية فى عام ١٨٥١ ـ المترجم

وما ان وصل حديثنا الى هذا الحد حتى راح وو وى تشينغ يدعونى بالقائد كيم وتخلى عن لهجته الساخرة.

"آه، القائد كيم يحاول ان يجعلنى شيوعيا."

"لم يخطر لى ذلك على بال ايها القائد وو. لان الانسان لا يصير شيوعيا بأمر من الآخرين. ولكن، ارى من المفيد ان نضافر قوانا من اجل الانتصار على الامبرياليين اليابانيين."

هنا لوح وو وى تشينغ بيده بعصبية.

"لا نريد التعاون مع الشيوعيين حتى ولو اضطررنا للقتال بمفردنا."

"ولكن، أليس من المفيد ان نقاتل الاعداء اليابانيين متعاونين عندما تنقصنا القوة؟"

"ربما، ... على كل حال لا اريد اية مساعدة من الشيوعيين."

"ومن يعرف ما يخبئ المستقبل؟ ربما ستحتاجون يوما لمساعدتنا."

"يبدو ان كلامكم صحيح. حتى الشيطان لا يستطيع التكهن بما يخبئ المستقبل للمرء. لى طلب وحيد عند القائد كيم. ألا تريد الانضمام الى جياجيالى؟ ارى ان ذلك افضل من الانضمام الى الحزب الشيوعى..."

بعدما طرح هذا السؤال على حين غرة، حدق وو وى تشينغ فى وجهى بنظرة سعادة خبيثة وقد لاحظ فى ملامحى بعض امارات التردد.

والحقيقة اننى وقعت فى حيرة حين سمعت بجياجيالى. لقد تحدانى وو وى تشينغ بالسؤال الوحيد الذى يمكنه ان يوقعنى فى مأزق.

تعنى عبارة "جياجيالى" الاسرة الواحدة، وهى تسمية اخرى لمنظمة "تشينغهونغبانغ" عند الصينيين. وقد شكلها ضد الامبراطور العمال الذين شقوا قناة وكانوا يجرون فيها السفن، وذلك بعد ان عجزوا عن تحمل حياة الشقاء والبؤس. ولم يكن فى تلك المنظمة وجود للممتلكات الخاصة. لقد كانت منظمة عظيمة فى ذلك الحين.

ان التآخى الروحى يربط الناس بعلاقات الاخوة عادة، لكن العلاقة ضمن

جياجيالى كانت علاقة آباء وابناء. ومن ينضم اليها لا يفعل ذلك بحثا عن ابن وانما بحثا عن اب له.

وكلما كان المنضم الى جياجيالى اكثر نبالة، تمتع بهيبة وصلاحيات اكبر. وللانضمام اليها لا بد من اقامة المراسم. وقد اخبرنا كيم زاى بوم (كيم بيونغ) الذى انضم الى جياجيالى بناء على طلبنا، واصبح من افراد الجيل الرابع والعشرين فى جياجيالى، ان تلك المراسم تتسم بالابهة والضخامة. فلا بد للمنضم الجديد من الركوع عشرات، بل ومئات المرات،امام من سيكون اباه وامام اخوته الكبار.

لقد اوقعتنى دعوته بالانضمام الى تلك المنظمة فى حيرة بالفعل. اذا رفضت الانضمام، فقد تتقوض مفاوضاتنا التى بدأت تسير سيرا حسنا؛ واذا وافقت على الانضمام، سيقودنى فورا الى تمثال بوذا لأصلى له، وهو ما يعنى تسليم مقاليد امورى الى وو وى تشينغ لكى يتحكم بى على هواه. لم نتحسب لمثل هذا الموقف عند التحضير للتفاوض. ولكن، لا بد لى من تفادى تلك الورطة مهما كلف الامر. فقلت له:

"انضمامى الى جياجيالى مع القائد وو شىء له مغزاه العميق. ولكننا لا نستطيع الانضمام الى منظمة اخرى على هوانا بدون موافقة منظمتنا الحزبية. فلنؤجل ذلك الى ان تمنحنى المنظمة موافقتها."

"آه، فهمت. انت نصف قائد اذن ولست بقائد كامل."

ثم رمقنى وو وى تشينغ بنظرة تحمل شيئا من الاسف، وسألنى فجأة:

"هل تشرب الخمر ايها القائد كيم ؟"

"اشربه باعتدال. حتى وان كنت احب الخمر، الا اننى افضل الا اشربه خوفا من ان اقع فى زلة تعيق نضالنا المناهض لليابان."

"حزبكم الشيوعى لا بأس به. ارغب فى التعاون معكم ايها القائد كيم. ومع ذلك، اخشى ان تتسرب الافكار الماركسية الينا. ان الدعاية للشيوعية بين رجالنا غير مرغوب فيها."

"لا تقلق ايها القائد. فنحن لا ننوى الدعاية للشيوعية. سنقصر دعايتنا على معاداة اليابان فقط."

"يبدو لى ان حزبكم الشيوعى حزب نبيل. ولكن الشيوعيين فى وانغتشينغ اخطأوا عندما جردوا وحدة آمر الكتيبة غوان من سلاحها. ما رأيك فى ذلك الحادث ايها القائد كيم؟"

"لا تسألنى عن ذلك. انه احد اخطر الاخطاء فى نظرى. لذلك، انتقدنا نحن ايضا مفرزة وانغتشينغ الخاصة بصرامة فى العام الماضى."

"ان القائد كيم عسكرى غير متحيز حقا. ولكن البعض يصرون على ان تصرفات الشيوعيين كلها مشروعة وخالية من الاخطاء. كيف يمكن ان يكون الامر كذلك؟..."

"وكيف لا يرتكب الشيوعيون الاخطاء طالما انهم بشر ايضا. انا نفسى ارتكب هفوات احيانا، لاننى انسان ولست آلة. فمن يعمل كثيرا لا مفر له من ارتكاب بعض الاخطاء احيانا. وهذا هو السبب فى اننا ندرس كثيرا ونصر على التثقيف الذاتى روحيا. وبذلك نقلص الاخطاء، أليس كذلك ؟"

"كلامك صحيح. الكسالى وحدهم لا يخطئون لانهم لا يفعلون شيئا. الحزب الشيوعى يقوم بعمل كثير، ونحن نعترف بذلك. على كل حال، تبادل الحديث مع القائد كيم امر ممتع. اننا نتفاهم بسهولة بفضل صراحتكم."

انهى القائد وو الجولة الاولى من محادثاتنا بهذه الكلمات ثم امسك يدى بلطف. فبدا لى ان نجاح المفاوضات صار مؤكدا. لقد كان رائق المزاج، واعترف لى ان صديقى تشين هان جيانغ يساعده كثيرا فى عمله بما عرف عنه من كفاءة كتابية، ولولاه لكان اعمى رغم عينيه المبصرتين.

سألنى وو وى تشينغ عما اذا كنت اعرف هو جى مين. فادعيت باننى لا اعرفه خشية ان ينتبه الى وجود علاقات سرية فيما بيننا. فاستدعاه وقدمنى له باحترام قائلا:

"اقدم لك القائد كيم إيل سونغ". فاضطررت انا وهو جى مين الى تبادل التحية حسب العرف السائد وكأننا غرباء لا يعرف احدنا الآخر. وقد اخبرنى تشين هان جيانغ وهو واثق من نفسه، ان وو وى تشينغ نادر ما يستدعى مرؤوسيه المقربين ويقدمهم للآخرين، ولهذا فان باستطاعتنا التأكد من نجاح المفاوضات.

اتفقنا مع وو وى تشينغ على انشاء جهاز دائم يسمى المكتب المشترك للقوات المناهضة لليابان ويضطلع بدور المنسق لتأمين الاتصال الدائم ما بين جيش حرب العصابات المناهض لليابان والوحدات الصينية المعادية لليابان، وتحقيق العمل المشترك للجيشين، وناقشنا حتى مسألة عضوية ذلك الجهاز.

اخترنا الصينى وانغ ريون تشينغ ممثلا للوحدات الصينية المعادية لليابان وزو دونغ ووك ممثلا لجيش حرب العصابات فى المكتب المشترك، واتفقنا على ان يكون مقره بالقرب من مقر قيادة القائد وو فى لوزوكو.

فى ذلك اليوم، اقام وو وى تشينغ مأدبة غداء فاخرة تكريما لنا.

ابلغنا تشين هان جيانغ هامسا ان هذه المأدبة تعنى ايضا ضيافة استثنائية.

وجرى الحوار على مأدبة الغداء ايضا فى جو من الالفة والمودة.

وكلما مرت عبارة احتلال الامبريالية اليابانية لمنشوريا فى سياق الحديث، كان وجه وو وى تشينغ يربد سخطا وحقدا وترتجف حاجباه السوداوان. كما انه اعرب عن السخط الشديد لاقدام تونغ شان هو على قتل لى كوانغ بوحشية:

"انهم زمرة لصوص من السكان الاصليين والمختلفين عنا. لم افكر يوما بان يتحول تونغ شان هو الى عميل لليابانيين. لا بد ان السماء ستنزل به القصاص العادل لالحاقه الاذى بوحدة القائد كيم. والحقيقة انه لامر مخز ان ينتمى شيطان مثله الى امتنا الصينية."

ومن خلال كلماته هذه، تمكنت من الحكم على شخصية القائد وو مرة اخرى.

كنت مرتاحا لنتائج التفاوض وضيافة وو وى تشينغ على السواء.

فعلى الرغم من سلوكه المتسلط وعدم تجاوزه ايديولوجيا حدود الكومنتانغ، الا ان ذلك لم يكن القضية الجوهرية. فالشىء المهم هو انه كان الاكثر صرامة فى موقفه المناهض لليابان وفى حماسته لانقاذ الوطن. لقد كان من المستحيل تحقيق التعاون اذا توقفنا عند حدود الافكار والمنشأ الطبقى والجنسية. فتشكيل الجبهة المشتركة التى كنا نعتبرها مهمتنا الكبرى، جعلنا نهمل تلك القيود.

فى ذلك اليوم، ارسلت الى سياووانغتشينغ الخبر بان التعاون مع القائد وو يسير

علـى مـا يـرام وان المـشكلة تكمـن الآن فـى تحقـيق ذلـك مـع تـشاى شـى رونـغ الـذى سنحاول التفاوض معه فيما بعد. كما طلبت بالاستعداد جيدا للانطلاق فى اية لحظة، لان تـشكيل الجـبهة المـتحدة يـستدعى تنظـيم هجـوم علـى مديـنة كبيـرة مـثل حاضـرة محافظة دونغنينغ.

بعد نجاحنا فى اللقاء الاول مع وو وى تشينغ، شرعنا بالعمل دون ابطاء لدمج وحدة تشاى شى رونغ فى الجبهة المتحدة المناهضة لليابان. وقد قال لى تشين هان جيانغ بقلق ان القائد وو لا يتصرف بدافع من نزواته ولن يغير موقفه بسهولة، ولكن الاحجية الكبرى هى القائد تشاى، وسألنى عما اذا لم تكن هناك طريق لابعاد لى تشونغ تشون عنه. فالقائد وو لا يملك الا قوات تعادل حجم لواء فقط، بينما قوات وحدة القائد تشاى تفوق ذلك من حيث العدد.

اقترحت على لى تشونغ تشون ان اجرى محادثات معه.

الا انـه رفـض اقتراحـى، بـل حـرض تـشاى شـى رونـغ علـى تجـريد الجـيش الشيوعى من السلاح. لكن القائد تشاى الذى كان يعمل دائما بنصائح لى تشونغ تشون، رفض مكائده هذه المرة. وقد بلغنى فيما بعد انه رفضها قائلا ان القائد وو وى تشينغ قد اقام لى مأدبة غداء، واننى جئت تحت حراسة وحدة وانغتشينغ المبرزة فى القتال، واى خطأ فى المس بها قد يثير مشكلة خطيرة. لقد نفث لى تشونغ تشون افكار العداء للشيوعية بعمق فى رأس تشاى شى رونغ الى حد بات يصعب علينا معه الاقتراب من بوابة ثكنته.

وكانت الطريقة الوحيدة لحل هذه الاشكال هى فصله عن وو وى تشينغ الذى استجاب للتعاون معنا. وكان تحقيق ذلك يستدعى وضع لواء شا تشون هينغ، الوحدة الرئيسية للقائد وو، تحت نفوذنا. ولو استطعنا اقناع آمر اللواء لامكننا توطيد النجاحات الاولية المحرزة فى التفاوض مع وو وى تشينغ.

وبناء على تحرينا، تبين لنا ان اللواء مؤلف بشكل عام من رجال ينتمون الى الفئات الاجتماعية الدنيا. وان شا تشون هينغ نفسه انما ارتدى الزى العسكرى ليسد رمقه بعد ان عمل كلافا للخنازير فى منزل احد الاقطاعيين مذ كان فى التاسعة من

عمره. لقد خدم فى وحدة وانغ دى لين فى قوات جيلين البرية ثم انتقل الى جيش الانقاذ الوطنى بعد حادثة ١٨ ايلول. وقد تدرج صعدا من آمر فصيلة الى آمر سرية فالى آمر فوج الى ان صار آمر لواء. وكان يتحلى بصفات العسكرى النموذجى ويحب القتال.

وبفضل بطاقة توصية من هو جى مين، التقيت بشا تشون هينغ فى اليوم نفسه.

ما ان طلبت لقاءه حتى وافق على مقابلتى دون اى تكلف تاركا كل مشاغله جانبا. عاملنى بلطف كما يعامل صديقا له قائلا ان مجىء القائد كيم الذى يقاتل اليابانيين ببراعة، وزيارته لوحدته يعد حدثا سعيدا. كان شخصا متحررا من العداء للشيوعية ومن نزعة التسلط العسكرى. وكان صريحا جدا وشهما جدا.

قال شا تشون هينغ ان انتصار وحدة القائد كيم فى كل المعارك ضد الجيش اليابانى يعتبر فخرا للكوريين وكذلك للشعب فى منشوريا الشرقية. كنا فى ذلك الوقت قد انزلنا ضربات موجعة بالامبرياليين اليابانيين فى العديد من المعارك كمعركة جيافيكو ومعركة ليانغشويتشوانجى. رغم ان الصحف لم تنقل اخبارها، الا ان الشائعات عنها انتشرت على نطاق واسع فى منطقة تشينتاو. وقد استغربت ان يكون شا تشون هينغ مطلعا بالتفصيل على تلك المعارك ونجاحاتها.

لقى اقتراحى بالتعاون لشن هجوم على العدو فى دونغنينغ تأييدا حماسيا من شا تشون هينغ.

"اردت منذ زمن طويل ان يرابط بالقرب منا جيش قوى صديق مثل جيشكم لحرب العصابات. لقد اصبحنا اخوة منذ اليوم. عدوك هو عدوى وصديقك صديقى."

تعانقنا بشدة لنجاح محادثاتنا. وفيما بعد اصبحنا اخوين ورفيقين فى السلاح يتقاسمان الدم واللحم فى ايام النضال الشاق. وقد استمرت مودتنا دون ان يطرأ عليها اى تغيير حتى سقوطه شهيدا بعد تعيينه قائدا للفرقة الثانية المستقلة.

ونتيجة لمفاوضات لوزوكو، تمت ازالة اكبر عقبة تعترض سبيل الثورة المناهضة لليابان. اذا كان التعاون مع القائد يو نقطة انطلاق الجبهة المشتركة، فان المفاوضات مع وو وى تشينغ كانت خطوة تاريخية الى الامام وسعت ذلك النجاح ليشمل منشوريا الشرقية كلها، كما كانت حدثا باهرا وضع حدا للعداء ونزف الدماء

العبثـى بـين الامتـين الكـورية والـصينية والـذى بـدأ مـنذ انتفاضــة ٣٠ ايـار وحادثـة وانبوشان، ووحد التيارات المعادية لمنشوكو والمناهضة لليابان فى تيار جبار واحد.

ومـن خـلال المفاوضـات مـع وو وى تـشينغ وشـا تـشون هيـنغ، ادركنا ان الجبهة المـشتركة لا يمكـن تحقيقها الا بجبـروت قـوانا الذاتـية. فلـو لـم نظهـر مـا يكفـى مـن الكفاءات القتالية الذاتية فى الحملة الى منشوريا الجنوبية والشمالية عام ١٩٣٢ وفى المعـارك الكبيـرة والـصغيرة انطلاقا من وانغتشينغ عام ١٩٣٣، او لو لم نطور جيش حـرب العصابات الـى جيش فـولاذى دائم الظفـر، لكـان وو وى تشينغ قد اغلق ابوابه فـى وجهـنا ورفـض مجـرد النظـر الـينا. لقـد تحقـق الـتعاون مـع وو وى تـشينغ دون عثـرات بفضل جبـروت قواتـنا وتفوق شـيمنا الـسياسية والاخلاقية علـى مثيلاتها لدى جيش الانقـاذ الوطنـى، ولان وطنيتـنا الحـارة واخوتـنا الاممـية وايماننا الراسخ بعدالة قضيتنا اثارت تعاطفه.

مـنذ ان حققـنا الـتعاون مـع جيش الانقـاذ الوطنى وحتـى الآن، سعيت واسعى الى ترسيخ قـوة الـذات الفاعلـة للثـورة، معتبـرا ان افضـل الوسـائل لتحقيق الجبهة المتحدة هـى قوانا الذاتية، وانه ما لم تجر تنمية تلك القوى، فانه من المستحيل خوض النضال الموحد مع اى جيش او بلد صديق.

وافـق وو وى تـشينغ وتـشاى شــى رونـغ علـى اقتـراحنا بـالهجـوم علـى حاضـرة محـافظـة دونغنيـنغ. فعقدنـا اجتمـاعا مشتركا مع وو وى تشينغ وشا تشون هينغ وتشاى شـى رونـغ وغيـرهم مـن قـادة جـيش الانقـاذ الوطـنـى فـى لوزوكـو حيـث وضـعنا خطـة مفصلة للعمليات. وارسلنا بعد ذلك رسالة اخرى الى مقر قيادتنا فى وانغتشينغ.

بفضـل الـنجاح فـى المفاوضـات مـع وو وى تـشينغ والانتـصار فـى الهجـوم علـى دونغنينغ، اصبح اسمنا معروفا على نطاق واسع بين وحدات جيش حرب العصابات ووحـدات جـيش الانقـاذ الوطـنـى والقـوى المعاديـة لمنـشوكو والمناهـضة للـيابان فـى منـشوريا الـشرقية. ومـن خـلال التعاون مع وو وى تشينغ، ازدادت قناعتنا بان تعزيز الجبـهة المـتحدة هو حبل الـوريد والحلقـة المركـزية التـى لا بـد من التمسك بها بثبات لدفع الثورة المناهضة لليابان برمتها الى الامام.

حتى بعد انتقال مسرح النشاط من تشينتاو الى مناطق تشانغباى، بقيت اتذكر بتأثر عميق الايام التى حققنا فيها التعاون مع وو وى تشينغ. فى ذلك الحين، وبعد انضمامه الى جيش دونغبى المتحد المناهض لليابان، اتخذ وو وى تشينغ من منطقة فوسونغ مركزا لنشاطاته وناضل فى جوارنا. وعندما سمعت خبر وجوده على مقربة منا، تذكرت فى الحال علاقات المودة القديمة التى قامت بيننا فى ايام النضال المشترك.

ذهبت على رأس اكثر من مئة جندى الى غابة تقع الى الشرق من سيكانغ حيث المعسكر السرى لوحدة وو وى تشينغ.

يومها، خرج وو وى تشينغ مهرولا من المعسكر وعانقنى. تعانقنا بحرارة وكأننا اصدقاء منذ الطفولة يلتقون بعد مضى عشر سنوات او عشرين سنة من الفراق.

فى اللحظة التى مست فيها خدى لحية وو وى تشينغ الخشنة العابقة بدخان البارود، شعرت بغصة مجهولة تخنقنى. ولم اعرف السبب الذى جعل قلبى يخفق بشدة عند اللقاء مع ذلك الصينى المتكبر والبيروقراطى العسكرى. لقد كانت صداقتنا التى بدأت فى ميادين المعارك شيئا استثنائيا حقا. وكم تأثرت وانا ارى القائد وو يخصنى بالحفاوة البالغة والصادقة وكأنى اخ له دون ان يهتم بجنسيتى وبفارق السن بيننا!

ليست فى الدنيا صداقة اكثر صدقا وحرارة ومتانة من تلك المعقودة تحت وابل القذائف. ربما كان هذا هو السبب فى تسميتنا المودة بين اقرب الناس بالمودة الكفاحية.

لم استطع يومذاك ان ارى العجرفة التى كان ينظر بها الى زائريه ويتفحصهم بعيون كأنها عيون الصقر، وهو متكئ على جلد النمر. لقد رأيته كشيخ قروى متواضع، وليس كعملاق جبار فى الغابة يقود آلاف الجنود. بدا لى انه اصبح نحيفا وخبا ذلك البريق الذى كان يشع من عينيه.

امضيت يومين فى معسكر وو وى تشينغ. ولدى المغادرة، قدم لى مائة من

جنوده. وحين رأى انى امانع فى ذلك، قال لى متظاهرا بالغضب:

"طبعا، ليس هناك ما ينقصكم ايها القائد كيم. ولكن من واجبى كصديق ان اقدم بعض المساعدة لكم وانتم تعدون العدة لحرب واسعة النطاق. هؤلاء الجنود المئة يجب ان يكونوا تحت امرة القائد كيم لا تحت امرتى. فالمثل يقول: حتى نبات الشيح المائل ينمو مستقيما فى حقل الكتان."

ولم التق بالقائد وو وى تشينغ مرة اخرى بعد ذلك. بلغنى ان وو كلف شخصا آخر بقيادة وحدته وذهب الى الاتحاد السوفييتى فى اواخر تلك السنة، ولكن الاتصال فيما بيننا انقطع بعد ذلك، ولم اعد اسمع اى خبر عنه.

لم يكن وو وى تشينغ رفيق طريق مؤقت نحتاجه لفترة معينة اثناء شقنا قضية الجبهة المشتركة، بل كان رفيقا لى فى السلاح لا يمكن ان انساه، فقد اجتزنا معا وكتفا الى كتف وابلا من القذائف ولهيب معارك حقيقية. لا يعرف احد حتى الآن كيف قضى وو وى تشينغ النصف الثانى من حياته وكيف مات. وليس لدينا مصدر للحصول على اى خبر موثوق عنه.

حسبى ان يكون قد اخلص لمبدأ حب البلاد والامة حتى اللحظة الاخيرة من حياته، لاشعر بتمام الرضا والارتياح.

٣ــ الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ

بعد مفاوضات لوزوكو، عكف المكتب المشترك للقوات المناهضة لليابان على العمل مع جيش الانقاذ الوطنى باكبر قدر من النشاط. فقد تسلل اعضاؤه حتى الى قوى المشاغبين فى الغابات، وعملوا بنشاط على اجتذابهم الى الجبهة المتحدة المناهضة لليابان.

ومن خلال هذا الجهاز، عقدنا فى اوائل ايلول عام ١٩٣٣ اجتماعا مشتركا فى لاوموجوهى بالقرب من لوزوكو لمناقشة خطة الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ (سانتشاكو)، وقد حضر الاجتماع وو وى تشينغ وشا تشون هينغ وتشاى شى رونغ ولى سان سيا وغيرهم من قادة الوحدات الصينية المناهضة لليابان، ووضعنا الخطة النهائية للعمليات. وباقتراح من القائد وو وى تشينغ، تمت الموافقة بالاجماع على الخطة التى وضعناها نحن.

لم نشن الهجوم على دونغنينغ فور انتهاء مفاوضات لوزوكو، بل خصصنا ما يزيد على الشهرين للاعداد له، ذلك اننا كنا نولى هذه المعركة اهمية خاصة. فقد اعتبرناها موقعة مفصلية لفرض شرعية جيش حرب العصابات المناهض لليابان تماما، وكان رأينا فى الوقت ذاته ان كسب تلك المعركة وحده هو الذى سيضع اتفاق الجبهة المتحدة موضع التطبيق الفعلى ويجعله سارى المفعول.

ان نجاحنا فى ذلك الهجوم كان يعنى استناد الجبهة المتحدة مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان الى قاعدة صلبة، اما اذا فشلنا فان الجبهة المتحدة ستنهار دون شك وهى ما تزال فى طور البناء، وسيفقد نجاح مفاوضات لوزوكو قيمته، ويخسر جيش حرب العصابات المناهض لليابان سمعته العسكرية التى اكتسبناها بشق الانفس من

خلال المعارك الدامية. ثم ما الذى سيحدث اذا ما هاج جيش الانقاذ الوطنى قائلا انه تعرض للدمار بسبب الجبهة المتحدة؟ لا شك ان ذلك كان فى الواقع امتحانا رهيبا.

بناء على معطيات استطلاعاتنا وبلاغات المنظمات المحلية، تأكدنا من وجود قوة فى دونغنينغ قوامها نحو ٥٠٠ جندى من جيش كوانتونغ اليابانى بقيادة ايسيدا، وفوج من قوات جيش منشوكو العميل بقيادة تشينغ، هذا فضلا عن شرطة منشوكو العميلة وفرقة الدفاع الذاتى. كان العدو يتحصن فى قلعة منيعة مجهزة بالمدافع وبالاسلحة الحديثة الاخرى.

يومها قال بعض ضباط الوحدات الصينية المناهضة لليابان ان امكانية احتلال دونغنينغ لا تتعدى الثلاثين بالمائة فقط.

وحتى فى الاجتماع المشترك اعربوا عن قلقهم من ان قواتنا اضعف من قوات العدو بكثير، وللتدليل على ذلك استشهدوا بالقواعد العسكرية المتعارف عليها عالميا، والتى تطالب بان تكون القوات المهاجمة ثلاثة اضعاف القوات المدافعة.

الا ان وو وى تشينغ وآخرين دحضوا هذا الموقف، قائلين بانها قواعد جوفاء تلقن فقط فى مدرسة ضباط المشاة اليابانية التى درس لى تشونغ تشون فيها.

وحيث ان جيش الانقاذ الوطنى كان قد اخفق فى مرة سابقة فى الهجوم على الحاضرة، فقد كان من الطبيعى ان يبالغ بعض الضباط فى تقدير قوة العدو، مرتعبين من اسطورة "الجيش الامبراطورى الذى لا يقهر".

ما ان تم اقرار خطة العمليات حتى حدد اعضاء المكتب المشترك للقوات المناهضة لليابان بالتعاون مع هو جى مين حجم قوة كل تشكيل من التشكيلات التى ستشارك فى المعركة.

ومن جهتنا، قررنا اختيار ثلاثة سرايا من وانغتشينغ وهونتشون وآنزى ودعوناها الى لوزوكو.

وفى اواخر شهر اب ١٩٣٣، جرى لقاء مؤثر بالقرب من لوزوكو، بين السرية التى قدتها من وانغتشينغ والسرية التى يقودها مفوض الكتيبة السياسى بايك ايل بيونغ، والقادمة من هونتشون.

اما الرفاق من كتيبة آنزى فانه لم يستطيعوا الوصول للاسف الى المكان المحدد لانه لم يتم الاتصال بهم كما يجب. كان قد وقع الاختيار على سرية تشاى هيون، اقوى سرايا كتيبة آنزى، فى ذلك الحين. وقبل المغادرة، وزع تشاى هيون على كل جندى ١٥٠ طلقة وحذاء جديدا. وحينما وصلت تلك السرية الى ماتشون، فى منتصف شهر ايلول، بعد مسيرة شاقة من بييدونغ، كنا قد انسحبنا الى سياووانغتشينغ بعد انتهائنا من الهجوم على دونغنينغ.

عندما دخلنا لوزوكو مع الرفاق القادمين من هونتشون، استقبلنا ضباط وجنود جيش الانقاذ الوطنى واهالى المدينة استقبالا حارا. ومن بين جمهور المرحبين بنا كان ثمة عدد غير قليل من الفلاحين القادمين من القرى المجاورة. ومن خلال ذلك الاستقبال استطعنا ان ندرك مدى تأصل المنظمات المناهضة لليابان فى تلك المنطقة.

فوراء الجماهير التى تلوح بايديها مهللة لنا، وقف ثوريون ممتازون من امثال تشاى زونغ هوا. ففى الوقت الذى كان يخدم فيه حكومة منشوكو فى الظاهر، كان يترأس فى السر جمعية مناهضة اليابان فى لوزوكو، ويقوم باعمال كثيرة مع جيش الانقاذ الوطنى من خلال عضويته فى لجنة الجنود المناهضين لليابان. كما قام بالدعاية الواسعة بين الجماهير فى لوزوكو مؤكدا على صحة خط الجبهة المشتركة المناهضة لليابان الذى وضعناه، واستنهض الجماهير لتوفير كميات كبيرة من الاغذية والاقمشة لوحدات جيش الانقاذ الوطنى.

قمنا بصف الطوابير فى احد شوارع الصينيين والقيت خطابا دعوت فيه الى النضال ضد اليابان من اجل الخلاص الوطنى. ثم بدأنا الرقص والغناء. فأغلق الصينيون الحوانيت على جانبى الشارع وجاؤوا للمشاهدة.

لقد بدت لوزوكو وكأنها مدينة مهرجان، حيث كان رجال جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان وجيش الانقاذ الوطنى قد اختلطوا ببعضهم البعض كاخوة حقيقيين. لقد سادت اجواء العيد احياء الكوريين واحياء الصينيين على السواء.

وما ان سمع الشباب بخبر وجودى، حتى سارعوا فى الحضور للقاء القائد كيم.

بل وكانوا يتجادلون فيما بينهم، فيقول بعضهم اننى من محافظة بيونغآن، فيما يؤكد آخرون اننى من محافظة هامكيونغ، وذهب بعضهم الى القول اننى من محافظة كيونغسانغ.

وراح الاولاد يلمسون البنادق من طراز ٣٨ واحزمة الرصاص. وكان كل مقاتل يحمل ثلاثة احزمة منها، واحد حول الخاصرة، واثنان متقاطعان على الصدر. وكان كل حزام منها يحوى مئة طلقة، اى انه كان لدى كل جندى ثلاثمئة طلقة.

"هيا الى الغداء ايها السادة، يا من تعانون المشقات لاستعادة الوطن."

اقتربت جمهرة من النساء من الطوابير ورحن يتشبثن بأذرع المغاورين ويشددنهم. وكان بينهن من أتين من مناطق تبعد عشرة او عشرين ريا عن مدينة لوزوكو لمقابلة رجال الجيش وتقديم الاطعمة لهم.

وفى اليوم الذى وصلنا فيه الى لوزوكو بالذات، توجهت للقاء القائد وو وى تشينغ، وقد دلنا الى مكانه الرفاق فى المكتب المشترك للقوات المناهضة لليابان.

وحيث اننا كنا نعرف بعضنا جيدا، فقد تبادلنا الحديث فى جو مفعم بالالفة والمودة. لم يكن حديثنا يومها لسبر احدنا غور قلب الآخر مثلما كان الامر عند المفاوضات الاولى فى شهر حزيران، بل كان حوارا صريحا بين انسانين.

كان اكثر ما يشغل بالى ونحن فى الطريق الى لوزوكو هو ان يكون القائد وو وى تشينغ قد تخلى عن الهجوم على دونغنينغ. فكنت اتساءل فى سرى: ألم يقنعه لى تشونغ تشون وغيره ممن استاؤوا من العمليات المشتركة معنا بالتخلى عن الهجوم والعودة بالعلاقات بيننا الى ما كانت عليه قبل المفاوضات؟... لقد ابلغنا رفاقنا فى المكتب المشترك اكثر من مرة ان لى تشونغ تشون يحث تشاى شى رونغ باستمرار لاجهاض العمليات المشتركة، وهم يرون بان ذلك قد يؤثر على القائد وو.

ولكن قلقنا كان دون مبرر. فقد كان تصميم وو وى تشينغ على اقامة الجبهة المتحدة ثابتا لم يتغير، كما كان مصمما على التعويض عن الهزائم التى منى بها جيشه فى الماضى من خلال خوض معركة ناجحة فى دونغنينغ.

كان القائد وو يرى ان اكبر خزى تعرض له هو الضربات التى انزلها به

الجيش اليابانى عند الحملة "التأديبية" على لوزوكو فى اواخر عام ١٩٣٢. فقد عبأ العدو يومئذ اكثر من عشر طائرات ومئات الجنود، وضرب دون هوادة ولا رحمة قوات جيش الانقاذ الوطنى. فتحولت لوزوكو الى كومة من الانقاض، وطرد المدافعون عنها الى مناطق تشينغنانتشون وسينتونجى وشيتووهيجى واماكن اخرى.

" كانت قواتنا اكبر عددا من اليابانيين، الا اننا تخلينا لهم عن لوزوكو وهربنا الى الجبال. ان تلك الذكرى تبعد النوم عن عيونى. ومع ان الاوغاد اليابانيين الذين احتلوا لوزوكو اقدموا على تقطيع رؤوس الناس وتعليقها على البوابة الجنوبية، فقد بقينا متسمرين فى الجبال، ولم نفكر فى الانتقام، يا للعار! لقد كبلنا الخوف من الجيش اليابانى. ساجعلهم يدفعون الثمن غاليا جدا فى دونغنينغ."

وفيما هو يحدثنا، كان يمر بيده من حين الى آخر على خاصرته التى يتدلى منها المسدس الرشاش. ومن خلال رؤيتى له يتأجج رغبة فى الانتقام، اقتنعت بان قراره نهائى لا رجعة عنه. وكان ذلك علامة طيبة جدا من اجل مستقبل الجبهة المتحدة.

حدثته فى ذلك اليوم عن نفسى بايجاز مثلما فعلت مع بان سونغ وى. ثم فعل هو الشىء ذاته ايضا. ومن خلال ذلك الحديث الخالى من التكليف، عرفت انه ولد فى دونغتشانغ بمقاطعة شانتونغ وان له اسما مستعارا هو وو جى تشينغ. وفيما كنا نتبادل الحديث، كان جنديان من جيش حرب العصابات يقومان بالحراسة فوق سطح مقر اقامة القائد وو. كما نظم جيش الانقاذ الوطنى، هو الآخر، حراسة مشددة حول المكان.

كان وو وى تشينغ يتحدث وهو متكئ على جلد نمر، تماما كما يشاع عنه. كان يكره الجلوس متربعا على كرسى باضفاء جو من المهابة على نفسه اثناء حديثه، ربما بسبب سمنته المفرطة. لذا اضطررت انا الآخر الى التحدث معه متكئا بساعدى على وسادة خشبية.

امر وو وى تشينغ مرؤوسيه باعداد غداء فاخر لان ضيفا كريما حل عليه.

فطلبت منه ان يسحب الامر لاننا احضرنا الغداء جاهزا معنا. وبالفعل، كان يحمل غداءنا حينذاك طاه صينى مجدور الوجه من جيش حرب العصابات. ابدى

القائد وو اهتماما كبيرا وهو يرانى اتحدث لغته الصينية بطلاقة. فمعرفتى باللغة الصينية، التى تعلمتها بفضل والدى، كان له اثر كبير فى العمل مع وو وى تشينغ ايضا.

تباحثت سريتا وانغتشينغ وهونتشون حول اتجاه العمل السياسى الجماهيرى عدة مرات فى لوزوكو.

وعممنا على رجال جيش حرب العصابات التنويه التالى:

"... ان الطريق الذى سيسلكه جيش الانقاذ الوطنى فى المستقبل مرهون بالمعركة التى سنخوضها. اذا قاتل جيش حرب العصابات جيدا، وكان فى الطليعة، فان جيش الانقاذ الوطنى سيتبعنا، اما اذا تقاعس جيشنا فى اداء دوره فسيتركنا. لذلك، عليكم ايها الرفاق ان تكونوا دائما قدوة فى الحياة اليومية كما فى القتال. ان المعركة التى سنخوضها ليست معركة للاستيلاء على عدة بنادق او عدة زكائب من الارز، بل هى معركة لتحقيق الجبهة المتحدة. فمصير الجبهة المتحدة معلق على هذه المعركة. لنترك الغنائم كلها لجيش الانقاذ الوطنى. وعلينا الا نتدخل فيما يحمله جنوده حتى ولو كان الافيون. ولكن لنضع جميعا نصب اعيننا بانه لا يجوز لنا ان نتنازل ابدا من الناحيتين السياسية والاخلاقية... "

ومن بين قادة الوحدات الصينية المناهضة لليابان كان آمر اللواء شا تشون هينغ اكثر المتحمسين لمشروع الهجوم على دونغنينغ. وخلال وجود جيش حرب العصابات المناهض لليابان فى لوزوكو، نشأت مودة صادقة تسمو فوق الجنسيات والانتماءات بينى وبين آمر اللواء شا. لقد حاول ان يصطحبنا دائما حتى عندما كانت الوحدات الكبيرة من جيش حرب العصابات وجيش الانقاذ الوطنى متجهة من لوزوكو الى حاضرة محافظة دونغنينغ. فكان يختار موقع خيمته فى جوارنا، وآثر ان يتحرك مع وحدتنا بالذات عند المعركة ايضا. والتفاهم بينى وبين آمر اللواء شا ازداد عمقا فى الايام التى قطعنا فيها مئات الريات من لوزوكو الى حاضرة محافظة دونغنينغ.

امضت تشكيلات الحملة التى غادرت لوزوكو فى اوائل شهر ايلول عدة ايام

فى الطريق. وهكذا، غدت المسيرة فرصة لاظهار سمو الروح الثورية للشيوعيين الكوريين وشيمهم الانسانية الحقيقية. وقد بينت الحياة الواقعة والمسيرة بكل جلاء الفوارق السياسية والاخلاقية ما بين جيش حرب العصابات المناهض لليابان وجيش الانقاذ الوطنى.

لقد تصرفنا بصورة تليق بجيش الشعب فى كل مكان. فلم نحطم مزارا صادفناه، ولم نمس او حتى نسترق النظر الى ما وضع فيه من اطعمة شهية. وعند مرورنا بدساكر الصينيين، كنا ننظم النشاطات الثقافية ونرفع اليافطات الدعائية ونخوض المناقشات والاحاديث. وفيما كانت الوحدات الاخرى تسبب الازعاج للاهالى عند اقامتها بين ظهرانيهم، كنا نحمل اليهم مياه الشرب ونذير الرحى وندرس الحبوب ونسيج البيوت لمساعدتهم. وفى دساكر الكوريين كنا نقرأ لهم القصص والحكايات ايضا.

ونتيجة لذلك، كان السكان يصنعون الكعك ويذبحون الخنازير اكراما لنا، قائلين: ها قد وصل جيش طيب يعطف على الشعب. كانوا يجمعون على القول انهم لا يحبون رجال القوات الاخرى لان اخلاقهم فاسدة وسلوكهم خشن، بينما رجال جيش القائد كيم رصينون ولطفاء وعطوفون بحيث يودون لو يقدموا لهم حتى لحومهم.

كان حبنا الصادق للشعب، ودعم الشعب وحسن استقباله لنا، يدفع آمر اللواء شا تشون هينغ الى رفع ابهامه وامتداحنا بالقول اننا جيش نبيل لم يعرف العالم له مثيلا. وقد نصح مرؤوسيه مرارا وتكرارا بوجوب الاقتداء بجيش الحزب الشيوعى برئاسة القائد كيم.

"ان بعض الجنود الذين يمضون على رأس الصفوف يشوهون سمعة جيش الانقاذ الوطنى. فينبغى الا تحذوا حذوهم. يجب ان تتصرفوا بوقار، لان الرب يرانا. اننى احذركم سلفا من اننى سأعاقب بصرامة كل من يقوم بممارسات غير سليمة فى وحدتنا، كالعبث بالنساء والمس بممتلكات الآخرين والصراخ فى وجه جماهير الشعب."

وقد كان لكلمات شا تشون هينغ هذه مفعول كبير فى التزام مرؤوسيه جانب الحذر.

كان بعض رجال جيش الانقاذ الوطنى يولون الادبار صائحين:" الجيش اليابانى! " كلما رأوا اكوام الغلال فى ظلمة الليل.

وبعدما تكررت مثل هذه الظواهر، جعلنا رجال جيش حرب العصابات يسيرون فى مقدمة الصفوف ورجال جيش الانقاذ الوطنى فى المؤخرة. وقد ساعد هذا الاجراء رجال جيش حرب العصابات على التحرك النشيط. اذ ادركوا ان الانتصار فى الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ رهن بهم هم وليس بجيش الانقاذ الوطنى الذى لا يميز الجيش اليابانى من اكوام الغلال، وادركوا بالتالى انهم هم القوة الحاسمة التى تدفع عجلة الجبهة المتحدة قدما، فاخذوا يغذون الخطى صامتين. ولم يكن رجال جيش حرب العصابات ينقطعون عن الدراسة حتى فى المسيرات. وكثيرا ما كانوا يتناظرون حول المسائل السياسية الهامة. فعندما اوشك الطابور على الوصول الى جبل لاوهيشان، انطلق صوت متهكم من الصفوف الخلفية لسرية وانغتشينغ:

" ارجوك، يا رفيق كانغ، ان تبين لى بوضوح الغرض من هجومنا على دونغنينغ. عندما شرح لنا الرفيق القائد ذلك فى لوزوكو، بدا لى اننى فهمت كل شيء، الا اننى اشعر بالغموض الآن."

كان صاحب الصوت هو الرفيق باك، ولم يوجه سؤاله لانه جاهل، بل لانه اراد ان يعرف مدى وعى رفيقه للامر.

فكان الرفيق كانغ ماكرا هو الآخر اذ اجاب:

"آه، أتريد ان تصطاد فى الماء العكر؟ اذا كان الشرح مبهما فى ذهنك، سأشرح لك. وسأدندن شرحى على ألحان (اغنية عشرية)(٠)."

وبدأ يدندن لحن "الاغنية العشرية" من غير ان يعطى رفيقه فرصة للكلام.

---

(٠) اغنية عشرية: نوع من الزجل الشعبى التقليدى – المترجم

اولا،
تشكيل الجبهة المتحدة،
التى لا بد من تحقيقها حتى ولو انطبقت السماء على الارض.

ثانيا،
توسيع مناطقنا لحرب العصابات،
حصن الثورة الوحيد،
بعيدا الى حدود الاتحاد السوفييتى ومنشوريا.

ثالثا،
شق الطريق الى الاتحاد السوفييتى
وهو جنة يطيب العيش فيها
رغم برودة الرياح فيه.
...

فذهل الرفيق باك الذى طرح السؤال ولم يستطع اخفاء اعجابه:

"ان مهارتك ثمينة حتى انه لا يمكن مبادلتها بخمسة عشر (مالا) من الذهب. لقد اتضح كل شيء الآن لرأسى الغبى، واصبح مثل بدر التمام فى سماء صافية."

لقد كان الرفيق كانغ، الرجل الموهوب فى سرية وانغتشينغ جديرا بالثناء حقا. كان يعكس بامانة تامة الاحداث المعقدة للحرب العالمية الاولى على ألحان "الاغنية العشرية"، كما كان يخضع لهذا اللحن جميع الكوارث السياسية الرهيبة، ابتداء من حادثة ١٨ ايلول وحتى اقامة حكومة منشوكو، بمهارة مذهلة.

ذلك النظم "العشرى" لاهداف الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ ما لبث ان انتشر بسرعة فائقة من سرية وانغتشينغ الى سرية هونتشون، ومنها الى لواء شا تشون هينغ، ومنه الى وحدة تشاى شى رونغ. حتى ان بعض جنود جيش الانقاذ الوطنى راحوا يدندنون بهذه الاغنية اثناء المسيرة. هكذا كان رجال جيش الانقاذ الوطنى يحاولون جاهدين الاقتداء بوحدتنا.

ولكن ليس جميع ضباط وجنود جيش الانقاذ الوطنى كانوا كذلك. فعدد غير قليل منهم كانوا يتخيلون فقط حصتهم من الغنائم ويحلمون بالثراء السريع. كان يصعب علينا العثور على واحد يتحدث عن الرغبة فى توسيع حلبة النشاط حتى الى حدود الاتحاد السوفييتى ومنشوريا، او عن المثل العليا النبيلة فى مناهضة اليابان لاستعادة اراضى منشوريا عن طريق التشكيل الناجح للجبهة المتحدة مع جيش حرب العصابات.

لقد سأل احد جنود لواء شا تشون هينغ زميله وهما يسيران وراء وحدتنا:

"هل سنتمكن من الحصول على عدد كبير من سجائر الافيون عند الهجوم على دونغنينغ يا صاحبى؟"

وقد تطلع اليه الجندى الآخر شزرا ورد عليه بنبرة مرتابة:

"لا ادرى، ربما يكون هناك الكثير من الافيون طالما ان فوجا من جيش منشوكو العميل يرابط هناك. الافيون وجيش منشوكو العميل صنوان لا يمكن فصل احدهما عن الآخر. ولكن، لماذا تسأل عن الافيون فجأة هكذا رغم انك لا تدخنه؟"

"يا لك من انسان غبى. ألا تعرف ان الافيون يعنى المال والمال هو الافيون ؟ بمقدور المرء ان يطير الى يانغجو على جناح اللقلاق اذا كان معه عشرة آلاف ليانغ، هكذا يقولون."

"الحق معك. لا يمكن ان تزور هانغجو اذا لم يكن معك نقود. فاذهب انت الى هانغجو وسوجو ومعك افيون بقيمة عشرة آلاف ليانغ. اما انا، فرغبتى هى الحصول على مصباح يدوى من صنع اليابان."

"لا تقلق بهذا الشأن. فلا شك انك ستحصل عليه طالما ان المدينة مكتظة بالجنود اليابانيين."

"لا تتفوه بكلام فارغ. لا يمكن الحصول على الافيون والمصباح اليدوى الا بعد كسب المعركة. هل تعتقد ان احتلال الحاضرة سهل الى هذه الدرجة؟"

هذا الحوار الذى طرق اذنى صدفة كدر صفوى والقى ظلالا سوداء على قلبى، ففكرت:

هل يمكن لجنود جيش الانقاذ الوطنى الذين ينحصر تفكيرهم فى الغنائم فقط ان يخوضوا مواجهات بالسلاح الابيض مع "جنود الجيش الامبراطورى الذى لا يقهر"؟

هل يمكنهم التضحية بانفسهم واقتحام تحصينات العدو، هاتفين: تحيا جمهورية الصين؟

كانت تلوح فى كلامهم وافعالهم ونظراتهم الخبيثة اشياء غامضة لا تبعث على الاطمئنان؛ كانت نذير شؤم.

عقدنا فى جبل لاوهيشان اجتماعا مشتركا لجيش وانغتشينغ وجيش هونتشون، لافهام الجنود مرة اخرى الهدف من الهجوم ومعانيه السياسية والعسكرية.

وبعد ذلك، انطلقنا الى منطقتى غاوانتشون وووشيكو القريبتين من حاضرة محافظة دونغنينغ حيث تأكدنا مجددا من اوضاع العدو وعدلنا خطة الهجوم بشكلها النهائى. وفى تلك الليلة، عثرنا على المنظمة الحزبية السرية قرب دونغنينغ. وهى منظمة سبق ان شكلها ووجهها بان سونغ وى فى مناطق دونغنينغ وغاوانتشون وسينليتشون ولاوهيشان وغيرها، حينما كان يعمل سكرتيرا للجنة الحزبية لمحافظة شوينينغ المركزية. وقد انكشفت تلك المنظمة للعدو فى ربيع عام ١٩٣٢، ولاحق العدو اعضاءها فانتقل بعضهم الى منطقة وانغتشينغ، وتحول من بقى منهم الى العمل السرى. ومعلوم ان بان سونغ وى لم يقتصر فى تلك الفترة على ارسال مناضلين للحزب واتحاد الشباب الشيوعى، بل ارسل كذلك عددا كبيرا من المقاتلين لجيش حرب العصابات واناسا عاديين الى وانغتشينغ.

عندما غادر بان سونغ وى متوجها الى هونتشون، اوصانى بان ابحث عن اعضاء الحزب واعضاء اتحاد الشباب الشيوعى الذين انتقلوا الى العمل السرى، واعيد وصلهم بالمنظمة واعتنى بهم جيدا بدلا منه، اذا ما اتيحت لى فرصة الذهاب الى دونغنينغ فى وقت من الاوقات. ولم انس هذه الوصية، فادرجت بند اعادة بناء المنظمة الحزبية السرية فى محافظة دونغنينغ عن طريق العمل السياسى الفعال بين السكان، ضمن منهج العمل السياسى الجماهيرى الذى اعلناه فى لوزوكو.

اعدنا بناء منظمة الحزب السرية فى محافظة دونغنينغ من بضعة اعضاء وجدناهم قرب قرية غاوانتشون وربطناها بالخط التنظيمى، وعهدنا الى منظمة الحزب السرية فى لوزوكو بمهمة توجيهها. وقد قدم لنا اولئك الاعضاء معلومات كثيرة مما اتاح لنا شق الطريق الى الاتحاد السوفييتى بسهولة.

حافظت منظمة الحزب السرية فى محافظة دونغنينغ على وجودها حتى الاربعينات وهى تنفذ باخلاص توجيهاتنا بشأن العمل السرى. وحين بدأ الجيش الثورى الشعبى الكورى ممارسة نشاطه فى وحدات صغيرة باتخاذ معسكر بايكدوسان السرى وقواعد التدريب حول خباروفسك بالاتحاد السوفييتى نقاط ارتكاز لها بعد اجتماع سياوهاربالنغ، اعتدنا استخدام ذلك الطريق الذى عبر خلاله عدد كبير من الوحدات الصغيرة الى داخل البلاد وتشينتاو، او انتقلت عبره من جبل بايكدو الى مناطق الحدود السوفييتية – المنشورية. كما استخدم العاملون السريون الذين ارسلناهم الى داخل البلاد ذلك الطريق بكثرة حين كانوا يودون الوصول الى بريموريه.

كما ان مفرزة زون مون ووك التى كانت تقوم بعمل استطلاعى نشيط فى مناطق الحدود السوفييتية – المنشورية، تلقت هى الاخرى مساعدة كبيرة من المنظمة الحزبية السرية فى دونغنينغ. وقيل لى ان الجندى الاممى ى. ت. نوفيتشينكو، الذى كان يؤدى الخدمة العسكرية فى موقع فى الاراضى الروسية قبالة محافظة دونغنينغ، ذكر انه كثيرا ما شاهد مفارز صغيرة من الجيش الثورى الشعبى الكورى تعبر هذا الطريق. وقد اشتركت تلك المنظمة السرية بنشاط ايضا فى عمليات ارباك مؤخرة العدو اثناء الحرب ضد اليابان، مقدمة بذلك مساهمة كبيرة لتحرير حاضرة محافظة دونغنينغ.

ومن خلال الحديث مع سكان غاوانتشون واعضاء المنظمة السرية فيها، عرفنا ان آمر الفوج التابع لجيش منشوكو العميل فى الحاضرة رجل يكره اليابان كراهية شديدة رغم انه يخدم حكومة منشوكو، وان التناقضات الداخلية بين جيش منشوكو العميل والحامية اليابانية حادة رغم ان العلاقة بينهما تبدو فى الظاهر سليمة وهادئة.

وقد قيل لى ان آمر الفوج المذكور كان على صلة وثيقة باصحاب الدكاكين الصينيين فى حاضرة المحافظة، وانه يستمع الى نصائحهم ويأخذ بها. وكان اعضاء المنظمة السرية بدورهم يعرفون اصحاب الدكاكين الصينيين جيدا.

فطلبنا منهم التأثير على اولئك التجار الصينيين لكى يقنعوا ذلك الضابط بالتعاون معنا.

بدأ الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ ليلة ٦ ايلول عام ١٩٣٣ وانتهى يوم ٧ ايلول ظهرا. وقلما اذكر معركة دامت يومين فى حربنا المناهضة لليابان.

كان الموقع المحصن فى الجبل الغربى الذى شيد من طابقين على ربوة خارج البوابة الغربية للمدينة هو هدفنا الاول. وكانت فيه عدة رشاشات ثقيلة وخفيفة. وكان هذا الحصن يتصل بمقر قيادة الوحدة اليابانية بواسطة خندق عميق ونفق سرى يمكن نقل تعزيزات اضافية عبره عند الضرورة. وسبق لجيش الانقاذ الوطنى ان فشل فى الهجوم على الحاضرة ذات مرة بسبب هذا الحصن بالذات.

نشرت سرية هونتشون التى ستضطلع بمهمة اعتراض التعزيزات المعادية فى وادى تسازاكغول، ودفعت بسرية وانغتشينغ فى الاتجاه المحدد للهجوم الرئيسى كى تحتل الحصن.

فى الساعة التاسعة ليلا، وفور اطلاقى اشارة البدء بالهجوم من مسدسى، قامت مفرزة النسف فى جيش حرب العصابات التى كانت قد اقتربت من مواقع العدو خلسة، بصب نيران كثيفة على الحصن. فبدأ العدو بجلب تعزيزات متواصلة عن طريق الخندق والانفاق. واستمر الاشتباك بيننا وبين العدو محتدما طوال عدة ساعات.

امرت رجال جيش حرب العصابات الذين دخلوا الى المدينة عبر البوابة الغربية، بمحاصرة ثكنة العدو من جهة، ريثما ابعث قوات اخرى الى الجهة الشمالية من الحصن لكسر غزارة النيران المعادية، ثم كلفت مفرزة النسف بالاستيلاء على الحصن عن طريق شن هجوم عنيف بالقنابل اليدوية. ولم تتوقف المقاومة فى الحصن الا مع بزوغ الفجر. ضربت قواتنا الرئيسية حصارا مشددا على ثكنة الحامية اليابانية واحبطت اى محاولة للهجوم المضاد. فما كان من الجيش اليابانى الا ان هرب نحو البوابة الشمالية.

فى اثناء ذلك، كانت وحدات جيش الانقاذ الوطنى قد دخلت مسبقا الى المدينة متنكرة بالملابس المدنية، ووحداته الاخرى قد دخلت عبر البوابتين الشرقية والجنوبية، واحتلت مواقعها ودخلت المعركة.

ارسلت قيادة وحدة جيش منشوكو العميل مندوبها الينا لتعلن موافقتها على

اقتراحنا بان تهاجم معنا جيش الامبريالية اليابانية العدوانى. وكان من شأن هذا التعاون اذا ما تحقق ان يسقط المدينة فى قبضتنا تماما.

فى ذلك الوقت بالذات، اقدمت بعض الوحدات التابعة لتشاى شى رونغ على نهب الدكاكين التى يسيطر عليها جيش منشوكو العميل واقتحمت بيوت السكان، فعاد جيش منشوكو العميل عن وعده لنا وهاجمنا بسرعة البرق. وانضمت قوات الحامية اليابانية ايضا اليه فى الهجوم.

وهنا بدأت بعض وحدات جيش الانقاذ الوطنى التى خافت من الهجوم المعادى العنيف بالهرب الى خارج المدينة، متخلية عن الاحياء التى احتلتها.

الا ان وحدتنا وسعت نطاق سيطرتها على الاحياء بخوض قتال شوارع مستميت وطردت العدو الى ركن من المدينة. استمد جيش الانقاذ الوطنى التشجيع منا، فاحتل مصنع الاسلحة وهاجم مستودعات الاعتدة الحربية. واستمر قتال الشوارع عدة ساعات.

واذ رأيت ان العملية المشتركة قد حققت اهدافها الاساسية، اصدرت الامر بانسحاب جيشنا. وبعد ان انسحب جيش حرب العصابات من المدينة بمبادرة منه، قام بحماية انسحاب وحدات جيش الانقاذ الوطنى.

فى ذلك الوقت، وصلنى خبر اصابة آمر شا تشون هينغ بجراح بليغة داخل المدينة. فهرب رجاله جميعا، تاركين قائدهم ملقى فى ساحة القتال. كما شوهد ياوره ايضا يخرج من المدينة لينجو بنفسه من غير ان يكترث به.

فتبادرت الى ذهنى صورة جنود جيش الانقاذ الوطنى وهم يتحدثون عن الغنائم. ففى حين كانوا يحلمون بالافيون والمصابيح اليدوية اليابانية، كنت اقلق من انتشار عمليات السلب والنهب وعواقبها الوخيمة على سير المعركة.

لقد بدؤوا عمليات السلب والنهب حين كانت المعركة فى اوجها. ولكنهم اقترفوا خطأ فاضحا كذلك بتخليهم عن قائدهم. ان الجندى ينظر الى قائده عادة وكأنه ابوه وامه، وهذا يعنى ان اولئك الجنود قد اقترفوا جريمة الهرب والتخلى عن آبائهم فى ميدان الموت. كنت قد سمعت حتى ذلك الحين كثيرا من الحكايات عن الحرب،

ولكنها كانت المرة الاولى التى اشهد بها عملا بمثل تلك الدناءة. لقد كانت هناك نقطة مشتركة بين اعمال السلب والتخلى عن القائد من جانب جيش الانقاذ الوطنى: تلك النقطة المشتركة هى الطمع الذى تحول فى اللحظة الاخيرة الى عدم مبالاة بحياة الآخرين ونذالة وجبن مطلقين.

ان قول اسلافنا المأثور بان "الوعاء الذى يرشح فى المنزل يرشح فى الحقول ايضا" ينطوى، فى الواقع، على حقيقة عميقة من حقائق الحياة.

يمكن القول ان القتال هو استمرار للحياة اليومية وميزان لها. فنتائج المعارك التى يخوضها الجنود انما تتقرر مسبقا فى حياتهم العادية وليس فى ساحة القتال. فالمعركة ليست الا انعكاسا بسيطا للحياة اليومية وتعبيرا عنها.

لا يعرف التاريخ حالة خرج فيها جيش بلا اخلاق منتصرا. لقد هزم الجيش النازى الهتلرى اخلاقيا عندما داس العدالة والجمال بالجنازير، وكانت هزيمته الاخلاقية هى السبب الرئيسى فى هزيمته العسكرية. وكذلك الجيش اليابانى الذى كان يتبجح بانه "جيش لا يقهر"، انهزم، وكان السبب الرئيسى فى هزيمته هو فساده الاخلاقى. لم يكن ثمة مفر امام اليابان سوى الاختناق محاصرة بآلاف ملايين الشرفاء الذين كرهوا جيشها وشجبوه باعتباره اكثر جيوش العالم وحشية وفظاظة، وشاركتهم فى ذلك قوى التحالف الدولى.

لم يعرف تاريخ الحروب فى العالم جيشا غزا بلدانا اخرى وارتكب المذابح واصطحب حتى "نساء الترفيه" معه الى ساحات الحرب الا الجيش اليابانى.

الحرب ليست مواجهة بين القوى فحسب، بل هى مواجهة بين الاخلاق وانماط السلوك ايضا. فالجيش الذى يستخف بأثر الاخلاق فى الحرب ويعتبرها زينة غير ضرورية، هو اشبه بكومة كبيرة من القمامة.

امرت تشاى تشون كوك بانقاذ شا تشون هينغ. فنفذ الامر مع رجاله مخاطرين بحياتهم. فقد حمله بعضهم على ظهورهم وغطى الآخرون انسحابهم بنيران بنادقهم. وفيما نحن نتجه نحو احد المرتفعات، انتقد رجال جيش حرب العصابات سلوك جنود شا تشون هينغ الذين تخلوا عن قائدهم بالقول انهم اوغاد لئام.

وكان ذلك امرا طبيعيا على ضوء تصرفات جنود جيش الانقاذ الوطنى. لكن تلك التصرفات لم تؤد الى حدوث انشقاق بين جيش حرب العصابات وجيش الانقاذ الوطنى.

ان اهمية الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ لم تكن فى قتل المئات من القوات المعادية فحسب. فالشىء الاهم من ذلك هو ان جيش الانقاذ الوطنى صار يثق بالشيوعيين الكوريين ثقة تامة بعد هذه المعركة. وصار بامكان جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان ان يمارس نشاطه المشروع عن جدارة، رافعا الراية الحمراء من جديد على اراضى منشوريا الشرقية، كما كان فى الماضى. لقد رسخت تلك المعركة فى اذهان جنود جيش الانقاذ الوطنى الصورة الحقيقية للشيوعيين الكوريين.

ومنذ ذلك الوقت، صارت الوحدات الصينية المناهضة لليابان تبادر الى تسديد الضربات الحاسمة لكل من يحاول النيل منا.

وعندما استفاق شا تشون هينغ من غيبوبته، قال:

"يوم ٧ ايلول عام ١٩٣٣ هو اليوم الذى وهبت لى فيه الحياة مرة ثانية. حياتى حتى الآن هى التى اعطانى اياها والداى، اما حياتى منذ يوم ٧ ايلول فقد منحنى اياها القائد كيم إيل سونغ. ان القائد كيم إيل سونغ هو من وهبنى الحياة، ورجال جيش حرب العصابات هم الاخوة الاشقاء لجيش الانقاذ الوطنى."

وفيما بعد، انتشرت فى منشوريا كلها قصص كالاساطير كان يرويها شا نفسه عن ارتفاع روح التضحية لدى مغاورينا واخلاصهم للواجب الرفاقى.

وحتى فى طريق عودتنا الى لوزوكو الممتدة مئات الريات، لازمت آمر اللواء شا ولم افارقه لحظة واحدة. فى اليوم الاول حملنا نحن النقالة. لم يجرؤ رجاله على اقتراب منا، بل ظلوا يراقبوننا من بعيد الى ان جاء ياوره وبعض الجنود يطلبون منا ارجاع قائدهم اليهم، الا ان رجال جيش حرب العصابات طردوهم. ولكن ياوره اصر ثانية، وعندما عاد الينا للمرة الثالثة امرت جنودى بتسليمهم النقالة، وحاولت اقناعهم بالقول لهم: انهم بشر واعون ايضا، اظنهم قد ندموا على اخطائهم. لو سمحنا لهم

بحمل النقالة، فقد يكفرون، ولو قليلا، عن سيئاتهم التى ارتكبوها فى ساحة القتال.

وما ان سلمناهم شا تشون هينغ حتى احنى رجال جيش الانقاذ الوطنى رؤوسهم لنا شاكرين.

وبالرغم من الاسى العميق الذى كان يشعر به شا تشون هينغ لتخلى رجاله عنه فقد اعتذر لنا عن تصرفات مرؤوسيه الخاطئة بصفته قائدهم، قال:

"انى خجل من النظر اليكم ايها القائد كيم، بسبب جنودى الاغبياء. لقد كنت مخطئا لانى لم اثقفهم جيدا. فارجوكم ان تحاسبونى انا على الاخطاء وتغفروا لهم."

لقد احسست باحترام كبير نحوه وانا اراه يحمل نفسه وزر دناءة مرؤوسيه. ولو انه صب جام غضبه عليهم او ندد بهم، لما تأثرت الى ذلك الحد. لقد كان فى الواقع عسكريا واسع الصدر ذا اخلاق رفيعة فأجبته:

"هنالك مثل صينى يقول: للشمامة الحلوة طرف مر كذلك. هل يمكن للانسان ان يبقى طيبا فقط لالف يوم؟ وهل يمكن للوردة ان تبقى متفتحة الف يوم؟ نحن نشعر بالارتياح ما دام آمر اللواء شا استعاد قوته رغم جراحه الخطيرة."

"يقول المثل: اذا اردت ان تشترى الفرس يجب ان تفحص اسنانها، واذا اردت ان تصادق انسانا يجب ان تقرأ قلبه. اعترف بان التعرف على صديق مثل القائد كيم نعمة مباركة انعم بها الرب على وسأبقى اعتز به طول حياتى."

رغم ان شا تشون هينغ كان يكبرنى باثنتى عشرة او ثلاثة عشرة سنة، الا انه اصبح صديقا حميما ورفيقا فى السلاح على طريق تحقيق الجبهة المشتركة المناهضة لليابان. وبعد الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ، اقام مقر قيادة وحدته فى سيبيكو بالقرب من ماتشون حيث كنا نرابط. فاصبحنا نلتقى ونتزاور بكثرة كالاقرباء، وتمتنت علاقات الاخوة بيننا اكثر فاكثر.

وقد حملت اليه الكثير من الادوية لتبرأ جراحه تماما، كما تأثر بفكرنا الشيوعى. وفى هذا السياق، انضم شا تشون هينغ لاحقا الى الحزب الشيوعى وصار ضابطا فى الجيش الثورى الشعبى.

قاتل شا تشون هينغ قتالا جديرا بالاكبار ضمن اطار العمليات المشتركة

المناهضة لليابان ولاسيما فى معركة لوزوكو فى حزيران ١٩٣٤، واجترح قدرا لا يستهان به من المآثر العسكرية بصفته قائدا للفرقة الثانية المستقلة بعد انضمامه الى الجيش الثورى الشعبى. كان يحمل مسدسه الرشاش ويتقدم بشجاعة نحو معاقل العدو على رأس الصفوف فى كل معركة، حتى بات مرؤوسوه يعتقدون بانه ليس فى الدنيا قائد اروع منه. كما كان جنود الوحدات الاخرى من جيش الانقاذ الوطنى يحترمونه ويجلونه، وقد انتقل عدد غير قليل من هؤلاء الجنود من وحداتهم وانضموا الى وحدته.

اصيب شا تشون هينغ بجرح خطير فى بطنه فيما كان يتقدم الصفوف فى معركة لاوسونغلينغ. لم تخترق الرصاصة بطنه بل استقرت فيه. فنقل الى الاتحاد السوفييتى لاستخراج الرصاصة، الا انه توفى هناك بعد وقت قصير. وعندما تلقيت الخبر لم استطع ان اكبح مشاعر الحزن الشديد.

اما تشاى شى رونغ الذى ربطتنا به صلة وثيقة فى النضال المناهض لليابان، وذلك منذ الهجوم على حاضرة دونغنينغ، فقد انضم لاحقا الى الجيش الثورى الشعبى واصبح نائبا لقائد الفيلق الخامس ثم قائدا له. وقد اتخذ من منشوريا الشمالية نقطة ارتكاز لنشاطاته، وسعى جاهدا الى تمتين العلاقات الاخوية معنا بايحاء من جو باو جونغ. وقد بقيت على صلة وثيقة به فى النصف الاول من الاربعينات ايضا.

عندما توطدت الجبهة المشتركة بين جيش حرب العصابات المناهض لليابان والوحدات الصينية المناهضة لليابان من خلال الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ بعرى لا يمكن فصمها، وقعت حادثة طارئة كادت تحطم تلك الجبهة المشتركة.

كانت كلمات وو وى تشينغ التى مدح فيها تشانغ كاى تشك سببا لهذه الحادثة. فبعد عودتنا الى لوزوكو عقدنا اجتماعا مشتركا لاجمال نتائج المعركة. وكان القائد وو هو اول المتحدثين فى الاجتماع، وفى معرض حديثه عن انتصار الوحدات المتحالفة فى المعركة، اقدم فجأة على مدح تشانغ كاى تشك، قائلا ان الحرب ضد اليابان فى شمال شرقى الصين لا يمكن ان تنتصر فى المستقبل الا اذا قدم تشانغ كاى تشك المدافع والمقاتلين من الجنوب. فأثارت كلماته هذه سخط رجال جيش حرب العصابات.

بعد سماعه ذلك من القائد وو، نهض بايك ايل بيونغ، الذى يقود جيش هونتشون لحرب العصابات، وارتقى المنبر واتهم القائد وو بانه رجعى، وسأله كيف يمكن لتشانغ كاى تشك ان يساعدنا ويقودنا فى الوقت الذى يعرف فيه العالم بأسره انه عميل للامبريالية.

فغضب وو وى تشينغ غضبا شديدا، وامر باعتقال بايك ايل بيونغ وهدد باعدامه رميا بالرصاص.

فهاج جنود بايك ايل بيونغ، وحاولوا مواجهته بالبنادق قائلين: من غير المعقول ان نضحى بآمرنا من اجل الجبهة المشتركة فى الوقت الذى لم نفقد فيه جنديا واحدا حتى فى الهجوم على دونغنينغ، وكيف نعود الى هونتشون اذا فقدنا آمرنا ؟ سنقاتل وو وى تشينغ حتى آخر رجل منا لانقاذ آمرنا.

وشهر رجال جيش الانقاذ الوطنى بدورهم بنادقهم ووقفوا متأهبين للمواجهة.

لقد كانت لحظة حرجة للغاية، فطلقة واحدة تنطلق، ستؤدى الى سقوط اكوام من القتلى، وتحطم الجبهة المتحدة التى حققناها بعد طول معاناة. اما وو وى تشينغ فقد بقى ممتقع الوجه، وشفته السفلى لا تكف عن الارتعاش.

صعدت المنبر واقنعت الطرفين باللغتين الكورية والصينية بوجوب ضبط النفس، ثم نصحت وو وى تشينغ قائلا:

"ايها القائد وو، اطلق سراح بايك ايل بيونغ برحابة الصدر، برغم ما تشعر به من سخط. ان قوله بانك رجعى من دون ان يأخذ هيبتك بالاعتبار عمل يفتقر الى التهذيب. ومع ذلك، ارى انه عليك انت ايضا ان تعيد التفكير فى الامر. لقد مدحت تشانغ كاى تشك الذى وصمته الصين كلها بانه عميل للامبريالية، فهل تنتظر من الناس ان يقبلوا ذلك بسرور؟ أليس تشانغ كاى تشك هو من حرض تشانغ سو ليانغ قبل حادثة ١٨ ايلول كى يتخلى جيش الشمال الشرقى القديم عن النضال ضد اليابان؟ اذا اعدمت بايك ايل بيونغ رميا بالرصاص فان منشوريا كلها ستعتبرك خائنا. فارجوك ان تفكر بالامر بعمق."

ما ان انهيت كلامى حتى بدأت التساؤلات تتعالى من جنود القائد وو: "من هو

هذا الرجل؟" ، "أهو قادم من الجنوب؟"، "أهو مبعوث الكومنتانغ؟". وعندئذ زمجر بعضهم: "عن اى جنوب تتحدثون؟ انه كيم إيل سونغ، قائد جيش حرب العصابات. اسمه كيم إيل سونغ". فقال وو وى تشينغ:

"لقد قلت ما قلته بسبب الجهل. فارجوكم الا تعتبرونى من معسكر تشانغ كاى تشك."

ومع انه قال ذلك ووعدنى بانه سيلغى امر الاعدام، الا انه لم يطلق سراح بايك ايل بيونغ حتى بعد مضى يومين.

وعندما رأى جنود جيش الانقاذ الوطنى العاديون ذلك من قائدهم، راحوا يتذمرون من فظاظته:

"لماذا لا يفى القائد وو بالوعد الذى اعطاه للقائد كيم ؟"

"المهم ان لا نعدمه. لا يمكن للقائد وو ان يقتل الناس كما يحلو له."

"لو قتلنا بايك ايل بيونغ لحل علينا غضب السماء."

وفيما الجنود يتهامسون هكذا فى الخلف، وجه الضباط رسالة الى وو وى تشينغ، طالبوه فيها باطلاق سراح بايك ايل بيونغ فورا.

وقد تم اطلاق سراح بايك ايل بيونغ بعد ثلاثة ايام من اعتقاله.

لقد تطلب تحقيق الجبهة المشتركة مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان، كما هو واضح، الكثير من المثابرة والصبر والتضحية. وكيف يمكن لكائنين من زمرتين دمويتين مختلفتين ان يلتحما بسهولة ودون عراقيل او مشقات؟

لقد ظل العدو يحرق جثث جنوده القتلى فى معركة دونغنينغ طوال ثلاثة ايام. اما نحن، فكانت خسائرنا فقيدا واحدا هو جى مين الذى اصيب برصاصة طائشة وتوفى ونحن فى طريق العودة الى لوزوكو.

٤ـ الديمقراطية العسكرية المتطرفة

اذا قلنا عن الخط السوفييتى انه نزعة يسارية فى ميدان بناء السلطة، فان الديمقراطية العسكرية المتطرفة هى نزعة فكرية مماثلة تبدت فى قيادة الجيش وادارته. وتعنى الديمقراطية العسكرية المتطرفة الادعاء والاصرار على انه يحق لكل جندى ممارسة صلاحيات متكافئة فى قيادة الجيش وادارته دونما تمييز بين الرؤساء والمرؤوسين. بعبارة اخرى، انها فكرة تدعو الى التطرف فى المساواة فى كافة النشاطات العسكرية والى جعل ذلك امرا مطلقا.

لمسنا وجود الديمقراطية العسكرية المتطرفة فى صفوف جيش حرب العصابات اول مرة لدى توجيهنا عمل جيش حرب العصابات اثر عودتنا الى وانغتشينغ من الحملة الى منشوريا الجنوبية. وكانت هذه الميول ما تزال فى بدايتها حينذاك، ولم تكن تشكل ضررا كبيرا.

ولكن بعد الهجوم على حاضرة دونغنينغ وعودتنا الى وانغتشينغ، لاحظنا انها بدأت تظهر بوضوح وتتغلغل فى نظام القيادة داخل الجيش وتكاد تصيبه بالشلل.

دق اول جرس انذار، تنبيها الى خطورة الديمقراطية العسكرية المتطرفة، فى داهوانغكو بمحافظة هونتشون فى خريف عام ١٩٣٣.

كانت داهوانغكو هى منطقة حرب العصابات الاساسية فى هونتشون، وفيها اقدم باك دو نام على اغتيال بان سونغ وى، مبعوث الكومنترن. كما وقعت فيها حادثة قتل ثلاثة عشر جنديا من الجنود البواسل التابعين لجيش هونتشون لحرب العصابات ممن اشتركوا فى الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ. وقد اثار ذلك الحادث سخط وحزن السكان فى منشوريا الشرقية كلها.

فلدى عودة رفاقنا فى هونتشون الى منطقة حرب العصابات بعد انتهاء اجتماع تقويم نتائج المعركة فى لوزوكو، اووا الى بيت منعزل ليستريحوا قليلا ويحتفلوا بعيد تشوسوك (٠). وقد امضوا اليومين التاليين للعيد فى الراحة تحت حراسة احدهم. فما كان من قوات الحامية اليابانية التى عرفت بذلك عبر وسائلها التجسسية الا ان قامت بمحاصرة المسكن وهاجمته بغتة تحت جنح الظلام.

ان افضل وسيلة فى وضع قتالى كهذا هى ضرب اضعف حلقة فى طوق العدو والافلات بسرعة من دائرة حصاره. لذلك، يتوجب على القائد ان يدرك الوضع بدقة ويتخذ القرار المناسب. ولكن آمر السرية الذى كان يقود الجماعة لم يكن يملك صلاحية اتخاذ القرار. وكان بينهم ضابط بارع يدعى او بين، لكن كلمته لم تكن مسموعة ولم يكن لها اى تأثير لان العناصر اليسارية كانت قد اقصته من منصب المسؤول العسكرى فى اللجنة الحزبية بالمحافظة، وانزلت رتبته الى جندى عادى.

فى ذلك الحين، لم يكن اليساريون، الذين يحتلون المراتب الحزبية العليا، يسمحون للضباط باتخاذ القرارات فى المسائل العسكرية. وكانوا يصرون على وجوب احالة المسائل المتعلقة بالعمليات الحربية كافة الى المناقشة فى الاجتماعات واتخاذ قرار جماعى بشأنها باغلبية الاصوات. كان اصرارهم هذا مبدأ حديديا لا يمكن لاحد مخالفته على صعيد قيادة الجيش وادارته، مما كبل ايدى الضباط وارجلهم تماما ومنعهم من التصرف بحرية. ولم يكن امتناع الضباط عن اتخاذ القرارات تعبيرا عن عجزهم، بل نتيجة تعطيل صلاحياتهم من جراء الضغط الثقيل الذى تفرضه الديمقراطية العسكرية المتطرفة.

وعلى الرغم من ان العدو كان يضيق عليهم الحصار خطوة فخطوة، ومعه كان يقترب الموت المحتم، فانهم اكتفوا باجترار الجدل العقيم حول ما اذا كانوا سيقاتلون العدو ام يخترقون طوق الحصار ويفلتون منه. اقترح بعض الجنود من ذوى التفكير

---

(٠) تشوسوك: عيد تقليدى خريفى فى كوريا، يحتفل به فى اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن حسب التقويم القمرى – المترجم

النير خوض القتال لان ذلك الجدل العقيم قد يؤدى الى هلاكهم جميعا. لكن انصار الديمقراطية العسكرية المتطرفة رفضوا اقتراحهم، متعللين بانه لا يمكنهم دخول المعركة قبل اتخاذ قرار بشأنها فى اجتماع يعقد لهذه الغاية.

ولم يكن ذلك، فى الواقع، سوى عمل اجرامى، انتحارى، ادى الى تصفية رجال جيش حرب العصابات المحاصرين. وفيما كان الجدل متواصلا دون الوصول الى حل، بدأ العدو الهجوم. وعندئذ فقط فض المقاتلون اجتماعهم وامتشقوا بنادقهم.

لقد حصد الرصاص الذى انهال عليهم كالمطر حياة ثلاثة عشر جنديا من جنود جيش حرب العصابات. ولم يبق على قيد الحياة سوى عدد محدود منهم نجوا بأعجوبة. وقد زارنى احدهم فى وانغتشينغ لينقل الى كلمات او بين الاخيرة، واطلعنى على كل التفاصيل التى سبقت وتلت استشهاد الجنود الثلاثة عشر البواسل والذين كان بينهم بايك ايل بيونغ.

وحسب رواية ذلك الجندى القادم من هونتشون فانه بينما كان يتفحص الجثث، وجد او بين مصابا بجراح خطيرة فى بطنه، فقال له وهو يلفظ انفاسه الاخيرة واحشاؤه مندلقة من بطنه:

"لا املك الآن صلاحية اصدار الاوامر لك. الا اننى اطلب منك كونى عضوا فى الحزب ان تطلع الرفيق كيم إيل سونغ على ما جرى هنا اليوم."

كرهت يومئذ اولئك الداعين الى الديمقراطية العسكرية المتطرفة والدغمائيين الذين يطبقونها بصورة عمياء فى المعارك. فلو لا عقبة الديمقراطية العسكرية المتطرفة هذه، لاستطاع رفاقنا فى سرية هونتشون ان يخترقوا طوق الحصار فى الوقت المناسب ويتفادوا الكارثة الرهيبة بفقدان ثلاثة عشر جنديا منهم.

كان اولئك القتلى جميعا رفاقا لنا فى السلاح لا يمكن نسيانهم، شاطرونا الحياة والموت فى الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ. وعندما انسحبنا من الحاضرة بعد انتهاء المعركة، التف اولئك الرفاق من حولى، وكانوا فى جماعة اعتراض النجدات، وراحوا يشدون على يدى قائلين ان وحدة وانغتشينغ اثبتت جدارتها تماما فى المعركة، ثم حملونى على اكتافهم ورفعونى فوق رؤوسهم. وعند

تأبين الرفاق الشهداء، كانوا ينتحبون والقوا خطبا تأبينية مؤثرة.

كم هو مؤلم التفكير بان اولئك الرجال المفعمين بالحماسة الملتهبة والمحبة الحارة، قد ماتوا جميعهم فى ليلة واحدة.

بين اولئك الثلاثة عشر جنديا، كان او بين، احد احب رفاق السلاح الى نفسى. لقد ارتبطنا بصداقة حميمة من خلال تشاى سو هانغ اثناء الاعمال التحضيرية فى منطقة حواضر الاقضية الستة. ففيما كان تشاى سو هانغ يدرس فى مدرسة داشينغ الثانوية فى لونغجينغ، كان او بين يتلقى تعليمه فى مدرسة دونغسينغ الثانوية فيها. وكانت هاتان المدرستان مركزين هامين لتأهيل وتربية رجال الحركة الاجتماعية وحركة الاستقلال. وقد ساهم الاثنان فى الحركة الطلابية اثناء اقامتهما فى لونغجينغ.

حضر او بين مع تشاى سو هانغ اجتماع كونغسودوك واجتماع مينغويكو الشتوى اللذين عقدا تحت رعايتنا، وابديا فيهما نشاطا ملحوظا فى المناقشات حول خط النضال المسلح.

وفى ايار عام ١٩٣١ على وجه التقريب، كان او بين وتشاى سو هانغ دليلى الى زونغسونغ، وهى مسقط رأس الاخير. وما زالت حية فى ذاكرتى تلك الفترة التى عبرت فيها نهر دومان معهما خفية فى زورق ووطأت لاول مرة اراضى قرية سينهونغ. لقد تحدثنا وقتذاك باستفاضة حول مستقبل الوطن، فيما كنا نتأمل باعجاب جمال خضرة اشجار الصفصاف ونستنشق الهواء العابق بروائح اطلال سور قديم.

فى ربيع ذلك العام، قابلت خارج البوابة الشمالية لقرية سينهونغ او وى سون، والد او بين، الذى كان يرأس اتحاد مناهضة الامبريالية فى زونغسونغ. وكان يزرع ارضا مستأجرة فى تشاتياوكو بمحافظة آنزى. ولكن نشاطات ابنه كثورى محترف جعلته ينتقل مع اسرته الى قرية سينهونغ. وما لبث بيته ان اصبح محطة للاتصال السرى تربط ما بين جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان فى منطقة وانغتشينغ وجميع المنظمات الثورية السرية فى قضاء زونغسونغ.

وكلما ذهبت الى قرية سينهونغ، كانوا يقدمون لى الشعيرية فى بيت او بين. وفى

الشهر الخامس القمرى من عام ١٩٣٣، احتفلت بعيد "دانو" (٠) فى ذلك البيت، وفى تلك المناسبة قدم لنا او وى سون على الغداء طبقا له نكهة شعيرية بيونغ يانغ الباردة الشهيرة، وقد صنعها من دقيق الحنطة السوداء الذى حصل عليه من سوق فونغكاى بعد ان قطع مسافة ٣٠ رى.

ومن انطباعاتى عن تلك الحفلة مازلت احتفظ فى ذاكرتى حتى الآن بوضوح كيف عثرت على ينبوع وحفرته وبنيت حوله حاجزا صغيرا فى فناء ذلك البيت، بعد ان كان افراد الاسرة يعانون المشقات بسبب شح المياه. لقد عملت فى ذلك اليوم دون كلل، وباحساس بنوى، كما لو كنت ابنهم الغائب او بين الذى كان يقاتل فى هونتشون.

وحين قابلت او بين فى لوزوكو غداة الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ، حدثته عن شعيرية الحنطة السوداء التى اعدها لى ابوه فى قرية سينهونغ يوم عيد دانو. وقد اسعد او بين ذلك. وعلى الرغم من تجريده من رتبته كمسؤول عسكرى فى هونتشون وتحوله الى جندى عادى، لم يكن يشعر بأدنى قدر من خيبة الامل او الانزواء. وعندما اردت نصيحته بعدم اليأس، قال لى:

"كما ترى، مازلت انسانا مفعما بالحيوية والنشاط. ان التحول من مسؤول عسكرى الى جندى عادى، لن يحول او بين الى كيم بين او باك بين. ولكننى لست راغبا فى مواصلة العمل فى هونتشون بعد الآن. اعتزم التقدم بطلب الى الهيئة العليا بعد انتهاء الهجوم على دونغنينغ لكى تسمح لى بالذهاب الى وانغتشينغ. فما رأيك ايها الرفيق القائد؟"

فأجبته:

"يسعدنى مجيئك الى وانغتشينغ. ولكن يجب عليك ان تضع نصب عينيك ان اليساريين الذين يمكنهم ان يصموك (بالمينساينغدانية) موجودون بكثرة فى وانغتشينغ ايضا."

"أهذا صحيح؟"

---

(٠) عيد "دانو": عيد تقليدى كورى يحتفل به فى الربيع – المترجم

"لا تظن ان وانغتشينغ قد افلتت من رياح اليسارية ."

"ليس مهما. ان مجرد وجودى الى جانبك سيجعلنى اشعر براحة اكبر ايها الرفيق القائد. سأذهب الى وانغتشينغ على اى حال. واذا قال او بين شيئا فانه يفعله."

اثناء الهجوم على حصن الجبل الغربى، قاتل او بين ببسالة، فقد اندفع فى المقدمة حاملا المتفجرات، وشق الطريق لتقدم الوحدة. وقد قدر الاجتماع المخصص لدراسة نتائج المعركة مأثرته تلك تقديرا عاليا.

وعندما تفرقت الوحدات فى لوزوكو اكد او بين على قراره مرة اخرى. لقد صمم تصميما راسخا على الانتقال الى وانغتشينغ. وقال ان قراره ذاك قد ازداد رسوخا عندما رأى الرفاق من وانغتشينغ يحتلون حصن الجبل الغربى ويقتحمون المدينة فى معركة الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ.

وقد وعدته طبعا بان اتعاون معه على تحقيق ذلك.

ولكن قبل ان انفذ ما وعدته به، وصلنا الى وانغتشينغ خبر موته. فى الربيع سقط لى كوانغ، وفى الصيف قتل بان سونغ وى فى عملية غبية، واليوم يفارقنا او بين من دون ان يحقق رغبته العارمة.

لقد كان لخبر مقتل ثلاثة عشر جنديا باسلا، وقع الصاعقة. ومنذ ذلك اليوم ازداد اشمئزازى من الديمقراطية العسكرية المتطرفة وتملكتنى مشاعر الكراهية الشديدة لها ولم اعد قادرا على تحمل وجود عنصر واحد من تلك العناصر فى صفوف الوحدة، لانه كان تيارا فكريا ضارا بالثورة تماما.

لدينا اليوم مبدأ مطلق هو ان تناقش كل المسائل الخاصة بالعمليات الحربية فى منظمات الحزب، وان تنعكس من خلالها الآراء الخلاقة للجماهير فى وضع خطط العمليات الحربية. هذا ما نتقبله ونرحب به ايضا. الا اننا لا نسمح بان تتطاول تلك الجماعية على صلاحيات قادة الوحدات.

اما فى بدايات فترة الحرب المناهضة لليابان، فقد تجاهلت الديمقراطية العسكرية المتطرفة تلك الصلاحيات بذريعة الجماعية وشلت نظام القيادة فى ادارة الوحدات والعمليات الحربية.

فـى ذلـك الحـين، كانـت تعقـد فـى الـوحدات اجـتماعات حـزبية، علـى مـستوى الجماعـات والفـروع واللجـان الحـزبية مـن كافـة المـستويات بغـية اذكـاء المـبادرات الخلاقة لدى اعضاء الحزب عند التخطيط للعمليات الحربية او قبل خوض المعركة. كـذلك كـان يعقـد اجـتماع عـام للـوحدة يـشبه الاجـتماع العـام للعـسكريين فـى الـوقت الراهن، وذلك انطلاقا من مبدأ اخذ الاوضاع والظروف بعين الاعتبار.

لكـن اليـساريين الـذين كانـوا يعتبـرون الديمقـراطية العـسكرية المتطـرفة شـيئا مطلقـا، وكأنـه قانـون بونابرتـى، اصـروا علـى مناقـشة كـل المـسائل العـسكرية فـى اجتماعات منظمات الحزب على اختلاف مستوياتها والاجتماعات العامـة للوحدات دون قيد او شرط، سواء أ كانت تلك المسائل كبيرة او صغيرة وايا يكن الوضع.

علـى سبيل المثال، اذا كـان الجيش الثورى يخطط لهجوم ما على احدى المدن، كـان علـيه ان يدعـو اولا الـى اجـتماع الجماعـة الحـزبية. فيرسـم خارطـة عامـة لـتلك المديـنة مـن دون الكـشف عـن هويـتها، ثـم يـناقش ضـرورة مهاجمـتها ويقـرر طـريقة الهجوم.

وعند الاقـرار بـضرورة خـوض المعـركة والـتأكد مـن امكانـية نجاحهـا ووضـع خطـة تفصيلية للعملية فـى ذلك الاجتماع، تتكرر الاجراءات نفسها والموضوع نفسه وتتم المصادقة على خطة العملية بالتصويت فى الاجتماعات على مستوى الفروع.

وتكون المرحلة التالية هى الاجتماع العام للوحدة. ولا يختلف فحوى ودور هذا الاجتماع ايضا فى شىء عن فحوى ودور الاجتماعات السابقة، ما عدا اشراك الجنود غيـر الحـزبيين فـى مناقـشة المـسائل. وفـى الخـتام، يـصدر هـذا الاجـتماع قـرارا علـى الـنحو التالـى: عمـا قـريب سـنهاجم مديـنة "كـذا"؛ وسـتكون للعملـية فـوائد كبيـرة علـى الـصعيدين الـسياسى والعسكرى؛ لن نتكبد اية خسائر، باستثناء سقوط بعض الشهداء؛ امـا الخطـة العملياتـية فتـنص على كذا وكذا؛ وخوض المعركة حسب تلك الخطـة كفيل بانتصارنا فيها. هكذا كـان يتخذ القرار، ثم يصدر امر القتال ويبدأ زحف الجنود الى الموقع المحدد.

وحـيث ان المـسألة كانـت تطـرح فجـأة، وكمـن يلقـى حجـرا فـى بحيـرة، فقـد كـان

النقاش يطول ويتشعب للتوصل الى نتيجة، فهذا موافق وهذا غير موافق؛ هذا يجوز وهذا لا يجوز؛ الفوز مضمون فى المعركة، والفوز غير مضمون... وهلمجرا. فكان الجدال يستغرق وقتا غير محدد، وكانت الديمقراطية العسكرية المتطرفة تكفل للجميع على السواء حق الكلام. فيبدأ كل واحد بالكلام محاولا اظهار كل ما لديه من فصاحة خطابية.

وفى اثناء ذلك تحدث تغيرات فى وضع العدو، وبالتالى تصبح خطة العمليات التى نوقشت واقرت فى الاجتماعات على مختلف المستويات غير مجدية. وحتى عند خوض المعركة بتلك الخطة، يمنى الجيش الثورى بخسائر فادحة فى الارواح من جراء الاوضاع والظروف المستجدة.

من هنا، يمكن القول ان حادثة داهوانغكو التى اسفرت عن استشهاد ثلاثة عشر جنديا باسلا هى تعبير نموذجى عن الديمقراطية العسكرية المتطرفة.

وكان من مظاهرها الاخرى الاصرار على المساواة والتكافؤ المفرطين بذريعة التمسك بمبدأ الديمقراطية داخل الجيش الثورى.

ولم تكن الوحدة التى اقودها مستثناة من هذه الظاهرة.

فى احد الايام، ذهبت مع كيم ميونغ كيون، المسؤول العسكرى فى اللجنة الحزبية بالمحافظة، الى ثكنة عسكرية بهدف الاطلاع على سير العمل فى السرية الاولى. وهناك وجدت آمر السرية يكنس الفناء المحيط بالثكنة فيما الموجه السياسى للسرية يقطع الحطب مع الجنود فى ركن الفناء.

ولم استطع الا ان ابتسم امام ذلك المشهد الذى يظهر روعة التلاحم بين الرؤساء والمرؤوسين.

ولكننى لم اعرف سبب امارات البرود التى بدت على وجه كيم ميونغ كيون.

فقلت له: " ان رؤية المسؤولين كقدوة تحتذى فى العمل هو مشهد يروق العين".

ولكن كلماتى تلك لم تمحو تعابير العبوس من وجه المسؤول العسكرى.

"ما رأيك فى ان نكنس الفناء سوية مع اولئك الرفاق؟"

وبينما كنت احاول التقاط مكنسة كانت ملقاة على الارض، جذبنى كيم ميونغ كيون من كم بزتى العسكرية خلسة وهمس فى اذنى:

"سأريكم الآن مشهدا مدهشا."

وامر الضابط المناوب بان يدعو الينا فى الحال آمر السرية وموجهها السياسى.

وما ان اصدر اليه الامر حتى اجابه الضابط المناوب قائلا: " الآن وقت التنظيف الصباحى".

فرد المسؤول العسكرى بلهجة مستنكرة:

"ولماذا هذا الكلام؟ لقد امرتك بان تدعوهما."

ولكن الضابط المناوب لم يتحرك من مكانه، وقال:

"اذن، سيتعرض آمر السرية والموجه السياسى كلاهما للنقد فى الاجتماع العام للوحدة."

سألت كيم ميونغ كيون عما يعنيه بكلامه هذا.

"يعنى ان آمر السرية والموجه السياسى متساويان مع عامة الجنود من حيث الشخصية. وعليهما بالتالى ان ينظفا عندما ينظف الجنود، تاركين كافة شؤونهما الاخرى جانبا."

حدثت هذه الواقعة حين كانت الديمقراطية العسكرية المتطرفة ما تزال فى مرحلة البداية.

وتفشت فكرة التكافؤ المجرد هذه حتى فى ممارسات جيش حرب العصابات القتالية فيما بعد، مما ادى الى شل نظامه القيادى لبعض الوقت.

يمكن القول، طبعا، ان الناس جميعا، مدنيين وعسكريين، متساوون من حيث الشخصية. الا ان جيشا ثوريا مثل جيش حرب العصابات المناهض لليابان، والجيش الشعبى فى الوقت الحاضر، يكلف كل جندى بمهمات تتناسب مع وظيفته. فيسند الى واحد منصب آمر سرية، والى آخر رتبة آمر فصيلة والى ثالث وظيفة آمر حضيرة، وهكذا دواليك.

وبموجب المهام والتكليفات، تبنى العلاقة بين الرؤساء والمرؤوسين داخل

الجيش الثورى. فيغدو آمر السرية اعلى مرتبة من آمر الفصيلة، وآمر الفصيلة اعلى مرتبة من آمر الحضيرة، وآمر الحضيرة اعلى مرتبة من عامة الجنود. وتنص لوائح الخدمة فى الجيش الثورى على ان المرؤوسين ملزمون بطاعة اوامر وارشادات الرؤساء دون قيد او شرط. ومثل هذا النظام امر لا غنى عنه لقيادة الجيش والاشراف عليه والحفاظ على انضباطه الفولاذى.

كانت لوائح الخدمة المعمول بها فى جيش حرب العصابات المناهض لليابان تعكس الارادة الجماعية للعسكريين، وتطالب الآمرين بالتقيد الواعى بها.

ومع ذلك، فقد استهان الانتهازيون اليساريون بعلاقة الرؤساء بالمرؤوسين المنصوص عليها فى لوائح الخدمة تلك. فاسفر ذلك عن تدمير البنية العضوية والقاعدة الاخلاقية لجيش حرب العصابات المناهض لليابان الذى كان يقوم على الانضباط والنظام والتلاحم بين الضباط والجنود.

ان التكافؤ المفرط الذى عبرت عنه الديمقراطية العسكرية المتطرفة داخل الجيش، ادى الى ظاهرة قبيحة: فتحت هذا الشعار لم يعد المرؤوسون يحترمون رؤساءهم الذين اختاروهم بانفسهم، وبدؤوا يتحدثون اليهم دون اى احترام ويجادلونهم فى تنفيذ الاوامر.

واذا كان المرؤوسون لا يقدمون التحية لرؤسائهم ويتحدثون اليهم دون احترام ويتجادلون مؤيدين او معارضين لاوامرهم، فانهم لا يصبحون جنودا فى جيش، وانما زمرة غوغائية. أيمكن ان ننتظر من مثل هذا الجيش علاقة رفاقية سامية او نتوقع منه تماسك الفكر والارادة بحيث يغدو الجندى درعا للضابط ويضحى الضابط بحياته من اجل الجندى؟ أيمكن لصفوف هذا الجيش ان تتحول الى كيان موحد فولاذى، يتكلم الجميع فيه الكلام نفسه ويخطون الخطوة ذاتها ويتنفسون الهواء عينه؟

احد المظاهر الاخرى التى تجلت فيها الديمقراطية العسكرية المتطرفة ايضا هو مطالبتها الآمرين بان يتصرفوا مثل الجنود اثناء المعركة. ثمة مثل شائع يقول: "لكل مكانه، سواء أكان قرن الثور او حبات المسبحة". وهذا مبدأ بسيط يدل على ان لكل امرئ دورا ومهمة محددة. ووفق هذا المبدأ هناك مهمة للضابط واخرى للجندى

فى ساحة المعركة. هذا مفهوم عام بسيط يدركه حتى الاطفال.

ومع ذلك، كان دعاة الديمقراطية العسكرية المتطرفة يطالبون الضباط بان يتقدموا الصفوف عند الهجوم ويحتلوا الخط الامامى من المواقع الدفاعية غير مكترثين بسلامتهم. وقد حالت هذه الدعوات دون تمكين الضباط من تنفيذ وظائفهم كما ينبغى فى ساحة المعركة. ان واجب هؤلاء الضباط هو متابعة سير المعركة بوعى وبرؤية شمولية ليتمكنوا من قيادتها بكل ابعادها. ولكن، بما انهم كانوا مجبرين على التحرك مع الجنود فى الخط الامامى، فقد كان من المستحيل عليهم توجيه وحداتهم بما يتفق مع تطور الوضع والاحداث.

لا داعى للقول انه على الضباط فى بعض الحالات ان يقودوا الجنود الى الاقتحام، متصدرين الصفوف، او ان يتجولوا على الخنادق تحت وابل القذائف المعادية، ليشجعوا المقاتلين. وعندما تجد الوحدة نفسها فى وضع حرج، ويكون لا بد من قلب ذلك الوضع، يتوجب على الضباط ان يكونوا قدوة ويتقدموا الصفوف لاستنهاض الجنود الى دحر العدو. ولكن ان يفعلوا ذلك فى اى وقت، ودون اخذ الظروف بعين الاعتبار، لا يكون من القدوة الشخصية فى شىء.

فى ذلك الحين، كانت اجتماعات تحليل نتائج المعارك تمتدح الضباط الذين ينطلقون مع الجنود فى مقدمة صفوف المهاجمين، تاركين مواقع قياداتهم. وكان الجنود يتسابقون فى كيل المديح لضباطهم، كأن يقولوا ان آمر هذه الفصيلة يقود المعركة واقفا فوق اعلى نقطة فى المرتفع مرفوع الرأس دون ان يأبه لتطاير الرصاص من حوله، او ان آمر تلك السرية يتقدم جنوده بمسافات بعيدة حتى عند اقتحام مواقع العدو، او ان آمر الكتيبة عندنا ضابط فريد من نوعه يلقى بنفسه على مواقع العدو ويستبسل فى القتال بالسلاح الابيض.

فى وسط هذا الجو، انتشرت فى كافة وحدات جيش حرب العصابات فى منشوريا الشرقية الميول المتهورة لمجاراة قادة الفصائل والسرايا والكتائب الذين صاروا يبتعدون عن مواقعهم ويتوغلون منفردين فى عمق مواقع العدو بدلا من ان يتابعوا سير المعركة بمجمله بصورة صحيحة ويقروا اتجاه التحرك التالى لوحداتهم

حسبما هو محدد فى لوائح القتال. وقد ادت هذه العادة الى استشهاد عدد كبير من القادة العسكريين، كآمرى فصائل وآمرى سرايا، فى وحدات القتال الرئيسية لجيش حرب العصابات فى المراحل الاولى من الحرب المناهضة لليابان.

وظهر فى وانغتشينغ ايضا عدد كبير من ابطال الاعمال الفردية هؤلاء، اذكر منهم كيم تشول وكيم سونغ هيون ولى وونغ مان. فقد استشهد كيم تشول وكيم سونغ هيون اثناء تقدمهما الصفوف فى الهجوم، فيما اصيب لى وونغ مان بجراح فى كاحله اثناء قتاله فى طليعة الصفوف.

كان تشاى هيون وزو دو اون خبيرين فى عمليات الاقتحام فى آنزى يعرفهما الجميع فى منشوريا الشرقية. وكثيرا ما كانا يحلان محل الجنود فى عمليات الاستطلاع ايضا. كانا مغامرين طائشين لا يميزان الماء من النار، كانا اقرب الى تلامذة المدرسة الاعدادية منهما الى القادة العسكريين.

كان زو دو اون مغامرا مشهورا انجبه جيش آنزى لحرب العصابات. ونظرا لمهارته فى اصدار اصوات من فمه كصوت البوق، اطلق عليه الناس فى منطقة آنزى لقب "البواق زو" منذ وقت مبكر.

وكان يسترعى الانتباه فى اى مكان يحل فيه بفضل هذا اللقب.

وقد ظل الناس يدعونه "البواق زو"، بدلا من اسمه الاصلى، حتى بعد ان هرم وجلل الشيب رأسه، رغم انه كان قد توقف عن اصدار ذلك الصوت منذ زمن بعيد. كان ذلك تدليلا على محبتهم لزو دو اون، المناضل الذى كان يخترق دخان المدافع ووابل القذائف فى الحرب المناهضة لليابان، متخذا مكانه فى مقدمة الصفوف على الدوام. وحيث ان الناس سموه "البواق زو" طول حياته، فقد كان يستغرب او يحزن اذا ما نادوه بزو دو اون، اسمه الاصلى، بدلا من اللقب.

حدث ذات مرة ان جاء احدهم امام بوابة بيته وسأل: "أصاحب هذا البيت هو الرفيق زو دو اون؟"

حينذاك، اجابه زو دو اون بخشونة اذهلت الزائر: "لا يوجد اى شخص يدعى زو دو اون هنا. هذا بيت (البواق زو)، أفهمت؟"

هكذا، احب لقبه الذى اطلقه عليه رفاقه فى السلاح اثناء الحرب المناهضة لليابان واغرم به الى تلك الدرجة.

ولو كان زو دو اون ما يزال على قيد الحياة، لكنت ذكرته فى كتابى هذا بلقبه الذى احبت الجماهير مناداته " بالبواق زو"، بدلا من اسمه.

وزو دو اون، الذى لم يكن يعرف حتى كتابة اسمى والديه على نحو صحيح، لم تسنح له الفرصة للتعلم الا بعد ان بلغ طور الفتوة، فالتحق بالمدرسة المسائية وحفظ الحروف الابجدية الكورية لاول مرة عن ظهر قلب وتعلم جدول الضرب و"مبادئ القراءة". وما ان خرج من زقاق الامية حتى انخرط فى الحياة التنظيمية والتحق بجيش حرب العصابات ووصل به الامر اخيرا الى تولى منصب مهم كآمر سرية.

كان زو دو اون مقاتلا فريدا من نوعه، اذ كان يتسلل بنفسه لاستطلاع مواقع العدو ويصل الى تحصيناته، ثم يعود الى سريته ويصدر الامر ببدء الهجوم، ويقتحم بدوره مواقع العدو كعصف الريح فى مقدمة الصفوف، وبقى على تلك الحال حتى بعد ان صار آمرا للسرية.

لقد روجت دعاية العناصر اليسارية فى اجتماعات عديدة وفى الوثائق الرسمية لمآثر زو دو اون فى استطلاعه لاوضاع العدو فى وضح النهار ومهاجمته فرقة الدفاع الذاتى وانتزاع عدد من اسلحتها. ولكن تلك الدعاية كانت احادية الجانب اذ لم تأخذ بعين الاعتبار على الاطلاق حقيقة ان زو دو اون هو قائد وينبغى له ان يقلع عن القيام بمثل تلك المغامرات. على كل حال، ذاع صيته كمقاتل مشهور جدا فى منشوريا الشرقية من جراء هذه الدعاية.

اصيب زو دو اون بجراح خطيرة اثناء اقتحامه على رأس الصفوف موقع مدفع رشاش فى معركة داديانجى. لقد اخترقت طلقة معادية بطنه وخرجت من ظهره. ورغم انه بقى حيا بأعجوبة، الا انه قضى فى المستشفى ست سنوات بسبب تلك الجراح. ولم يستطع فى النهاية العودة الى سريته التى احبها كثيرا.

واثناء رقوده فى فراش المرض، تحول النضال المسلح المناهض لليابان الى عمليات الوحدات الكبيرة، وتطور ظافرا ليشمل منشوريا الجنوبية والشمالية ويمتد

الـى داخـل الـوطن. واصـبح الجـيش الـثورى الـشعبى الكـورى اسـطورة فـى العـالم بأسره، وصـار نـضاله العادل منارة مشعة للشعوب المضطهدة. وقد تطلبت الحرب المناهضة لليابان كفاءات عسكرية متميزة وقادة مجربين لقيادة الفرق والافواج الجديدة.

ولـو لـم يصبح زو دو اون مشوه حرب ويفقد قدرته القتالية لاجترح مآثر عسكرية لا حصر لها فى تلك الفترة التى بلغت فيها الحرب المناهضة لليابان ذروتها.

لـم يهتم اليساريون بسلامة الضباط القادة الى ان تم القضاء على الديمقراطية العسكرية المتطرفة داخل الجيش. وقد تم بعد ذلك فقط، استحداث جماعات حرس فى الافواج والفرق مهمتها حماية الضباط القادة.

لقد وجدت الديمقراطية العسكرية المتطرفة تعبيرا آخر لها فى نزعة المساواة فى تطبيق نظام الثواب والعقاب داخل الجيش الثورى.

حـدد جـيش حـرب العـصابات المـناهض للـيابان نظـام الـثواب والعقـاب كأحـد الاجراءات الرامية الى تقوية القدرات القتالية لوحداته. فكان يكافئ الجنود المبرزين فـى القتال والتدريب والحياة اليومية، ويعاقب فى المقابل الجنود الذين ينتهكون لوائح الخدمة انتهاكا خطيرا. فكان يعطى المكافآت المختلفة بحسب اهمية المآثر، وكذلك يطبق العقوبات المختلفة تبعا لدرجة خطورة الاخطاء والانتهاكات.

لكن اصحاب الديمقراطية العسكرية المتطرفة تهاونوا فى تطبيق هذا النظام وذموه، متسائلين: لماذا يعطى فلان مكافأة من الدرجة الاولى فيما يعطى آخر انجز المهمة نفسها فـى الحضيرة ذاتها مكافأة من الدرجة الثانية؟ ولماذا يطبق على هذا الرفيق عقاب تنبيهى بينما ينال ذاك الرفيق الذى ارتكب الخطأ عينه عقابا تحذيريا؟ وخلقوا رأيا عاما ومارسوا الضغط لاعتماد مبدأ المساواة فى تطبيق نظام الثواب والعقاب.

وكـان هذا مـوقفا غير واقعـى يتنافـى والهدف الجوهرى من منح الثواب وانزال العقاب، الا وهو الاسهام فى تقوية القدرات القتالية للجيش.

باختصار، كانت الديمقراطية العسكرية المتطرفة نزعة فكرية ضارة تعيق تطلعاتـنا وجهـودنا مـن اجـل مواصـلة اطـلاق عـنان الـتفوق العـسكرى والـسياسى

والاخلاقى لجيش حرب العصابات المناهض لليابان والمضى قدما فى خوض النضال المسلح المناهض لليابان بصورة مظفرة.

ولو لم نضع حدا لهذه النزعة الفكرية فى الوقت المناسب، لتحول جميع الضباط القادة فى جيش حرب العصابات المناهض لليابان آجلا ام عاجلا الى مجرد فزاعة عصافير، ولصار جيش حرب العصابات زمرة فوضوية ضاعت فيها العلاقة بين الرؤساء والمرؤوسين والحدود بين الضباط والجنود، ولكان تفسخ من الداخل لا محالة.

ان الديمقراطية العسكرية المتطرفة، وبغض النظر عن مظاهرها، هى نزعة فكرية انتهازية تستند الى الافكار البورجوازية الصغيرة. كما انها فى الوقت ذاته احد الاشكال الفوضوية التى لا تمت بصلة الى افكار الطبقة العاملة الثورية.

ان النزعة الفوضوية التى تعكس افكار البورجوازية الصغيرة، تستند الى افكار مستمدة من الكراهية المفرطة للسلطة بوجه عام، ومن رفض السلطة السياسية للبورجوازية بوجه خاص، وتحاول بث الاضطراب الفوضوى واشاعة التسيب فى المجتمع بالايغال فى مدح الديمقراطية المطلقة والليبرالية والتفلت من كل قيد.

وقد سعى بعض المفكرين المتطرفين الذين يمثلون ذهنية البورجوازية الصغيرة القلقة، المنهارة اقتصاديا والمحرومة من الحقوق السياسية تحت وطأة الضغط الثقيل للانتاج الرأسمالى الكبير ودكتاتورية البورجوازيين السياسية، سعوا الى توجيه الجماهير نحو معارضة كافة اشكال السلطة دون استثناء، بدعوى القضاء على السلطة السياسية للطبقة الرأسمالية بالعنف، واشاعة الفوضى مكانها.

وهذه النظرية المسماة بالفوضوية التى جرى التعبير عنها فى الكراهية المفرطة للسلطة السياسية لدى المفكرين البورجوازيين الصغار امثال المفكر الفرنسى برودون، والمفكرين الفوضويين الروسيين باكونين وكروبوتكين، وفى المطالبة العشوائية بالمساواة الاجتماعية، اصدر التاريخ حكمه الصارم والصحيح عليها بانها تيار فكرى عديم النفع يحول دون تنظيم وتعبئة جماهير الشعب الكادح للنضال بقوة ضد اضطهاد رأس المال، كما يحول دون صون المكاسب الثورية واقامة نظام جديد شعبى وديمقراطى حقا، وحياة جديدة فى البلدان التى تم فيها تقويض دكتاتورية الطبقات المستغلة.

الا ان هذه الافكار الفوضوية خلقت اوهاما ازاء الديمقراطية المطلقة والحرية اللامتناهية لدى ابناء الطبقة البورجوازية الصغيرة لفترة معينة، وانتشرت بالتالى فى بعض الاقاليم والبلدان التى لم تتطور فيها الصناعة الرأسمالية الكبيرة تطورا شاملا والتى تسودها الذهنية البورجوازية الصغيرة والعقلية الفلاحية. ولعل هذا يفسر السبب الذى جعل عددا غير يسير من الناس يعتقدون ان للفوضوية دورا معينا فى النضال ضد الرأسمالية.

كان من بين احزاب الطبقة العاملة من اشرك القوى الفوضوية فى النضال لدحر سلطة الاقطاعيين والبورجوازيين الرجعية. ومن المعروف للجميع ان السلطة السوفييتية تعاونت مع عصابة ماخونو الفوضوية فى اوكرانيا ابان الحرب الاهلية.

فى المراحل الاولى لظهور الديمقراطية العسكرية المتطرفة داخل صفوف جيش حرب العصابات المناهض لليابان، الحق التيار الفوضوى اضرارا لا يستهان بها فى النظرية والممارسة الثورية للطبقة العاملة، وذلك باعتبارها تصورا سياسيا يظهر الروح الثورية لبعض القطاعات الاجتماعية، ولا سيما البورجوازية الصغيرة.

غير ان الديمقراطية المطلقة لا تتجلى فى الميول الفوضوية فحسب. فتحركات التحريفيين الذين ظهروا داخل الحركة العمالية العالمية كانت وثيقة الصلة هى الاخرى بالديمقراطية المطلقة. ان التحريفيين يشجعون الليبرالية والفوضى البورجوازيتين والتسيب والفلتان تحت لافتة الديمقراطية، ويثيرون الاضطرابات الاجتماعية. وانطلاقا من هذه الحقيقة، كان لا بد لنا ان نستنتج ان هناك قواسم فكرية مشتركة بين الديمقراطية البورجوازية المطلقة والفوضوية.

ان تسرب الديمقراطية المطلقة الى الميدان العسكرى سيؤدى حتما الى قيام اضطرابات فوضوية فى النهاية. وما لم نبادر الى تصفية الديمقراطية العسكرية المتطرفة فى الوقت المناسب، فان هذه الديمقراطية المزعومة ستؤدى الى عواقب لا يمكن التكهن بها على صعيد بناء جيش حرب العصابات والعمليات الحربية وستلحق اذى لا يستهان به بتطور الحركة الثورية بمجملها.

وفى سياق نضالنا ضد الديمقراطية العسكرية المتطرفة بعد ان حزمنا امرنا

علـى القـضاء علـيها، انعقـد فــى شـيليبينغ اجـتماع لقـادة جـيش حـرب العـصابات والمفوضـين الـسياسيين فـى منـشوريا الـشرقية بـهدف تقـويم حـصيلة العمل خلال فترة الـسنة والنـصف التـى مـرت علـى انـشاء مـناطق حـرب العـصابات واتـخاذ الاجـراءات لحمايتها من الحملات "التأديبية " الكبرى التى يشنها العدو.

وفـى قاعـة الاجـتماع، قابلت كيم ايل ريونـغ وكيم زونـغ ريونـغ. كان كيم ايل ريونـغ قائـدا لجـيش حـرب العـصابات فـى آنـتو، فيما كـان كيم زونـغ ريونـغ مفوضـه الـسياسى. وقدم مـن محافظـة هيلونـغ الـضابط زانغ قائد جيش حرب العصابات هناك، وتشا ريونـغ دوك مفوضـه الـسياسى، وجـاء مـن محافظـة آنـزى زو زيـن، القـائد العـام لجـيش حـرب العصابات هناك والقائد باك دونغ كون والمفوض السياسى باك كيل. وحضر الاجتماع ايضا رفاق من هونتشون، غير اننى لا استطيع ان اتذكر اسماءهم هنا.

ناقشنا فى ذلك الاجتماع مسألة تصفية الديمقراطية العسكرية المتطرفة فى قيادة الوحدات وادارتها.

وقـد اصـريت علـى ان يكـون اسـاس قـيادة الـوحدة داخـل صـفوف جـيش حـرب العـصابات هـو ارادة آمـرها، كمـا طالـبت باقـرار انـضباط مركـزى ونظـام صـارمين صـائبين، علـى ان تكـون الطـريقة المتـبعة فـى قـيادة الـوحدة وادارتـها هـى اعطـاء الاسبقية للعمـل الـسياسى. وانـه يجـب ان يكون هناك تمييز واضح فى علاقة الرؤساء بالمرؤوسين داخـل الـوحدة وان يكـون هـذا التمييز مطلقا، وعلـى الآمر ان ينفذ اوامر المراتب العليا بحزم وفعالية وينفذ ايضا قراراته تنفيذا كاملا.

وعلـى الآمـر ان يمسك دائما بزمام المبادرة فى القيادة وان يتصرف بحزم دون اى تردد مهما كان الوضع معقدا وعصيبا.

ولكـن هـذا لا يعنـى ان ينـساق الآمـر للنـزعة الذاتـية او الاعتباطـية فـى القـيادة. فعليه ان يعرف كيف يعتمد علـى قوى الجماهير وذكائها عند تنفيذ اوامر المراتب العليا وتوجيه العمليات القتالية.

ولا يجـوز لـه ان يعتمد على الاوامر وحدها فى قيادة وحدته، بل عليه ان يعطى الاولـوية للعمـل الـسياسى بغية اذكاء الحماسة الواعية لدى الجنود. واكدت ان الحرب

العصرية ليست مماثلة للحرب فى المجتمع العبودى او الاقطاعى حين كان العامل الفردى يحسم امر الانتصار او الهزيمة، وانما هى حرب شعبية حديثة يقاتل فيها الجيش والشعب متحدين. والنصر فى هذه الحرب هو حليف من يعرف كيف يذكى حماسة الجيش والشعب ومبادرتهما الخلاقة على اروع صورة، وهذا يستدعى اعطاء الاسبقية للعمل السياسى. وتشكل الاجتماعات الحزبية والاجتماعات العامة للوحدات وشروحات المحرضين ودعايتهم وسائل مقتدرة للعمل السياسى. لذا، يتعين على الضباط القادة ان يستفيدوا من هذه الوسائل استفادة فعالة. ...

وانتقدت الاخطاء التى اقترفها جيش هونتشون لحرب العصابات فى داهوانغكو، وقرعت ناقوس الخطر امام ممثلى جيش حرب العصابات من كل المحافظات لينتبهوا الى خطر الديمقراطية العسكرية المتطرفة التى تسببت بمقتل ثلاثة عشر جنديا باسلا.

قد لا يستطيع افراد الجيل الصاعد عندنا ان يفهموا جيدا او يصدقوا تماما الروايات المختلفة التى اشرت اليها بايجاز آنفا، او نزعة الديمقراطية المطلقة الساذجة والصبيانية التى تنطوى عليها تلك الروايات. لكنها حقائق حدثت بالفعل.

ان تفشى الديمقراطية العسكرية المتطرفة داخل الجيش فى فترة بدء النضال المسلح كان محنة بالنسبة لنا، نحن الذين نحمل على عاتقنا كل ثقل مسؤولية الدفاع عن القواعد واقامة الجبهة المتحدة وادارة الوحدات.

وقد عدنا فى الاجتماع الى التأكيد مجددا على ضرورة قيادة الوحدات وادارتها وفق مبدأ نظام المسؤولية الفردية المستند الى الديمقراطية.

بعد حادثة داهوانغكو، برز رأيان متناقضان فى وحدات جيش حرب العصابات، احدهما يصر على وجوب تطبيق نظام وحدانية قيادة الآمر، بينما يطالب الرأى الآخر بمواصلة الاحتفاظ بمبدأ الادارة الديمقراطية. وكان لكل منهما ايجابياته وسلبياته.

فاذا ما جعلنا نظام وحدانية القيادة امرا مطلقا، فاننا قد نتعرض لمخاطر تشجيع التعسف والذاتية فى قيادة الوحدة وادارتها؛ ولكنا اذا ما جعلنا الديمقراطية شيئا مطلقا، فاننا سنفقد بالمقابل السرعة والمرونة فى قيادة الوحدة وادارتها. لذلك،

تقدمت بمبدأ نظام المسؤولية الفردية المستند الى الديمقراطية وطرحته للنقاش.

ومؤدى هذا النظام هو ان الآمر يقود وحدته ويديرها على مسؤوليته، بناء على ما تم بحثه واقراره جماعيا فى المنظمة الحزبية. فالمناقشة الجماعية القائمة على الديمقراطية تتيح انجاز المهام العسكرية المعقدة والعسيرة التى تواجهنا فى كل مرحلة على نحو مرض، بالاستفادة من حكمة الجماهير، اما نظام المسؤولية الفردية المستند الى الديمقراطية فيرفع من مسؤولية الآمر ودوره بما يتفق والمتطلبات العسكرية التى تستلزم كشرط مسبق السرعة القصوى والحزم ووحدة العمل.

كما اكدنا على ضرورة ارساء الانضباط الفولاذى فى صفوف جيش حرب العصابات المناهض لليابان، وذلك باقامة نظام قيادة فعال.

ان اوامر الضباط القادة ليست انعكاسا لارادة شخص، بل تعبير عن الارادة الديمقراطية والتنظيمية للهيئة العليا. فالاوامر العسكرية تتسم بطابع قانونى ويتحمل الضباط القادة الذين يصدرونها مسؤولية قانونية. لا يجوز للجنود ان يجتزئوا الاوامر او يجادلوا فيها ادنى مجادلة، بل عليهم ان ينفذوها فى حينها وبحذافيرها مهما كانت الظروف والاحوال. وعلى الضباط القادة ان يوجهوا ويشرفوا على تنفيذ الاوامر.

ومن جهة اخرى، ناقشنا مهمة خلق جو فكرى سليم فى الوحدات وتعزيز روح التلاحم الثورية بين الرؤساء والمرؤوسين، وذلك بتكثيف دراسة الايديولوجية الشيوعية والنضال ضد الذهنية البورجوازية الصغيرة التى تتبدى فى نزعة المساواة الصبيانية والفوضى وغيرها من الامور التى كانت تدعو اليها الديمقراطية العسكرية المتطرفة.

ومنذ اجتماع شيليبينغ، ارتفع وعى ويقظة ضباط وحدات جيش حرب العصابات. وفى خضم المحن التى تفرضها المعارك المتواصلة، تم التغلب على الديمقراطية العسكرية المتطرفة بصورة نهائية.

لو لم نواجه تلك الديمقراطية المزعومة بوعى ونتغلب عليها ونحن فى بداية الحرب المناهضة لليابان، لما استطعنا ان نعزز الجيش الشعبى كقوة لا تقهر خلال فترة وجيزة من الزمن بعد التحرير، ولما خرجنا منتصرين من الحرب ضد قوى الامبريالية العالمية المتحالفة بزعامة الامبريالية الامريكية.

من نافلة القول انه لا يوجد فى جيشنا الشعبى اناس يدعون الى التكافؤ والمساواة اللامبدئيين او اناس يناقشون اوامر رؤسائهم. فجنودنا لا يجيبون على اوامر رؤسائهم الا بكلمة واحدة: "حاضر!". ان جيشنا الشعبى هو حشد من المخلصين الذين يعيشون دائما بروح التلاحم ما بين الرؤساء والمرؤوسين والوحدة ما بين الجيش والشعب والاعتماد على النفس والمثابرة فى النضال الشاق، ابتداء من اليوم الذى يقسمون فيه اليمين العسكرى عند التحاقهم بالجيش وحتى اللحظة التى يتلقون فيها شهادة التسريح من الخدمة العسكرية.

اذا اردتم ان تعرفوا وجهة نظر جنودنا فى الديمقراطية، حسبكم ان تروا شعارهم النضالى: " الحزب يقرر ونحن ننفذ!". واذا رغبتم فى الوقوف على المعالم الحقيقية للتلاحم ما بين الرؤساء والمرؤوسين التى تتجلى فى صفوف جنودنا، يكفيكم ان تعرفوا كيف ضحى البطل كيم كوانغ تشول والبطل هان يونغ تشول بحياتهما فى سبيل انقاذ العديد من رفاق السلاح.

وبالرغم من اننا تجاوزنا الديمقراطية العسكرية المتطرفة منذ امد بعيد، الا ان النضال ضدها لم يفقد قيمته حتى الآن.

اننا ندعم الديمقراطية، لكننا نعارض الديمقراطية المتطرفة، ونحن نصر على المساواة، ولكننا لا نتساهل مع المغالاة فى المساواة والتكافؤ. ذلك ان الديمقراطية المطلقة والتكافؤ المطلق يمثلان، كلاهما، افضل وسيط لبروز التحريفية.

ثمة فى العالم اناس غير قليلين يتلهفون لاغراق اشتراكيتنا بجراثيم التحريفية البغيضة. غير ان شعبنا وجيشنا الشعبى لا يسمحان مطلقا بتسرب هذه التيارات. اننا لا نرغب فى ان تحول الديمقراطية المتطرفة حزبنا الى ما يشبه النادى او البازار. فالآلام التى عانيناها اثناء الحرب المناهضة لليابان من جراء الديمقراطية العسكرية المتطرفة ودروس اوروبا الشرقية مؤخرا تفرض علينا ان نفعل كذلك.

٥ـ عملية ماتشون

فى خريف ذلك العام، تفشى وباء فى مناطق حرب العصابات. ذلك المرض الخطير الذى يسبب القشعريرة والحمى والطفح الجلدى وارتفاع الحرارة، اجتاح وادى سياووانغتشينغ بسرعة رهيبة. وقد انتقلت الى عدوى المرض ايضا ولزمت الفراش فى شيليبينغ. وقد عرفت فيما بعد ان اسم هذا المرض هو التيفوس الطفحى.

ان افراد الجيل الجديد لا يعرفون الآن ما هو التيفوس الطفحى. ذلك انهم يعيشون فى بلد خال من الاوبئة منذ امد بعيد.

اما قبل ستين عاما، حين كنا نخوض غمار النضال المسلح فى الجبال، فكان سكان قواعد حرب العصابات يعانون بكثرة من هذه الامراض. وبما ان الآلاف كانوا يتزاحمون للسكن فى وديان ضيقة، فان الاوبئة كانت تنتشر بكثرة. ولما كانت تلك الفترة تشهد انقضاض قوات الحملات "التأديبية" كل ثلاثة ايام تقريبا، فتحرق القرى وتقتل السكان، وتطاردهم فى شعاب الجبال، فاننا لم نكن نتمكن من تحسين الظروف الصحية المتردية، ولم يكن بمقدورنا اتخاذ ما يلزم من اجراءات للوقاية من الامراض. واذا ما ظهر مرض معد، كنا نكتفى بمد حبل من القش امام بوابة بيت المصاب، او نعلق ملصقا على الجدار كتب عليه" البيت موبوء، ممنوع الدخول".

فى تلك الفترة، التى كان الآلاف من جنود العدو يهاجمون فيها قواعد حرب العصابات كل يوم تقريبا ويشنون معارك حياة او موت ضدنا للقضاء على قواعدنا، كان انتشار الاوبئة يشكل اسوأ المحن. وعندما اصبت حتى انا بالحمى،

اسقط فى ايدى كوادر القيادة كافة وساورهم القلق على مصير مناطق حرب العصابات.

ومن اجل حمايتى والعناية بى، ارسلوا الى آمر الفصيلة كيم تايك كون وعقيلته وجميع عناصر فصيلته تقريبا. وحين كانت الوحدات الاخرى تغادر القواعد لدواع قتالية، كان هؤلاء الجنود يبقون فيها لحماية شيليبينغ. كان كيم تايك كون وزوجته يعيشان اصلا فى يهى بمنشوريا الشمالية، لكنهما انتقلا الى وانغتشينغ عبر مولينغ للمشاركة فى النضال الثورى فى منشوريا الشرقية.

وفضلا عنهما، جاءت تشاى كوم سوك، عضوة اللجنة الحزبية بمحافظة وانغتشينغ والمسؤولة عن الشؤون النسائية. وقد كلفتها المنظمة الحزبية بتمريضى.

لزمت الفراش اول الامر فى غرفة امرأة تدعى تشون زا. وكان زوجها، كيم كوون ايل، امينا للجنة الحزبية فى الدائرة، ثم صار امينا للجنة الحزبية فى المحافظة.

فاذا ما انقض العدو على منطقة حرب العصابات، قام كيم تايك كون بحملى على ظهره والتنقل بى من واد الى آخر.

وعندما تكالبت الحملات "التأديبية " علينا، توغلوا بى عبر جدول الى اعماق وادى شيليبينغ، وهم يحملوننى على ظهورهم، وهيأوا مخبأ على شكل كوخ صغير فى اسفل هوة سحيقة يستحيل على العدو ان يصل اليها، لان الوصول اليها لم يكن ممكنا الا بواسطة الحبال. وفى ذلك المكان، تماثلت للشفاء بمساعدة ثلاثة اشخاص.

كان هؤلاء الاشخاص الثلاثة هم الذين انقذونى من الموت. ولو لا عنايتهم الصادقة بى، لما خرجت من ذلك الوادى حيا. كانت حالتى خطيرة جدا لدرجة اننى غبت عن الوعى اكثر من مرة. وقد اخبرونى انهم كلما رأونى فى غيبوبة، كانوا يدمدمون منتحبين: " نستحلفكم ان تعودوا الى رشدكم! ماذا عسانا نفعل وانتم على هذه الحال؟ ".

وكلما ذهب كيم تايك كون للحصول على طعام، كانت تشاى كوم سوك تتنقل من مكان الى آخر بحثا عن مخبأ وانا مستند عليها. وليس من المغالاة القول اننى بقيت على قيد الحياة بفضل تلك المرأة.

منذ اللحظات الاولى لوصولى الى وانغتشينغ، ساعدتنى تشاى كوم سوك كثيرا. ويوم عدت الى ماتشون بعد انتهاء الحملة الى منشوريا الشمالية والجنوبية، كانت تشاى كوم سوك عضوة اللجنة الحزبية للدائرة الثانية فى داوانغتشينغ تتولى مسؤولية الجمعية النسائية، وكانت لى سين كون تضطلع بشؤون جمعية النساء فى المحافظة. فكنت كلما اتت تشاى كوم سوك لزيارة لى سين كون لمناقشة قضايا العمل اقابلها فى منزل العجوز لى تشى بايك. لقد كانت تربطهما علاقة حميمة اشبه بالعلاقة بين شقيقتين.

كانت لى سين كون تثنى على سرعة تشاى كوم سوك فى الكتابة حتى يجف اللعاب فى فمها. ولم اكن اهتم كثيرا بحديثها فى البداية، اذ تساءلت: وكيف عساها تكون سريعة فى الكتابة وهى امرأة. ولكنى دهشت حينما رأيت محضر الاجتماع الذى دونته لأن كل كلمة قيلت فى الاجتماع كانت مسجلة فيه دون نقصان. رغم ان كاتبى الاختزال هذه الايام سريعون جدا فى التدوين، الا اننى لم أر حتى الآن من يجاريها. كانت تشاى كوم سوك تدون جميع مداخلاتنا وخطاباتنا خلال ليلة واحدة. لذا، كنا كلما عقدنا اجتماعات هامة، نكلفها بمهمة تسجيل المحاضر.

كانت تشاى كوم سوك لطيفة وشهمة النفس كالرجل، وكانت فى الوقت نفسه ثابتة الارادة وذات روح مبدئية ثورية صامدة. كانت امرأة مستعدة لان تجر سفينة على الرمال اذا ما طلبت منها ذلك. لقد كلفتها بمهمات سرية وبعثتها اكثر من مرة الى مناطق تقع تحت سيطرة العدو، فكانت تنجز المهمة المنوطة بها بمنتهى البراعة على الدوام.

وكامرأة، عطفت تشاى كوم سوك على، انا يتيم الوالدين. لقد احبتنى كما تحب اخاها الصغير، وكنت اناديها بدورى "اختى".

عند عودتى من ساحة المعركة، كانت هذه المرأة اول من يزورنى، فتضع فى يدى خلسة اشياء مفيدة جدا تكون قد اعدتها خصيصا من اجلى. وكانت فى بعض الاحيان ترقع ثيابى او تحوك لى ملابس داخلية من الصوف.

واذا انقطعت زياراتها الى وادى ليشوكو مدة طويلة، ذهبت انا لزيارتها. ولما كانت تربطنى بها علاقة اشبه ما تكون بعلاقة الاخ واخته، فقد كنا نتمازح عندما نلتقى. ومثلما يفعل جميع السكان فى انحاء محافظة هامكيونغ تقريبا، كانت، هى الاخرى،

تنادى الشيوخ والعجائز فى القرية "آباى" او "آماى". فكانت عبارات من قبيل "آباى بيت اونسونغ" او "آماى بيت موسان" او " آزاى بيت هويريونغ"(٠) تبدو غريبة لمسامعنا، ولكننى كنت اجد متعة فى سماعها بنبرتها. وحتى عندما كنت اقلد لهجتها او افرط فى المزاح معها، لم تكن تغضب منى، بل تكتفى بالابتسام فقط. ولكن على الرغم من كل لطفها، فانها لم تكن تشعر بالسعادة حين اقول لها انها حسناء.

لقد كان ذلك يزعجها، وكانت تصيح بى ان اكف عن مداعبتها. لكنى كنت اجد بالعكس متعة فى صياحها وهى تلوح بقبضة يدها، وتلكمنى برفق على ظهرى، فأمضى فى ممازحتها مرددا انها حسناء، وان كنت اعلم انها مغتاظة. فى الحقيقة، لم تكن حسناء خارقة الجمال، ولكنها كانت لطيفة الملامح. فقد كنت ارى ان نساء مناطق حرب العصابات، امثال تشاى كوم سوك، هن انبل واجمل بكثير من فتيات وسيدات المدن. وكان يخيل الى انه لا توجد فى هذا العالم نساء فى مثل جمال النساء فى مناطق حرب العصابات.

فعلى الرغم من انهن يدبرن امورهن بمنتهى الصعوبة وسط دخان البارود ومن دون ان يعرفن التبرج مطلقا، الا انهن لم يكن يتشكين او يتذمرن ابدا، بل كن يكرسن كل ما لديهن قلبا وقالبا للثورة. فوجدت فى ذلك اسمى اشكال الجمال. ربما كنت اعبر عن هذا المفهوم عندما كنت اقول لتشاى كوم سوك انها حسناء. والحقيقة اننى لم اكن ابخل بأى شىء اذا كان فيه ما يزيد من تفوق النساء فى قواعد حرب العصابات.

كنا نجد بين الغنائم احيانا بودرة او كريم او غيرهما من مستحضرات التجميل. وكان جنودنا فى بداية الامر يقذفون بهذه الاشياء الى الجداول او يسحقونها بالاقدام، قائلين انها اشياء تافهة تجمل بها النساء اليابانيات سحنهن المقيتة. وقد تركتهم لبعض الوقت يرمون ويكسرون تلك الغنائم الفاخرة التى تفوح منها رائحة العطور لاننى كنت اعتقد ايضا انها لا تصلح لاى شىء. آنذاك، لم تكن نساؤنا فى مناطق حرب العصابات يجملن وجوههن. فقد كانت لهن وجهة نظر مشتركة يعتبرن

---

(٠) آباى، آماى، آزاى: تعنى جدا، جدة، خالة على التوالى – المترجم

بمقتضاها من تفوح منها رائحة البودرة او العطور كما لو انها ارتكبت جريمة من الجرائم. صحيح ان بعض النسوة كن يجملن وجوههن احيانا، كايام الاعياد مثلا، لكنهن حينما يجتمعن فى مكان عام كن يتفادين انظار الآخرين، منزويات فى ركن خلفى.

كنت اشعر بالاسف لذلك. وكان يؤلم قلبى التفكير بانهن يعانين المشاق والمصاعب فى الحياة وهن يتنشقن دخان المدافع وتتلطخ وجوههن بالسخام او الرماد دون ان يجملنها بالبودرة ولو مرة واحدة فى السنة. لذا، قلت للجنود:

"ممنوع من الآن وصاعدا ان يرمى احد مستحضرات التجميل. فالى جانبنا توجد نساء ايضا، وهل النساء فى مناطق حرب العصابات لسن ككل النساء؟ فاين نجد فى العالم نساء افضل واروع من جندياتنا وعضوات جمعيتنا النسائية؟"

وقد ايدنى الجنود بالاجماع:

"هذا صحيح، لا توجد فى العالم نساء افضل من نسائنا فى مناطق حرب العصابات. فعلى الرغم من انهن يسددن رمقهن بجذور النباتات ولحاء الاشجار هنا فى مناطق حرب العصابات طوال سنة ونصف ويفقدن ازواجهن الاعزاء واولادهن واحبابهن من جراء الحملات (التأديبية) ويرتعشن بردا فى العراء ولا يلبسن سوى الاسمال البالية فى الشتاء، الا انهن لا يذهبن الى المناطق الواقعة تحت سيطرة العدو، ويشاطرن جيش حرب العصابات الحياة والموت. وانه ليخجلنا ويؤسفنا، نحن رجال كوريا، الا نبرزهن للملأ بملابس حريرية وبوجوه مزينة باحمر الشفاه والبودرة. اذا ما حصلنا على مستحضرات تجميل واشياء اخرى جيدة، فلنقدمها لهن، حتى ولو لبسنا نحن اسوأ الثياب واكلنا اسوأ الطعام."

ذات يوم، ذهبنا الى تشاى كوم سوك بعد ان غنمنا بعض مستحضرات التجميل من العدو لكى نقدمها الى عضوات جمعية النساء. وحين رأت تشاى كوم سوك تلك الصرة من مستحضرات التجميل، ارتبكت ولم تعرف ماذا تفعل من شدة الفرح. ومنذ ذلك اليوم، فاحت فى ارجاء مناطق حرب العصابات فى سياووانغتشينغ رائحة البودرة. وعندما ذهبت الى النادى فى يوم العيد لمشاهدة العرض الفنى الذى تؤديه فرقة الاطفال الفنية، كانت رائحة البودرة والكريم تعبق فى المكان.

ولكن تشاى كوم سوك وحدها لم تزين وجهها على الرغم من مرور عدة ايام، فاستغربت الامر وسألتها عن السبب. الا انها لم ترد على سؤالى، بل اكتفت بالابتسام وهى تنظر الى. بدا لى انه لا بد ان يكون هناك سبب. لذا سألت لى سين كون عن الامر، فاجابتنى بان تشاى كوم سوك تنازلت حتى عن حصتها من مستحضرات التجميل الى عضوات جمعية النساء فى شيليبينغ.

وفى فترة لاحقة، غنمنا مجددا قدرا كبيرا من مستحضرات التجميل، وذلك بعد الاغارة على مؤخرة العدو. فطلبت من تشاى كوم سوك، وانا اعطيها جزءا منها، ان لا تتنازل عن حصتها هذه المرة وتستعملها وقلت لها ان امنيتى هى ان ارى اختى كوم سوك متبرجة. فأجابتنى بانها ستستعملها ولو كرد على اهتمام القائد، طالما اننا خاطرنا بحياتنا للحصول عليها.

وبعد عدة ايام، قابلت تشاى كوم سوك على ضفة النهر فى داوانغتشينغ وانا فى طريقى الى شيليبينغ بهدف توجيه عمل سرية تشاى تشون كوك. حينما رأيت منظرها اللطيف، وهى تجلس عند الضفة المقفرة مديرة ظهرها الى الطريق العام وتحدق فى صفحة المياه، امرت جندى الاتصال لى سونغ ريم بان يذهب ويسأل الرفيقة، مسؤولة جمعية النساء فى داوانغتشينغ، لماذا تجلس هكذا عند ضفة النهر.

رأيته من بعيد يدنو من تشاى كوم سوك ويقدم لها التحية العسكرية. ولسبب ما، سمعت جندى الاتصال الصغير يقهقه على حين غرة.

فمشيت اليهما مسرعا بدافع الفضول.

ما ان وصلت الى الضفة حتى كف لى سونغ ريم عن القهقهة واشار بيده الى وجه تشاى كوم سوك وقال:

"ايها الرفيق القائد، تفضلوا انظروا الى وجه الاخت كوم سوك."

فى تلك اللحظة، لم اتمالك نفسى انا ايضا عن الضحك. ذلك ان وجه الرفيقة مسؤولة جمعية النساء كان مطليا كله بالحمرة والكريم ولكن بصورة عشوائية وبما لا يليق بوجهها الجميل اصلا. لكن تشاى كوم سوك اكتفت بالنظر الينا دون ان تعرف سبب ضحكنا.

"ايتها الخالة مسؤولة جمعية النساء، لقد اصبح وجهك اشبه بخريطة العالم."

ما ان قال لى سونغ ريم ذلك حتى تهاوت تشاى كوم سوك على ضفة النهر صارخة: "اوه!" ثم اسرعت تغسل وجهها بالماء. كانت تشعر بالخجل الشديد، مع ان عدم اتقانها تزيين وجهها، ليس امرا مخجلا وليس جريمة. وعلى مصطبة الغسيل عند ضفة النهر، كانت علبة الكريم وقلم احمر الشفاه اللذان قدمتهما لها قبل عدة ايام.

بدا لى انها لا تملك خبرة فى فن تجميل الوجه. ولكن، هل نجعل من ذلك مدعاة للسخرية منها؟ كانت تلك هى المرة الاولى التى تحاول فيها تجميل وجهها. ولم تكن لديها حتى مرآة. لذلك، طلت وجهها بالكريم ووضعت احمر الشفاه على شفتيها بحذر شديد وهى تنظر الى وجهها فى مياه النهر. فلا عجب بعد ذلك ان هى جعلت من وجهها خريطة العالم.

حين لاحظت ان لى سونغ ريم يحاول الاقتراب مجددا من تشاى كوم سوك لكى يضايقها كما فعل قبل لحظات، اشرت له بيدى ان لا يفعل. ولو انه تفوه ببضع كلمات اخرى حينئذ، لكانت ولت هاربة من هناك وهى تبكى.

اعتقد انه اذا ما قرأت هذه السطور النساء اللواتى يتبرجن بمستحضرات التجميل الفاخرة كل صباح امام مرآة كبيرة ثلاثية الواجهات، فانهن سيشفقن على تشاى كوم سوك. فمن العادات الدارجة حاليا ان تقدم المرآة ثلاثية الواجهات كمهر ضمن جهاز العرس للفتيات المقبلات على الزواج. وهذا دليل حسى على مدى ارتفاع مطالب نسائنا ورغبتهن فى ان يعشن حياتهن بصورة ارغد واكثر تمدنا.

ولكن، عندما كنا نخوض المعارك الضارية دفاعا عن قواعد حرب العصابات، جاثمين فوق الارض المجلدة ومقتاتين بثريد الاعشاب، لم تكن النساء اللواتى يملكن حتى مرايا يد بين سكان سياووانغتشينغ الا قلة قليلة، فما بالك بالمرآة ثلاثية الواجهات! لذا، اذا رغبن فى تجميل انفسهن، كن يقصدن ضفة النهر، على نحو ما فعلته تشاى كوم سوك.

فى ذلك اليوم، لم اؤنب لى سونغ ريم لسخريته من تشاى كوم سوك على ما

فعلته بوجهها، بل غضبت من نفسى لانى لم اوفر للنساء فى مناطق حرب العصابات حتى المرايا.

ان العناية التى احطنا النساء بها كانت تافهة للغاية بالمقارنة مع المحبة التى اغدقنها علينا. وما كانت محبتنا على كبرها لتبز على الاطلاق تلك العناية اللامتناهية التى اولانا اياها الشعب وهو يساعدنا ويؤيدنا ويدعمنا.

والشىء نفسه ينطبق على تشاى كوم سوك. فلطالما سهرت على تمرضنى باخلاص ومحبة وعناية اكبر بكثير من الثقة التى محضتها اياها. وحين تحسنت حالتى الصحية قليلا، وجدتها تذهب الى تومين التى تبعد ١٠٠ رى، حيث تباع المنتجات المجلوبة من كوريا.

وقد اشترت من هناك اجاصا وتفاحا كوريا وحملته الى فى شيلييينغ.

وعندما رأيت تلك الفواكه اغرورقت عيناى بالدموع. وخيل الى فى تلك اللحظة ان امى المتوفاة قد بعثت حية من جديد وتجسدت فى صورة تشاى كوم سوك وهى تسبغ على هذه المحبة. حقا، كانت محبة لا يمكن سوى للام او الاخت الحقيقية ان تبديها.

فقلت لها شاكرا وانا اتنشق ملء صدرى عبير فاكهة الوطن التى وضعتها بين يدى:

"ايتها الاخت كوم سوك، كيف ارد لك جميلك واكافئك؟"

" أتقول جميلا، اذا كنت تريد مكافأتى حقا فارجوك ان توفر لى فرصة زيارة بيونغ يانغ بعد استقلال البلاد. يقال ان بيونغ يانغ هى اجمل بقاع العالم."

كانت فى اجابتها رغبة ملحة، وان قالت ذلك بمزيج من الهزل والجد.

"لا تشغلى بالك. وكيف لا احقق رغبتك هذه؟ فلنقاتل معا يا اختاه ولنبق حيين حتى زيارة بيونغ يانغ بعد تحرير الوطن!"

"انا لن اموت. لكننى قلقة دائما عليك يا اخى الصغير لانك لا تعتنى ابدا بصحتك."

ومن اجل فتح شهيتى، حصلت تشاى كوم سوك على السمسم المجروش وراحت تضيفه الى اطعمتى التى تعدها لى. لقد عزت مرضى الخطير الى سوء التغذية، فكانت تشغل نفسها كثيرا لتعد لى اطعمة شهية ومغذية.

ولكننا كن نعيش اوضاعا عصيبة ينقصنا فيها كل شيء، رغم انها بذلت كل جهدها للعناية بي.

كان كيم تايك كون يصطاد سمك الرميح فى الجدول ثم يطبخونه مسلوقا مع عجينة الصويا المصنوعة محليا او يشوونه ويقدمونه لى. كان يصطاد فى اليوم نحو ٧٠ او ٨٠ سمكة. والحقيقة ان مهارته وحماسته فى الصيد كانت منقطعة النظير.

لكن تشاى كوم سوك التى كانت تشعر بالذنب لانها غير قادرة على ان تقدم لى اى طبق آخر عدا سمك الرميح فى كل وجبة، ذهبت الى القرية واحضرت لى الشعيرية. وعندما سألها الجنود عن صحتى، اجابتهم بان المشكلة هى فى نقص الطعام الذى تقدمه للقائد، مع علمها انه لا بد من شفائى باسرع وقت، وانها تشعر بالحرج الشديد لانها لا تجد ما تقدمه للقائد كل يوم الا سمك الرميح الذى يصطاده آمر الفصيلة تايك كون، وان كان القائد يقول دائما ان الطعام لذيذ.

عندئذ ذهب المقاتلون الماهرون فى الصيد واصطادوا بالشباك كمية من السمك تملأ زكيبة كبيرة من القش ثم جاؤوا بها الينا. فراحت تشاى كوم سوك تصنع من ذلك السمك اطباقا مختلفة وتضعها على مائدة طعامى فى كل وجبة.

ولما تحسنت حالتى الصحية قليلا، اخبرتنى تشاى كوم سوك باننى كنت اهذى وانا فى غيبوبتى باسم امرأة، بل وحركت شفتيها تقلدنى مازحة. وكانت قد دبرت ذلك مسبقا مع زوجة كيم تايك كون. ورغم معرفتى ان قصتها تلك كانت ملفقة تماما، الا اننى ضحكت مقهقها لاول مرة منذ اصابتى بالمرض. وكلما اتذكر تلك الواقعة، اكاد ابكى من التأثر. لقد عرفت انهما اخترعتا تلك القصة لاسعادى وانا فى فراش المرض.

ولخشيتها من ان اعود الى ماتشون قبل شفائى تماما من المرض، كذبت تشاى كوم سوك على كذلك بشأن مدة مرضى. فكلما كنت اصحو، كنت اسألها عن الوقت الذى مضى على وانا غائب عن الوعى، فكانت تقلص الوقت عندما تخبرنى. فاذا بقيت فاقد الوعى يومين قالت انها ساعتان، واذا غبت عن الوعى خمسة ايام قالت خمس ساعات فقط. وبعد تماثلى للشفاء، جمعت عدد الايام التى قضيتها مريضا بناء على اقوالها، فلم تتعد العشرة ايام.

وقد احسست بالطمأنينة لذلك.

ولكن خدعتها انكشفت عندما زارني تشاي تشون كوك في الكوخ للاطمئنان على حالتي الصحية. فهذا الموجه السياسي الوديع الذي لا يعرف الكذب على الاطلاق، قال لي انني الزم الفراش منذ شهر كامل. عندما سمعت تشاي كوم سوك منه ذلك، لامته على صراحته، ونعتته بانه اعمى البصيرة. ولكن ذلك عجل بشفائي وعودتي الى ماتشون.

وفي مقر القيادة، كانت تنتظرني اكداس من المعلومات التي تتضمن جميع تحركات الامبرياليين اليابانيين للحفاظ على الامن العام في تشينتاو.

فخلال شهر مرضي، اكمل العدو الاستعدادات للحملة "التأديبية" الشتوية. لقد وصل كبار الموظفين الذين اوفدتهم الحكومة اليابانية الى تشينتاو للوقوف بانفسهم على خطة الحملة "التأديبية " الشتوية التي ستشن على قواعد حرب العصابات في منشوريا الشرقية واقرارها بصورة نهائية مع قادة الجيش والدرك والشرطة والشؤون الدبلوماسية. وفي طوكيو، نوقشت هذه المسألة حتى في جلسة لمجلس الوزراء.

وفي اجتماعات الامبرياليين اليابانيين بخصوص الوضع في منشوريا، خرجت اصوات تقول "ان الحفاظ على الامن العام في منشوريا يبدأ من تشينتاو!". وزعمت تلك الاصوات ان الحفاظ على الامن العام في تشينتاو هو العمل الاكثر الحاحا سواء من اجل منشوكو او من اجل اليابان نفسها، ليس لان ذلك وثيق الصلة بقضية بناء منشوكو الكبرى فحسب، بل لاتصاله ايضا والى ابعد الحدود بأمن المناطق المحيطة بالامبراطورية اليابانية. حتى ان القائد العام لجيش كوانتونغ الذي كانت مهمته الاولى غزو الاتحاد السوفييتي، عبر عن الاهمية التي ينطوي عليها مستقبل دولة منشوكو الكبرى، وانه يجب مباركة هذه الخطوة بان يتقدم رئيس الدرك الذي واجبه الاشراف على اجهزة الجيش والشرطة في منشوريا، الى الخط الامامي للحفاظ على الامن العام في تشينتاو.

بعد ان اصطنع الامبرياليون اليابانيون دولة منشوكو، اتخذوا اجراءات هامة للحفاظ على الامن العام في تلك المنطقة. فارسلوا فرقة من جيش كوانتونغ للعمل

كقوات " تأديبية " جديدة والحلول محل قوة الحملة فى تشينتاو، وعززوا اجهزة الشرطة بتشكيل وحدات شرطة حكومية، وسياسية، وصناعية فى كل محافظة.

كما تم تشكيل جمعية المحافظة على الامن العام، وهى جهاز استشارى مشترك بين اليابان ومنشوكو مهمته تصفية المقاومة وتهدئة الاضطرابات الشعبية، وقد باشر العمل فى سائر ارجاء منشوريا، ابتداء من المركز وحتى المقاطعات والمحافظات. كما ظهرت جماعات الجواسيس والعملاء من كل لون وشاكلة ومدت مخالبها السوداء الى معسكر الشيوعيين. كبلت الشرطة اليابانية وشرطة منشوكو ايدى ابناء الشعب وارجلهم تماما، اذ انها ادخلت فى حكمها نظام الرقابة الجماعية، هذا النظام الذى كان يطبق فى الصين القديمة وتأكدت اليابان من جدواه فى الحفاظ على الامن العام فى تايوان ومنطقة كوانتونغ. اما استقدام اعداد كبيرة من افراد الجالية اليابانية المسلحين والمؤلفين اساسا من الجنود المسرحين الى منشوريا وتوسيع قوات فرقة الدفاع الذاتى ايضا، فقد اسهما بدورهما فى قمع القوى المناهضة لمنشوكو واليابان التى كانت قد تجذرت فى منطقة المقاطعات الثلاث الشرقية. وكانت الشرطة السياسية تتمتع بحق "القتل فورا" بحجة القضاء على قطاع الطرق المحليين.

تبرهن كل هذه الاجراءات على مدى الجهد المحموم الذى بذلته الامبريالية اليابانية للسيطرة على منشوكو، مستعمرتها، والحفاظ عليها. لاسيما وان النضال المسلح الذى يخوضه الشيوعيون الكوريون فى منطقة تشينتاو، الذين كانوا يصفعون وجه الامبراطورية ويضربون قفاها فى ذلك الركن من شمال شرقى الصين، وحركة التحرر الوطنى الشامل الذى يشكل ذلك النضال عمودها الفقرى، صارا مصدر ازعاج حقيقى للامبريالية اليابانية. وليس من قبيل العبث اطلاقا ان يقول احد مسؤولى الدرك اليابانى آنذاك ان الحفاظ على الامن العام فى تشينتاو يتوقف فى ٩٠ بالمئة منه على قمع نشاط الشيوعيين الكوريين.

وهكذا فان ما يدعى بالامبراطورية اليابانية العظمى كانت ترتعد من جيش حرب العصابات المناهض لليابان وقواعده التى تمثل نقاط ارتكاز الاستراتيجية. لذا،

جن جنون الامبريالية اليابانية لازالة مناطق حرب العصابات المناهضة لليابان فى منشوريا الشرقية مهما كان الثمن.

فى صيف عام ١٩٣٣، سحبت الاوساط العسكرية اليابانية جزءا من قوات الحملة فى تشينتاو التى انهكها جيش حرب العصابات المناهض لليابان واعادتها الى كوريا، ونشرت بدلا منها فى مختلف انحاء منشوريا الشرقية عددا كبيرا من وحدات النخبة، مثل وحدة هيدومى وغيرها من وحدات جيش كوانتونغ.

ونشرت القوات الرئيسية من الجيش الذى يحتل كوريا على الحدود الشمالية لبلادنا حتى يتسنى لها ان تنطلق فورا الى "تأديب" مناطق حرب العصابات. وحاصرت قوات ضخمة يزيد عددها على عشرة آلاف جندى مناطق حرب العصابات فى تشينتاو وشرعت فى شن الحملة "التأديبية" الشتوية.

وجه العدو رأس حربة هجومه نحو منطقة حرب العصابات فى سياووانغتشينغ حيث يقع مقر هيئة اركان الثورة الكورية، ودفع الى تلك المنطقة باكثر من خمسة آلاف جندى من جيش كوانتونغ وجيش منشوكو العميل والشرطة وفرقة الدفاع الذاتى. وقد لا تجد مثالا عن نشر القوات بمثل هذه الكثافة فى الحرب بعد ظهور سلاح المشاة، هذا اذا استثنينا الحرب فى عصر المانيفاتورة، حين كان الجانبان المتحاربان يتصرعان فى صفوف متقابلة، اللهم الا معركة ليوشون ابان الحرب الروسية – اليابانية.

كانت اسراب الطائرات هى الاخرى تنتظر الاوامر مستعدة تماما للانطلاق. كما ارسلت الى منطقة حرب العصابات فرقة التحرى الخاصة التى تتبع لجهاز الاستخبارات فى تشينتاو.

وهكذا، انقلبت مناطق منشوريا الشرقية كافة الى ساحة معركة دامية هى الاشد ضراوة بيننا وبين الامبريالية اليابانية. كما كانت معركة المواجهة الحاسمة التى تتوقف عليها حماية مناطق حرب العصابات الموزعة على عدة ارجاء.

ومع ذلك، لم يكن فى سياووانغتشينغ سوى سريتين من قوات جيش حرب العصابات. والادهى من ذلك ان احتياطى التموين كان ضئيلا جدا.

واجهت قواعد حرب العصابات فى منشوريا الشرقية ازمة عصيبة يستحيل

معها معرفة آفاق بقائها فى الوجود. لم يكن فى مناطق حرب العصابات متفائل واحد يعتقد ان السريتين ستصمدان وتدحران العدو العاتى المسلح بالمدافع والطائرات. لقد وجدنا انفسنا امام معضلة ذات حدين: اما القتال حتى آخر رجل فينا، واما التخلى عن مناطق حرب العصابات والاستسلام للعدو.

وكنا نفضل الموت على رفع العلم الابيض.

من وجهة نظر المبادئ التكتيكية لحرب العصابات، كان الاحرى بنا، فى الواقع، ان نتجنب معركة مواجهة كهذه. ولكن، اذا نحن تجنبنا تلك المعركة، فان العدو سيبتلع كل مناطق حرب العصابات على امتداد ضفة نهر دومان دفعة واحدة. ثم اذا نحن لم ندافع عن مناطق حرب العصابات، فان الجماهير الثورية التى تتمتع بالمساواة والحرية الحقيقيتين بفضل سياسة الحكومة الثورية الشعبية قد تموت جوعا وتجمدا ورميا بالرصاص فى عز الشتاء. باختصار، اذا نحن فقدنا مناطق حرب العصابات، فلن يتطلع الشعب الينا مرة اخرى.

كانت مناظر وانغتشينغ الخلابة فى الخريف معرضة لخطر التحول الى قاع صفصف فى ذلك العام من جراء عاصفة الحملة "التأديبية " الشتوية.

وكانت جميع العيون فى مناطق حرب العصابات مسلطة علينا. وكانت وجوه الاهالى تشرق او تعبس تبعا لملامح المقاتلين.

رحت افكر فى مخرج. ولكن لم تخطر لى فكرة مناسبة. لم يكن حولى احد من الاشخاص الجديرين بان اناقش واياهم المسائل التكتيكية. فلم يكن الى جانبى يومذاك باك هون خريج مدرسة هوانغفو للضباط، ولا "سوغووزاى" (قصير القامة- المترجم) كيم ميونغ كيون صاحب سجل الخدمة العسكرية الطويل فى الاتحاد السوفييتى او لى وونغ غول خريج مدرسة الضباط فى جيش الاستقلال، بعد ان اختفى كل اثر لهما فى اعقاب اتهامهما "بالمينسااينغدانية"؛ وحتى ريانغ سونغ ريونغ جرفته، هو الآخر، عاصفة "مينسااينغدان".

فتمنيت لو كان عندنا جنرال مشهور من مثل هونغ بوم دو.

كان هونغ بوم دو جنرالا فى جيش المتطوعين الفاضلين ترك بصماته عميقا

على ارض وانغتشينغ، حتى ليمكن القول ان ما اجترحته وحدات جيش الاستقلال من مآثر عسكرية باهرة فى تشينغشانلى وفينغويكو انما يعود الفضل فيها الى موهبته التكتيكية. كان هناك من يحتقرونه قائلين انه يلجأ فى المعركة الى الحيلة اكثر من استخدامه لموهبته التكتيكية، ولكن قولهم هذا ينافى المنطق السليم. فالحيلة التى يتحدثون عنها لم تكن الا محصلة لموهبته التكتيكية عند التدقيق فى اصلها.

وقد كان رأى ابى يتفق مع الرأى القائل ان هونغ بوم دو هو شخص ذكى وذو موهبة خارقة. ولو لم يكن كذلك لما تمكن من الحاق تلك الهزيمة النكراء بالجيش اليابانى فى غاوليلنغ بتكتيك نصب الكمائن الحاذق والدقيق. واولئك الذين لا يرون ذكاءه فى وجهه الذى كوجه حطاب، لا يمكنهم القول بانهم يعرفونه حقا.

لقد مضت سنوات عديدة منذ ان اختفى من ارض وانغتشينغ ظل القائد العام لجيش الاستقلال الذى كان يتحكم بمنطقة هاربالنغ، بل ان صورته، على ما يبدو، قد انمحت من ذاكرة الناس، وغطتها الطحالب مع مرور السنوات.

ولاننى كنت واقعا فى وضع حرج، كان حنينى الى الشهداء الرواد على هذه الدرجة من الالتهاب.

وبينما كنت اقدح زناد فكرى متأملا فى المسائل التكتيكية فى مقر القيادة المبنى من جذوع الاشجار، جاء لزيارتى فى منتصف احدى الليالى العجوز لى تشى بايك وبيده وعاء عسل.

قال لى العجوز وهو يضع امامى ذلك الوعاء:

"لم استطع مساعدتك عندما كنت مريضا بالحمى. فارجوك ان تنعش صحتك بتناول هذا العسل."

"من اين حصلت على هذا العسل البرى الصافى الذى يقال انه غال كالذهب ؟"

" الذى حصل عليه هو العجوز ما القاطن فى وادى هوانغكارى. لقد قصدته لانه تفاخر امامى سابقا بان لديه عسلا، فاعطانى هذا الوعاء. قال لى بانه لن يتوانى عن مساعدة القائد كيم إيل سونغ حتى ولو باع منزله اذا كان ذلك يسهم فى انعاش صحته. انا قادم لتوى من عنده. "

اثار اهتمام العجوزين الشجون فى قلبى.

"شكرا، ولكنى ما زلت شابا. وانتم، ايها الجد، احق منى فى تناول هذا العسل."

"لا يجوز لك ان ترفض اخلاص الشيوخ. لقد آلمنى دائما انى لم استطع السهر على القائد كيم اثناء مرضه. ان امارات الضعف تبدو على وجهك فى المدة الاخيرة."

جذبنى العجوز من ذراعى وهو يدعونى لتناول العشاء فى منزله.

فجاريته دون اعتراض. ففضلا عن العشاء، كنت اشعر برغبة عارمة فى المبيت ولو ليلة واحدة فى منزله الذى ما زالت رائحة بان سونغ وى عابقة فيه. ورغم اننى نقلت مسكنى الى مكان آخر، الا ان جزءا كبيرا من قلبى بقى مع تلك الاسرة السمحة والكريمة التى احاطتنى بعناية دافئة ولطيفة وكأننى ابنهم الحقيقى.

تناولنا ثريدا خليطا من الذرة والفاصوليا، واليقطين. فوجدته لذيذا كالعسل، ولعل السبب هو شفائى للتو من الحمى. كانت ربة البيت، الام سو سونغ نيو، تعرف جيدا ما احب من الطعام. وكانت البطاطا والذرة المشويتان من المأكولات المميزة التى تعدها لى. كانت بطاطا منطقة تشينتاو كبيرة الحجم، وحلوة جدا حين تحفظ من سنة لاخرى. وقد كان طعمها لذيذا فى ليالى الشتاء الثلجية، حين نتناولها مع مرق اللفت المخلل.

بعد العشاء، اضطجعت للنوم مع العجوز لى تشى بايك فى ذات الغرفة التى اقام فيها بان سونغ وى من قبل.

كان العجوز يزفر زفرات متتالية دون ان يغمض له جفن. فقدرت ان تفكيره فى ابنه الذى وافته المنية قبل عدة اشهر يثير مواجعه مجددا. فقد اصيب ابنه لى مين كوون بجراح خطيرة فى ربيع عام ١٩٣٣ اثناء قيامه بمهمة تجريد وحدة غوان المستسلمة من السلاح، ثم توفى اثناء تلقيه العلاج فى مستشفى تشيويوكو. وكنت قد شاركت فى حفل تأبينه. وفى ايلول عام ١٩٣٢، اقمنا فى هذا المنزل بالذات حفل تأبين تشاى يون سيك، احد رجال جيش حرب العصابات.

رفعت اللحاف قليلا ثم درت بجسمى نحو العجوز وسألته:

"لماذا تزفرون هكذا طول الليل ايها الجد؟"

"لان النوم يجافينى. وكيف انام مرتاحا طالما ان الآلاف من جنود العدو

يضربون حصارا حول مناطق حرب العصابات؟ يقال ان الحملة (التأديبية) الحالية ستقضى على جيش حرب العصابات، فماذا تقول ايها القائد؟"

"ما يشاع عن امكانية هزيمة جيش حرب العصابات ليس سوى اقاويل يروجها الرجعيون. ولكن، اذا لم نحزم امرنا، فقد تنهار مناطق حرب العصابات فى مدة تتراوح بين يومين وثلاثة ايام. والواقع ان مصير مناطق حرب العصابات معلق بخيط. لذا، تجدنى عاجزا انا ايضا عن النوم."

"لا يجوز السماح بانهيار مناطق حرب العصابات ابدا. فبدونها لن نجد اية متعة فى الحياة. احرى بنا ان نموت ونكون طعاما للغربان او اشباحا للمقابر."

"الحق معك. يجب الا نغادر هذه القواعد حتى ولو غطت جثثنا ارضها. ولكن ما العمل، ايها الجد؟ ان الجيش المعادى يقدر بآلاف الجنود، اما جيشنا الذى يدافع عن سياووانغتشينغ فلا يصل الى واحد بالمائة من هذا العدد..."

اخذ العجوز عدة انفاس من غليونه ثم قال لى بنبرة جادة وهو يدفع وسادته قريبا منى:

"اذا كان ينقصكم العساكر، فاننى انا ايضا اضع نفسى تحت تصرفك ايها القائد. يوجد فى سياووانغتشينغ العديد من الشيوخ الذين يعرفون كيف يطلقون الرصاص مثلى. اننا قادرون على القتال جيدا مثل رجال فرقة الدفاع عن كانغهوازين، اذا ما وزعت علينا البنادق. يخيل الى انه توجد على مقربة من تشونكنغلى، حيث كنا نعيش فى السابق، بنادق وذخائر طمرها رجال جيش الاستقلال فى الارض عند مغادرتها. فاذا ما عثرنا عليها، تسنى لنا ان نسلح بها اولئك الذين يتحركون جيئة وذهابا بذريعة العمل الشبابى، مثل صهرى زونغ كوون وغيرهم، ناهيك عن الصيادين والشيوخ من قدامى جيش الاستقلال. يجب ان ننطلق جميعا الى ساحة المعركة حتى نقرر: اما ان يموتوا هم او ان نموت نحن. واذا لم تكن لدينا بنادق، فيجب ان نصون قواعد حرب العصابات حتى ولو اضطررنا الى الامساك بخناق جنود العدو او شغزبتهم من اقدامهم وطرحهم ارضا وقتلهم بايدينا العارية. أليس كذلك؟ "

كلام العجوز هذا اوحى الى، انا القلق بسبب الفارق الكبير فى نسبة القوى بيننا

وبين العدو، ان المخرج الوحيد الكفيل بالتغلب على صعوبة الوضع هو حرب مقاومة تشمل الشعب كله. وايقنت باننا نستطيع الامساك بزمام المبادرة اذا ما عبأنا جميع السكان غير المسلحين دونما استثناء، فضلا عن المنظمات شبه العسكرية، مثل فرقة الدفاع الذاتى وطليعة الاحداث، التى خططنا من قبل لنشرها فى الخط الامامى عند نشوب المعركة الحاسمة سوية مع جيش حرب العصابات، وخضنا جميعنا معركة حياة او موت. كان علينا ان نحول معركة الدفاع عن سياووانغتشينغ، من معركة بين الجيش المعادى وجيش حرب العصابات، الى معركة بين ذلك الجيش المعادى وجميع الجنود والمدنيين الموجودين فى مناطق حرب العصابات. وباستطاعتنا ان نضم الى جانبنا كذلك حتى السكان فى اشباه مناطق حرب العصابات.

الحديث مع العجوز لى تشى بايك امدنى بقوة وتشجيع كبيرين.

(اجل، اذا قال الشعب انه سيقاتل فانه يقاتل، واذا قال انه سينتصر، فسيحرز النصر لا محالة. فالانتصار فى الحرب رهن بارادة الشعب وبتعبئته جيدا.)

كانت تلك هى اولى النتائج التى توصلت اليها وانا استمع الى العجوز وهو يتحدث برزانة معبرا عن ارادة آلاف السكان فى مناطق حرب العصابات فى وانغتشينغ. فالعمليات التى نخطط لها يجب ان تعكس حتما ارادة الشعب كتلك الارادة التى افصح عنها العجوز لى تشى بايك.

فتكونت لدى قناعة بان معركة الدفاع عن سياووانغتشينغ يجب ان تكون حرب مقاومة تشمل الشعب كله فى مناطق حرب العصابات رجالا ونساء وصغارا وشيوخا. كانت عبارة "حرب مقاومة تشمل الشعب كله" تنطوى على اكبر واسمى ايمان بالسكان فى قواعد حرب العصابات الذين شاطروا الجنود الحياة والموت، السراء والضراء، وكابدوا كل انواع المشقات والشدائد طوال عامين. وقد توصلت الى هذه القناعة من حياتى الطويلة فى قواعد حرب العصابات حيث كانت المعركة رديفا للحياة.

ان الفضل فى بقاء قواعد حرب العصابات فى الوجود بعد عامين على انشائها لا يعود كليا الى جيش حرب العصابات، وانما يعود كذلك الى قوة الشعب الذى يضطلع بدور مهم فى بناء الجيش والدفاع عنها. فحتى ونحن نخوض معركة تفوق طاقتنا

لاختلال ميزان القوى بنسبة ١ الى ١٠ او ١ الى ١٠٠، لن نعرف المصاعب اذا كان الشعب من ورائنا. وبالفعل، حين سمعنا انفاس ابناء الشعب وهم يجرون نحو الخنادق وبايديهم اباريق المياه الساخنة وصرر الاطعمة، ازدادت قدرتنا القتالية الف مرة.

عقدنا العزم على خوض حرب مقاومة تشمل الشعب كله واضعين قوة الشعب فى الحسبان على هذا النحو، وطبقنا ذلك عمليا.

كان هذا يتفق تماما مع مشيئة الشعب الذى يرغب فى ان ينصهر مع جيش حرب العصابات فى كيان واحد فى كل الظروف، تحدوه ارادة قوية فى عدم مغادرة قواعد حرب العصابات حتى ولو ميتا. ان تعبئة الشعب الى اقصى حد تحوله، والحق يقال، الى قوة جبارة وهائلة.

كانت هذه بالذات هى القوة الاحتياطية لجيش حرب العصابات التى ارشدنى اليها العجوز لى تشى بايك. لا بل ان السكان فى مناطق حرب العصابات كانوا قوة رئيسية يعول عليها، وليس مجرد احتياطى نلجأ اليه عند الحاجة.

واكدنا مرة اخرى على المبادئ التكتيكية التى اعتمدناها سابقا بان نبيد قوات العدو بهجمات مركزة ومكثفة عندما تتشتت، وان نتوزع فى مجموعات صغيرة تعمل وراء خطوط العدو عندما يهاجمنا بقوات ضخمة. ودعونا جميع السكان فى سياووانغتشينغ الى المشاركة فى حرب مقاومة شاملة.

هب الشعب فى مناطق حرب العصابات استعدادا للمعركة الحاسمة كرجل واحد، كل فى اطار منظمته وفئته، مستجيبا للنداء. فاستولت فرقة الدفاع الذاتى وجيش المتطوعين الشباب مع جيش حرب العصابات على المواقع الدفاعية، فيما قام الشباب والكهول غير المسلحين بتكديس اكوام من الحجارة على قمم الجروف الشديدة الانحدار على امتداد الخطوط الدفاعية. هرع الى ماتشون عدد من الصيادين الماهرين فى وانغتشينغ، وعلى رأسهم زانغ، وتشاى، ولى، فشكلوا جماعة صيادين تضم الشيوخ من محاربى جيش الاستقلال القدماء، وانطلقوا الى الخطوط الامامية. كما قامت النساء اللواتى انضممن الى فريق الطبخ وفريق الاسعاف بالاستعداد للتوجه الى ميدان المعركة. اما الاولاد، فدقوا المسامير على الواح خشبية وطمروها

فى الطرق التى ستمر عليها السيارات العسكرية المعادية، فيما انتقل المسنون والمرضى والاطفال الى الملاجئ والمخابئ.

انهينا الاستعدادات للمعركة بكل تفاصيلها، وعقدنا العزم الراسخ على الموت فى ساحة القتال قبل ان نحذو حذو رجال جيش الاستقلال التابعين للهيئة العسكرية والادارية لجيش الطريق الشمالى الذين ولوا الادبار هاربين من وانغتشينغ.

فأرض وانغتشينغ لم تكن تحتفظ بذكرى الانتصار فى معركة فينغويكو وحسب، بل كذلك بآلام وعار هزيمة اولئك الجنود الذين هربوا تاركين مواطنيهم تحت رحمة حراب قطعان القوات "التأديبية".

كان فى منشوريا الجنوبية منظمة لجيش الاستقلال تعرف بالهيئة العسكرية والادارية لجيش الطريق الغربى، وفى منطقة سيدابو بمحافظة وانغتشينغ فى منشوريا الشرقية شكلت منظمة اخرى باسم الهيئة العسكرية والادارية لجيش الطريق الشمالى، وكان سو ايل رئيسها وكيم زوا زين قائدها العام.

ويقال ان عدد المقاتلين الوطنيين الذين كانوا تحت امرتها وصل الى خمسمائة شخص، كما كانت تملك مليون طلقة واكثر من مائة الف يوان نقدا. كما ان مركز شيليبينغ لتأهيل الضباط الذى كانت تديره تلك الهيئة، كان كبيرا جدا بحيث يمكنه ان يستوعب اكثر من ٤٠٠ طالب. وعندما كان الفلاحون فى وانغتشينغ والقرى المجاورة ينقلون الصنادل القشية والمؤن الغذائية الى جنود الهيئة العسكرية والادارية بالعربات التى تجرها الثيران والخيول، كانت العربات، على ما يقال، تملأ الطريق حتى سيدابو.

وذات مرة، استطاع هذا الجيش بالتعاون مع جيش الاستقلال بقيادة هونغ بوم دو، ان يلحق خسائر فادحة فى صفوف الجيش العدوانى اليابانى فى تشينغشانلى.

وعندما كان كيم زوا زين يمر متمنطقا سيفه، ومرتديا بزة عسكرية صوفية فضية اللون، على صهوة الجواد الاشهب، كان جميع السكان فى وانغتشينغ، رجالا ونساء، شيوخا واطفالا، ينحنون له انحناءة شديدة حتى تكاد انوفهم تلامس الارض كما لو انهم يستقبلون موكب وزير او ملك من ملوك سلالة لى. وكان ذلك احتراما منهم للمآثر التى اجترحها جيش الاستقلال فى تشينغشانلى.

ولكن، ما ان سمع كيم زوا زين الذى ذاع صيته كبطل مغوار، بان الجيش اليابانى سيشن حملة " تأديبية" كبيرة على تشينتاو، حتى هرب مع جنوده، دون ان يبذل اى محاولة للمقاومة.

خرج الناس فى وانغتشينغ الى الطرقات لرؤية القائد العام كيم زوا زين وهم لا يعرفون ان جيش الاستقلال قد لاذ بالفرار ليتجنب خوض المعركة.

لم يبق من الهيئة العسكرية والادارية الا سرية واحدة فقط. وكانت تلك السرية قد اشتركت لسبب لا ندريه فى حفل تخريج دفعة جديدة من مدرسة دونغئيل عشية الحملة "التأديبية" على تشينتاو. ومثلما هى عادتهم، اقاموا فى ذلك اليوم احتفالا رسميا فخما، تلته وليمة فاخرة.

ما ان انتهت مراسم التخرج حتى هتفوا "عاش الاستقلال!" ثلاث مرات، ثم هجموا على مائدة الطعام وراحوا يحتسون الخمر المحلى ويأكلون كعك الارز والشعيرية الباردة بنهم شديد. لكنهم ما لبثوا ان هربوا جميعا عندما هجمت قوات الحملة "التأديبية". الطلبة واولياؤهم هربوا ايضا فى كل اتجاه. ويقال بان مشهدهم وهم يهربون كان اشبه ما يكون بوكر نمل عند نكشه. وفيما الناس يفرون مذعورين ومشدوهين بحثا عن سبل للنجاة دون ان تكون لديهم اية وسيلة للدفاع عن انفسهم، راحت قوات الحملة "التأديبية" تفتك بالناس العزل بالرصاص والسيوف والحراب.

منى جيش الاستقلال التابع للهيئة العسكرية والادارية لجيش الطريق الشمالى بهزيمة نكراء وانهار على اثرها تماما وكأنه جبل من الرمال. فاذا بالناس فى وانغتشينغ ينوحون ويعولون وهم يضربون الارض بقبضات ايديهم، قائلين ان الهيئة العسكرية والادارية لجيش الطريق الشمالى التى كانت تتباهى بقوتها استحالت ما بين ليلة وضحاها الى عربة جر فارغة.

ولو تكررت مثل هذه الكارثة على ارض وانغتشينغ حيث امسك الشعب بزمام السلطة، لما كان لنا بعدها ان نقول عن انفسنا اننا ابناء وبنات كوريا.

عقدنا العزم على ان نسحق العدو بالاساليب الحربية والتكتيكات المتنوعة والمتغيرة حسب مقتضيات الحرب، كنصب الكمائن والاستدراج والهجمات المباغتة

والاغارات الليلية. وكنا قد ابتكرنا تلك الاساليب بذكائنا فى سياق صدنا لحملات العدو "التأديبية " المتكررة وحمايتنا لمناطق حرب العصابات.

عندما اختار الشيوعيون الكوريون حرب العصابات شكلا رئيسيا لنضالهم المسلح وباشروا بتطبيقها عمليا، لم نكن، فى الواقع، نعرف شيئا عن التكتيك. ولو كانت لدينا كتب اجنبية عن الخبرات او القواعد الحربية لكنا استفدنا منها. وقد بعثنا احد الرفاق الى الاتحاد السوفييتى، وجاءنا ببعض المؤلفات العسكرية التى تتضمن الخبرات القتالية المستفادة اثناء الحرب الاهلية هناك. ولكن تلك المعلومات لم تكن تتطابق تماما مع واقعنا، بيد انها كانت مفيدة لنا الى حد ما فى تكوين مفهومنا لحرب العصابات وفى تعليمنا اساليب نصب الكمائن وشن الهجمات المباغتة، الخ...

لذلك قررت ان اضع منهجا حول اسلوبنا فى حرب العصابات، وكتبت بعد معركة جيافيكو التى جرت فى نهاية آذار عام ١٩٣٣ كراس "عمليات جيش حرب العصابات" الذى لخصت فيه الخبرات الحربية الاولية التى تراكمت لدينا خلال سنة وبعض السنة من النشاط المسلح.

وقد استعرضت فى هذا الكتيب المسائل الاساسية، ابتداء من الصفات الروحية والاخلاقية لجيش حرب العصابات وحتى المبادئ العامة لهذه الحرب، وعرضت فيه بايجاز ووضوح كافة مبادئ ومناهج تنظيم عمليات جيش حرب العصابات، كالاغارة والكمائن والمعارك الدفاعية والمسيرات والتخييم وغيرها، فضلا عن نشاطات اخرى، مثل الرماية والاعتناء بالسلاح والانضباط.

طبعا، لم يكن ذلك الكتيب كتابا عسكريا ضخما على غرار "فن الحرب لصن تزو" او "عن الحرب" لكلاوزفيتس. الا انه كان بمثابة دليل عسكرى يتناول بتواضع نظريتنا فى حرب العصابات فى تلك الظروف التى لم يكن لدينا فيها منظرون عسكريون مشهورون او عسكريون مجربون فى مجال النضال المسلح طويل المدى. فكان ضباط جيش حرب العصابات وجنوده يقرأون هذا الكتيب اثناء المسيرات، ويحتفظون به فى جعبهم الى ان يبلى تماما، وكانوا يبذلون قصارى جهودهم لوضع القواعد العسكرية الواردة فيه موضع التطبيق.

يعتبر كتيب "عمليات جيش حرب العصابات" وكذلك "معارف عامة لجيش حرب العصابات"، الكتيب الذى صدر فى فترة لاحقة، اللبنة الاولى فى بناء قواتنا المسلحة الثورية وفى خلق المناهج الحربية الذاتية وتطويرها.

فى ١٧ تشرين الثانى عام ١٩٣٣، بدأ العدو هجومه على مناطق حرب العصابات فى سياووانغتشينغ من ثلاث جهات مستخدما المشاة والمدفعية والطيران. انقض ابناء "يامادو"(٠) ذوو العيون الطافحة بالحقد والكراهية، كقطعان الذئاب الجائعة على مناطق حرب العصابات، كانوا يبدون وكأنهم سينهشون حتى الاشجار باسنانهم. والواقع، ان تلك الغطرسة والعجرفة كانت كافية لتدمير وانغتشينغ خمس عشرة مرة.

جرت العملية "التأديبية " الضخمة بمنتهى الضراوة وعلى شكل امواج عاتية فى ظروف شتائية قارسة. شنت الطائرات المعادية غارات متواصلة على ماتشون وليشوكو حيث كانت مقرات القيادات العسكرية والسياسية. وكان تكتيك العدو قد اصبح بدوره فى غاية الشراسة. فقد انتقل من تكتيك المكبس الذى استخدمه سابقا، حيث كان ينسحب فى اليوم نفسه اذا اخفق هجومه على مناطق حرب العصابات، الى تكتيك "الاحتلال خطوة فخطوة"، اى عدم التراجع حتى وان منى هجومه بالاخفاق، بل التقدم خطوة بعد خطوة وتعزيز المواقع التى يستولى عليها وقضاء الليل فيها ثم التقدم خطوة اخرى لتوطيد احتلاله لمناطق جديدة. وكان تكتيكا شرسا يقضى بقتل كل ما فى المناطق المحتلة من كائنات حية دون تمييز وتخريب واحراق كل المبانى والمنشآت فى المناطق التى يحتلها.

غير ان جيشنا وشعبنا دافعا ببطولة عن قواعد حرب العصابات متلاحمين معا فى جسد واحد وفكرة واحدة.

دارت اشد المعارك الهجومية والدفاعية فى جبل جيانشان وفى وادى سوكباتغول بجبل مابانشان، وهما المدخلان الرئيسيان لقواعد حرب العصابات.

تمكنت السرية الثالثة وفرقة الدفاع الذاتى المناهضة لليابان اللتان كانتا تدافعان

---

(٠) يامادو: المقصود باليابان القديمة – المترجم

عن الموقعين من ابادة جنود العدو المهاجمين تماما بان تركتاهم يقتربون الى ان اصبحوا على مسافة عشرين مترا، ثم فاجأتاهم بنيران مركزة وبوابل من القنابل اليدوية والحجارة. وبالرغم من ان العدو واصل هجومه بعناد على شكل موجات متتابعة، الا انه لم يستطع ان يتخطى مواقع الخط الامامى لمناطق حرب العصابات ولو خطوة واحدة. اباد المدافعون عن خط مابانشان بطريقة باهرة خيالة العدو الذين قاموا بحركة التفاف سريعة عند منعطف نهر داوانغتشينغ، ليهاجموا قواتنا.

وحين رأينا العدو يستقدم قوات كبيرة الى مواقعنا فى جيانشان ومابانشان ويزجها فى موجات متتالية، انتقلنا نحن من الدفاع الشامل الى معركة استنزاف تعتمد على مرونة الحركة وتكتيك الاستدراج والخداع والعمليات الدفاعية الديناميكية. وكانت طريقة حربية اصيلة ومرنة لا تسمح للعدو بان يرتاح ولو ثانية واحدة، وذلك بالحاق الخسائر المتواصلة به، باستخدام شتى الاشكال القتالية وعدم افلات زمام المبادرة، وجر الخصم الى معارك متواصلة. لو لم نختر هذا الشكل من القتال فى الوقت المناسب ولجأنا، بدلا من ذلك، الى تكتيك الدفاع الرتيب، لتشتت جيش حرب العصابات امام هجوم العدو الذى ينقض عليه بكل عناد كالعلق، واثقا من تفوقه عددا وعدة.

وبمقتضى تكتيكنا الجديد، انسحب رجال جيش حرب العصابات وافراد المنظمات شبه العسكرية من مواقعهم المتقدمة، ثم جعلوا يستدرجون العدو الى اعماق مناطق حرب العصابات، لبعثرة قواته وضربها دون هوادة باستخدام آلاف الاساليب والتكتيكات القتالية، مثل الكمائن والقنص واقتحام مخيماته وطمر القنابل اليدوية فى المواقد، الخ...

اما طريقة طمر القنابل اليدوية فى اكوام النار، فكان بمقدور حتى الصغار ان يؤدوها، وكانت نسبة فعاليتها مائة بالمائة. كنا كلما انتقلنا من موقع الى آخر، ندس القنابل اليدوية فى رماد المواقد المطفأة. فما ان يستولى جنود العدو على الموقع حتى يجتمعوا حول الموقد ويضرموا فيه النار لتدفئة اجسامهم المقرورة. حينئذ كانت القنابل اليدوية تنفجر وتقتل الكثيرين منهم. ان او ريونغ سوك، الاخ الصغير الرابع

لاو بايك ريونغ، قتل هو ايضا العدو بهذه الطريقة فى المخفر المتوسط فى جبل جيانشان، بالتعاون مع نساء فرقة الدفاع الذاتى.

وكثيرا ما نظمنا غارات ليلية على مخيمات العدو. كنا نرسل ثلة مكونة من ٢– ٣ جنود او ٤– ٥ جنود الى موقع للعدو فى مهمة القاء مناشير تهدف الى تفكيك الجيش المعادى واطلاق عدة طلقات من الرصاص. وكان اطلاق ثلاث او اربع طلقات بالقرب من الخيام او المواقد كافية لجعل الفوضى تدب فى المخيم كله. وكنا نشن مثل هذه الغارات الليلية ثلاث او اربع مرات او حتى خمس مرات فى الليلة الواحدة. فكان العدو لا يستطيع النوم طوال الليل من شدة الخوف، او تنطلى الخدعة على جنوده فيطلقون النار على بعضهم بعضا. وبين جنود العدو الذين اخافتهم جدا هجماتنا الليلية المتتالية، هناك من اصيبوا بجنون الحرب وامراض نفسية اخرى.

وقد انضم بعض جنود العدو الينا بعد ان قرؤوا المناشير التى كان يلقيها رجال جيش حرب العصابات على شكل نداءات، مثل " نداء الى الجنود اليابانيين! " و"نداء الى جنود جيش منشوكو العميل! ".

وهرع الصيادون ايضا الى القتال ببنادقهم ذات الفتيل. وعلى الرغم من انهم شيوخ طاعنون فى السن، الا انهم ماهرون جدا فى الرماية. ان مهارتهم الجديرة بالاعجاب عند اصابتهم لضباط العدو كانت رائعة الى حد يمكن معه مقارنتها بمهارة القناصين اليوم. اما عضوات جمعية النساء، فرحن يترددن على الخنادق وهن يحملن على رؤوسهن صرر الطعام واباريق الماء الساخن. كما جاء الاطفال الذين هم دون العاشرة او تجاوزوها بقليل، الى ساحة المعركة ليقرعوا الطبول وينفخوا الابواق حتى يرفعوا معنويات المقاتلين.

وما كان له نكهة خاصة بين العمليات الحربية فى ماتشون هو دحرجة الاحجار.

كان رجال الجيش وابناء الشعب فى مناطق حرب العصابات يكدسون الحجارة فى مواقع على الخط الامامى، كجبل جيانشان مثلا، ثم يدحرجونها فوق رؤوس جنود جيش الحملة "التأديبية" كلما حاولوا الهجوم. ان الاصوات المدوية كالرعد التى ترج ساحة المعركة رجا، وسحب الغبار العابقة كأنها دخان المدافع، التى يحدثها انصباب

سيل الاحجار من فوق جرف الجبل، كانت تصعق قلوب جنود العدو بالهلع. وقد اثبتت عمليات دحرجة الاحجار هذه فعاليتها الفائقة فى تفكيك صفوف الخيالة ومنع السيارات والمدافع من التقدم.

كان ثمة بين ابطال عمليات ماتشون رجل من رجال جيش حرب العصابات يلقب "بثلاث عشرة طلقة".

كان هذا الرجل معروفا على نطاق واسع فى منطقة وانغتشينغ كشاب مغامر. وصيته كمغامر بدأ بالشيوع منذ ان استولى على السلاح من احد مكاتب الضرائب على ضفة نهر دومان بتكليف من منظمة اتحاد الشباب الشيوعى. حين وصل الى ذلك المكتب قدم اولا نفسه الى الموظفين فيه بالقول: السلام عليكم ايها السادة، انى شاب كورى وعضو فى اتحاد الشباب الشيوعى. ثم شهر عليهم مسدسه واستولى على ثلاث بنادق كانت معلقة على الحائط دون ان يرف له جفن. وبعد ذلك، اتصل هاتفيا بمخفر الشرطة وصرخ: ماذا تفعلون؟ داهمنا هنا افراد من الحزب الشيوعى؛ عبئوا كل الرجال وتعالوا بسرعة. فارسل مخفر الشرطة رجالا من الشرطة الخيالة الى موقع الحادثة على عجل. وكاد "١٣ طلقة" ان لا يعود حيا. الا انه عاد وكرر مثل هذه المغامرة بعد ذلك ايضا. ولا ارى حاجة لذكر فحوى الانتقاد الذى وجهته له منظمة اتحاد الشباب الشيوعى فى هذا الكتاب.

لكن "١٣ طلقة" هذا اجترح مأثرة تستحق عن جدارة التسجيل فى صفحات التاريخ الثورى المناهض لليابان فى مخفر سوكباتغول. كانت قوة مكونة من عشرة جنود ترابط بصورة دائمة فى المخفر المذكور لحراسة عنق الطريق من تسلل العدو. وكان "١٣ طلقة" بالذات هو المسؤول عن تلك القوة. كذلك، كان آمرا للفصيلة ومسؤولا عن جماعة اتحاد الشباب الشيوعى التى تم تنظيمها فى تلك القوة.

وفى احد الايام، قامت قوة " تأديبية" كبيرة من الجيش اليابانى وجيش منشوكو العميل وفرقة الدفاع الذاتى بحصار سوكباتغول تحت جنح الظلام، ثم انقضت على ذلك المخفر. فخاض مقاتلو حرب العصابات المكلفون بحراسة عنق الطريق معركة ضارية منذ الفجر، وصدوا سبع هجمات معادية الى ان تهدم جانب من مبنى المخفر

المشيد من جذوع الاشجار محترقا. فدعا "١٣ طلقة" اعضاء جماعة اتحاد الشباب الشيوعى الى اجتماع تحت وابل الرصاص وصاح فيهم:

"ايها الرفاق، وراءنا قواعد حرب العصابات واخواننا واخوتنا الاحباء. اذا ما تراجعنا عن هذا المخفر شبرا واحدا، فلسنا جديرين بان نعيش فى هذا العالم كشباب كوريين. فلندافع عن المخفر حتى لو تمزقت اجسامنا الف قطعة!"

كانت قلوب رفاقه تتقد حقدا على العدو، فشهروا حرابهم وحاولوا النزول الى العدو ليقاتلوه وجها لوجه بالسلاح الابيض. وكان "١٣ طلقة" هو الآخر يرغب فى ذلك. الا انه تمالك نفسه آخر الامر لكى يتمكن من تنفيذ المهام حتى النهاية. فهذا المقاتل الشجاع الذى صار اسمه على كل شفة ولسان بسبب علة البطولة الفردية والنزعة المغامرة فيه، قد شب على هذا النحو آمرا محنكا يعرف كيف يتمالك عواطفه ويضبط اعصابه حتى فى معركة دموية كهذه.

حينما هرعنا بالتعزيزات الى سوكباتغول، وجدناه ملقى على الارض وقد اصيب بثلاث عشرة رصاصة. ومن هنا جاء لقبه "١٣ طلقة". وكان بين جنود تلك القوة مقاتلون اصيبوا بسبع رصاصات وثلاث رصاصات ورصاصتين. فاطلقت عليهم القاب "٧ طلقات" و"٣ طلقات" و"طلقتان" على التوالى.

دعاه سكان وانغتشينغ ب" ١٣ طلقة" عوضا عن اسمه وكنت اناديه انا ايضا بذلك اللقب. لذا، تلاشى اسمه الاصلى تماما من ذاكرة الناس.

وانه لامر مؤسف جدا ان لا استطيع ايراد اسمه الاصلى فى هذا الكتاب. لكن ما يعزينى ان لقب "١٣ طلقة" الذى ابتكرته الحرب المناهضة لليابان سيترك لدى القراء اثرا اروع بكثير من اسمه الاصلى.

اخذت المعركة تزداد ضراوة يوما بعد يوم، فلجأ السكان الى شيليبينغ تاركين وراءهم سياووانغتشينغ التى احالتها نيران مدافع الجيش اليابانى الى رماد.

جعل العدو يقتل كل من يراه، عسكريين ومدنيين، كبارا وصغارا، رجالا ونساء لا فرق. فأدت الحملة "التأديبية" الشتوية الى مقتل مئات الاشخاص فى سياووانغتشينغ وحدها.

تمكن جنود من الجيش اليابانى من المرور بالمخفر متنكرين كلاجئين حين كنت اتصدى لقوة امام الكوخ الخشبى فى ووتشيداو بشيليبينغ، وقد انقضوا بالرشاشات على ظهور الاهالى المتوجهين من ماتشون الى داوانغتشينغ. وكانت النتيجة اننا فقدنا عشرات القتلى من المدنيين الابرياء. كما اقدم العدو على محاصرته قرية دوتشونبنغ تحت جنح الظلام، وقتل كافة سكان القرية وهم نيام بنيران الرشاشات. وفى هذه المجزرة، قتل جميع افراد اسرة بايك ايل ريونغ، امين منظمة الدائرة الشبابية، الذى كان يتمتع بموهبة فذة فى تأليف النصوص المسرحية فى مناطق حرب العصابات. وفى الحملة "التأديبية " التى شننت ذلك العام، قتل عدد كبير من اطفال سياووانغتشينغ ايضا.

عندما تدهور الوضع فى مناطق حرب العصابات وساءت الاحوال كثيرا، احتشد فى وادى ليشوكو اكثر من الف وخمسمئة لاجئ. وقد بذل رجال جيش حرب العصابات جهودا جبارة لا يمكن وصفها حقا لنقل هؤلاء اللاجئين الى داوانغتشينغ. فكان هجوم العدو المباغت يشطر طابور النازحين الى شطرين فى بعض الاحيان، فيضطر رجال جيش حرب العصابات الى قضاء اليوم كله فى البحث عن التائهين الهائمين على وجوههم فى الجبال. وفى ذلك الحين، حميت تلك الجماهير الثورية، وكنت احمل عدة اطفال رضع على ذراعى طوال اليوم. وثمة رفاق آخرون ساعدوا الشيوخ والضعفاء على المسير دون ان يتوقفوا عن القتال. هكذا تتالت المشاهد المؤثرة للغاية، تلك المشاهد التى يمكن القول بانها كانت نقطة البداية لتلاحم الجيش والشعب فى الوقت الراهن. كان كل مشهد من تلك المشاهد مضرجا بالدماء والدموع.

ان تذكر مشهد اجلاء النازحين من ليشوكو الى شيليبينغ، يجعلنى اشعر حتى الآن بحرقة تلهب حلقى.

ولم يكن قليلا عدد اولئك الذين يسكنون جوعهم بقشور الصويا او باوراق الفجل بعد ان مضى عليهم عشرون يوما لم يتناولوا خلالها طعاما. وقد سلقوا فى شيليبينغ جلد ثور واكلوه لانهم لم يجدوا طعاما آخر.

ولو عرضنا على ابناء الجيل الصاعد ذلك "الطعام" الذى كان الاهالى فى

مناطق حرب العصابات يتناولونه فى ذلك الحين من فرط جوعهم، حين لم يكونوا يقوون حتى على رفع رؤوسهم لرؤية الشمس، فلا اشك فى انهم لن يتمالكوا انفسهم عن البكاء ازاء ذلك السغب المروع الذى مر به اجدادهم.

كيم ميونغ سوك، امرأة من منطقة آنزى، فقدت ولديها واوشكت هى نفسها على الهلاك لعدم قدرتها على تحمل الجوع فى ربيع احدى السنوات فى منطقة حرب العصابات. ولانها لم تتناول شيئا طوال اكثر من اسبوع، فقد كانت ترقد فى كوخها عاجزة عن حمل ابنيها الميتين جوعا الى الخارج ودفنهما. فجاء جيرانها وحملوا الجثتين الى الخارج وغطوهما باوراق الاشجار المتساقطة، لانهم كانوا، هم الآخرون، عاجزين عن حفر قبر لهما بسبب صيامهم الاضطرارى.

وحين تناولت كيم ميونغ سوك اول قصعة من الارز الابيض بعد عودتها الى ارض الوطن المحرر، بكت بحرقة وهى تتذكر محن المجاعة التى حرمتها من ولديها فى مناطق حرب العصابات.

وفى قاعدة حرب العصابات فى تشيتشانغتسى، كان هناك شخص نجا من الموت بأعجوبة بعد ان اصيب فى معركة يولانغتشون بثمانى طلقات من رشاش معاد، كسرت احداها جمجمته. وبسبب تشبثه بالحياة، اطلق عليه لقب "فالليونبال" اى الذى نجا من الموت رغم اصابته بثمانى رصاصات. ولكنه مات جوعا اثناء عمله فى حكومة دونغنانتشا. وقبل ان يلفظ انفاسه الاخيرة قال لرفاقه متأسيا:

"لو كنت مت عندما اصابتنى ثمانى رصاصات معادية، لخلد اسمى مع الابطال. ولكننى ويا للعار، اموت جوعا!"

ضرب العدو طوقا حول مناطق حرب العصابات، وترك سكانها يموتون جوعا وبردا دون ان يسمح لهم بالخروج من ذلك الطوق.

ان المحن العصيبة التى عاناها الكوريون فى ذلك الحين مازالت جرحا مفتوحا فى قلب امتنا حتى اليوم.

يتوجب على الاوساط اليابانية الحاكمة ان تحاسب نفسها اخلاقيا على ما ارتكبته من جرائم فى كوريا ومنشوريا. فمحاسبة النفس ليست عارا ولا اهانة، وانما

تندرج فى مجرى اعادة تكوين النفس وبلوغ الكمال. فالتاريخ لا ينمحى تلقائيا بمجرد غض النظر عنه. وعلى اليابان ان لا تنسى ان غطاء النمو السريع الحريرى الذى تتدثر به، انما هو غطاء مضمخ بدماء الامة الكورية.

ألم يتعرض اليابانيون لكوارث قومية وهم يرون مواطنيهم يسقطون صرعى تحت احذية الاجانب الحديدية، ويرون جنود الاحتلال وهم يغتصبون اخواتهم وبناتهم الحبيبات؟

رغم ان العدو كان يترنح تحت وقع الضربات الموجعة، الا انه واصل هجومه محاولا اطالة امد المعركة. فقد اراد ان يقتلنا من البرد والجوع فى هذه الحملة طويلة الامد لمعرفته بانه ليس لدينا مصدر لتزويدنا بالتعزيزات او المعدات الحربية او التموين.

وكان حدوث تغير حاسم فى اوضاع الحرب هو الوسيلة الوحيدة لانقاذ جيش حرب العصابات وسكان مناطقها. كان المخرج الوحيد هو شن عمليات ارباك نشطة فى عمق مؤخرة العدو، ومواصلة الدفاع فى الوقت نفسه عن مناطق حرب العصابات.

لقد كنت اعارض اصلا، ومنذ وصولى الى وانغتشينغ، الاتجاه الوحيد الجانب فى الدفاع عن مناطق حرب العصابات. وكنت اصر بالتالى على تجميع قواتنا عندما تشتتت قوات العدو لمهاجمتها وابادتها، وعلى تفريق قواتنا عندما يهاجمنا العدو بقوات كبيرة لارباكه فى كل مكان فى مؤخرته. وسمينا هذا الاسلوب باسلوب تجنب الاقوى وضرب الاضعف. وكانت تلك هى الوسيلة الوحيدة لحماية قواعد حرب العصابات والحفاظ على قوتنا.

الا ان معظم الكوادر فى اللجان الحزبية فى منشوريا الشرقية والمحافظة اصروا دون جدال على انه بالامكان الدفاع عن مناطق حرب العصابات والسكان بالتصدى الدفاعى المركز لهجمات العدو المركزة والضخمة.

وعند طرح هاتين النظريتين كمسألة تكتيكية، اثارتا جدلا واسعا حول ايهما فى الحقيقة هى النظرية الماركسية وايهما غير الماركسية.

وقد فسروا نظريتنا بانها غير ماركسية، بل واعتبروها هروبا من الواقع واستسلامية، واكدنا نحن من جهتنا بعناد على صحة نظريتنا بضرورة ارباك مؤخرة العدو. وقلنا لهم: مهما حشدنا من قوات، فانها ستظل قاصرة عن صد هجمات العدو. فمن الافضل، والحال هذه، اجلاء السكان الى عدة اماكن، وترك بعض المغاورين فقط لمناوشة العدو هنا وهناك، بينما تنتشر بقية القوات فى وحدات متعددة لارباك مؤخرة العدو. لنفترض ان عشرة مغاورين مسلحين بالبنادق تقدموا الى منطقة العدو. فاذا اخذوا معهم ٣٠–٤٠ شابا غير مسلحين وهاجموا حلقات العدو الضعيفة باستمرار، فانهم سيتمكنون من الحصول على السلاح وحل مسألة الغذاء.

ثمة عدد كبير من الرفاق قيموا الوضع فى ذلك الحين تقييما صحيحا وعقلانيا وايدوا اقتراحنا.

الا ان بعض المعاندين لم يرغبوا فى الاصغاء اليها. وتبجحوا باشياء اخرى، مثل سنوات خدمتهم، وأنبونا بسخف قائلين: "الاجدر بالشباب ان يصغوا الى نصائح المجربين فى القتال. فمن غير المنطقى ان يخلى الجيش مناطق حرب العصابات عندما ينقض العدو عليها. وهذا الرأى تعبير عن فكرة انقاذ الجيش فقط دون الاهتمام بمصير بقية الشعب".

عندما دمرت قواعد حرب العصابات، وتزايد عدد القتلى والجرحى، قابلت تونغ تشانغ رونغ ولى سانغ موك وسونغ ايل وغيرهم من كوادر اللجنة الحزبية الخاصة وكوادر المحافظة واصريت بشدة على خطة عمليات ارباك مؤخرة العدو.

"لقد وصلت الامور الآن الى منتهاها. واذا بقينا نعمل على هذا النحو، سيموت الجميع. الى اين سننسحب؟ اذا انسحبنا الى اعماق الجبال فاننا لن نجد فيها بيوتا او طعاما. ومتى بدأ الجيش بالفرار لن نستطيع ايقاف ذلك او حماية الشعب. انتم تعتقدون انه بامكانكم صد هجوم العدو بالعمل مع رجال جيش حرب العصابات، ولكن هذا غير مؤكد. المطلوب ان نشكل ثلاث او اربع مجموعات فى الحال، فى هذه الليلة بالذات، ونرسلها الى مناطق العدو. وعندما نضرب بعض قواعد العدو هناك، فان قوات الحملة (التأديبية) ستضطر الى الانسحاب من سياووانغتشينغ."

فى تلك الفترة، كانت مناطق حرب العصابات فى منشوريا الشرقية تمر، هى الاخرى، بظروف عصيبة مثلها مثل قواعد سياووانغتشينغ. فاناس هونتشون يفرون الى جينتشانغ وهوشاوبو والناس فى وانغيوكو يتجهون ناحية داهوانغواى وسانداوان، واهالى محافظة هيلونغ ينزحون الى تشيتشانغتسى، وقس على ذلك.

ورغم ان الوضع بلغ اقصى درجات الخطورة، الا ان اولئك الكوادر القياديين بقوا مترددين فى اتخاذ القرار الحاسم.

لذا، عدت وطرحت تكتيك ارباك مؤخرة العدو مجددا واعلنت بنبرة حازمة: "انى مسؤول عن الجيش وسأفعل ما قررت". ثم، امرت رجال جيش حرب العصابات بالتجمع وقلت لهم:

"يجب ان نضرب العدو على قذاله ايضا، دون ان نتشبث بالدفاع وحده. من يريد الذهاب الى ما وراء خطوط العدو؟ من يرغب فى ذلك فليتبعنى. لسنا بحاجة الى الكثيرين. سيذهب نصفنا، ويبقى النصف الآخر فى مناطق حرب العصابات لحماية الاهالى. الرفاق الراغبون فى الذهاب ما وراء خطوط العدو سيخترقون الحصار معى هذه الليلة. وعلينا ان ننجح فى ذلك لانه سيفتح طريق النجاة امامنا. اذا هاجمنا مراكز العدو ونقاط ارتكازه، الواحدة تلو الاخرى، فستنتشر عندئذ الاخبار، وستضطر قوات الحملة (التأديبية) الى الانسحاب من الجبال خشية ان تنهار مؤخرتها. "

وهكذا قسمنا رجال جيش حرب العصابات الى مجموعتين. المجموعة الاولى بقيادة تشاى تشون كوك وقد بقيت للدفاع عن شيلييينغ، ونزلت الاخرى بقيادتى الى مناطق العدو. وتم اجلاء الاهالى الذين كان عددهم يربو على ١٥٠٠ شخص الى لوزوكو باشراف اعضاء اتحاد الشباب الشيوعى.

كلفت تشاى كوم سوك بنقل تونغ تشانغ رونغ المريض الى جهة مياوكو وتمريضه، ثم جمعنا كافة المؤن الاحتياطية ووضعناها فى جعبتها. وكان ذلك فراقا ابديا بينى وبينها.

فى مساء ذلك اليوم، اخترقت المفرزة التى اقودها الحصار المعادى وتوغلت بعيدا فى عمق مؤخرة العدو. وكما خمنا، كانت مؤخرة العدو هناك خاوية تماما.

عندما وصلنا الى القرية الاولى فى ضواحى المدينة، وجدنا السكان فيها منهمكين فى تحضير الاطعمة لعيد رأس السنة الجديدة. فاحاطونا بضيافة كريمة وقدموا لنا من اطعمة عيد رأس السنة، بما فيها الشوشبرك الصينى وكعك الذرة البيضاء، واعربوا عن سعادتهم بلقائنا لانهم كانوا يظنون ان حملة الامبريالية اليابانية "التأديبية" قضت علينا جميعا فى قواعد حرب العصابات. فى تلك الليلة، التهم كيم ساينغ كيل، احد جنود فصيلة او بايك ريونغ ١٤٠ قطعة شوشبرك، فاصيب بعسر هضم شديد كاد يودى بحياته.

كنا منهوكى القوى، فاسترحنا طوال اليوم التالى بعد ان نظمنا الحراسة. والجنود الذين عانوا لشهور من البرد وكانوا لا يكادون يأكلون او ينامون، ناموا فى ذلك اليوم لاول مرة ملء جفونهم، فظهر الغمص فى عيونهم واشرقت وجوههم.

ومنذ اليوم التالى، شرعنا فى كيل الضربات للعدو. كان تكتيكنا يقوم على شن هجمات مفاجئة على قواعد الحملة "التأديبية " الصغيرة بشكل اساسى، مع الاغارة احيانا على بعض القواعد الكبيرة نسبيا فى الوقت عينه.

كان اول هدف لنا هو قوات العدو المرابطة فى ليانغشويتشوانجى. وامام هجومنا المباغت، تداعى جيش منشوكو العميل وفرقة الدفاع الذاتى، فاستولينا على مركز الشرطة التابع للقنصلية اليابانية هناك. وبعد هذه المعركة الاولى فى ليانغشويتشوانجى، تظاهرنا باننا انتقلنا الى مكان بعيد. ولكننا رجعنا الى ذلك المكان وهاجمنا قافلة شاحنات معادية فى سينانكو، وقد غنمنا منها كمية كبيرة من دقيق القمح ومواد حربية اخرى.

انطلقنا بخفة من سينانكو الى سلسلة جبال بيفينغودونغ البعيدة، حيث اعددنا لمعركة اخرى. وفى ليل ١٦ شباط عام ١٩٣٤، قام جنود وحدتى بقتل او اسر جميع جنود جيش منشوكو العميل ورجال الشرطة واعضاء فرقة الدفاع الذاتى المتواجدين فى بيفينغودونغ.

وبعد هذا الانتصار، انتقلت بوحدتى الى سيدونغ عبر جبل بييغاوليلنغ، وهاجمنا رجال الشرطة الحراجية فى دونغكول حيث قتلنا واسرنا جميع من كانوا فى الثكنة.

اما المعركة الاخيرة التى اسهمت بشكل حاسم فى احباط الحملة "التأديبية" الشتوية فقد جرت فى دادوتشوان، النقطة الاستراتيجية التى يمر منها الخط الحديدى تومين- موتانكيانغ. فبعد ان تنكرنا بزى القوات "التأديبية"، قطعنا اكثر من مائة رى فى الجبال الوعرة بوثبة واحدة، ثم انقسمنا الى ثلاث مجموعات وهاجمنا مركز الشرطة وثكنة فرقة الدفاع الذاتى فى دادوتشوان واضرمنا النار فى مستودعات الاعتدة الحربية.

بعد هذه المعركة، رفع العدو الحصار عن مناطق حرب العصابات وتراجع الى النقطة التى انطلق منها قبل تسعين يوما. لقد اخفق العدو فى تصفية "السرطان". وهكذا انتهت الحملة "التأديبية " الشتوية كشمس آفلة للغروب بعد ان هددت وجود مناطق حرب العصابات على مدى ثلاثة اشهر متتالية.

ان معركة الدفاع عن قواعد سياووانغتشينغ، التى اسميناها عملية ماتشون توخيا للتسهيل، انتهت بانتصارنا. كانت مأثرة كبيرة مرت بهدوء فى ركن من العالم الذى كان يضج آنذاك بوصول ادولف هتلر الى سدة الحكم، وبمحاكمة لايبزغ، واقامة علاقات دبلوماسية ما بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الامريكية. وانه ليؤسفنى حقا الا استطيع ان اصف، ولو بشكل تقريبى، المآثر البطولية التى اجترحها المدافعون عن قواعد حرب العصابات فى سياووانغتشينغ، والمحن التى عانوها.

لقد كلفنا ذلك النصر ثمنا غاليا جدا. اذ سقط المئات صرعى برصاص وقذائف العدو. ولعل اكثر ما احزننى هو فقدان تونغ تشانغ رونغ، وتشاى كوم سوك التى كانت تحبنى وتعتنى بى كأخيها الصغير.

عندما عدنا منتصرين من مؤخرة العدو، خرج سكان منطقة حرب العصابات راكضين لاستقبالنا وهم يبكون فرحا. ولكن تشاى كوم سوك لم تكن بينهم. لقد كنت اضع فى جعبتى التى يحملها جندى الاتصال مرآة صغيرة لاقدمها اليها كهدية. وكنا نحمل كذلك عدة زكائب من الغنائم لتقديمها الى سائر عضوات جمعية النساء.

فكم عانين من المصائب وكم ذرفن من الدموع فى سبيل حماية مناطق حرب العصابات فى ذلك الشتاء! وكم من الطعام طبخن وكم من جذور النباتات اقتلعن! هاى سوك ويونغ سوك اعدمتا رميا بالرصاص لتضليلهما العدو الذى انخلع قلبه لما

قادتاه فى اتجاه غير اتجاه جيش حرب العصابات... وعمة تشاى تشانغ بوم لفتت انظار العدو اليها وهى تصرخ باعلى صوتها لتنبيه مقاتلينا الى ان العدو يحاول تسلق الجرف للوصول الى مقر القيادة... .

وهل نقتصر على ذكر كاى وول هيانغ او رون كاى فقط من النساء الفاضلات والوطنيات الكوريات!

ان هديتى التى جاءت متأخرة لم تجد طريقها الى تشاى كوم سوك. لقد انتزع العدو منى تلك المرأة الوحيدة التى اعتبرتها شقيقتى، والتى طلبت منها ان نقاتل دون ان نموت حتى تحرير الوطن، فكانت تقول بقلق ان القائد لا يهتم بصحته بينما هى تتمتع بصحة جيدة، وستعمر طويلا.

وكان موت تونغ تشانغ رونغ، هو الآخر، خسارة موجعة جدا بالنسبة لى. اذ كان واحدا من اعز الرفاق الصينيين الذين كانوا يحبوننى ويحترمون فكرى.

كثيرا ما تجادلت معه حول مسألة الخط المهمة. ومع اننا لم نكن نتوصل دائما الى تطابق تام فى الرأى، بسبب طبعه العنيد، الا ان هذا الاختلاف فى الرأى لم يؤثر قط على صداقتنا. وكان يجهد نفسه للعناية بى وهو يردد على الدوام اننى اكثر الكوريين جدارة بالثقة.

بعد معركة دادوتشوان، انسحبنا باتجاه ياوينغكو اولا، ثم عدنا الى ماتشون لاستعراض نتائج معركة الدفاع عن مناطق حرب العصابات فى سياووانغتشينغ. حينذاك، كان السكان الذين عادوا من مخابئهم منكبين على بناء بيوتهم فوق اكوام الرماد. وقد قال لى احد الشيوخ انه يعيد بناء بيته للمرة السبعين منذ انتقاله الى مناطق حرب العصابات. هكذا كانت حيوية الاهالى فى تشينتاو الذين قرروا مشاطرة مناطق حرب العصابات المصير، سواء فى الحياة او الموت.

لولا تأييد هذا الشعب ودعمه لما استطاع جيشنا، جيش حرب العصابات، ان يصد الحملة "التأديبية" الكبرى. فالنصر فى عملية ماتشون هو ثمرة الوحدة ما بين الجيش والشعب ونتاج المقاومة الشعبية. كانت روحنا الهجومية، روح مواجهة المصاعب كلما اعترضتنا، واساليبنا الحربية الفريدة بمرونتها، والمستندة الى تلك

الروح، هى العامل الحاسم الذى جعل انتصارنا فى عملية ماتشون ممكنا.

لقد نفخت تلك العمليات روح الحماس فى مناطق حرب العصابات، فشمخت كمارد تغذى بارادة امتنا التى لا تعرف الاذعان على ارض السلطة الثورية. وقد اتاحت لنا تلك الروح الدفاع بالدم عن كل شبر من ارض سياووانغتشينغ، تحدونا ارادة راسخة لا يمكن قهرها بالطائرات او المدافع.

لقد الحقت عملية ماتشون بالعدو هزيمة عسكرية وسياسية واخلاقية نكراء. وتصاعد بالمقابل النفوذ العسكرى لجيشنا بشكل لا يضاهى. وفى سياق العمليات ابتكرنا ما لا حصر له من الاساليب القتالية التى يمكنها ان تشكل هيكلا لمنهج حرب العصابات، ورسخنا الاسس التنظيمية العسكرية والتكتيكية التى تتيح لنا الانتقال فيما بعد الى نشاطات الوحدات الكبيرة. كما راكم جيش حرب العصابات المناهض لليابان فى هذا السياق خبرات غنية تتيح له صد اى عدوان.

اسهمت عملية ماتشون للدفاع عن سياووانغتشينغ فى تصفية المخاطر التى كانت تواجه مناطق حرب العصابات فى المحافظات المجاورة، كما اسهمت بدور كبير فى النهوض بمجمل الثورة الكورية فى نضالها المسلح المناهض لليابان. ان الروح البطولية التى اظهرها المدافعون عن المرتفع ١٢١١ ابان حرب التحرير الوطنية هى وليدة الجذور التى برزت فى مناطق حرب العصابات فى الثلاثينات. ومازلنا نحمل هذه الروح ونتقدم بخطى حثيثة لتأليق اشتراكيتنا رغم الحصار الامبريالى المضروب علينا.

لا توجد فى هذا العالم قوة قادرة على قهر روح مناطق حرب العصابات التى ولدت وصقلت فى لهيب الحرب المناهضة لليابان. وما دامت لدينا هذه الروح، سيكون النصر حليف جيشنا وشعبنا الى الابد.

٦ـ مشغل السلاح فى الغابات

اثناء وجودى فى ماتشون، كنت اتردد بكثرة على مشغل السلاح، حيث تصنع الاسلحة. وكان يسمى آنذاك "تشانغ" وهى كلمة صينية تعنى المصنع. اما نحن فكنا نسميه بتواضع ورشة الحدادة، وكانت مثل تلك المشاغل موجودة فى كافة محافظات تشينتاو.

كان فى مشغل السلاح فى ماتشون، والمعروف كذلك بمشغل سياووانغتشينغ للاسلحة، شخص او اثنان ارسلهما الحزب فى بداية الامر، وكانا يستخدمان كورا يشعلان فيه الفحم الخشبى، وكيرا يدويا، لصنع الرماح والسيوف وغيرها من الاسلحة البسيطة الاخرى.

وعندما زرت المشغل، عشية عملية ماتشون، كان يعمل فيه سبعة عمال على الاقل. كان يديره فى ذلك الحين كيم سانغ ووك بدلا من باك دو كيونغ الذى انتقل ليتولى مسؤولية شعبة التموين فى حكومة الدائرة. ومازلت اذكر حتى اليوم اسماء بعض من كانوا يعملون فى المشغل وهم: او هاك بونغ، تشاى سانغ مون، يانغ دو كيل، كانغ هاى سان، باك يونغ بوك ولى وونغ مان. وحده كانغ هاى سان كان يتقن صنعة الحدادة قبل دخوله الى ذلك المشغل. اما الباقون، فكان معظمهم مبتدئين بالمهنة او جاهلين فيها لم يسبق لهم ان عالجوا قطعة من الحديد قط، دع عنك تصليح السلاح. ومع ذلك، فقد توصلوا فى النهاية الى انتاج القنابل اليدوية والمسدسات والبنادق والذخائر، بل والبارود ايضا، وهى اشياء كان يعتبر صنعها مستحيلا الا فى مصنع حربى حديث وقد صنعوها فى مشغل الحدادين ذاك وبأدوات بدائية لا يوجد بينها مخارط او مثاقب او مقاشط او فرازات. وكان ذلك معجزة لم تجترحها الا الحرب المناهضة لليابان وتحققت

بفضل الروح الثورية للشيوعيين الكوريين المتمثلة بالاعتماد على النفس، وقناعتهم الراسخة بان الانتصار لا يمكن احرازه الا بنضال الامة المستقل.

في وقت من الاوقات، فكر الناس في تشينتاو بسذاجة ببناء مصنع للقنابل اليدوية في قواعد حرب العصابات، بمساعدة الاتحاد السوفييتي. في ذلك الحين، كان الشيوعيون في العالم كله يتطلعون باحترام الى الاتحاد السوفييتي باعتباره منارة تحرير البشرية. ان فكرة الاستفادة من البلد الذي قام بالثورة قبل سواه اشاعت بين الناس نوعا من الميل الى الاعتماد على الآخرين. وقد اشاعت هذه الميول لدى القوميين روح الارتهان للقوى الرأسمالية الكبرى، وكانت السبب في ان تولدت لدى الشيوعيين ايضا عقلية الاعتماد على الاتحاد السوفييتي. وكنا نرى في ذلك الحين ان الواجب الاممي الطبيعي يفرض على الشيوعيين السوفييت الذين قصوا شريط انتصار الثورة ان يساعدوا الشيوعيين في البلدان المتخلفة.

ولكن لم يردنا اي رد من الاتحاد السوفييتي على ذلك الطلب. لم يقولوا شيئا، فلا اعتذار ولا تفسير يوضح انهم لا يستطيعون او لا يريدون ذلك. فكان ان حزمنا امرنا منذ ذلك الحين على الاعتماد على انفسنا. لقد جاء صمت السوفييت ليرسخ موقفنا بان السبيل الوحيد للحياة يكمن في جهودنا الذاتية، وان الاساس في دفع الثورة الى الامام هو تعبئة قوانا الى اقصى حد، واعتبار مساعدة الآخرين شيئا ثانويا.

لهذا السبب، اولينا مشغل السلاح اهمية خاصة وركزنا القوى عليه.

حين كان باك دو كيونغ يدير المشغل، وفرنا له سندانا ومطارق، وكماشات، وكيرا، ومبارد ومثاقب يدوية وادوات اخرى. وبهذه الادوات، كان العاملون في المشغل يصلحون الاسلحة المعطلة او يصنعون اسلحة جديدة ويمدون بها جيش حرب العصابات والمنظمات شبه العسكرية.

وقد برز من الاسلحة التي صنعوها المسدس ذو الطلقة الواحدة المصنوع من ماسورة بندقية فتيل معطلة او ماسورة بندقية من طراز ٣٨. وكان هذا المسدس يوزع على رجال فرقة الدفاع الذاتي او اعضاء طليعة الاحداث. وكان المسدس ذو الطلقة الواحدة الذي يصنعه جيش حرب العصابات في يولانغتشون يوزع على العاملين

السياسيين بالدرجة الاولى ويلقى حظوة عالية لديهم. كما تمكن العاملون فى المشغل من صنع الطلقات بوضع كبسولات لاغلفة الطلقات الفارغة وحشوها بالبارود.

المادة الخام الاساسية التى لا غنى عنها والتى كانت هاجسنا الملح لانتاج السلاح هى البارود، وكان من الصعب تأمين كل ما نحتاجه منه.

فى بداية الامر، كانت مشاغل السلاح فى مناطق حرب العصابات تنتج القنابل اليدوية والقذائف من الديناميت الذى يرسله عمال المناجم والعاملون السياسيون السريون. ولكن الحصول على المتفجرات بهذه الطريقة كان يعنى الخطر الدائم والقلق على امن المنظمات الثورية العاملة فى المناجم. والواقع ان عدد من فقدوا حياتهم وهم ينفذون هذه المهمة لم يكن قليلا. ومن ابرز الامثلة على ذلك حادث بحيرة لونغشوييبنغ.

لونغشوييبنغ هى قرية تقع بالقرب من منجم باتاوكو. وفى تلك القرية بالذات، ترعرعت كيم تشول هو، رفيقة تشاى هيون فى السلاح وعقيلته، وشبت كثورية. كان عند مداخل القرية ثمة بحيرة عميقة ينمو فيها القصب بكثافة. فاستفاد سكان القرية من مياهها لرى حقول الارز. ولكن حادثا فظيعا حول بحيرة لونغشوييبنغ ما بين ليلة وضحاها من مياه تهب الحياة الى بحر من الدماء. ذلك ان وحوش الدرك اليابانيين اكتشفوا اكثر من عشرين عاملا من عمال منجم باتاوكو ممن سربوا الديناميت الى قواعد حرب العصابات، فقبضوا عليهم وقتلوهم بوحشية على ضفاف تلك البحيرة.

دفع هذا الحادث قادة قواعد حرب العصابات والمسؤولين عن انتاج الاسلحة الى مراجعة طريقة الحصول على المتفجرات بالاعتماد كليا على المنظمات العاملة فى المناجم، والى البحث عن وسيلة جديدة. فكل غرام من البارود يستخدم فى مشاغل السلاح فى مناطق حرب العصابات، كان قطرة دم تهدر من المناضلين وقطعة لحم تسلخ منهم، وكان فى نهاية المطاف بلورة لذلك كله.

فقررنا صنع البارود بانفسنا. وقد قال البعض ان عملنا هذا اشبه ما يكون بتشييد قلعة على الرمال. ولكننى كنت متأكدا من انه لا وجود للمستحيل اذا ما قرر المرء عمل شىء، واذا كان اجدادنا قد صنعوا البارود فى الماضى، فليس هنالك ما

يمنعنا، نحن احفادهم من صناعته ايضا. وبهذه القناعة بادرت الى دراسة تاريخ صناعة البارود وعناصره بتعمق. وهكذا توصلت الى ان المادة الخام الاساسية لانتاج البارود هى ملح البارود التى يمكن الحصول عليها فى البيوت.

كان بالامكان العثور على ملح البارود فى اى مكان مأهول، وكنا نراها امامنا فى كل لحظة. وذات يوم مشمس، ذهبت بصحبة العاملين فى مشغل السلاح الى فناء بيت العجوز لى تشى بايك حيث كان يوجد كوم من الرماد والروث، واشرت الى مادة بيضاء شبيهة جدا بالملح تغطى حواف كوم الروث، واخبرتهم بانها ملح البارود. واذ سمعوا ذلك، ضحكوا بمرح وقالوا انهم اشبه ما يكونون بالعجوز الذى يبحث عن غليونه وهو فى يده.

كما كان بالامكان الحصول على النطرون ايضا من التراب فى المراحيض المهجورة او من اكوام روث الحظائر.

من المعروف ان تشاى مو سون قد اخترع البارود فى عصر كوريو، مقدما بذلك مساهمة كبيرة للدفاع عن البلاد. وقد جهزت السفن الحربية بالمدافع النارية التى اخترعها. وقد استعملت بحرية كوريو تلك المدافع فى معركة زينبو وابادت القراصنة اليابانيين. ويقال بانه صنع المتفجرات، هو الآخر، من تنقية الرماد والغبار الذى كان يجمعه من محيط المنازل.

لقد كان هناك من يزعم بان البارود المستخدم فى ذلك العصر لم يكن من اختراع تشاى مو سون وانما صنعه بتطبيق طريقة صنعه التى تعلمها من بلد آخر. وقد بنوا ادعاءهم على ان كوريو لم تكن تملك الاسس النظرية والتقنية التى تتيح لها اكتشاف البارود. ولكننى اعتبرت تقديرهم هذا غير صحيح. فالكتابات التاريخية القديمة تقول ان مملكة سيلا استعملت مدافع البارود منذ حقبة الممالك الثلاث.

لقد جرح كرامتنا بعمق اسلوب التفكير الذيلى والعدمى لدى اولئك الذين ينبهرون حين يسمعون ان اجنبيا قد اخترع شيئا، ويقولون باعجاب: "لا ريب ان أهل تلك البلاد هم اناس متفوقون فى ذكائهم!" ولكنهم حين يسمعون عن اختراع توصل اليه كورى فان اول ما يفعلونه هو ان يهزوا رؤوسهم قائلين: "أهذا صحيح؟ أهو كورى؟".

لقد حصل الرفاق فى مشغل السلاح على النطرون (ملح البارود) بطريقة بسيطة للغاية باستخدام اوان فخارية او صفيحية واوعية اخرى، وكلها ذات ثقوب فى قعرها. ثم ملأوها بأتربة ملتقطة من الاسطبلات او المراحيض او من اكوام الروث. ثم صبوا فوقها الماء وجمعوا السائل الذى رشح من تلك الاوعية، ثم غلوه فى اوان اخرى الى ان تحول الى بلورات بيضاء، وكان ذلك هو ملح البارود.

كنا نسمى بلورات الطبقة العليا افقية وبلورات الطبقة الدنيا جانبية. وكانت الاخيرة تمتاز بقدرتها على الدفع الافقى، فكنا نحشو بها طلقات البنادق والمسدسات، فيما تستعمل الافقية لصنع القنابل اليدوية اساسا نظرا لامتيازها بقوة الدفع الجانبى.

وللحصول على هذه المواد الضرورية لصناعة المتفجرات، جرت تعبئة الجماهير التى تتقن استخلاصها. اما الكبريت، الذى لا غنى عنه، فكنا ننتزع كميات منه من عوازل اسلاك هواتف الحراسة. كما كنا نحتاج الى مواد سريعة الاشتعال، مثل الكحول، فاستعضنا عنها بخمر بايجو.

وواصلنا الاختبارات دون ان نستسلم امام الاخفاقات المتكررة، الى ان توصلنا الى النسب المثالية للمزيج.

ومهما نسيت لن انسى اولئك الناس الذين اشتركوا فى صنع البارود فى ذلك الوقت ومن ضمنهم سون وون كوم.

لم تكن لى صلة تذكر بسون وون كوم ولم يسبق ان تعرفت عليه شخصيا قط. ومع ذلك، كنت اعرف تفاصيل حياته ونشاطاته مثل معرفتى بصديق حميم.

كان باك يونغ سون اول من حدثنا عن مآثر سون وون كوم النضالية. فقد اقام معى فى نفس الغرفة عدة ايام حين جاء الى ماتشون لالقاء محاضرة عن استخدامات القنابل اليدوية فى احدى الدورات التدريبية، وقد حدثنى خلال تلك الايام كثيرا عن حياته وعمله. وكان يذكر اسم سون وون كوم بكثرة فى حديثه. لم يكن ينطق عشر كلمات الا وكان ذلك الاسم بينها، وكان يلفظه بمشاعر حب واحترام غير عادية. لهذا، كنت اصيخ السمع اليه بفضول كلما نطق باسمه. كان باك يونغ سون رفيقه الحميم وكفيله فى عضوية الحزب.

قد يذيع صيت المرء لمآثره او مهارته او لحادثة ما. وقد عرف سون وون كوم على نطاق واسع بين الثوريين فى منطقة تشينتاو فى عام ١٩٣٢ اثر فراره من احد مخافر الشرطة. فقد قبضت عليه الشرطة فيما كان يحمل كمانا ويتجول بين القرى متنكرا بزى بائع ادوية لاداء مهام الاتصال السرى، وتعرض لتعذيب وحشى حتى غطت الدماء جسمه. لكنه تمكن من الفرار عبر مجرور كانت المياه الآسنة فيه تصل حتى خاصرته، وقضى نهارا كاملا وهو مختبئ فى مياه نهر. على الرغم من ان افلاته من وكر الاعداء المحاط بحراسة مشددة هو امر يبعث على الاعجاب، الا ان ما يثير الدهشة حقا هو قضاؤه النهار بطوله فى المياه والدم ينزف من جسمه.

وقد التحق فيما بعد بجيش حرب العصابات وانضم الى الحزب الشيوعى. ومنذ ذلك الحين، عرف سون وون كوم بجهوده المتفانية.

مشغل هيلونغ للسلاح الذى كان يديره باك يونغ سون، يقع فى وادى سوريباوى، فى شينسياندى، بقرية جينكوتشون. وقد اطلق العاملون فى المشغل على القنبلة اليدوية الاولى التى صنعوها اسم القنبلة الصوتية. ثم طوروها الى قنبلة مسحوق الفلفل الاحمر، واخيرا توصلوا الى قنبلة يونكيل، الاكثر اكتمالا وفعالية.

كان انتاج قنبلة يونكيل يتطلب كميات كبيرة من المواد الاولية. وكان على الرفاق فى مشغل السلاح ان يستنبطوها بانفسهم للحصول عليها. فكان سون وون كوم يتصدر الصفوف فى التصدى لهذه المهمة.

" ذات مرة، واجهتنا مشكلة كبيرة اثناء صنع القنابل الصوتية، اذ نفد لدينا الورق والقماش اللازمان لتغليف البارود. فاجتهدنا فى البحث عن مخرج. وفيما نحن على تلك الحالة، هرع الرفيق وون كوم الى القرية دون ان يقول شيئا، وعاد بورق الابواب وقماش اللحاف الوحيد فى بيته. وحين رأيته يعود فى ساعة متأخرة من الليل متهدج الانفاس شعرت بالخجل. ... "

هذا ما قاله لى باك يونغ سون فى ماتشون. فقلت متأثرا بكلامه:

"اذا كان كذلك، فانه ثورى ذو صفات رائعة حقا."

فاستطرد باك يونغ سون يقول:

" كان الرفيق وون كوم يتصدر الصفوف فى كل المهمات. فعندما توقف انتاج القنابل اليدوية بسبب نقص الاسلاك الحديدية، ذهب ماشيا الى نانيانغبينغ التى تبعد عشرات الريات وجلب ما يزيد عن ٣٠٠ متر من اسلاك الهاتف. كما كان يحصل لنا على الكبريت وشظايا الحديد وصفائح التوتياء ايضا."

فى احدى الليالى، وبينما الثلج يهطل بكثافة، رجع سون وون كوم الى مشغل السلاح وعلى ظهره حزمة من الصفيح والحديد، وكانت المفاجأة فى ان امرأة عجوزا مجهولة كانت تتبعه وهى تحمل قدرا حديدية على رأسها.

فقال باك يونغ سون وهو يساعد العجوز على انزال القدر عن رأسها:

"ما هذا، يا وون كوم؟ لماذا أحضرت العجوز الى هذا المكان المنعزل فى الليل بينما الرياح السيبيرية تزمجر وكأنها ستنتزع لحمنا عن اجسادنا. هل انت بكامل قواك العقلية؟ ..."

فانزل سون وون كوم الحمولة عن ظهره واومأ برأسه ايماءة ذات مغزى:

"انا لم احضرها. هى التى توسلت الى لاسمح لها بالمجىء معى."

فقال باك يونغ سون للعجوز:

"ما الذى جعلك تأتين الى هنا مع هذا الرفيق يا جدتى؟ "

" لى معرفة قديمة بهذا الشاب مذ كنت اعيش فى نيفينغدونغ. كانت كنتى فى ذلك الحين مريضة وفى حالة خطرة، ولكننا لم نكن نملك ثمن الدواء، فجاء هذا الشاب، الذى كان بائع ادوية، وكان يصدر اصواتا من آلة موسيقية، واعطانا بعض العقاقير والارز دون مقابل كى تستعيد كنتى عافيتها. وقد حزنت كثيرا آنذاك لانى لم اكافئه على معروفه. واذا بى افاجئ به اليوم فى قريتنا. كان يتنقل من بيت الى بيت سائلا ان كان لديهم حديد، كدت اخرج عن طورى من شدة الفرح لما خطر لى ان الفرصة قد سنحت لارد له الجميل. هذه اكبر قدر فى بيتنا. ولست ادرى ان كانت كافية لرد الجميل...."

ونظرت العجوز بارتياب الى القدر الموضوعة امام الكور.

فقال لها باك يونغ سون محرجا:

"نشكرك على مساعدتك المخلصة يا جدتى، ولكننا لا نقبل الا القدور المهترئة. فعودى الى بيتك بالقدر ارجوك."

عندما سمعت العجوز ذلك، استاءت وقالت بغضب:

"اياك وهذا القول! بعدما احرق الاوغاد اليابانيون اثنين من ابنائى، او ترانى اضن بهذه القطعة الحديدية؟ "

فكف الرفاق فى المشغل عن محاولة اقناعها.

عندما سمعت ذلك من باك يونغ سون، استبدت بى رغبة عارمة فى الذهاب الى هيلونغ فى الحال لمقابلة سون وون كوم. كان اكثر ما اجتذبنى من خصاله هو ارادته الفولاذية للاعتماد على النفس.

قلت لباك يونغ سون بانفعال:

"ليتك جئت بالرفيق سون معك. ان خبرته تنطوى على دروس قيمة. لو انه تحدث عن كل خبرته الرائعة تلك امام الرفاق، فانهم سيستمعون اليه بسعادة. فيا حبذا لو انك تتحدث بدلا منه عن تلك الخبرات كلها."

كانت الدورة الدراسية عن صنع واستخدام القنبلة اليدوية فى ماتشون مناسبة ليتعرف الجميع فى منشوريا الشرقية على سون وون كوم.

ولدى مغادرة باك يونغ سون ماتشون بعد انتهاء الدورة الدراسية، قلت له:

"عندما ترجع الى هيلونغ قل للرفيق سون وون كوم ان خبرته قد تركت تأثيرا ايجابيا للغاية بين المشتركين فى الدورة الدراسية، وبلغه اننى آمل باللقاء به يوما لنتبادل المشاعر الودية."

ولكن ذلك اللقاء لم يتحقق. والمؤسف انه فقد بصره فى حادث انفجار اثناء العمل.

لقد كان انتاج البارود عملية محفوفة بالمخاطر دائما، وبالموت فى بعض الاحيان. وقد كان اكثر الاعمال خطورة هو ملء القنبلة اليدوية او طلقة البندقية بالبارود. فقد اصيب باك دو كيونغ وباك يونغ سون وكانغ وى ريونغ ايضا، بجروح بالغة وهم يمزجون المواد. الا انهم لم يغادروا مشغلهم رغم اصاباتهم تلك.

لقد تجاوز سون وون كوم ايضا وضعه المؤلم. فلم يفقد الحماس ولم يستسلم للحزن، بل على العكس من ذلك تماما، كان يشجع الآخرين: "لا تحزنوا ايها الرفاق! صحيح اننى فقدت بصرى، الا انه ما زال لدى قلبى ويداى وساقاى". وواصل العمل فى قطع الاسلاك وتركيب اجزاء القنابل باللمس. وقد اعتاد ان يترنم بالنشيد الاممى اثناء العمل.

لقد انتزع منه ذلك العالم الجائر اباه، ثم اخاه الكبير واخته، وفقد هو نفسه بصره فى سن مبكرة، حين لم يكن قد عاش نصف حياته.

عندما انحلت مناطق حرب العصابات، غادرها سون وون كوم واتجه نحو جينكوتشون حتى لا يكون عبئا على رفاقه فى السلاح. فكانت تتناهى الى سمعه كل يوم الاشاعات التى يروجها العدو عن جيش حرب العصابات والحزب الشيوعى:

"لقد تمت تصفية جيش حرب العصابات فى الجبال!"

"جميع من كانوا فى قواعد حرب العصابات لقوا حتفهم جوعا ايضا! "

"اذهبوا الى تشيتشانغتسى ولن تجدوا فيها غير الجماجم."

"السياسة التى ينتهجها الحزب الشيوعى سياسة مدمرة. لقد سرتم فى ركاب الحزب الشيوعى فماذا جنيتم غير الخسران والخذلان؟ "

عندما كان سون وون كوم يسمع ذلك، يشعر بالدم يغلى فى عروق. . فيمضى من بيت الى بيت ليوضح الحقيقة بحماس.

"كلا، ان جيش حرب العصابات ما زال حيا، وهو يسيطر الآن على مناطق شاسعة. انه يهاجم العدو فى منشوريا الشمالية والجنوبية. حين ذهب جيش حرب العصابات من هنا لم يكن يتجاوز بضع عشرات من الجنود، ولكنه صار يضم اليوم ألوفا، وهو يمتلك كذلك المدافع والرشاشات. ايها المواطنون، ايها الاخوة والاخوات، لا تنخدعوا بالدعاية المعادية! لنعزز دعمنا للجيش الثورى الشعبى! ولسوف ننتصر حتما فى الحرب المناهضة لليابان!"

لقد تجاوزت آثار اقدامه تخوم جينكوتشون ووصلت الى آنزى ولونغجينغ اللتين تبعدان مئات الرى عنها. وما كان رجال الجيش والشرطة ليلتفتوا على الاطلاق الى

ذلك "المتسول الاعمى" الذى يمشى متلمسا طريقه بعصا فى يده وعلى كتفه كمان، مثلما كان فى الماضى.

وحين بلغته اخبار معركة بوتشونبو، راح يجوب طرقات آنزى وازقتها وهو يصيح باعلى صوته:

"اسمعوا ايها المواطنون الكوريون، فى الرابع من حزيران شن القائد كيم إيل سونغ على رأس وحدته هجوما على بوتشونبو. لقد تقدم الجيش الثورى الشعبى الكورى عبر نهر آمروك الى ارض الوطن التى طالما اشتاق اليها. ان الاعداء يرتجفون هلعا امام جبروت الجيش الثورى. لقد اصبحت هزيمة الامبريالية اليابانية محتمة."

وبفعل خطبه الحماسية هذه، راحت شوارع آنزى تجيش مثل قدر الثريد. ولكن عمله ذاك كلفه حياته. اذ القت الشرطة اليابانية القبض عليه واحرقته.

"ايها الرفاق، لا عينان لى، ولكننى ارى بكل وضوح جبال وانهار وطننا المحرر. واصلوا القتال باصرار حتى النصر! عاشت الثورة الكورية!"

كانت تلك هى آخر كلمات نطق بها سون وون كوم قبل احراقه.

وهكذا رحل سون وون كوم، رائد الاعتماد على النفس، عن هذا العالم وهو لم يتعد الخامسة والعشرين بعد.

وكان باك يونغ سون كلما تذكر سون وون كوم يقول بأسى: "لقد فارق الدنيا حتى قبل ان يتزوج".

لو ان سون وون كوم ما يزال حيا، لاطلع الاجيال الصاعدة على امور كثيرة قيمة عن الاعتماد على النفس. بل ان حياته نفسها هى مرجع فى هذا المجال.

لقد شكل حصولنا على البارود حدثا فاصلا على صعيد انتاج الاسلحة. ومع حل مسألة المتفجرات، ازداد صنع القنابل اليدوية. وكنا نستعمل كاغلفة لها علب الصفيح الفارغة التى ترسلها الينا المنظمات السرية فى المناطق الخاضعة لسيطرة العدو او فى اشباه مناطق حرب العصابات، فكنا نضع فى كل علبة علبة اصغر منها محشوة بالبارود، ونملأ الفراغ المتبقى بين العلبتين بشظايا حديدية من محراث تالف، ثم نثبت الفتيل، فتصبح القنابل جاهزة.

ولان هذه القنابل كانت تصنع يدويا بالكامل، فقد كانت غير متناسقة وصعبة الاستعمال. فاذا لم يكن المرء رشيق الحركة عند استعمالها فقد يتعرض لحادث مؤسف. وحدث ان فقد احد الجنود ساعده من جراء بطء اشتعال الفتيل اثناء معركة ليانغشويتشوانجى. ولكن مفعولها كان اكبر من مفعول القنبلة اليدوية الحديثة. فكانت فرائص رجال الجيش اليابانى ترتعد بمجرد سماعهم بها.

كما صار بامكاننا ان نصنع حتى المدافع الخشبية منذ حللنا مسألة البارود فى قواعد حرب العصابات. على الرغم من ان وحدة وو وى تشينغ كانت تملك مدافع حديدية شبيهة بمدفع البازوكا الحالى، الا اننا لم نكن نتمتع بمثل هذا الترف، فاضطررنا الى ان نصنع المدافع الخشبية ونقاتل بها. لقد صنع الناس فى وانغتشينغ اول مدفع خشبى من اشجار المران بعيد الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ على ما اذكر. وعندما استعملنا ذلك المدفع فى معركة دادوتشوان، وجدنا له صوتا مدويا كالرعد. وحيث انه مدفع خشبى صنع باليد فان فعاليته كانت ضئيلة، ولكن ما ان اطلقنا القذيفة الاولى حتى ولى جنود العدو الادبار خائفين.

وفى منطقة هيلونغ ايضا صنعوا مدفعا خشبيا مماثلا فى مشغل ماغويانجى للسلاح. وعندما اطلقوه من فوق قمة تشيانليفينغ، ارتعدت فرائص رجال الجيش والشرطة اليابانيين فى ايرداوكو على بعد ٣٠ رى.

لقد وقع العدو فى حيرة من الامر لانه لم يعرف حقيقة ذلك الانفجار. ذلك ان صنع مدفع فى قواعد حرب العصابات الخالية تماما من التجهيزات التقنية كان فوق كل احتمال.

حقا، ان الحماسة والمثابرة والمبادرة الخلاقة الثورية التى اظهرها الرفاق فى مشاغل السلاح وتصليحه كانت مذهلة ومحط اعجاب الجميع. اذ لم يكن لديهم آلات او ادوات حديثة، فيما عدا ريشة مثقاب واحدة فى مشغل وانغتشينغ، ومثقب يدوى واحد لدى العاملين فى مشغل هيلونغ للسلاح الذين يترأسهم باك يونغ سون، وقد حصل هؤلاء عليه من صاحب دكان حدادة فى دالاجى. ولست اتذكر ما اذا كانت مشاغل السلاح فى توداوكو ونينغجيوينغ بمحافظة آنزى، تملك مثل تلك الآلات

والتجهيزات ام لا. كان المبرد يعد افضل اداة بعد ريشة المثقاب والمثقب اليدوى.

لقد كانوا يصلحون كل شىء بذلك المبرد. فبعد البرد والحك والطرق والمعالجة بالنار والماء والصلصال، كانوا يتوصلون الى اصلاح ابرة البندقية او زنادها. واخيرا، صار بامكانهم ان يصلحوا حتى المدفع الرشاش بسهولة. وكان بينهم عدد غير قليل من الموهوبين، اذكر منهم باك يونغ سون، سون وون كوم، كانغ وى ريونغ، باك دو كيونغ، سونغ سونغ بيل وكانغ هاى سان. فقد كانوا ماهرين الى حد القدرة على احداث ثقب فى الابرة.

والسر فى كل هذه المعجزات كان يكمن فى الاعتماد على القوى الذاتية. لو لم يفكر الشيوعيون الكوريون فى الاعتماد على قواهم الذاتية وانساقوا منذ البداية للاوهام بشأن مساعدة شيوعيى بلدان اخرى لهم، ولو لم يؤمنوا ايمانا راسخا بان الاعتماد على النفس هو السبيل الوحيد للبقاء وانقاذ كوريا، لما ظهرت مشاغل السلاح فى مناطق حرب العصابات ولما رأت اسلحة مقتدرة كالمدفع الخشبى وقنبلة يونكيل النور على الاطلاق، ولكنا حذونا حذو رجال جيش الاستقلال، فدعونا الشعب الى التبرع لتغطية نفقاتنا العسكرية، او رحنا نستجدى البلدان الاجنبية ونشكو لها حالنا. وبمثل هذا السلوك يصل المرء الى اقصى درجات الاذلال، ويتحول الى دنىء وحقير، مستعد لان يطأطأ رأسه، ويلعق اقدام الآخرين ويزيل الرمص من عيونهم. اذا كنا طرحنا شعار الاعتماد على النفس وثابرنا على تطبيقه منذ بداية الحرب المناهضة لليابان، فما ذلك الا لانه كان يتطابق مع مقتضيات الوضع الثورى فى ذلك الحين. فقد زاد اعتداء الامبريالية اليابانية على منشوريا من حدة الخلافات ما بين كوريا واليابان، وما بين الصين واليابان، وجاءت تلك الخلافات لتطرح على الشيوعيين الكوريين حتمية النضال بشكل ارقى، اى النضال المسلح.

ولو اننا ذهبنا الى بلدان اخرى، منتهجين الدبلوماسية الاستجدائية بدلا من الاعتماد على قوانا الذاتية، لما استطعنا بدء الحرب المناهضة لليابان بعيد احتلال الامبريالية اليابانية لمنشوريا، ولما نمت صفوف جيش حرب العصابات خلال بضع سنوات فقط الى قوات مقتدرة جبارة.

كان الاعتماد على النفس شعارا يعكس بامانة تطلعات ومطالب الشعب الذى يصبو الى تحقيق استقلال البلاد بقواه الذاتية انطلاقا من موقف الاستقلالية والتحصين الذاتى. وليس من قبيل الصدفة على الاطلاق ان يحول الشعب ورشات الحدادة فى كل مكان الى مشاغل للسلاح انسجاما مع ذلك الشعار.

لقد صار الاعتماد على النفس والمثابرة فى النضال الشاق هو الروح الاساسية التى تسود جميع جبهات الثورة المناهضة لليابان، وليس مجال انتاج السلاح وتصليحه فقط، والمعيار لقياس مدى الاخلاص للثورة. فلم نكن نعتبر المرء الذى لا يتحلى بهذه الروح ثوريا كاملا حتى وان كان وطنيا ثابتا ومخلصا للعقيدة الشيوعية. لان نجاح الثورة او اخفاقها مرهون اساسا بالاعتماد او عدم الاعتماد على القوى الذاتية.

فبسبب الافتقار الى هذه الروح بالتحديد، اندفع قادة الحركة القومية فى طريق الاعتماد على القوى الخارجية وخلبت البابهم نظرية ويلسون بشأن حق الامم فى تقرير مصيرها.

فى يلانكو بمحافظة آنزى توجد قرية تدعى نانيانغتشون. بعد اضراب موسم الحصاد الخريفى واضراب البؤس الربيعى، داهمها رجال الجيش والشرطة اليابانيون حيث قتلوا سكانها الابرياء بوحشية، ولاسيما الشباب والكهول منهم، وحولوا بيوتها الى رماد.

جمع النشطاء السياسيون الموفدون الى القرية الشباب وحرضوهم قائلين:

"اننا نناضل نضالا سياسيا ودون عنف، ومع ذلك فان العدو يعتدى علينا بالسلاح. لا يمكن قهر العدو بأيد عزلاء. لقد حان الوقت لخوض نضال مصيرى مسلح ضد الامبريالية اليابانية. فماذا نحن فاعلون، ايها الرفاق؟"

هنا، قال شاب وهو يلوح بقبضته:

"لنجمع قطع الحديد ونصنع منها حتى الرماح. فلو سلحنا انفسنا بالرماح فقط، ألن نتمكن من قتل الاعداء وانتزاع اسلحتهم؟"

كان ذلك الشاب ابنا للعجوز لى تاى سون، الحداد العتيق. وقد قال انه توجد فى

مخزن بيته ادوات الحدادة التى كان يستعملها والده، وبها يستطيعون ان يصنعوا السيوف والرماح اللازمة.

فاستجاب الشباب لدعوته فى الحال.

"الحق معك. لنصنع السيوف والرماح اولا، ثم نستبدلها بالبنادق فيما بعد."

فى واد ناء بعيد عن العيون، صنعوا الفحم الخشبى من جذور اشجار البتولا وباشروا بصنع الرماح من اطار عجلات عربة ثيران، مستخدمين العدة التى كان يصنع بها العجوز لى تاى سون ادوات الزراعة سابقا، ثم شحذوا نصال الرماح بالحجارة.

صوت ضربات المطرقة المفاجئ المنبعث من خارج القرية قاد الحداد العتيق الى الوادى. فأخفى الشباب الرماح التى يصنعونها بين الاعشاب وتظاهروا بانهم يصنعون القداحات.

نظر لى تاى سون اليهم بارتياب، وقال:

"ماذا تصنع ؟" فأجابه الشباب بصوت واحد:

"اننا نصنع القداحات."

"أليس عندكم ما تقومون به سوى هذا العمل؟ اعطونى المطرقة!"

وصنع العجوز عشر قداحات فى غمضة عين وعاد الى البيت حاملا معه ادوات الحدادة.

وفى اليوم التالى، فتش الشباب عن تلك الادوات بعد خروج العجوز الى الحقل وذهبوا ليصنعوا مزيدا من الرماح.

وبغتة، ظهر العجوز لى تاى سون امام مشغل الحدادة الذى لا جدران له ولا سقف، تماما مثلما فعل فى اليوم السابق، وسأل الشباب بنبرة صارمة:

"ايها الاوغاد، ماذا فعلتم بالقداحات التى صنعتها لكم بالامس؟"

فأجابه الابن بالنيابة عنهم.

"اعطيناها لاصدقائنا."

وتكرر هذا العمل عدة مرات فيما بعد. وسرعان ما فطن العجوز لى تاى سون

الـى ان الـشباب لا يـصنعون القـداحات. فكـيف يعقـل ان ينـشئ شـباب القـرية مـشغلا للحدادة لمجرد صنع مثل هذه القداحات التافهة فى عز موسم الزراعة؟ وفى يوم قائظ، اقترب العجوز من المكان خلسة عبر عيدان الذرة، ورأى الشباب يصنعون الرماح بتوجيه من ابنه.

"ايها الاولاد المحتالون، طوال الربيع والصيف وانا افكر بما تفعلونه فى السر، واخيرا عرفت انكم تحفرون قبوركم بايديكم."

هـاج العجـوز ومـاج، واندفـع يجمـع بعـصبية ادوات الحـدادة. فـتعلق الـشباب باطراف ثوبه وراحوا يتوسلون اليه ويستعطفونه:

"يا ابى، طالما ان العدو يقتل الشباب كمن يصطاد الذباب، فكيف يسعنا ان نبقى مكتوفى الايدى؟"

لم يجد العجوز لى تاى سون ما يقوله، فاطرق مفكرا للحظات وهو يهز رأسه، ثم قال لهم بنبرة جادة:

" استخدموا المطرقة، واتركوا الكماشة لى... وليخرج بعضكم للحراسة."

فى ذلك اليوم، صنع العجوز من الرماح ما يكفى لاكثر من عشرة شبان.

فجـاء شـباب مـن القرية المجـاورة حاملـين معهـم قطـع حديـد وعجـلات عـربات مهترئة واخذوا تلك الرماح كلها بدلا منها، بعدما الحوا عليهم ان يحسنوا اليهم وهم جيرانهم الذين لا يملكون مشغل حدادة كمشغلهم.

فطلب العجوز لـى تـاى سون مـن الشباب ان يتـركوا ذلـك الحديد جانـبا لانـه لا يصلح لصنع الرماح، ثم صنع خناجر ورماحا صلبة من عشرات العوارض الفولاذية مثمنة الاضلاع التى كان يحتفظ بها.

وبواسطة تلك الخناجر والحراب، هاجم اكثر من عشرين شابا من نانيانغتشون مفرزة من جيش منشوكو العميل كانت تمضى من آنزى باتجاه جيولونغبينغ وغنموا منها كمية كبيرة من الاسلحة والذخائر.

فأثنى العجوز لى تاى سون على شباب القرية ونجاحهم، وكان سعيدا غاية السعادة. وتحت اشرافه المباشر، واصل مشغل الحدادة السرى فى نانيانغتشون انتاج الكثير من

السلاح الابيض. ثم توصل فيما بعد الى صنع القنابل اليدوية. ولكن العجوز وقع فى قبضة العدو واستشهد بعد ان بذل كل ما لديه من حكمة وطاقة لانتاج الاسلحة وتصليحها.

وكان هذا مثالا آخر يظهر حيوية روح الاعتماد على النفس التى فتحت لاول مرة فى تاريخ نضال بلادنا التحررى الوطنى، عصرا جديدا من ابداع ما نحتاجه من الصفر. ويمكننا القول ان ملامح العصر هذه، المفعمة بالحيوية والنشاط هى صورة حية تؤكد على صحة وجبروت المنهج الشيوعى الذى يمكن به حل كل المسائل باذكاء قدرات الشعب وحكمته الى اقصى حد.

كان الاعتماد على النفس احد اهم الوسائل لاقامة زوتشيه فى نضال الشيوعيين الكوريين. ولولا هذه الروح، لما كان بالامكان التفكير او الحديث عن فكرة زوتشيه، بل لما كان بالامكان مجرد تصور تطور الثورة الكورية على الاطلاق. ذلك ان الاعتماد على القوى الذاتى هو الخيار الوحيد للقضاء نهائيا على التبعية للقوى العظمى التى تشكل العائق الكبير فى الحياة الروحية الحديثة لشعبنا، كما انه الخيار الوحيد لشق الطريق الظافر المؤدى الى انبعاث الامة فى ظل مبادئ الاستقلالية والتحصين الذاتى والاكتفاء الذاتى. لقد كان الاعتماد على النفس محكا يميز الانسان الزوتشى من الانسان غير الزوتشى.

وانطلاقا من ذلك، ثابرنا على تربية الجماهير بهذه الروح الثورية منذ اليوم الاول للحرب المناهضة لليابان. وقد تقبلت الجماهير بسهولة فكرة انه من واجبها، وبامكانها، ان تسترجع البلاد بقواها الذاتية، دون مساعدة الآخرين، على الرغم من ان مساعدة الآخرين مفيدة لها، وفكرة حل كل المسائل بذكائها وقواها وعدم انتظار ان يأتيها الحل من اعلى. غير انه كان هناك، فى المقابل، عدد غير قليل ممن تسيطر على اذهانهم رواسب فكرية بالية ولا يثقون بقواهم الذاتية او يستهينون بها.

وحتى بين الذين صفقوا بحماس عند الدعوة لصنع الثورة بقوى شعبنا واعتمادا عليها، ظهرت ميول سلبية كوقوفهم حيارى متلبكين حيال مسألة غير عويصة كمسألة السلاح.

فى احد الايام، وفيما كنا منهمكين فى التدريب العسكرى فى آنتو استعدادا

لتأسيس جيش حرب العصابات، حدث ان كسر لى يونغ باى وبانغ اين هيون ابرة احدى البنادق اثناء تنظيفها. وقد كان حادثا بالغ الخطورة لا يمكننا التهاون فيه لان الحصول على كل بندقية كان يكلفنا دما.

بعد ان تفحصت الجزء المكسور بتمعن، قلت لهما:

"امامكما يوم واحد فقط. لا بد ان تصلحا الابرة بحلول مثل هذا الوقت من يوم غد."

فتطلعا الى بعيون ملؤها الدهشة. لعلهما لم يتصورا انى ساكون صارما معهما الى هذه الدرجة.

"ويحنا! كيف لنا ان نصلح هذه البندقية التى لا يصنعها الا مصنع حربى عصرى؟ لو كنت تطلب منا القيام بعملية قتالية خطرة لاختلف الامر. ولكن ما تطلبه لا يقدم احد عليه بدون خبرة، أليس كذلك؟"

"الثورة لا تعنى القيام بالاعمال السهلة فقط. أتعرفون لماذا نصف هذا العمل الذى نقوم به بانه الثورة المقدسة؟ ان المعنى الحقيقى للثورة ومصدر فخر الثورى هما فى تنفيذ اعمال لا يجرؤ الآخرون على تنفيذها او مجرد تصورها، أليس كذلك؟ "

" ولكن الابرة المكسورة مصنوعة من الفولاذ... فهل يمكننا ان نصلحها بالنظرية؟"

نظر بانغ اين هيون الى الابرة فى يده بوجه مكفهر. كان يعتقد ان طلبى باعادتها الى حالتها الاصلية يخلو من المنطق ويتنافى معه. ومع ذلك، كان لا بد من التفكير بالنتائج اذا ما تراجع القائد فى مثل ذلك الوضع عن اوامره.

لقد كنت مدركا ان مطلبى كان مبالغا فيه، الا اننى كررت الطلب بصرامة:

"اذا كنتما عاجزين عن تصليح ابرة بندقية، فمعنى ذلك انكما لستما جديرين بان تكونا فى جيش حرب العصابات. كيف يمكنكما ان تعيدا تكوين المجتمع المعقد اذا كنتما عاجزين حتى عن تصليح ابرة تافهة كهذه ؟ اذا كنتما لا تريدان اصلاح الابرة، فعليكما عدم حضور التدريب اعتبارا من الغد."

فاجأ ذلك الامر الحازم الرجلين، فسارعا الى اظهار استعدادهما لاصلاح

العطل مهما كلف الامر. ثم توسلا الى ان اشير عليهما بطريقة للتصليح.

"لا اعرف الطريقة. تدبرا الامر بنفسيكما."

غادر لى يونغ باى وبانغ اين هيون ساحة التدريب وهما يكادان يبكيان.

وفى اليوم التالى، ظهرا فى ساحة التدريب متهللى الاسارير. لم تكن الابرة مثلما كانت فى الاصل تماما، ولكنها تعمل بصورة مقبولة.

لم يخف جميع الرفاق دهشتهم واعجابهم. حتى انا الذى امرتهما بالتصليح لم اكد اصدق عينى. كيف وبأية حيلة استطاعا ان يصلحا الابرة المكسورة فى غضون يوم واحد وبمثل هذه السهولة بعد ان كانا يصران على استحالة تصليحها او حتى التفكير بذلك دون امتلاك التقنية اللازمة؟

فشرح لى بانغ اين هيون الامر على عجل:

"حاولنا، فى بداية الامر، ان نصنع ابرة جديدة عن طريق برد سلك حديدى بالمبرد. ولكننا لم نجد السلك الفولاذى المناسب، فسخنا الابرة المكسورة فى النار وطرقناها لكى تتمدد، ثم شذبناها بحكها بالحجارة حتى تستعيد شكلها. لكننا لم نكن نعرف طريقة فولذتها من جديد، فذهبنا الى حداد عجوز له خبرة فى سياسياوشاهى. فعلمنا انه اذا اردنا الحصول على الفولاذ علينا ان ننقع الحديد الحامى فى الزيت. ففعلنا ذلك وحصلنا على هذه الابرة كما ترون."

هذه التجربة كانت مصدر الهام عظيم لرفاقهما. فقد تلقى الجميع درسا جديدا مؤداه ان الثقة بالقوى الذاتية واستثمارها بكامل طاقتها، يتيح اجتراح المعجزات.

لا استطيع ان انسى تلك الابتسامة الوضاحة كالبدر التى كانت تعلو وجهى لى يونغ باى وبانغ اين هيون حين أتيا راكضين الى ساحة التدريب، ومعهما الابرة التى صلحاها. لقد كانت تلك الابتسامة فى الواقع تعبيرا عن اعتزازهما اللامتناهى بقوتهما. وليست فى هذه الدنيا سعادة اكبر من تلك التى يشعر بها المرء حين يكتشف فى نفسه تلك القوة التى ظن انها ليست لديه.

صحيح ان ابرة بندقية واحدة هى شىء لا يؤبه له، خاصة وان الوقت المطلوب لتصليحها كاف للاستيلاء على عشر بنادق جديدة بسهولة. ولكن العبرة المستخلصة

من تصليح ابرة واحدة يمكنها ان تولد اثرا اعظم قوة من قنبلة هيدروجينية وتوسع مدى تأثيرها باستمرار.

لقد اوضح ماركس وانجلز ان تاريخ تطور البشرية هو تاريخ الصراع الطبقى. وهو تحديد صحيح دون ريب. ولكن، بالمستطاع القول ان تاريخ البشرية، عدا عن انه تاريخ الصراع الطبقى، هو تاريخ تجد فيه البشرية نفسها، تخلق وتستكمل نفسها. بعبارة اخرى، انه تاريخ الخلق والابداع الذى لا تتوقف فيه البشرية عن البحث فى ذاتها عن قوة الانسان وذكائه وتصقلهما، وهو فى الوقت نفسه، تاريخ النضال فى سبيل استقلالية جماهير الشعب.

كذلك، يمكن القول ان تاريخ البشرية هو تاريخ التجديد الذى عملت فيه البشرية على صقل نفسها دون انقطاع على الصعد السياسية –الايديولوجية، والادبية– الاخلاقية، والعلمية– التكنولوجية. وبفضل تلك القوة الابداعية والتجديدية، تعيش البشرية فى يومنا هذا عصر الصاروخ، عصر الكمبيوتر، عصر الهندسة الوراثية، عصر الثورة الخضراء.

وانطلاقا من هذه النظرة، يمكن القول ان الاعتماد على القوى الذاتية هو بمنزلة القوة الدافعة الجبارة التى تسرع وتيرة تطور التاريخ. ولو عاشت البشرية وهى تنتظر ان يفعل ذلك الرب او اى معبود آخر تعتبره خالق الكون، دون ان تستخدم قوتها، لكنا ما نزال نعيش فى العصر الحجرى.

حين كنا ندير مشاغل السلاح فى مناطق عديدة من منشوريا الشرقية بهمة ونشاط، علمت من شا تشون هينغ بوجود مصنع حربى فى حاضرة محافظة دونغنينغ كان يديره جيش الانقاذ الوطنى التابع لوانغ دى لين. وقد زاد هذا الخبر من اهتمامى بتلك الحاضرة. وحسبما قال لى شا تشون هينغ، فان المصنع المذكور قد دشن فى ربيع عام ١٩٣٢ كورشة لتصليح الاعتدة الحربية، ولم يكن فيه اكثر من مخرطتين وعربة سبك وآلة خياطة. واعتبارا من النصف الثانى من ذلك العام، تحول الى مصنع حربى متكامل ينتج القنابل اليدوية وقذائف مدافع الهاون وبنادق آلية سعة مخزنها ٢٥ طلقة والمدافع المعروفة " بمدفع الخنزير"، ويعمل فيه اكثر من ٢٠٠

عامل. وفى سياق تطوره هذا، ادخلت اليه وسائل انتاج وتجهيزات متعددة. وكانت الاسلحة التى ينتجها ذلك المصنع توزع على وحدات جيش الانقاذ الوطنى المرابطة فى داديانجى بمحافظة وانغتشينغ ومناطق نينغآن بالدرجة الاولى.

ومع الغزو اليابانى، اغلق المصنع. ولكن التجهيزات والآلات كانت ما تزال سليمة هناك. ولو نجحنا فى الاستيلاء التام على حاضرة محافظة دونغنينغ فى خريف عام ١٩٣٣، لصار ذلك المصنع الحربى ملكا لنا بالتأكيد، ولكنا سلحنا انفسنا تسليحا افضل باسلحة خفيفة وثقيلة حديثة.

والخبرة المكتسبة فى النصف الاول من الثلاثينات على صعيد الاعتدة الحربية فى قواعد حرب العصابات، استمرت وتطورت فى مشاغل قاعدة بايكدوسان فى النصف الثانى من العقد نفسه.

انشأنا فريقا للخياطة فى كل قاعدة من قواعد حرب العصابات لنحصل على البزات العسكرية بانفسنا. وكنا نؤمن كل شىء بقوانا الذاتية، سواء القماش او الاصباغ او الخياطة. كنا نملأ قدرا كبيرة بالمياه وننقع فيها لحاء اشجار السنديان والجوز الاسود والفلين ونغليها، ثم نستخدم ذلك السائل لصبغ القماش باللون الكاكى. وكان اللون يختلف قليلا او كثيرا تبعا لنسب خليط لحاء الاشجار.

واول المنتسبات الى فريق وانغتشينغ للخياطة كانت كيم ريونغ هوا وزون مون زين، وهذه الاخيرة كانت تعمل سابقا ممرضة فى مستشفى القرية رقم ٦. وكان فيه مفصل واحد، لكنى لا اتذكر اسمه تماما. وفيما بعد، توسع فريق سياووانغتشينغ للخياطة بانضمام لى ايل فا، وكيم ميونغ سوك، وكيم سون هى وغيرهن من النساء اليه. وحين كان الفريق يشعر بوجود نقص فى اليد العاملة يعبئ آخرين للعمل بصورة مؤقتة.

ان البزة العسكرية التى كنت ارتديها اثناء وجودى فى سياووانغتشينغ هى من صنع زون مون زين.

وحين انتقلت من آنتو الى وانغتشينغ، قرر افراد فريق الخياطة هناك ان يصنعوا للقائد الشاب، كما كانوا يسموننى، بزة عسكرية ومعطفا. وعلى الرغم من انها كانت مصنوعة من قماش قطنى متواضع ومصبوغ بطريقة بدائية، الا

اننى كنت اشعر بما فى كل غرزة فيها من الوفاء والعناية.

كان فريق سياووانغتشينغ للخياطة يضطلع بمفرده بصنع البزات العسكرية لرجال كتيبة كاملة او فوج كامل بواسطة آلتين اوثلاث آلات خياطة فقط. وليس هذا فحسب، بل انه كان يصنع حتى البزات العسكرية لضباط وجنود الوحدات الصينية المناهضة لليابان تلبية لطلب قيادة الكتيبة او الفوج. والمقصود بالبزة العسكرية هنا، القبعة العسكرية وطماق الساقين وحزام الخرطوش، فضلا عن السترة والسروال. وكان حجم العمل الملقى على كاهل فريق الخياطة يفوق طاقته النظرية بكثير. وكلما واجهتهم مهمة تفوق طاقتهم الانتاجية، كان افراد فريق الخياطة المجتهدون والمخلصون يمضون الليالى ساهرين لكى ينجزوا العمل. وحين يغالبهم النعاس، كانوا يبللون وجوههم بالماء البارد وينشدون الاناشيد. ولكثرة ما كانوا يرددون الاناشيد، فقد حفظوا عشرات الاناشيد الثورية عن ظهر قلب.

كانت كيم ريون هوا اول مسؤولة لفريق سياووانغتشينغ للخياطة. كان الناس فى وانغتشينغ ينعتونها حينذاك بالفتاة اللعوب او الصبيانية. وكان بينهم من ينعتها بالمسترجلة اذ كانت تدخن السجائر احيانا. ولكنها، كانت حاذقة جدا فى الخياطة وشغل الابرة.

تعلمت كيم ريون هوا الخياطة منذ بداية حياتها الزوجية. وكان زوجها رجلا بائسا فقد احدى رجليه. فاتخذت من الخياطة بالاجرة وسيلة اساسية لكسب لقمة العيش فى مواجهة الفقر الذى لا يرحم. ومنذ ذلك الحين راحت تصقل مهارتها فى اعمال الخياطة. لم تكن تجيد صنع البزات العسكرية فحسب، بل وكانت تخيط الملابس الصينية ايضا خياطة انيقة. حتى اولئك الذين كانوا يصفونها بالمسترجلة، كانوا عندما يرتدون ملابس من صنعها يحنون رؤوسهم انحناءة شكر نحو الوادى حيث يعمل فريق الخياطة قائلين: "لك منا التحية يا اختنا ريون هوا!".

وكان بين افراد فريق الخياطة كذلك العديد من الرواد فى مضمار الاعتماد على النفس، وبما لا يقل ابدا عن العاملين فى مشغل السلاح. فكان منهم كيم ميونغ سوك، زون مون زين، هان سونغ هى، آن سون هوا، تشاى هى سوك، كيم يونغ كوم، كيم

سو بوك، تشاى اين سوك، باك زونغ سوك، زو يونغ سوك، باك سو هوان، ما اين اوك وكيم سون، وكن جميعا مثالا فى المثابرة على النضال الشاق، وحسبهن انهن صنعن عشرات آلاف البزات العسكرية وهن يشاركننا المسيرات الطويلة. والحقيقة اننى افتقر الى القدرة على التعبير لاصف، ولو بصورة تقريبية، مشهد موت آن سون هوا والمشهد البطولى لاستشهاد الرفيقات الست فى فريق الخياطة فى معسكر غانباهيجى السرى، وهى احداث معروفة على نطاق واسع فى العالم.

كما انشأنا مستشفى فى كل منطقة من مناطق حرب العصابات من اجل علاج الجرحى والمرضى بانفسنا. كانت كل الادوات الطبية التى تستخدم فى العلاج، بما فيها المباضع والملاقط، مصنوعة بأيدى تقنيينا فى مشاغل السلاح؛ بل ان معظم العقاقير الطبية، باستثناء القليل من الادوية المصنعة، كانت من انتاج العاملين الذين كانوا يحصلون على الاعشاب الطبية ويحضرونها بمساعدة الاهالى.

وحيث انه لم تكن لدينا جهة تمدنا بالاطباء والممرضات، فقد قمنا بتأهيلهم بانفسنا. اذ تولى مداو او اثنان ممن لهم معرفة بطب كوريو التقليدى تدريب وتأهيل عدد كبير من تلامذتهم.

لقد كان ريم تشون تشو ولى بونغ سو وغيرهما من اطباء مشهورين واساتذة جليلين ساهموا فى تأهيل مواهب طبية جديدة، وساهموا فى الوقت نفسه بعلاج اعداد لا تحصى من المرضى والجرحى الذين كانوا يستردون العافية بفضل عنايتهم ويعودون الى وحداتهم وهم يتغنون بعودتهم الى الحياة.

وكنا نحل مسألة المواد الغذائية، هى الاخرى، بالاعتماد على قوانا الذاتية. لم يكن من اساليبنا الحصول على المواد التموينية بفرض كميات محددة من الحبوب تجمع من الناس. فطرحنا على رجال الجيش والمنظمات شبه العسكرية، مثل الحرس الاحمر وفرقة الدفاع الذاتى المناهضة لليابان وطليعة الاحداث وجيش المتطوعين الشباب، واجب تأمين المؤن الغذائية بقواهم الذاتية، وطلبنا منهم زراعة الاراضى فى مناطق حرب العصابات. اما فى النصف الثانى من الثلاثينات، حين انتشر الجيش الثورى الشعبى الكورى فى مناطق شاسعة واخذ يشن عمليات حرب عصابات مكثفة على مستوى الوحدات الكبيرة،

اوفدنا وحدة الامداد الى محيط جبل بايكدو لكى تتفرغ للزراعة هناك.

على هذا النحو، صار الاعتماد على النفس بمثابة حبل الوريد الذى يرتهن به وجود الجيش الثورى نفسه خلال سنوات الحرب المناهضة لليابان. وادرك الجميع ان الاعتماد على النفس يعنى الحياة وعدمه يعنى الهلاك، وصار هذا هو اسلوب التفكير الذى يسيطر على اذهانهم والمبدأ الذى يلتزمون به ولا يحيدون عنه ابدا. ومن احتضنوا ذلك المبدأ حافظوا على نقائه رغم كل المصاعب والمحن؛ اما من لم يؤمنوا به، فقد غادروا الصفوف وقلبوا ظهر المجن فى منتصف الطريق.

ان بذرة الاعتماد على النفس التى حماها الرواد المناهضون لليابان واعتنوا بها وسط العواصف الثلجية الهوجاء فى جبل بايكدو، ما لبثت ان نمت فى قلوب جميع ابناء الشعب فى البلاد كلها بعد التحرير، وتوقدت كشعلة متأججة لبناء كوريا الجديدة، وصارت القوة الدافعة الرئيسية التى اطلقت تشوليما، الحصان الاسطورى، ليحلق عاليا فى سماء الشرق. فيما كنا منكبين على صنع قاطرة كهربائية فى مصنع صغير لا يعدو كونه ورشة بسيطة للتصليح، قال لى احد السفراء الاجانب انه سوف يغلى عجينة الصويا على كفه اذا نجح الكوريون فى صنعها بأنفسهم. ولكن القاطرة الكهربائية "بولكونكى–١"(العلم الاحمر– المترجم) التى صنعها عمالنا وتقنيونا بالاعتماد على قواهم الذاتية قد قلبت بصفارتها الصادحة نبوءة ذلك السفير رأسا على عقب.

ان طرقات مطرقة الاعتماد على النفس التى كانت تسمع فى مشغل السلاح فى مناطق حرب العصابات صارت نبضا لعصر حزب العمل وقوة محركة جبارة لعصرنا هذا تدفع به الى الامام.

ان روح الاعتماد على النفس التى ولدت وسط عواصف الحرب المناهضة لليابان تخفق الآن بشدة فى الشعارين اللذين رفعهما الرفيق كيم جونغ إيل: "النعش على طريقتنا!"، "النجسد متطلبات زوتشيه فى ميادين الفكر والتكنيك والثقافة جميعا!"، والشعار الآخر "الحزب يقرر ونحن ننفذ!". ويندفع شعبنا بخطى حثيثة نحو قمة العقد الاخير من القرن العشرين الذى تعصف فيه الرياح الهوجاء وهو يتغنى عاليا "بمارش الاعتماد على النفس".

٧ـ زهرة خالدة

حدث ذلك فى عام ١٩٣٣.

فقد اوفدت المنظمة الثورية فى وانغيوكو، وبناء على طلب الهيئة العليا، كيم كوم سون (كيم كوم نيو) وكيم اوك سون، التلميذتين فى مدرسة رابطة الاطفال فى بييدونغ، الى سياووانغتشينغ.

كانت الصبيتان موهبتين ومتميزتين فى الفرقة الفنية وتحظيان بتقدير ومحبة الاهالى فى منطقة آنزى. وقد وصلتا الى ماتشون تنفيذا لمهمة كلفتهما بها المنظمة، تقضى بنشر الغناء والرقص فى قواعد حرب العصابات فى منطقة وانغتشينغ حيث يحتشد ثوريون كثيرون. حينذاك، كانت المنظمات الثورية فى منطقة منشوريا الشرقية تنتقى باستمرار ذوى المواهب وترسلهم الى سياووانغتشينغ التى اضحت مركز الثورة الكورية. وكان اهالى تلك المنطقة يقدمون آنذاك كل اشكال المؤازرة والدعم الى سياووانغتشينغ، تماما مثل شعبنا الذى لا يبخل الآن باى شىء من اجل بيونغ يانغ.

حال وصولهما الى ماتشون، توجهت الصبيتان نحو القيادة العسكرية مباشرة للاجتماع بى يرافقهما ناظر مدرسة رابطة الاطفال فى بييدونغ. ومنذ النظرة الاولى، رأيت انهما طفلتان فى حدود العاشرة من العمر. وظننت لاول وهلة بانهما شقيقتان، لكن الامر لم يكن كذلك. وانما مجرد تشابه فى الاسماء.

قدمهما لى ناظر مدرسة بييدونغ وأرفق ذلك بعرض سريع لحياتيهما وظروفهما العائلية. وقد كانت لحظة مؤثرة جدا. فبينما كان يتحدث عن حياة كيم اوك سون، اغرورقت عيناها بالدموع. وكادت عيناى انا الآخر ان تدمعا. فحياتها القصيرة التى لم تتجاوز الثالثة عشرة كانت مليئة بالمآسى الأليمة التى تفوق كل تصور.

فقد خطبت وهى فى التاسعة من عمرها لابن اقطاعى تجاوز العشرين بطريقة احتيالية ودون علمها او علم والديها. وكان الاعتقاد الشائع فى ذلك الوقت هو ان بقاء الشاب اعزب بعد سن العشرين، يعنى عدم قدرته على الزواج، فكان والداه ينهمكان بلهفة فى تكليف الوسطاء للبحث له عن عروس. اما بالنسبة للشاب ابن الاقطاعى موضوع الحديث، الذى لم يكن قد تزوج بعد، فقد ابرموا عقد زواجه بسرية وباسلوب قذر، اذ قدموا الخمر لوالد الصغيرة حتى سكر، ومهروا عقد الزواج ببصمة ابهامه. ومثل هذه الخدعة تدل على ان الشاب كان ابله او مصابا بعاهة لا تتيح له الزواج بطريقة سوية.

ووفقا لتلك الوثيقة، كان على كيم اوك سون ان تتزوج من ذلك الشاب حين بلوغها الخامسة عشرة من العمر. ولقد قضى والد الفتاة يومين كاملين وهو مخمور دون ان يدرى انه وقع على وثيقة كلها غش واحتيال. ولم يثب الى رشده الا بعد وصوله محمولا على عربة الى بيته. فبكى بحرقة حين وجد فى جيبه وثيقة زواج ابنته الممهورة بابهامه ومعها ٨٠ يوانا. لقد كانت تلك النقود هى هدية لوالد العروس قدمها والد العريس، اى ثمن تزويج ابنته من ابن الاقطاعى.

حين عرفت كيم اوك سون بذلك، بكت بحرقة وقضت ايامها فى نحيب متواصل.

ولكن اباها كيم زاى مان، الذى قرر مصير ابنته بوثيقة احتيالية، راح يحسن اوضاع البيت بصمت مستفيدا من الثمانين يوانا. فاشترى كوخا مسقوفا بالقش وارضا زراعية وثورا وخنازير. وكان يتصرف كمن يحاول تحويل المصيبة الى منفعة وصرف تلك النقود التى يملكها ما دام احتجاجه ضد مالك الارض لن يجديه نفعا لانه اضعف من ان ينال من ذلك الرجل. وحينما بكت ابنته على مستقبلها التعس، قال لها والدها مواسيا:

"لا تبكى، يا بنيتى! لقد انقذت ال ٨٠ يوانا عائلتنا من الهلاك. ثم، ألسنا احسن حالا الآن مما لو كنا نتضور جوعا ؟ وعندما تفكرين بانك انقذت بخطوبتك هذه والديك واخوتك من الموت، فسيزول عنك الحزن."

لقد كان جاهلا وساذجا الى حد لا يستطيع معه ان يفهم الثورة. وقد قادته بساطته الى الاعتقاد بان المرء اذا اضنى نفسه فى العمل، فانه يستطيع التخلص من الفقر، بل وقد يصبح مليونيرا. لهذا، استسلم للاوهام بشأن الاقطاعى الذى كان يستغله. فقد كان هذا الاخير يقدم له بعض الطعام من حين لآخر، فكان كيم زاى مان يعتبره رجلا كريما لا مثيل له فى السخاء. وذات مرة، استمعت كيم اوك سون الى احد كوادر الثورة السريين وهو يلقى خطابا فى باحة المدرسة. وحينما عرف كيم زاى مان بهذا الامر، ربط ابنته فى حظيرة الدواب وضربها ضربا مبرحا حتى ادمى جسدها، خشية ان تتورط ابنته فى الثورة.

لكن كيم زاى مان حصل على الوعى الطبقى، وان كان متأخرا، اثر الحملات "التأديبية " الخمس التى شنها العدو على القرية وتحويلها الى اكوام من الرماد. لقد فقد المنزل والبهائم وكل ممتلكاته. وكان بين جيرانه من لقى حتفه حرقا.

وفى الليلة التى ارسل فيها ابنته الى منطقة حرب العصابات فى وانغيوكو، قال كيم زاى مان:

"اسمعى يا اوك سون، لقد حانت ساعة تقرير الحياة او الموت. فاما ان يهزم الاعداء او نهزم نحن. لقد كان ابوك يجهل اشياء كثيرة فى هذه الدنيا. والآن جاء دوركم لكى تقوموا بالثورة وتبيدوا نسل الشياطين هؤلاء."

بعدئذ، انتقلت كيم اوك سون الى بيت كيم كوم سون فى سونغليندونغ ودرستا معا فى مدرسة رابطة الاطفال فى بييدونغ وشاركت فى نشاطات تنوير الجماهير بانضمامها الى الفرقة الفنية فى الدائرة ثم فى المحافظة.

هكذا، كان الاطفال الكوريون، شأنهم شأن اوك سون، يئنون تحت نير الفاقة والعوز منذ نعومة اظفارهم، بدلا من ان ينعموا فى كنف ذويهم بالرفاهية والدلال.

فذلك العالم القاسى لم يكن يميز بين الاطفال والكبار.

واحتجاجا على هذا العالم الظالم، الذى لا يرحم حتى الاطفال، ويكبلهم بالاعباء والاعمال المجهدة كالكبار، انطلق صغارنا الى النضال. فشكلوا فى كل انحاء تشينتاو منظماتهم الثورية، كرابطة الاطفال، والطليعة، وفرق الكشافة، والقوا

بانفسهم الى ساحة النضال بقواهم الموحدة. لقد كان فتياننا، ذكورا واناثا، الذين ترعرعوا وتصلبوا فى خضم العمل فى المنظمات الثورية، تروسا ولوالب تحرك وتدعم عجلة الثورة المناهضة لليابان.

وكانت كيم اوك سون وكيم كوم سون من بينهم.

تلك النبذة الموجزة من حياة كيم اوك سون اثارت فى نفسى مشاعر الشفقة. فقد كانت ظلال المأساة التى يعكسها وجهها هى خلاصة التعاسة التى وقع ضحيتها ملايين الاطفال الكوريين.

ولكن كم من الفخر والاعتزاز كانت تثير عزيمتها وروحها التى دفعتها، رغم صغر سنها، الى هجر منزلها والالتحاق بقواعد حرب العصابات للمشاركة فى الثورة! وكم شعرنا بالامتنان لها عند وصولها الى سياووانغتشينغ، بعد ان قطعت مئات الريات عبر وانغيوكو وداهوانغواى وياوينغكو وماتشون، لكى تشارك فى الثورة!

نظرت بعين الاعجاب الى الصبيتين اللتين وصلتا الى سياووانغتشينغ بارادة وتصميم كبيرين بعد ان اجتازتا الأجمات الشائكة وهما تستندان على العصا وتنتعلان فى اقدامهما حذائى عمل للكبار وتحملان جعبتين ثقيلتين على ظهريهما.

سألتهما وانا افكر بانه على قبل كل شىء ان ابدل حذائيهما الكبيرين بآخرين من القماش او المطاط.

"من الذى ارسلكما الى سياووانغتشينغ؟ "

فوقفتا متأهبتين قبل ان تجيبا معا:

"لقد بعث بنا الاستاذ يون بيونغ دو."

كانت عيونهما تلمع كالنجوم الساطعة، وكان فى صوتيهما رنة محببة.

احسست بسعادة غامرة. فمعاشرتى للاطفال هى سعادتى الكبرى. وضحكاتهم الصادقة هى البلسم الذى يطهر ارواحنا من الآلام والقلق. اغرق نفسك يوما فى عالم الاطفال، وستشعر بدافع قوى لان تحيا، وستدرك حتى الاعماق ان الحياة البشرية هى اجمل واكثر تنوعا بفضلهم، واننا نتحمل مسؤولية مهمة مقدسة فى تفتيح مواهبهم وحماية مثلهم التى تعكسها عيونهم الصغيرة الصافية.

أحسست بالاسى وانا ارى الخدوش فى وجه كوم سون وساقيها، فقلت لهما:

"احسنتما ايتها الصغيرتان. ألم تجدا مشقة فى اجتياز الجبال؟ "

"لقد عانينا كثيرا من الاورام التى اصابت اقدامنا. ولكننا لم نقل شيئا خشية ان يعيدنا العم الذى رافقنا الى وانغيوكو."

"ألا تحبان العودة الى البيت، والعيش فى كنف والديكما؟"

"اجل، بالطبع. ولكننا اذا فعلنا ذلك لن نكبر ابدا. لقد قال لنا المشرف فى رابطة الاطفال انه لا بد لنا من مواجهة المشقات لكى نكبر. ونحن على استعداد لاجتياز المشقات من اجل ان نكبر."

"ولماذا تريدان ان تكبرا بسرعة؟"

"لكى نحقق استقلال كوريا. نرجوك ايها العم القائد كيم الا تعيدنا الى البيت مهما كلف الامر."

اذهلتنى كوم سون التى تفكر كالراشدين. فعلى الرغم من انها ما تزال طفلة، الا ان تصميمها على نذر حياتها كلها فى سبيل استقلال كوريا كان تعبيرا عن نضوجها الفكرى.

"حسنا، لا تقلقى! ولماذا لا نقبل ذوى افضل المواهب فى تشينتاو عندما يأتوننا بمحض ارادتهم؟ ستبقين معنا فى وانغتشينغ. وسترين كم هى ممتعة الحياة فى رابطة الاطفال."

فصفقت كوم سون طربا وسرورا.

طلبت من القياديين فى اتحاد الشباب الشيوعى فى المحافظة والدائرة ان يلحقوا الصبيتين بمدرسة رابطة الاطفال فى ماتشون كى تواصلا حياتهما التنظيمية فى الرابطة، وان يختاروا لهما سكنا مع اسرة كريمة ومضيافة حتى لا تشعرا بالغربة وهما بعيدتان عن والديهما.

فى ذلك العام، احتفل المقاتلون والاهالى فى وانغتشينغ بعيد الاول من ايار فى ملعب مدرسة ماتشون لرابطة الاطفال. وكان احتفالا مهيبا حضره جميع مقاتلى حرب العصابات فى المنطقة. وحازت كل من الصبيتين القادمتين من وانغيوكو على

المرتبة الاولى فى مباراتى الجرى والوثب العالى، وحظيتا باستحسان الحضور الذين صفقوا لهما طويلا.

كانت كوم سون ضئيلة الجسم بالنسبة لمن هن فى عمرها.

وكان الجميع يبتسمون لوجهها البرىء اللطيف وهم يرونها تسير فى مقدمة الفرقة الفنية بخطواتها القصيرة السريعة، حاملة جعبتها على ظهرها.

حتى انا كنت استمد منها القوة والحماسة. فقد كنت احب دوما اولئك الذين يتقبلون الواقع بنظرة متفائلة وافضلهم على المتشائمين. وحينما كنا نخوض غمار النضال المسلح الشاق فى الجبال ونحن نقتات بجذور النباتات، كان المتفائل فى صفوفنا يعادل عشرة مدافع. وقد كانت كوم سون فى ذلك الوقت مناضلة فذة ومتفائلة تمثل الجيل الاصغر فى المنظمات الثلاث: الحزب، واتحاد الشباب الشيوعى، ورابطة الاطفال.

بعد مرور عدة ايام على لقائى بكوم سون، استدعيت الاطفال فى مدرسة رابطة الاطفال فى ماتشون الى مقر القيادة للاطلاع على اوضاعهم المعيشية.

كان من المفترض ان يحتفظ كل عضو من اعضاء رابطة الاطفال فى جعبته بشكل دائم بمؤن غذائية تكفيه لمدة اسبوع كامل. ولدى تفتيشى جعبهم، وجدت عددا غير قليل منهم وقد تناولوا كل طحين الارز المحمص الذى وزعته عليهم المدرسة. اما كوم سون، فكانت لا تزال تحتفظ بجعالتها كاملة، لم تنقص منها ملعقة واحدة.

وعند انتهائى من التفتيش، اطريت على كوم سون وانا ارفع ابهامى:

"احسنت يا كوم سون. فمع انك اصغرهم سنا، الا انك لم ترضخى لاغراء الطعام، فى حين أكل آخرون كل جعالتهم. انك افضلهم."

فابتسمت كوم سون بخجل، ثم قالت:

"لست ادرى كم مرة اخرجت كيس الطحين من جعبتى ثم اعدته ثانية! لقد قاومت بصعوبة الرغبة فى التهامه."

"كيف صبرت؟"

"حين كان الآخرون يأكلون كنت اغمض عينى حتى لا اراهم. فاذا بقيت اشعر

برغبة فى الاكل، خرجت الى الفناء. وحين تكاد الرغبة ان تتغلب على، كنت اذهب الى البئر واشرب من مائه حتى الامتلاء. فاشعر عندئذ بالشبع كما لو اننى اكلت الدقيق المحمص."

وقد اذهلنى مرة اخرى جواب كوم سون المتكامل. فى عالم الاطفال البرىء هذا كانت تنعكس بوضوح الضائقة الاقتصادية التى يكابدها اهالى منطقة حرب العصابات. ولكن على الرغم من المصاعب، كنت ارى كيف تخفق بقوة روح فراخ العنقاء اولئك الذين يسلكون بثبات طريق الثورة.

فى ذلك اليوم، وزعنا على كل واحد من الاطفال عشرة اكواب من طحين الارز المحمص، وبعض ارغفة الذرة وعلب الثقاب. وبعد عدة ايام، ارسلنا الى مدرسة رابطة الاطفال عربتين محملتين بالملابس الجديدة المبطنة واللحف والاحذية والدفاتر واقلام الرصاص. فى ذلك الحين، كانت المعارك تتوالى مما اتاح لنا الاحتفاظ بكمية غير قليلة من الغنائم كاحتياطى. وعلى الرغم من اننا كنا نعيش حياة تنقصنا فيها الملابس والمؤن الغذائية، الا اننا وزعنا حصة كبيرة من ذلك الاحتياطى على مدرسة رابطة الاطفال.

ان شعار "الافضل للاطفال! " هو احد المبادئ الثابتة فى حياتنا الحالية. ولكننا كنا نوفر للاطفال كل ما يلزمهم من اشياء موجودة فى متناول ايدينا وفق هذا المبدأ حتى فى اصعب الظروف حين كنا نعيش فى بلاد الغربة. ولم نكن نتورع حتى عن زج الوحدة كلها فى معركة من اجل حل مشكلة تتعلق بمأكل الاطفال وملبسهم.

وتحت شعار "لنكن مستعدين دائما فى سبيل استقلال كوريا وتحرير الطبقة الكادحة فى العالم كله!"، ربينا الاطفال على الوطنية والاممية البروليتارية.

وقد حقق اعضاء رابطة الاطفال فى الواقع مآثر رائعة لا تقل عما كان يفعله الكبار فى تنوير الجماهير ومزاولة النشاط الفنى والحراسة والاتصال واستطلاع تحركات العدو وانتزاع السلاح منه وحتى فى الدفاع عن منطقة حرب العصابات. كنا نرى الاطفال دائما فى مواقع اعادة بناء الاكواخ التى احرقتها الحملات "التأديبية" المعادية، بل وكنا نجد اولئك النسور الصغار يغنون حتى فى خنادق القتال الملتهبة

وهم ينقلون صرر الطعام الى خنادق الجيش الثورى اثناء الدفاع عن قواعد حرب العصابات. وفى مواسم الزراعة، كانوا يذهبون الى الحقول للتعشيب او الحصاد، واحيانا كانوا يجمعون الثمار البرية ويرسلونها الى ثكنات جيش حرب العصابات.

ذات مرة، شاهدت تلاميذ مدرسة رابطة الاطفال يقومون بالحراسة فى الخطوط الامامية، فى مخفر الحراسة الاوسط على جبل جيانشان. كان كل واحد منهم يعلق قنبلة يدوية فى حزامه، ويحمل فى يده رمحا طوله متر ونصف تقريبا.

كانوا يتناوبون الحراسة كل ساعة. وليضبطوا التوقيت كانوا يشعلون عود بخور طوله يعادل طول عودين من عيدان الثقاب، وعندما يحترق نصفه يستبدلون الحرس. وقد اخبرونى ان احتراق عود البخور كله يستغرق ساعتين، فاعتبرت طريقتهم لقياس الوقت فريدة من نوعها فعلا.

وذات مرة، زارنى اولئك الاطفال وحملوا لى مجموعة كاملة من الملابس تشتمل على سروال وسترة تقليديين سميكين، ورباط للجوارب، وصديرية رمادية من الحرير، وبنطال لركوب الخيل، وحذاء جلدى، وجزمة وحذاء مطاطى اسود. وكان ذلك تعبيرا عن شكرهم على ما ارسلته اليهم من الغنائم الحربية. اذ كنا قد هاجمنا فى ذلك الحين قافلة لجيش العدوان اليابانى وغنمنا منها كمية من التفاح الكورى واهديناها كلها لاعضاء رابطة الاطفال. وكان عدد كبير من الاطفال فى مناطق حرب العصابات قد ولدوا فى بلاد الاغتراب ولم يسبق لهم زيارة كوريا قط ولم يتذوقوا مرة واحدة طعم تفاح الوطن. وعندما نقل رجال جيش حرب العصابات اليهم صناديق التفاح، كادوا يطيرون من شدة الفرح واظهروا مشاعر الامتنان العارمة. وكثيرا ما كانت كيم اوك سون تتذكر ذلك المشهد الذى عاشته وخبرته بنفسها.

ذات مرة، زار المسؤول عن قسم الاطفال باك كيل سونغ مدرسة رابطة الاطفال وخاطب التلاميذ قائلا:

"يا اولادى، على الرغم من ان القائد كيم يحبنا حبا جما كما لو اننا ابناؤه، الا اننا لم نرد على حبه الكبير بعد. فمن واجبنا ان نظهر اخلاصنا له، فكيف نفعل ذلك برأيكم؟"

ما ان انهى كلامه، حتى نهضت كوم سون وقالت:

"لنصنع له بدلة لائقة. سمعت من يقول ان القائد يقضى فصل الشتاء القارس بملابس صيفية."

فابتسم باك كيل سونغ لهذا الاقتراح وقال:

"كوم سون تقترح ان نصنع له بدلة لائقة، فما رأى الآخرين؟"

فاجابه الاطفال بصوت واحد: "موافقون!"

"حسن جدا. لقد كنت افكر فى صنع ملابس سميكة له، تماما مثلما فكرت كوم سون. فلنحصل على القماش اولا ثم نعهد بتفصيل الملابس وخياطتها الى عضوات جمعية النساء او فريق الخياطة. ولكن يجب ان تعرفوا شيئا: ان القماش لا يسقط علينا من السماء."

وقفت كوم سون مرة ثانية بخفة وقالت مثل عصفور يزقزق:

"حسبنا ان نجمع الفطر ونجففه، ثم نبيعه. يقال بان الفطر يباع بسعر غال. ومتى توفرت لدينا النقود، نستطيع شراء القماش."

وافق الاطفال الآخرون على اقتراحها بالاجماع قائلين:

"الحق معك! لنجمع الفطر ونبيعه للاقطاعيين."

واعتبارا من اليوم التالى، بدأ اعضاء رابطة الاطفال ومعهم باك كيل سونغ يجوبون الجبال والسلال فى ايديهم.

على الرغم من اننى شاهدتهم عدة مرات يترددون على وادى ليشوكو وهم يسيرون بخطوات منتظمة ويغنون، الا اننى لم افطن قط الى السر الذى تنطوى عليه تلك السلال. خطرت لى فكرة بسيطة آنذاك وهى انهم ربما يجهدون انفسهم من اجل توفير الاغذية الاضافية التى يشتهيها الجرحى فى المستشفى. ولكن الفطر ما لبث ان تحول الى نقود، فالى ملابس جديدة، وسرعان ما ظهرت امام عينى.

قدمت لى كوم سون تحية رابطة الاطفال بكل اتزان وقالت:

"اعددنا مجموعة من الملابس للسيد القائد الذى يقضى فصل الشتاء القارس بملابس غير مبطنة. نرجو منكم ان لا تردوا طلبنا وتقبلوا منا هذه الملابس."

كنت، فى الواقع، اقضى ايام الشتاء القارس بملابس غير مبطنة. وحين تلقيت منهم تلك الملابس لم اشعر الا والعبرات الصامتة تخضل عينى.

لقد قبلت منهم تلك الملابس شاكرا، ولاطفتهم قائلا:

"اعزائى الصغار، على الرغم من اننى ارتدى ملابس غير مبطنة، الا اننى شاب ملىء بالقوة والحيوية. ومع اننى لن انسى اخلاصكم لى مدى الحياة، الا انى قررت ان اقدم هذه الملابس للعجوز الاكبر سنا فى سياووانغتشينغ، فارجوكم ان لا تنزعجوا من ذلك."

فنظروا الى مستنكرين، وعلائم العبوس جلية على وجوههم. كانوا متضايقين جدا لاننى لم اقبل الملابس التى اعدوها لى. ولكن بعد ان حاولت اقناعهم مرتين او اكثر، ابتسموا بتكلف ظاهر، ووافقوا.

بعد ارفضاض الاجتماع، اقتربت كوم سون منى ولمست بهدوء كم بزتى العسكرية وهمست بنبرة تنم عن القلق:

"قماش بدلتك رقيق جدا لا يمكنه حمايتك من البرد."

ومازلت حتى الآن، ولاسيما عندما يقبل علينا شتاء قارس، اتذكر كلام كوم سون الذى قالته لى يومذاك فى سياووانغتشينغ.

فى بداية الامر، اطلق الناس فى منطقة وانغتشينغ على كوم سون لقب "كوم سون الحوراء"، نظرا لشدة سواد عينيها، وصاروا ينادونها بهذا اللقب. وبعد مدة، اطلقوا عليها لقبا جديدا هو "بلبل ماتشون"، وشاع استعماله. وكان هذا لقبا محببا لديها اطلقته عليها النساء المنحدرات من منطقتى كيلزو وميونغتشون حين رأينها صبية لطيفة ذات بنية ضئيلة كالبلبل.

وبأى لقب يناديها الناس سواء "كوم سون الحوراء" او "بلبل ماتشون"، كانت ترد عليهم، ولم تكن تغضب حتى ولو سمعتهم ينادونها بلقبها عشرات المرات.

لقد كان اهالى وانغتشينغ يشعرون وكأنهم فى عيد عندما يرونها ترقص رقصة النقر بالاقدام. وكانت اوك سون تشاركها الرقص دائما. وقد كانت هذه الرقصة تقابل بتصفيق حاد يفوق التصفيق لسائر فقرات استعراض الفرقة الفنية. فحركة قدميها

السريعة والتقاطها منديلا وتمريره برشاقة بين ساقيها، كانت تفتن المشاهدين فيأخذهم الحماس ويبدؤون بضرب الارض باقدامهم استحسانا.

اثناء وجودى فى وانغتشينغ، اعتدت ان اتجول فى وادى ماتشون كل صباح على صهوة جوادى الابيض، لكى اطلع على سير الامور فى منطقة حرب العصابات وافكر بمشاريع جديدة. وكانت هذه النزهة الصباحية جزءا لا يتجزأ من برنامجى اليومى. وقد كان يرافقنى فى تلك الجولة نافخ البوق سونغ كاب ريونغ، وجندى الاتصال زو وال نام. وفى كل يوم كنت التقى بجوقة رابطة الاطفال، فاشعر حينئذ بانشراح وسعادة حقيقيين.

لست ادرى كيف اصف بطريقة حية مشاعر البهجة التى كانت تغمرنى وانا ارى من فوق صهوة جوادى وجوه الاطفال المشربة بالحمرة كأنها التفاح الناضج، وملامحهم المفعمة بالعافية والحيوية. لم يكن المطر او الثلج يمنعنى من القيام بنزهتى الصباحية، لرغبتى فى رؤيتهم كل يوم. فقد كنت اتخيل الخيبة التى سيشعرون بها اذا هم لم يجدونى فى الطريق رغم خروجهم فى الظروف الجوية السيئة. وربما انهم كانوا يفكرون مثلى، فلم يمتنعوا عن الخروج يوما واحدا، بغض النظر عن الحالة الجوية.

كانت كوم سون دائما هى اول من يبدأ بالنشيد عندما يسير الاطفال. وسط تلك الجوقة المؤلفة من عشرات الاصوات المتباينة، كنت اميز بسهولة صوت كوم سون الرنان وغير العادى الشبيه بزقزقة العصافير. وكلما كنت اسمع صوتها، يسيطر على يقين شبه صوفى بان كل شىء سيجرى على ما يرام ذلك اليوم فى منطقة حرب العصابات.

ولكننى فى صباح احد الايام لم اسمع صوتها الرنان بين تلك الجوقة التى تتردد اصداؤها فى جنبات وادى ليشوكو.

فخرجت يدفعنى شعور غريب باننى اسمع لحنا يغنيه اطفال مجهولون. وفى تلك اللحظة كانت جماعة الاطفال تعبر ممرا قريبا من مقر القيادة. وكانت كوم سون تسير فى طليعة الصف كالعادة.

ولسبب اجهله، لم تكن كوم سون تشاركهم الانشاد، بل كانت تمشى بصمت

مطأطئة رأسها. وبدلا منها، كان رئيس رابطة الاطفال لى مين هاك يقود المنشدين فى ذلك الصباح. فبدت الجوقة بدون منشدتها الرئيسية وكأنها افتقدت شخصيتها.

لم اجد رغبة للقيام باى عمل طوال ذلك اليوم. وفى المساء، قصدت مدرسة رابطة الاطفال للالتقاء بكوم سون. وهناك سمعت الخبر المؤلم عن استشهاد جميع افراد اسرتها فى وانغيوكو على ايدى العدو. واتضح لى سبب صمتها فى الصباح.

ظلت كوم سون تبكى وتبكى مدة طويلة فى ذلك اليوم حتى اوشكت على الانهيار وهى تحتضن ركبتى.

كانت تقول لى وهى تنشج مرتعشة كعصفور دورى بلله المطر:

"ماذا افعل ايها القائد؟ وما الفائدة من حياتى الآن وقد مات والداى واخى الصغير؟ "

وكان على ان اتجلد لكى اواسيها:

"كونى قوية يا كوم سون. اذا استسلمت للاحزان فان العدو سيجهز عليك انت ايضا. فاليابانيون يريدون تصفية الكوريين فى اراضى تشينتاو عن بكرة أبيهم. ولكن، هل ستسمح الامة الكورية للعدو بان يقضى عليها بسهولة، يجب عليك ان تبذلى جهدك لتكونى ثورية عظيمة وتثأرى من العدو مئة مرة، الف مرة."

وأخيرا توقفت عن البكاء، ونظرت الى وجهى وهى تمسح دموعها:

"ساثأر حتما من العدو مثلما تقول."

وقد بقيت يومئذ فى المدرسة حتى الغروب لاطيب خاطرها.

ومنذ ذلك الحين، تحولت كوم سون الى صبية قليلة الكلام ودائمة العبوس. فلم اعد اراها تضحك ضحكاتها الرنانة او تتكلم بحماسة الا فيما ندر. وبالرغم من انها عادت الى قيادة جوقة الانشاد، الا ان صوتها لم يعد كزقزقة العصافير، واختفى لقبها الاثير "بلبل ماتشون" فى سياووانغتشينغ. وقد تبدت عزيمتها على الانتقام فى حماستها المضاعفة للمشاركة فى نشاطات رابطة الاطفال والفرقة الفنية.

قامت الفرقة الفنية لرابطة الاطفال، وعمادها الاساسى كوم سون، بنشاطات باهرة النجاح حتى فى المناطق الخاضعة لسيطرة العدو، مثل شيسيان وهويمودونغ فى تومين.

وتجاوزت شهرة الفرقة حدود منشوريا الشرقية، ووصلت حتى مناطق منشوريا الشمالية البعيدة.

كان الشيوعيون فى منشوريا الشرقية والشمالية الذين تفصل بينهم جبال لاويلنغ، حريصين على توثيق الاتصالات فيما بينهم. فحتى الحواجز الطبيعية الشاهقة المتمثلة فى سلسلة جبال لاويلنغ لم تمنعهم من التزاور والالتقاء والتعاون المستمر.

صارت قواعد حرب العصابات التى حولت تشينتاو الى قلعة للحرب المناهضة لليابان مثالا نموذجيا يتطلع اليه كل الناس، واضحى النظام والنسق الجديدان القائمان هناك حلم وامنية سكان المناطق المجاورة، ومحط اطرائهم واعجابهم. وقد ادى الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ خاصة، الى تحسين صورة الشيوعيين بين الاهالى والوحدات المسلحة فى مناطق منشوريا على السواء. فمنذ تلك المعركة، بات رجال جيش الانقاذ الوطنى ينادوننى "القائد كيم"، وصار ابناء الشعب بدورهم ينادوننى "الجنرال كيم" او "القائد كيم". فجميع الخطوط السياسية والاجراءات الديمقراطية التى طرحناها وانتهجناها فى مناطق حرب العصابات، اجتذبت الاهتمام العام، واكتسبت مباركة الشعب كله.

اوفدت منظمات الحزب والقيادات العسكرية فى منشوريا الشمالية فى مناسبات عديدة بعثات اطلاعية الى قواعد حرب العصابات فى وانغتشينغ ومحيطها للتعرف على الخبرات التى راكمها الاهالى هناك على صعيد اقامة مناطق حرب العصابات.

فى ذلك الوقت، كانت ياوينغكو وليس سياووانغتشينغ هى مركزنا الرئيسى فى وانغتشينغ. وقد غادرت كوم سون وفرقتها الفنية ماتشون ايضا. اذ بعد الحملة "التأديبية " الواسعة النطاق التى شنها العدو، انتقلت جميع الاجهزة فى منطقة حرب العصابات الى ياوينغكو فى وقت واحد. كما انى انتقلت بدورى اليها مع بعض الوحدات فى ربيع عام ١٩٣٤.

فى صيف عام ١٩٣٤، وصلت بعثة محافظة نينغآن الاطلاعية المكونة من بعض العاملين فى التنظيمات المحلية ورجال جيش حرب العصابات وعلى رأسها

سكرتيرة اتحاد الشباب الشيوعى ايم يونغ زو الى دويتولاجى، قادمة من باداوهيجى عبر شينسياندونغ.

وقد رحب الاهالى ورجال جيش حرب العصابات فى ياوينغكو بتلك البعثة واحاطوها بحفاوة بالغة. اما اعضاء رابطة الاطفال، فكانوا يهتفون "اهلا وسهلا ببعثة منشوريا الشمالية"، ويلوحون باعلام حمراء مثلثة. وفى الليل، اضرمت النار فى فناء الثكنة واقيمت حفلة سمر على شرف الزائرين.

وقد قدمت فرقة الاطفال الفنية برنامجا حافلا، شارك فيه عدد كبير من الاطفال الموهوبين.

كان لى مين هاك بارعا فى الرقص والعزف على الهرمونيكا. وحينما يقوم بدور هزلى فى تمثيلية ما، كان المتفرجون يضحكون من اعماقهم. كذلك كان كيم زاى بوم ماهرا فى الرقص، وكان معروفا ببراعته الفريدة فى تقليد مشية البطة ومشية الارنب وهو يرقص.

وكان هؤلاء الاطفال يجولون على كافة مناطق محافظة وانغتشينغ حيث تعمل المنظمات الثورية لتقديم عروضهم الفنية ونشر الاغانى.

وكنا نؤمن لهم ملابس الرقص والتمثيل من اجود انواع الحرير الذى نغنمه من العدو.

وقد مكثت فى ياوينغكو لبعض الوقت ايضا وحدة صغيرة من الجيش المتحالف المناهض لليابان اوفدها جو باو جونغ شخصيا، لتتعلم من خبرات وحدة وانغتشينغ لجيش حرب العصابات. لم تكن زيارتها تلك مجرد زيارة اطلاعية ترفيهية، وانما كانت تجمع ما بين التدريب والعمليات الفعلية. فطوال مدة وجودهم فى ياوينغكو، عاشوا وفق برنامج وحدتنا اليومى، فقاموا بممارسات قتالية، ودراسات سياسية ونشاطات ثقافية.

وقد وجهت منظمة اتحاد الشباب الشيوعى ورابطة الاطفال للقيام بزيارات متكررة لرجال الجيش المتحالف المناهض لليابان. فكان اطفال الفرقة الفنية يعلمونهم الاغانى الثورية مترجمة الى الصينية، وكان اولئك الجنود بدورهم يعلمون

اطفالنا الاغانى الصينية الممتعة. وفى بعض الاحيان، كان اطفال الفرقة الفنية يقدمون لهم تمثيليات باللغة الصينية.

كان لنشاطات الاطفال التشجيعية اطيب الاثر فى نفوس الضيوف القادمين من منشوريا الشمالية، فكانوا يدعونهم الى ثكنتهم ويقدمون لهم الاطعمة الشهية.

وبعد عودتهم الى منشوريا الشمالية، قاموا بدعاية واسعة النطاق لفرقة رابطة الاطفال الفنية.

فى صيف عام ١٩٣٤، دعا جو باو جونغ الفرقة الفنية لرابطة الاطفال فى منطقة وانغتشينغ الى منشوريا الشمالية. فقبلنا دعوته هذه بكل سرور. وقلت لباك كيل سونغ انه من واجبنا ان ندخل السرور الى قلوب افراد الجيش والشعب فى منشوريا الشمالية بعد ان نستعد تمام الاستعداد لتقديم العروض الفنية هناك. ثم وضعت خطة تفصيلية لنشاطات الفرقة الفنية فى تلك المناطق.

كان القصد من ايفادنا الفرقة الفنية الى منشوريا الشمالية هو امتاع الصينيين، وفى الوقت ذاته توثيق عرى التضامن معهم اكثر فاكثر.

فبهدف تثقيف قادة وجنود الوحدات الصينية المناهضة لليابان التى كانت تعمل تحت تأثير الشيوعيين فى ذلك الحين، دعا جو باو جونغ الفرقة الفنية لرابطة الاطفال. كان يسعى جاهدا آنذاك الى لم شمل الصفوف المناهضة لليابان التى انفصلت عن جيش الانقاذ الوطنى التابع لوانغ دى لين، اثناء اضطلاعه برئاسة سكرتارية جيش شوينينغ المتحالف المناهض لليابان، الذى نظم فى منطقة نينغآن.

بعد ارسالى فرقة الاطفال الى منشوريا الشمالية، بقيت قلقا لبعض الوقت. لقد كانوا اطفالا معتادين على اجواء القتال، وقد خبروا الجوع وجميع انواع المشقات، ولكن ذلك لم يكن كافيا لجعلى واثقا من انهم سيصلون سالمين. فقد كنت قلقا وانا افكر كيف سيجتازون سلسلة جبال لاويلنغ الوعرة، وخصوصا الصغيرة كوم سون.

ولكن تبين لى ان قلقى هذا لم يكن له ما يبرره.

فقد كان اولئك الاطفال نسورا صغارا تمرسوا على الحياة فى خضم الاضطرابات، ومناضلين جابهوا الموت مرات عديدة.

فقد اجتازوا بسهولة سلسلة جبال لاويلنغ التى كنت اعتبرها حاجزا طبيعيا يتعذر عبوره وعبروا بسلام منطقة تنشط فيها عصابات اللصوص. كانوا يغطون رؤوسهم فى الايام الممطرة باغصان الصنوبر او لحاء اشجار البتولا ويواصلون السير. وفى الليل كانوا يسكنون الجوع بالارز الذى يطبخونه بايديهم فى قصعات الجنود وينامون فى العراء حول الموقد وهم يتناوبون الحراسة. ولقد تجشم بعض الاطفال عناء لا يوصف فى اعماق تلك الغابات من جراء اصابتهم بالاسهال. زد على ذلك ان الطريق الذى سلكوه بين وانغتشينغ ولاويلنغ لم يكن طريقا عريضا تسير عليه العربات او الزلاجات التى تجرها الثيران، وانما كان ممرا متعرجا وضيقا كأنه الخيط، لا يسلكه الا مراسلو جيش حرب العصابات. ومع ذلك، لم يتخلف ولو واحد منهم عن متابعة المسير على امتداد مئات الرى.

ولقد سمعت ان كوم سون اجتازت الممر ايضا وهى تترنم بالالحان وترفض ان يعاونها الآخرون فى حمل جعبتها على الرغم من انها اصغر الاطفال سنا.

وفيما بعد، اعتادت كيم اوك سون التى رافقتها الى منشوريا الشمالية، ان تتحدث بحماسة عن عروضهم الفنية التى قدموها الى جيش الانقاذ الوطنى.

قدمت الفرقة اول عرض لها امام وحدة تشاى شى رونغ المرابطة فى ماتشانغ. وكان تشاى شى رونغ اشد المتأثرين بالشيوعيين من بين جميع قادة جيش الانقاذ الوطنى. وخيل الى ان بالامكان اعادة تكوينه كشيوعى، فضلا عن امكانية جعله متعاطفا معنا، اذا نحن احسنا تثقيفه.

استهل العرض الفنى فى ماتشانغ بكلمة معبرة القتها كوم سون.

وشاهد العرض اكثر من ١٥٠ ضابطا وجنديا مع رئيسهم تشاى شى رونغ، وكان للعرض صدى طيب. فما ان انتهت كوم سون من القاء كلمتها، حتى اظهر المشاهدون اعجابهم وتأثرهم قائلين: "يا لبلاغة هذه الطفلة التى لا تزيد حجما عن حبة الكستناء! يجب علينا ان نكون عند حسن ظنها ونبلى احسن البلاء فى النضال ضد اليابان."

ومن فرط حماسه، استدعاها القائد تشاى الى غرفته واجلسها على ركبتيه

واهداها قرطا وسوارا، ووضع تحت تصرف الفرقة الفنية عربتين تجرهما الخيول لتسهيل تنقلاتها.

كان مقررا للعروض فى وحدات جيش الانقاذ الوطنى ان تستمر اسبوعا واحدا، ولكن جرى تمديدها عدة مرات نزولا عند رغبة المضيفين. كما تم تقديم العروض امام وحدة جو باو جونغ ايضا.

وقد ارسل اليهم تشاى شى رونغ عربتين محملتين بالسترات المبطنة بالقطن والمعاطف الصينية والشالات والخنازير والدجاج والشعيرية ودقيق القمح. كما اهدى الى كل طفل محفظة ومسدسا كذلك.

لدى عودة الفرقة الفنية الى ياوينغكو من جولتها فى منشوريا الشمالية، كنت مع وحدتى فى منطقة أخرى.

وما ان عدت الى منطقة حرب العصابات حتى تحلق اطفال الفرقة الفنية حولى وهم يتفاخرون بالهدايا.

"كل هذه هدايا من القائد تشاى. انه انسان لطيف حقا وله لحية مثل لحية لينين. لقد سنحت لى الفرصة لان اتذوق فى حجرته طعم مقادم الخنزير لاول مرة. واعطانا السيد جو باو جونغ هو الآخر الكثير من الهدايا."

بعد ان اطرت كوم سون على القائد تشاى وجو باو جونغ، قدمت لى مسدسا وقالت:

"هذا المسدس لك ايها القائد العزيز. لقد قررنا ذلك جميعنا."

وشددت النبرة على عبارة "قررنا". ولكن، ما ان تفوهت بذلك حتى اطلقت ضحكة مجلجلة.

وحتى لا يشعر الاطفال بخيبة امل، حملت ذلك المسدس عدة ايام ثم اعطيته خفية عنهم لقائد جيش المتطوعين الشباب وسلمت بقية الاسلحة المهداة كلها الى افراد ذلك الجيش. اما الهدايا التى تسلمتها الفرقة الفنية فقد تركتها لها لتتصرف بها كما تشاء.

فى خريف ذلك العام، انتشر فى منطقة حرب العصابات فى ياوينغكو خبر يقول ان والدة كوم سون قد نجت من الموت بأعجوبة.

ومنذ ان سمعت كوم سون بهذا الخبر، زينت شعرها بازهار الاقحوان البرية

وراحت تتنقل فى ارجاء وادى ياوينغكو كالفراشة وهى تكاد تطير فرحا. والجميع فى قاعدة حرب العصابات ممن سبق لهم وان عرفوا ما حل بأسرة كوم سون، راحوا يرمقونها، وهى على تلك الحال، فرحين ومبتهجين.

قررت منظمة رابطة الاطفال ان تلبى رغبة كوم سون العارمة فى رؤية امها. ولكن كوم سون الوفية للواجب الاخلاقى والمتحلية بدرجة عالية من روح الجماعية على صغر سنها لم تشأ قبول تلك اللفتة من المنظمة متسائلة: كيف تتمتع وحدها بمثل هذا الامتياز مع ان هناك عددا كبيرا من الاطفال يرغبون فى رؤية أسرهم؟

فى خريف عام ١٩٣٤، حين كان وحدتنا فى جوانجياولو تستعد للحملة الى منشوريا الشمالية رأيت كوم سون لآخر مرة. اذ وصلت الفرقة الفنية لرابطة الاطفال التى تضم كوم سون الى تلك المنطقة لتقديم عرض فنى خاص لتوديع رجال الحملة فيما اذكر. وبعد العرض الفنى قدمنا لهم فطائر محشوة بلحم الغزال.

وفى اللحظة التى كنت اهم فيها بمغادرة المكان الذى يتناول فيه الاطفال الطعام، تركت كوم سون طبقها واسرعت الى لتحدثنى بصوت خافت، وكأنها ستقول سرا خطيرا:

"ايها القائد العزيز، ان امى مازالت على قيد الحياة."

"اجل يا صغيرتى. انه خبر يسعد جميع اعمامك فى جيش حرب العصابات. وانا ايضا اشعر بسعادة لا حدود لها."

"لقد غنيت اليوم منفردة ثلاث مرات من شدة فرحتى. ومازلت اشعر بالرغبة فى مواصلة الغناء."

"واصلى الغناء اذن."

وقدمت لها مشطين من الخيزران احدهما ناعم والآخر خشن، اخترتهما من بين الغنائم التى قررنا توزيعها على الاولاد فى قرية جوانجياولو.

"شكرا لكم ايها القائد! "

وتعلقت كوم سون بساعدى بدلع طفولى. والحقيقة، اننى شعرت بمنتهى السعادة وانا المس مشاعر الفرح تتدفق فى حركات وتصرفات الفتاة الانيسة الودودة التى لم تعرف الدلال أبدا.

"حسنا، يجب عليك ان تزورى امك فى الحال. ولكن يؤسفنى اننى لن اكون حاضرا على ما اعتقد لاودعك بسبب رحلتى الى منشوريا الشمالية."

وكانت تلك هى آخر كلمات قلتها لكوم سون.

عادت كوم سون الى مدرسة رابطة الاطفال بعد انتهاء عرض الفرقة الفنية فى جوانجياولو حين كانت المنظمة الثورية فى ياوينغكو على وشك ان تختار مراسلا جديرا لنقل وثيقة سرية للغاية الى المناطق التى يتواجد فيها العدو. اجرت المنظمة مناقشات جدية بشأن اختيار الشخص الاكثر وثوقا والارجح عقلا. وفى نهاية المطاف وقع اختيارها على كوم سون كشخص جدير بالقيام بالمهمة.

وتقبلت كوم سون تكليف المنظمة الثورية لها بمهمة الاتصال الخطيرة بكل سرور اذ رأت فيه دليل ثقة لا محدودة بها.

ويوم انطلاق كوم سون نحو مناطق العدو، ذهبت هان سونغ هى بها الى الجدول القريب حيث غسلت وجهها، وزينت شعرها بثلاث حبات من البلوط بحجم حبات العنب البرى وثبتتها بواسطة دبوس للشعر عوضا عن الشريط، وشدت رباط حذائها جيدا، وسوت تجاعيد تنورتها وكأنها عروس فى يوم الزفاف.

ورافقها اترابها من اعضاء رابطة الاطفال الى مشارف القرية لتوديعها.

مضت كوم سون على درب يخترق الغابة وهى تغنى:

الى اين انت ذاهبة ؟
الى آنزى امضى.
اى طريق تقطعين؟
طريق جبل جيتشينغلنغ.
ولماذا تذهبين؟
اذهب فى مهمة سرية.
ومن يرافقك ؟
اذهب بمفردى.

لقد ارتجلت كوم سون تلك الأبيات وهى تمضى فى طريقها خطوة فخطوة.

ضحك رفاقها وصفقوا فرحين لهذه الاغنية المرتجلة وراحوا يرددونها معا بصوت واحد يتردد رجع صداه فى وادى ياوينغكو.

نفذت كوم سون مهمتها على اكمل وجه. وبعد ذلك حاولت الذهاب الى المكان الذى قيل لها ان امها موجودة فيه. ولكن رجال الدرك اليابانيين اعتقلوها مع جماعة من البالغين فى الطريق.

وحين علم الاعداء انها قادمة من منطقة حرب العصابات، احسوا بالزهو، لاعتقادهم بانهم قد القوا القبض على "شيوعية صغيرة" يمكن ان تبوح لهم بمعلومات مهمة. ويبدو انهم كانوا يعرفون انها قادمة من ياوينغكو. وحيث ان مقر قيادة منشوريا الشرقية كان موجودا فى ياوينغكو، فقد ظنوا انهم سيتمكنون من الحصول على معلومات سرية اذا ما نجحوا من التودد اليها وملاطفتها.

فى الواقع، كانت كوم سون تعرف الكثير عن مناطق حرب العصابات مثل نشاطات الجيش الثورى وتحركات الكوادر، وقنوات الاتصال السرية بين مناطق حرب العصابات واشباه مناطق حرب العصابات، وعن الوضع المعيشى للسكان فى تلك القواعد وحالتهم المعنوية. وكونها اشتركت كثيرا فى نشاطات الفرقة الفنية فى مناطق العدو، فقد كان بامكان العدو ان يحصل منها على اسرار تتعلق بالمنظمات المحلية فيما لو نجح فى اخضاعها.

وبناء على هذه الاحتمالات، قرر العدو انتزاع كل المعلومات التى تهمهم. فحاول بادئ الامر اغراءها بالكلام المعسول والاطعمة اللذيذة ثم تحول الى اسلوب التهديد والتعذيب.

كنت قد قرأت رواية اجنبية عن طفل فى جزيرة يغريه العدو بساعة يد فضية، فيشى بمناضل مختبئ فى كومة من التبن. ولكن اباه نفسه يقتله بعد ذلك لخيانته. وما تريد ان تقوله تلك الرواية هو ان اغراء الطفل ليس بالامر الصعب فى الواقع. فالطفل قد يفتنه شىء ما او ينهار امام التهديد او التعذيب.

ولكن الاطفال الذين تربوا سياسيا من خلال ممارسة الحياة التنظيمية لا

ينهارون بسهولة. وليس بين اعضاء رابطة الاطفال طفل واحد باع معتقده السياسى مقابل المال. وعلى الرغم من ان سو كانغ ريوم ولى هون سو وريم هيونغ سام الذين ترعرعوا فى كنف حزبنا بعد التحرير كانوا صبية لا تتجاوز اعمارهم الثالثة عشرة او الخامسة عشرة، الا انهم كتموا جميعا اسرار المنظمة حتى وهم امام فوهات بنادق العدو.

كانت كوم سون مناضلة صغيرة لا تلين لها قناة، تصلب عودها وصار كالفولاذ فى معمعان الثورة المناهضة لليابان، فلم تنبس ابنة البلاد الصغيرة هذه ببنت شفة رغم ما تعرضت له من تعذيب وحشى تمزق معه جسمها الغض. واقتصرت فى الكلام على صب اللعنات على الجلادين.

قال لها ضابط الدرك الذى يستجوبها مهددا:

"سنقتلك اذا لم تتكلمى."

فردت عليه كوم سون:

"انك تثير اشمئزازى. ولن اتكلم مع قاطع طريق مثلك."

فقرر الجلادون المجرمون قتل كوم سون الصغيرة بسبب عدم افشائها اسرار الجيش الثورى.

قادوها الى ساحة الاعدام. وكان جسدها الصغير مضرجا بالدم. ومن رأوها يومئذ ضغطوا اسنانهم وارتعشوا سخطا وغضبا. وسالت الدموع انهارا فى سهل بايتشاوكو. لكن كوم سون صرخت بالاباء والامهات، بالاخوة والاخوات الذين ينتحبون اشفاقا عليها:

"ايها الآباء والامهات، لماذا تذرفون الدموع؟ توقفوا عن البكاء. سوف يبيد الجيش الثورى العدو حتما. ارجوكم ان تقاتلوا بكل حزم حتى يتم تحرير الوطن!"

كانت صرختها الاخيرة هذه تلخص بايجاز بليغ حياتها القصيرة التى لم تتعد التسع سنوات. ودوت صيحة كوم سون قوية جهورية فى ارجاء ساحة الاعدام: "ليسقط الاوغاد الامبرياليون اليابانيون!"، "عاشت الثورة الكورية!".

منذ بلغنى خبر استشهاد كوم سون، انقطعت عن زيارة مدرسة رابطة الاطفال مدة من الزمن. ولم ادر لماذا كنت اتردد هكذا فى الذهاب الى تلك المدرسة، وكلما فكرت فى المدرسة دون كوم سون، او الفرقة الفنية دون كوم سون، اشتد حزنى وازدادت شجونى. لقد انتزع العدو منى فراشة الفرقة الفنية، قبرة منطقة حرب العصابات المحبوبة جدا فى وانغتشينغ.

فمن ذا الذى سيحل محل كوم سون ويغنى بصوت عذب رنان ويرقص بحركات ايقاعية رشيقة مفعمة بالحيوية امام الناس فى منطقة حرب العصابات الذين يخوضون المعارك الدامية القاسية ؟! من ذا الذى سيستولى على قلوب ضباط وجنود جيش الانقاذ الوطنى بأداء الاغانى باللغة الصينية بطلاقة؟! ومن ذا الذى سيطالعنى بتلك الابتسامة المشرقة النابضة بالحياة كل صباح اثناء نزهتى وانا امتطى جوادى الابيض كما كانت تفعل كوم سون؟!

لقد اثار خبر استشهاد كوم سون الاليم سخط الجماهير الثورية فى منطقة وانغتشينغ. فاقيم حفل تأبين مهيب اجلالا لذكراها فى وادى ياوينغكو. والتحق عشرات الشبان والشابات الذين استشاطوا غضبا فى مختلف محافظات منشوريا الشرقية بصفوف الجيش الثورى الشعبى الكورى، عاقدين العزم على الانتقام لكوم سون.

وتسابقت المجلات التى يصدرها الكومنترن والدوريات الصينية واليابانية الى الحديث عن هذه البطلة الصغيرة التى لا نظير لها فى تاريخ النضال التحررى للشعوب المضطهدة فى العالم، واشادت بحياة كوم سون البطولية فى مقالة بعنوان "نبذة عن تاريخ الشهيدة الصغيرة". وهكذا، اصبحت كوم سون، قبرة منطقة حرب العصابات التى كانت تنشد الاناشيد الثورية بحماسة دافقة وهى تعبر الانهار الجارفة وتجتاز القمم الشاهقة بقدميها اللتين لا تزيدان عن حجم قبضة واحدة، اصبحت شخصية تستقطب اهتمام العالم وهى لم تتجاوز التاسعة من عمرها.

يسجل تاريخ بلادنا الحديث اسم الفتاة ليو كوان سون التى ضحت بحياتها من اجل الوطن. وحينما اذكر اسم ليو كوان سون اتذكر تلقائيا حركة الاول من آذار عام

"كيمي" (عام ١٩١٩–المترجم). كانت ليو كوان سون تتلقى العلم فى مدرسة ريهوا فى سيؤول، وعندما اغلقت المدرسة بسبب حركة الاول من آذار، عادت الفتاة الى مسقط رأسها تشونآن بمحافظة تشونغتشونغ الجنوبية حيث نظمت تظاهرات تطالب باستقلال الوطن وقادتها بنفسها، فاعتقلها رجال الدرك اليابانيون.

اصدر القضاة حكما قاسيا عليها وذلك بالسجن سبع سنوات. فاذا وضعنا فى الاعتبار ان ٣٣ من اوائل الداعين الى انتفاضة الاول من آذار الشعبية حكم على كل منهم بالسجن ثلاث سنوات كحد اقصى وسنة واحدة كحد ادنى وعلى بعضهم بالبراءة، فانه يمكن لنا ان ندرك بسهولة مدى قسوة المحكمة اليابانية فى معاملة تلك الفتاة ذات الستة عشر ربيعا. حتى ان الفلاحين فى القرى النائية لم يخفوا دهشتهم وسخطهم من الحكم الجائر، واعتبروه اقسى الاحكام الصادرة فى قضية حركة الاول من آذار الاستقلالية.

وبعد ان قضت ليو كوان سون نحبها فى سجن سودايمون، اطلقت عليها امتنا لقب "جان دارك كوريا" وما زالت تذكرها بمشاعر المحبة الحارة حتى الآن.

ولكن كوم سون لم تنل لقب شرف كهذا بعد، لانه لا وجود لبطلة تماثلها فى العمر، ولا وجود كذلك لطفلات اجترحن مآثر نضالية كالتى اجترحتها هى.

لا شك ان وجود ليو كوان سون بطلة حركة الاول من آذار، وكوم سون الطفلة البطلة، هو مصدر فخر وشرف لا تتمتع به سوى امتنا. لقد ظهرت مؤخرا رواية وفيلم سينمائى مقتبسان عن قصة كوم سون. ولكن هذا لا يكفى لنقل مآثرها للاجيال القادمة، ولن تكفى التماثيل البرونزية ولا حتى الذهبية لتخليد الاطفال الابطال من امثال كوم سون.

لقد نالت كوم سون الخلود رغم قصر حياتها. فتسع سنوات هى حياة قصيرة للغاية واشبه بحياة رأس قلم الرصاص. ولكن على الرغم من اختفائها بعد تألقها الخاطف كالبرق، فقد وصلت الى ذروة روحية لا يمكن بلوغها الا بعد حياة طويلة، واثبتت بمثالها كيف يجب على الانسان ان يعيش. هناك فى العالم عدد لا يحصى ممن عاشوا مئة سنة او يزيد، ولكنهم لم يتركوا شيئا يذكر لامتهم، اما

هى، التى لم تعش اكثر من تسع سنوات، فقد اجترحت مآثر ستخلدها الى الابد.

ويمكن القول ان تنشئة كوم سون كطفلة بطلة ذات ابعاد عالمية هى احدى فضائل الشيوعيين الكوريين.

لقد ربينا فى أتون الحرب المناهضة لليابان عددا كبيرا من الابطال الصغار، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: كيم كوم سون، زون كى اوك، موك وون سيك، كانغ ريونغ نام، باك ميونغ سوك، باك هو تشول، هو زونغ سوك، لى كوانغ تشون وكيم دوك بونغ... وجميعهم سقطوا شهداء.

"ارجوكم ان تقتلونى طعنا بالحراب لا رميا بالرصاص، وان ترسلوا تلك الرصاصات الى جيش حرب العصابات! "

هذه كلمات مشهورة قالها زون كى اوك، عضو رابطة الاطفال فى هونتشون، لرجال شرطة منشوكو العميلة وهو على منصة الاعدام بعد ان اعتقله العدو اثناء تنفيذه مهمة اتصال.

هذه الروح الثورية السامية التى جعلته يفكر فى جيش حرب العصابات والانتصار فى الحرب المناهضة لليابان، قبل ان يفكر بحياته، فى تلك اللحظات المشحونة بالتوتر والرعب، وجعلته يتغلب على الخوف من الموت قبيل الاعدام، قد هزت بعنف حتى قلوب الجلادين.

كما ان مأثرة موك وون سيك جديرة هى الاخرى بالافتخار امام العالم كله. لقد استجوب العدو هذا الصبى فى مركز التفتيش فى جيتشينغلنغ بينما كان فى طريقه من يونغتشانغدونغ الى بينغكانغ وهو ينتعل صندلا من القش يخبئ فيه رسالة سرية. جن جنون العدو لانتزاع الاسرار منه ففتش جسمه كله، وعندما خلعوا صندله الايسر، دفع موك وون سيك الجندى الذى كان يستجوبه بعنف واندفع نحو المخفر فى لمح البصر ودس فى الموقد قدمه اليمنى حيث كان يخفى الرسالة السرية وقد فطن العدو الى ذلك، فجعل يضربه بلا رحمة، محاولا ابعاده عن الموقد. لكن موك وون سيك تحمل تلك الضربات وتشبث بعتبة الموقد بقوة ولم يخرج قدمه من النار الى ان احترق صندله القشى وقدمه وساق بنطاله.

نقلـه الاعـداء الـى المسـتـشفى وقامـوا بحقـنـه فـى صـدره، وانتظـروا ان يـستعيد وعيه. كانـوا مصممين على انتزاع الاسرار منه بأى ثمن. ولكنه لفظ انفاسه الاخيرة، دون ان ينبس ببنت شفة.

كـان جمـيع اعـضاء رابطـة الاطفـال وطـليعة الاحـداث الـذين سـاندوا النـضال المسلح المناهض لليابان علـى الجبهة الامامية ابطالا ميامين يمثلون الجيل الاصغر من الرعيل الاول لثورتنا.

فـى ايامـنا هذه ايضا، تعتبـر ثورتـنا رابطـة الاحـداث جنبا الـى جنب مـع اتحـاد الشباب العامل الاشتراكى كمصدر احتياطـى موثـوق لحزب العمل. وهذا هو السبب فـى اننـا نجمـع افضل كنوز بلادنـا لكـى نبنـى قـصورا للاطفـال، ولا نـبخل بالمـال من اجل تربيتهم.

وهـذا هـو الـشعور الـذى يدفعنـى لالـح علـى كـوادرنا بـان يـحبوا الجيل الـصاعد. واكـرر دائمـا ان الاطفال هم "ملوك" البلاد. فالثورة التى لا تهتم باجيالها الصاعدة لا مـستقبل لهـا، ومـن الـسخف الاعـتقاد بـان ثورة من هذا النوع يمكنها ان تحقق اى مثل عليا باهرة.

فـى الطـرف الآخـر مـن عالمـنا يتفشى فـى هـذه الايـام وبـاء خطيـر يتمـثل فـى الابـيقورية (مـذهب اللـذة دون اى معانـاة). وتـتغلغل الانانـية المفـرطة فـى وعـى عدد كبيـر مـن الـناس حيـث لا يهـتم احـدهم الا بترفه الشخصـى، دون اى اعتبـار لمـصالح الاجيال الآتية. وهنالك من يرفضون انجاب الاطفال بدعوى انهم مصدر ازعاج لا لـزوم لـه، والاسـوأ مـن ذلـك ان بعـضهم يرفـضون الـزواج ايـضا. صـحيح ان لكـل انـسان الحـرية فـى انجـاب الاطفـال او تكـوين الاسـرة. ولكـن، هـل ثمـة سـعادة دون انجاب ابناء؟

ان التحـريفيين المتـسممين بـسموم الانانـية المتطـرفة وبمفهـوم حـياة اللـذة لا يهتمون بـالاجيال الفتية، بل هم على العكس من ذلك تماما، يعملون علـى تجريدها من السلاح الروحى ويلقون بها بقسوة تحت رحمة الشرور والآفات الاجتماعية.

اذا كـان الاطفـال الـذين هـم فـى نحـو العاشـرة مـن اعمـارهم يحقـدون علـى آبائهم

وحكومة بلدهم ويذرفون الدموع ازاء هذا الواقع الاجتماعى المربك، فان الثورة فى ذلك البلد هى دون شك ثورة بلا مستقبل.

وحين لا يبخل كوادرنا بالوقت والمال، ولا بالحماسة والجهد، فسوف تنجب ثورتنا عددا اكبر من امثال كيم كوم سون وزون كى اوك وموك وون سيك.

لقد تعرضت اسرة كوم سون باعتبارها عائلة ثورية حقيقية لمآس مفجعة فى اتون الحرب المناهضة لليابان. فقد قاد ابوها المنظمة الثورية السرية فى وانغيوكو الى ان جرى اغتياله بتهمة "المينسواينغدانية". واستشهدت امها ببطولة وهى تدافع عن قاعدة حرب العصابات.

عندما كان والد كوم سون على قيد الحياة، كنت اكلفه بالكثير من المهمات الصعبة. وقد كان رجلا فولاذى الطبع، ينفذ اى مهمة مهما كان الثمن. لقد سقط خمسة من افراد هذه الاسرة، بما فيهم كوم سون، شهداء فى النضال. فأين وجه الشبه بين اسرتها واسرة ليو كوان سون!؟

وعلى الرغم من قسوة القدر على تلك الاسرة، الا انه ترك واحدا من نسلها ليواصل تلك السلالة الرائعة. فقبل ان تسقط امها فى ساحة المعركة، تركت فى كنف الجيران طفلا فى الثانية من عمره. وقد نجا اخو كوم سون الصغير المدعو كيم ريانغ نام بما يشبه المعجزة.

وقد كان الرفيق كيم جونغ إيل هو من عثر عليه واطلعنى على نبذة عن حياته.

فبعد تخرجه من جامعة الموسيقى، عمل كيم ريانغ نام مؤلفا موسيقيا فى استوديو الافلام الوثائقية. وحين قرأ فى احدى المطبوعات الرسمية ان اباه قد اعدم بتهمة "المينسواينغدانية"، سيطر عليه القلق وخشى ان يتعرض للادانة والنبذ الاجتماعيين.

ولكننى قدمت الضمان بان والده لم يكن عضوا فى "مينسواينغدان"، وانما ثوريا حقيقيا.

ومنذ ذلك الحين، انصرف كيم ريانغ نام الى معاونة الرفيق كيم جونغ إيل بكل همة ونشاط وعمل كمشرف وموجه لمجال الادب والفن فى لجنة الحزب المركزية.

فكان يملك موهبة موسيقية فطرية ويتصف بالحمية التى لا تعرف الكلل او الملل شأن اخته كيم كوم سون. ان هذا الراعى السابق الذى كان يتمثل المآسى المتراكمة على الشعب المحروم من وطنه ويسبكها فى الحان حزينة يعزفها بكل جوارحه بمزمار من القصب، قد نذر نفسه قلبا وقالبا وواصلا الليل بالنهار لابداع الاوبرات بغية احياء الفنون الموسيقية الثورية الاصلية.

وقد كان كيم ريانغ نام احد المساهمين النشيطين الذين عملوا تحت قيادة الرفيق كيم جونغ إيل، لتأسيس فرقة مانسوداى الفنية وتطويرها كفرقة مشهورة عالميا. وفى شهر شباط ١٩٧١، بدأت هذه الفرقة بتقديم اول عروضها التاريخية فى اراضى كوبا، فى النصف الغربى من الكرة الارضية، وعلى بعد آلاف الكيلومترات عن وطننا. وكان كيم ريانغ نام حينئذ نائب رئيس البعثة للشؤون السياسية.

لقد احاط الرفيق كيم جونغ إيل هذا الناجى الوحيد من اسرة كوم سون برعاية ومحبة دافئة كواحد من ذويه المقربين، فقد تأثر بماضيه المؤلم اذ عاش يتيما وهو فى الثانية من عمره، يرضع الحليب من صدر امرأة اخرى غير امه، وامضى طفولته وصباه بالعمل خادما.

وحين اصيب كيم ريانغ نام بمرض عضال، شكل الرفيق كيم جونغ إيل جماعة طبية من عشرات الاختصاصيين المشهورين، وكلفها بخوض معركة حقيقية ومركزة ضد هذا المرض؛ وارسل الى كل سفارات بلادنا فى الخارج ملفا عن مرضه لكى تحصل له على اكبر قدر من الادوية الفعالة، وبعث بطائرات خاصة الى البلدان المتطورة فى صناعة الادوية لجلب الدواء منها.

وبفضل هذه الرعاية الفائقة، اجريت لكيم ريانغ نام اكثر من عشر عمليات جراحية، وتمكن من العيش سنتين اخريين تقريبا.

لقد مات كيم ريانغ نام وهو فى الاربعين من عمره، اى انه عاش اربعة اضعاف ما عاشته اخته. ولكن، يمكن القول ان حياته كانت قصيرة جدا بمقاييس عصرنا الذى يحفل بعدد كبير من المعمرين. فاذا كانت فلسفة الوجود الانسانى المتوارثة منذ اقدم العصور، والقائلة ان "الجميل سىء الطالع" هى حقيقة مؤكدة،

فان واجبنا هو العمل لالغائها من اجل احبائنا الكثر من امثال كيم كوم سون وكيم ريانغ نام الموجودين على كوكبنا الارضى. لقد تخرج ابن كيم ريانغ نام الثانى من كلية التأليف الموسيقى بجامعة بيونغ يانغ للموسيقى والرقص التى درس فيها ابوه. وقد خطا خطواته الاولى فى مجال الابداع الفنى فى فرقة مانسوداى الفنية. وهو يغنى الآن اغنيات الثورة، مقتفيا أثر جديه وعمته وابيه.

وهكذا تستمر ثورتنا التى شق الاسلاف دربها بدمائهم، وتتواصل مسيرتها العظيمة دون توقف جيلا بعد جيل لتحقيق النصر النهائى.

لقد استشهدت كوم سون، ولكن روحها مازالت تنبض اليوم فى قلوب من يقتفون أثرها مظهرين حيويتها نفسها حين كانت تطوف متنقلة ببراءة ما بين وديان ماتشون وياوينغكو.

الفصل التاسع   الحملة الاولى الى منشوريا الشمالية

(تشرين الاول ١٩٣٤ــ شباط ١٩٣٥)

١ــ الجيش الثورى الشعبى الكورى

ان احد ابسط المفاهيم السياسية هو القائل انه حيث يوجد شعب توجد بلاد، ولا بد لهذه البلاد من جيش يحميها. وجميع دول العالم الكبيرة والصغيرة، باستثناء موناكو وبعض البلدان الاخرى ذات الظروف الخاصة، لها جيوش وطنية تدافع عنها. وقد كانت بضع طلقات من المستعمرين كافية لتجريد عدد كبير من الامم الصغيرة والضعيفة من سيادتها، واخضاعها لنير العبودية لقرون عديدة، والسبب الاساسى فى ذلك هو افتقارها الى قوات مسلحة خاصة بها او عدم فعالية تلك القوات.

لقد منى جيش كوريا القديمة، هو الآخر، بالهزيمة ولم يستطع الدفاع عن البلاد. على الرغم من انه لم يكن يتورع حتى عن اشد اعمال البطش شراسة لقمع الاضطرابات الداخلية، الا انه سرعان ما تهاوى امام العدو الاجنبى ولم يبد سوى مقاومة ضعيفة ودون ان يطلق نيران مدافعه كما يجب. خلاصة القول، لقد حاق ببلادنا الدمار بسبب ضعف قواتها المسلحة، ناهيك عن فساد سياسة الدولة.

وبغرض استعادة البلاد المغتصبة، قام الرواد الكوريون بتنظيم جيش الاستقلال. ولا مناص لامة حرمت من سيادتها ان تشكل جيشا لاسترجاع تلك السيادة المسلوبة.

لقد شن القوميون مقاومة مسلحة طوال سنوات عديدة بتنظيمهم جيش الاستقلال، كما سدد الشيوعيون الكوريون بدورهم ضربات قاصمة للغزاة الامبرياليين اليابانيين بتشكيلهم جيش حرب العصابات. فصفوفنا المسلحة التى كانت جيش حرب عصابات سريا صغير الحجم عندما خطت اولى خطواتها على طريق مناهضة اليابان الطويل ما لبثت ان اصبحت بحجم فوج فى كل محافظة من محافظات تشينتاو.

بعد ان خبا وميض الحملة "التأديبية " الشتوية، ادركنا الضرورة الملحة لتحويل جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان الى جيش ثورى شعبى، فناقشنا سبل ذلك بالتفصيل مع قادة وحدات جيش حرب العصابات العاملة فى المناطق الاخرى. فمسألة دمج افواج حرب العصابات العاملة فى سائر المحافظات فى جيش واحد طرحت نفسها كمسألة حيوية لا تحتمل مزيدا من التأجيل، سواء على ضوء متطلبات الوضع ام من منظور قانون التطور الحتمى لجيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان.

كما كان ذلك التحول اجراء ثوريا يكفل وجود قيادة موحدة لوحدات حرب العصابات التى توسعت وازدادت قوة، ويتيح بالتالى مضاعفة قدرتها القتالية ومقاومتها الفعالة لهجوم الامبريالية اليابانية واسع النطاق.

لقد طرحت مسألة الجيش الثورى للبحث اول مرة فى اجتماع مينغويكو. فبعد ان ناقشنا يومئذ الآفاق المستقبلية لجيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان، قررنا تشكيل هذا الجيش بحجم كتيبة اولا والعمل فيما بعد على تطويره كما ونوعا الى ان تتوفر الشروط لتحويله الى جيش ثورى كبير. صحيح ان هذه المسألة لم تكن بندا اساسيا مطروحا على جدول اعمال الاجتماع، الا ان المندوبين ناقشوها باستفاضة داخل قاعة الاجتماع وخارجها. وكان او بين وباك هون من اشد المتحمسين لقيام الجيش الثورى المؤلف من وحدات كبيرة.

جرت العادة، كما هو معروف، ان تبدأ قوات المقاومة المسلحة فى المستعمرات وفى اشباه المستعمرات بوحدات صغيرة الحجم اولا، واتخاذ تلك الوحدات كقاعدة

تتوسع تدريجيا ريثما تنضج الظروف لدمجها فى جيش واحد. فقد ابحر كاسترو من منفاه فى المكسيك عائدا الى كوبا مع قوة قوامها ٨٢ رجلا، ولم يبق منهم بعد النزول الى البر الا ١٢ رجلا معهم ٧ بنادق، ولكنهم وسعوا صفوفهم وعززوا قوتهم فى جبال سييرا مايسترا وزحفوا بعد ذلك الى هافانا واسقطوا دكتاتورية باتيستا الموالية للولايات المتحدة كالصاعقة.

واعتبارا من النصف الثانى من عام ١٩٣٣، صارت مسألة دمج قوات حرب العصابات واقامة نظام قيادة موحدة لها موضع مناقشات مهمة فى تشينتاو. كما كانت هذه المسألة احد الدروس التى تمخضت عنها عمليات ماتشون لاحباط حملة العدو "التأديبية " الشتوية والمعارك الدفاعية البطولية التى دارت رحاها على مساحة واسعة تقدر بعشرات آلاف الكيلومترات المربعة.

وفى جلسة استعراض نتائج العمليات العسكرية، لم يكن اى من آمرى السريتين الثانية والثالثة اللذين اشتركا معنا فى المعارك الدفاعية لمدة ٩٠ يوما فى منطقة سياووانغتشينغ من القى خطابا ناريا حول موضوع التعاون بين السرايا ودمج الوحدات، وانما فعل ذلك هان هونغ كوون الذى كان بعيدا عن منطقة العمليات. وقد اوضح ان سريته كانت مكلفة اثناء عملية ماتشون بوقف تقدم العدو الى منشوريا الشرقية عبر جبال لاويلنغ، الا ان سريته لم تشتبك مع العدو ولو مرة واحدة ولم تقم بأى عمل يذكر لمؤازرة الوحدة الرئيسية. وبعبارة مقتضبة، كان على سريته ان تضرب العدو من الخلف وهو منهمك فى شن الحملة "التأديبية" على قواعد حرب العصابات، ولكنها لم تفعل ذلك، بل انها لم تكن قادرة على ذلك.

واذ سمعنا كلامه، فكرنا فى الامر مليا من مختلف جوانبه. لقد انتقد هان هونغ كوون نفسه فى خطابه، بيد انه لم يكن يستأهل النقد فى الحقيقة. فقد كان ضابطا ممتازا انجز مهمته بمسؤولية عالية.

اذن، لماذا اعتبر نفسه ضابطا يفتقر الى الواجب الاخلاقى والروح الثورية والبصيرة الثاقبة؟ وما هو الشىء الذى يريد التنبيه اليه فى جلسة المراجعة هذه ؟ حينما كان هان هونغ كوون يشتكى من انه لا يتمتع ببعد النظر، استخلصت بدورى

عبرة جديدة من عملية ماتشون انطلاقا من موقعى كقائد له. كانت تلك العبرة تقتضى استحداث جهاز للقيادة وهيئة للاركان يضمنان بصورة موحدة التعاون الجيد والتنسيق ما بين السرايا بما ينسجم وتطور سير المعارك الذى يتبدل بسرعة، وبعبارة اخرى، اقامة نظام موحد للقيادة. وكانت مطالبتهم باقامة هذا النظام تتلخص فى التحليل الاخير باقامة نظام عسكرى موحد عن طريق دمج جميع وحدات جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان.

خلال معارك التصدى للحملة "التأديبية" الشتوية، خاضت جميع وحدات حرب العصابات المتبعثرة فى مختلف المناطق معارك عنيفة كل على حدة، ودون اى تنسيق او تعاون متبادل.

ففى محافظة هيلونغ على سبيل المثال، بدأ العدو الحملة "التأديبية" على قاعدة حرب العصابات فى يولانغتشون فى اوائل تشرين الثانى عام ١٩٣٣، وقد احبطت هذه الهجمة مؤقتا بعد ان تعرض العدو لضربات شديدة. ثم تلاها الهجوم الثانى الذى دام ثلاثة ايام فقط فى اواخر تشرين الثانى. وكان ذلك هو كل شىء. وتدل المعطيات على ان هذا الهجوم جاء قبل خمسة عشر يوما من الهجوم على سياووانغتشينغ. فلو ان وحدات حرب العصابات فى المحافظات الاخرى التى كانت خارج المعركة حينذاك، عملت بمبدأ التعاون ووجهت ضربات للعدو من الخلف، لكانت المعركة اسهل بالنسبة لجيش حرب العصابات فى يولانغتشون.

ويمكن قول الكلام نفسه بالنسبة للوضع فى محافظتى آنزى وهونتشون.

علام يدل ذلك؟

ان ذلك يشير الى انه لو كان هناك نظام موحد للقيادة وهيئة للاركان تحرك وحدات حرب العصابات فى كل المحافظات والمناطق بصورة موحدة على ضوء اختلاف مواعيد الحملات "التأديبية " على مختلف مناطق حرب العصابات، لتمكنت جميع الوحدات من خوض المعارك بسهولة نسبية من خلال تنسيق الخطوات فيما بينها واعتمادا على السلاح الفعال فى التعاون المتبادل.

مع ذلك، وحيث ان قيادة جيش حرب العصابات كانت تتم فى تلك الظروف

علـى مستوى المحافظـة او الدائـرة، فانـه لـم يكن بـالامكان اقامة علاقات تعاون فعال. وهذا ان دل على شيء، فانما يدل على ان نظام قيادة جيش حرب العصابات فى فترة الحملـة "التأديبية " الشتوية كانت تعتوره بالفعل محدودية لا تلبى متطلبات الواقع. حتـى ذلـك الـوقت، كانـت قـيادة جـيش حـرب العـصابات ملقـاة علـى عاتـق الاقـسام العسكرية فـى اللجـان الحـزبية علـى مختلف المستويات. ونظـرا لان المعـارك كانـت تجـرى علـى نطـاق ضـيق فقط ابـان الفتـرة الاولـى مـن حـرب العـصابات حيث لم تكن القوات المسلحة تزيد عن حجم سرية او سريتين فـى المحافظة الواحدة، فكان نظام قيادة الجيش على مستوى المحافظة او الدائرة مناسبا تماما.

ولكن، مـع توسـع صفوف جيش حـرب العـصابات، وازديـاد اعداد قـوات العدو "التأديبية " التـى لـم تعـد بـضعة مـئات وانمـا آلاف وعشرات آلاف الجـنود، لـم يعـد بالامكـان الاقتـصار علـى المعـارك الـصغيرة. لان المعـركة لـم تعد كذلك رهن مشيئة احـد الطـرفين المتحـاربين. ونظـرا لان العـدو كـان يـضاعف عدد قواته ويستفزنـا دون توقف، فانه لم يعد امامنا من خيار آخر سوى الرد عليه بالمثل.

عندما كـان العدو يعبـئ قـوات بحجم فرقة او لواء او فوج ويزجها ضدنا، كنا نرد عليه منفردين وكل فـى منطقته، دون ان نـوحد قوانا او نساعد جيراننا. فهل كان علينا ان نواصـل القتال بهذه الطـريقة؟ عندما كنا نـهاجم مدينـة كبيـرة او مركز محـافظة، كنا نحشد الـرجال مـن مختلـف المحـافظـات ونقاتـل العدو بقوات مركزة، فلماذا اذن نخوض المعارك الدفاعية منفردين كل فى محافظته او منطقته لحرب العصابات؟

كانت هذه الفكرة تسيطر على ذهنى قبل عملية ماتشون وبعدها.

بكلمـة موجـزة، كانـت حـركة حـرب العـصابات تـتطلب هيكلية جديدة تـتلاءم مع مـضمونها وحجمهـا. وكـان عليـنا اتخـاذ اجـراءات جذريـة كفيلة بتوحـيد الـوحدات المسلحة المنتـشرة فـى المحافظـات والدوائر علـى نسق واحد. والسبيل الى تحقيق هذا المطلـب باسـرع مـا يمكـن كـان دمـج كافـة وحـدات جـيش حـرب العـصابات الـشعبى المناهض لليابان واعادة تنظيمه على هيئة جيش ثورى مؤلف من وحدات كبيرة.

وكانـت الرسـالة المـوجهة مـن آمـر السرية الرابعة المرابطة فى ياوينغكو توحى

الينا، هى الاخرى، بالشىء ذاته. فحين لم يتمكن من حضور جلسة مراجعة عملية ماتشون، بعث برسالة مع مراسله او زين وو. وبعد تقويم عملية ماتشون فكرت جديا فى مسألة دمج وحدات حرب العصابات الشعبية المناهضة لليابان.

وقد ناقشت هذه المسألة عدة مرات مع زو زين وريانغ سونغ ريونغ.

ذات يوم، زرت ريانغ سونغ ريونغ فى بيته، واخذت اعزف على الغيتار. ولم افعل ذلك لانى كنت سعيدا ومطمئنا. بل لقد كنت مكتئبا جدا فى الواقع. فعلى الرغم من انتصارنا فى عملية ماتشون، الا ان منطقة حرب العصابات كانت تئن وتنوح من الالم الممض. فقد مات عدد كبير من الرفاق الذين كانوا يشاطروننا الافراح والاتراح. ولم يكن من السهل على الاطلاق اعادة بناء البيوت التى تحولت الى رماد وتنظيم الحياة من جديد.

لقد ذهبت الى بيت ريانغ سونغ ريونغ وانا انوى مناقشة بعض الامور العسكرية معه. لكنه استقبلنى بوجوم هو الآخر. كان آمر الكتيبة السابق غاضبا جدا لانه سجن بتهمة الانتساب الى "مينساينغدان". وعلى الرغم من انه نال حريته بصعوبة بفضل كفالتنا له، الا انه لم يعد الى منصبه ثانية. فصار يعمل على توفير المؤن الغذائية مترددا على سياووانغتشينغ ولوزوكو. ومنذ ان قتلت زوجته ووالدته خلال احدى الحملات "التأديبية "، غدا رجلا صموتا كتوما اكثر من ذى قبل.

ما ان طرحت موضوع تنظيم جيش ثورى مؤلف من وحدات كبيرة حتى ابدى حماسة غير عادية واعتراه شعور بالفرح والحماس لم يستطع اخفاءه.

"ارى ان جذر المسألة هو بحث الطريقة والمنهج لدمج الوحدات."

لقد عبر عن دعمه لتشكيل الجيش دون ان يقول نعم او لا. وكان اكثر ما يقلقه هو كيف سينظر الى الامر بعض ذوى الميول الشوفينية الذين يقرعون باستمرار طبول الحرب ضد "مينساينغدان".

وقد كان لقلق ريانغ سونغ ريونغ ما يبرره. فتلك هى بالذات العقبة الكأداء التى يعانى منها الشيوعيون الكوريون، والخصوصية التى تحتم عليهم ان يذللوا المصاعب بجرأة ومثابرة وبمنتهى الدقة والاحتراس.

وقتذاك، كان "الخط الدولي" يسيطر على كل المسائل المطروحة فى الحركة الشيوعية ونضال التحرر الوطنى، وفقا لمبادئه ومعاييره الخاصة، ويفرض ارادته على الآخرين. وكانت التقاليد والتطلعات الوطنية موضع هجوم صارم منه باعتبارها ميولا قومية بمجملها، وذلك تحت ذريعة المصالح الطبقية والتضامن الاممى المزعومين. فى ظروف كهذه، لم يكن من السهل على الشيوعيين الكوريين الذين كانوا مضطرين الى القيام بالثورة فى ارض اجنبية ان ينقلوا خطة بناء قواتهم المسلحة المستقلة الى ارض الواقع.

ولقد وافقنى زو زين ايضا على ضرورة دمج وحدات جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان واعادة تنظيمه ليتحول الى جيش ثورى مؤلف من وحدات كبيرة. فما ان طرحت هذه المسألة على زو زين الشهم والمنفتح، حتى قال لى وهو يلوح بقبضته انه بات من الضرورى خوض معارك كبيرة من خلال دمج الوحدات. وقد اعجبتنى كثيرا عبارته عن خوض المعارك الكبيرة فى الواقع، وما كنت لاسمعها الا من زو زين، ذلك الشخص الرجولى الذى كان موضع تقدير ومحبة جميع الكوريين فى تشينتاو.

واوضح انه اذا ما تشكل جيش ثورى مستقل من دمج جميع الوحدات، فقد يتهموننا بنزعة "مد الثورة الى كوريا"، ولكن علينا ان ننجز هذه المهمة باسرع ما يمكن، غير عابئين بتلك الاتهامات.

بل ان تونغ تشانغ رونغ وامثاله اعربوا عن تأييدهم لفكرتنا. فقد قال ان جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان فى منشوريا الشرقية هو قوات مسلحة نظمها الشيوعيون الكوريون بانفسهم، ويشكل الكوريون غالبيته الساحقة، ولا بد ان يغدو فى نهاية المطاف قوات مسلحة ثورية لكوريا تخدم اهداف الثورة الكورية على الرغم من وجوده على الاراضى الصينية.

كان هذا التقييم الذى ادلى به تونغ تشانغ رونغ تقييما عادلا وتقدميا فى ذلك الحين، حيث كان مجرد الحديث عن الثورة الكورية يوصم فى الحال بانه تعبير عن الميول القومية.

وكما اشار تونغ تشانغ رونغ بشكل صائب، فقد ادى الشيوعيون الكوريون، بمن فيهم لى هونغ كوانغ ولى دونغ كوانغ فى منشوريا الجنوبية وهو هيونغ سيك وكيم تشايك ولى هاك مان وتشاى يونغ كون فى منشوريا الشمالية، ناهيك عن منشوريا الشرقية، أدوا دورا طليعيا ورئيسيا فى بناء الحزب فى مناطق منشوريا، كما انهم قاموا بدور الرواد والدعاة الرئيسيين والقادة فى بناء الجيش ايضا. كان الشيوعيون الكوريون يشكلون الاغلبية الساحقة من الضباط والجنود فى الجيش.

لكن تونغ تشانغ رونغ نصحنا بتبنى الاشكال والمناهج المناسبة للمساعدة والتكامل المتبادل وبما يعزز عرى التضامن مع الشيوعيين الصينيين عند انشاء الجيش، قائلا ان ذلك سيعود بالنفع على الطرفين الكورى والصينى على حد سواء.

كما اعرب بان سونغ وى مبعوث الكومنترن، هو الآخر، عن تأييده الفعال وأكد ان مسألة تشكيل جيش ثورى مؤلف من وحدات كبيرة هو توجه صائب يتفق وخط الكومنترن.

وهكذا، فان جميع العقلانيين بدءا من ريانغ سونغ ريونغ الذى كان الى جانبى فى قيادة كتيبة وانغتشينغ، مرورا بزو زين الذى ترقى الى منصب قائد الفرقة الاولى المستقلة التابعة للجيش الثورى الشعبى فيما بعد، وتونغ تشانغ رونغ من اللجنة الحزبية الخاصة لمنشوريا الشرقية، وانتهاء ببان سونغ وى مبعوث الكومنترن، اتفقوا فى الرأى بشأن تحويل جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان الى جيش ثورى مؤلف من وحدات كبيرة. كما وافقونا الرأى، بشكل عام، حول تسمية هذا الجيش وتحديد طابعه.

وفى شهر آذار عام ١٩٣٤، طرحت رسميا هذا التوجه الذى يتطابق مع اهدافنا النضالية وطابع القوى السياسية المضطلعة بتحقيقه.

كانت تسمية جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان بجيش حرب العصابات العمالى الفلاحى فى بعض مناطق منشوريا الشرقية للتأكيد على الطابع الطبقى فى بادئ الامر، لا تتفق مع طابع ثورة الشيوعيين الصينيين فى شمال شرقى

بلادهم، ناهيك عن طابع ثورتنا التى طرحت التحرر الوطنى والاستقلال كمهمة اولى لها قبل التحرر الاجتماعى.

واستعدادا لاعادة تنظيم جيش حرب العصابات المناهض لليابان على هيئة جيش ثورى شعبى، طور الشيوعيون الكوريون فى مناطق منشوريا الشرقية، بالاشتراك مع الشيوعيين الصينيين، كتائب جيش حرب العصابات العاملة فى المحافظات كافة الى افواج. فبلغ مجمل القوات المسلحة لجيش حرب العصابات فى مناطق تشينتاو خمسة افواج.

استحدثنا فى كل فوج شعبة سياسية مهمتها التوجيه الحزبى، وهيئة اركان مهمتها وضع العمليات والاستطلاع والاتصالات، وادارة للتموين تتولى امور الكساء والغذاء والطبابة.

وكان فوج وانغتشينغ هو اول فوج جرى تشكيله فى مناطق منشوريا الشرقية، والثمرة الاولى لاول مرحلة من العمل التحضيرى لاعادة تنظيم جيش حرب العصابات المناهض لليابان وتطويره الى جيش ثورى شعبى.

وكنا قد حددنا انشاء نظام الفرق كهدف لنا فى المرحلة الثانية.

فخلال عملية ماتشون، لمسنا الضرورة الملحة لنظام الفرق. لقد كانت مواجهة جيش معاد ضخم يصل تعداده الى خمسة آلاف جندى بقوة لا تتجاوز السريتين، امرا لا نظير له فى تاريخ الحروب فى العالم. وحتى عندما كنا نتغلب على المصاعب التى تواجه منطقة حرب العصابات بشن عمليات لارباك مؤخرة العدو بالاعتماد على الوحدات الصغيرة، كنا نأمل دائما بان تكون لدينا قوات مسلحة على مستوى الفرقة على الاقل، ان لم تكن على مستوى الفيلق وكنا نفكر كم سترتفع معنوياتنا فيما لو تسنى لنا العمل فى وحدات كبيرة تملك المدافع وآلاف الجنود!

وهكذا صار تشكيل الفرق مهمة اساسية لا تحتمل التأجيل بعد تنظيم الافواج فى المحافظات المختلفة وتوسيع صفوفها بسرعة فائقة.

كان هدفنا الآنى انشاء فرقتين وفوج مستقل فى كنف الجيش الثورى الشعبى الكورى، ثم تعميم ما يتحقق من نجاحات لانشاء عدة فرق من القوات المسلحة فى

المستقبل. ومن اجل هذا الهدف، قررنا بشكل مبدئى انشاء فرقة من فوجى آنزى وهيلونغ وتشكيل فرقة اخرى من الفوجين العاملين فى هونتشون ووانغتشينغ.

فى سياق اعادة تنظيم جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان وتحويله الى الجيش الثورى الشعبى، تم استحداث لجنة حزبية خاصة بالجيش كجهاز قيادى جديد، ولم تكن مهمتها الكبرى هى توجيه المنظمات الحزبية داخل الجيش وحسب، بل توجيه المنظمات الحزبية فى المناطق التى يسيطر عليها الجيش كذلك. ذلك لان المنظمات الحزبية المحلية كانت فى وضع يتعذر عليها معه الحفاظ على وجودها بدون حماية القوات المسلحة. وقد كانت المنظمات الحزبية المحلية، حتى ذلك الوقت، هى التى توجه المنظمات الحزبية داخل الجيش.

لقد تمت اعادة التنظيم خلال مدة قصيرة للغاية، لم تتجاوز الثلاثة شهور (من آذار حتى ايار عام ١٩٣٤).

وما ان انتشر هذا الخبر، حتى ابدت جماهير الشعب فى مناطق حرب العصابات استعدادها لمساعدة الجيش بحماسة من خلال المهرجانات والاجتماعات المعبرة عن ترحيبها بهذا الجيش.

فطرزت النساء فى وانغتشينغ علما تذكاريا للتهنئة كى يقدم الينا، وكلف اتحاد الشباب الشيوعى الفرقة الفنية لرابطة الاطفال بتقديم عرض فنى ونظم مباريات رياضية مختلفة بهذه المناسبة.

وفى منطقة حرب العصابات فى سانداوان بآنزى، اقيمت احتفالات جماهيرية وتظاهرات حاشدة شارك فيها اكثر من الف شخص بينهم مندوبون عن المناطق الواقعة تحت سيطرة العدو.

بتشكيل الجيش الثورى الشعبى الكورى، ازدادت قناعة ابناء الشعب اكثر فاكثر بامكانية استعادة الوطن، وعقدوا عزمهم الراسخ على المشاركة فى الحرب الثورية المناهضة لليابان، متلاحمين مع الجيش فى كيان واحد.

وقد اتاحت لنا اعادة تنظيم الجيش فتح الطريق واسعا للقيام بعمليات نشطة للوحدات الكبيرة، والتنقل بكل حرية فى مناطق اكثر اتساعا. ولو لم نعمد الى اعادة

التنظيم او لم ننشئ القوات المسلحة المؤلفة من وحدات كبيرة فى الوقت المناسب لما استطعنا ان ننتصر فى بوتشونبو، ذلك الانتصار الذى كان الشعلة التى اضاءت سماء الوطن المكفهرة، ولما استطعنا ان نتذوق بهجة الانتصارات المتتالية فى المعارك التى دفعنا فيها خيرة وحدات العدو الى هوة الهلاك داخل الوطن وفى سائر انحاء منشوريا، بما فيها فوسونغ وجيانسانفينغ وهونغتوشان وليمينغشوى ودايهونغدان وهونغيهى، ولما استطعنا ايضا ان نحبط عمليات الحصار السيئة الصيت التى هددت مناطق حرب العصابات اثر الحملة "التأديبية" الشتوية.

وباعادة تنظيم جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان وتحويله الى الجيش الثورى الشعبى الكورى، اظهرنا بجلاء فى داخل الوطن وخارجه ارادة الامة الكورية فى تحقيق استعادة الوطن بالنضال المسلح مهما كلف الثمن.

وفى بعض الاحيان، كان الجيش الثورى الشعبى الكورى يمارس نشاطه تحت اسم جيش دونغبى الثورى الشعبى وذلك حسب الضرورة.

ولم تكن عبارة دونغبى (شمال شرقى الصين– المترجم) تعنى بلدا معينا، وانما كانت تستخدم بمفهومنا للدلالة على منطقة.

ولقد كان عمل الجيش بهذه التسمية، وليس تحت اسم جيش منشوريا او الصين مناسبا ايضا للرفاق الصينيين الذين حددوا هدف نضالهم بمقاومة حكومة منشوكو واليابان. وهكذا كان جيش دونغبى يؤدى مهمة الجيش الثورى الشعبى الكورى ويقوم فى الوقت نفسه بمهمة القوات المسلحة التى ساهمت فى قضية الشيوعيين الصينيين بمناهضة منشوكو واليابان.

وما لبث الجيش الثورى الشعبى الكورى ان تحول الى اشد الجيوش بأسا واقتدارا فى مناطق تشينتاو ومنطقة دونغبيآنداو وفى شبه الجزيرة الكورية برمتها ومركزها الرئيسى جبل بايكدو.

ان الموقف المبدئى الذى اتخذه الشيوعيون الكوريون ورحابة صدرهم السياسية فى سياق دمج وحدات حرب العصابات واعادة تنظيمها فى جيش ثورى شعبى كان له ابعد الاثر فى تطوير النضال المشترك للشعبين الكورى والصينى ضد الامبريالية

اليابانية، ولا سيما النضال المسلح المناهض لليابان فى منطقة شمال شرقى الصين. فلو اننا اصررنا على الشكل والتسمية اللذين ينسجمان مع خط ثورتنا المستقل فقط، دون ان نأخذ بالاعتبار الظروف الذاتية والموضوعية السائدة فى ذلك الوقت، لما استطاع الشيوعيون الكوريون خوض النضال المسلح المناهض لليابان بفعالية وبتأييد ومساندة واسعين من جانب الشعب الصينى.

وفيما بعد، عند تنظيم جيش دونغبى المتحد المناهض لليابان، مارسنا نشاطنا باسماء متغيرة تبعا للوضع السائد. فكنا، مثلا، نستعمل اسم جيش دونغبى المتحد المناهض لليابان عندما نعمل فى منطقة شمال شرقى الصين، واسم الجيش الثورى الشعبى الكورى فى الاماكن التى يكثر فيها الكوريون او فى ارض كوريا، وذلك بما يتلاءم وطابع الجيش الكورى– الصينى المتحد المناهض لليابان، وبذلك استطعنا ان نعيش ونناضل متمتعين بعطف ومحبة الشعبين الكورى والصينى وحمايتهما فى كل مكان وطأته اقدامنا.

وحتى لو قومنا الامر من وجهة النظر الحالية، فاننا نعتز ونفاخر بصحة موقفنا بايلاء الاهمية لمضمون الحركة الجوهرى وليس الى التسميات والشكليات. فبفضل نظرتنا المبدئية تلك وموقفنا المرن، استطعنا الحفاظ دائما على الطابع القومى للنضال وضمان استقلاليته التامة فى آن واحد مع تنفيذ واجباتنا الاممية، وبذلك نلنا الاحترام العميق والتأييد من جانب الرفاق الصينيين والكومنترن.

كانت المطبوعات فى ذلك الحين تدعو الجيش الثورى الشعبى الذى انشئ فى تشينتاو باسم الجيش الثورى الشعبى الكورى وليس جيش دونغبى الثورى الشعبى.

فقد كتبت "مجلة الشرق" الصادرة عن دار النشر التجارية فى شنغهاى عام ١٩٣٥ تقول ان ثلاثة آلاف جندى من الجيش الثورى الشعبى الكورى يقاتلون فى تشينتاو، وذلك فى معرض تغطيتها لاخبار جيش حرب العصابات فى شمال شرقى الصين. وقد نقلت دار نشر "الانقاذ الوطنى" فى باريس بفرنسا ذلك المقال كاملا فى كتاب " قصص الشهداء المناهضين لليابان فى شمال شرقى الصين".

ولم يكن من المستغرب ان يطلق على الجيش الثورى الشعبى الكورى اسم الجيش

الثانى بعد تشكيل جيش دونغبى المتحد المناهض لليابان. فقد كان للجيش الثورى الشعبى الكورى طابع الجبهة المتحدة الدولية المناهضة لليابان للشعبين الكورى والصينى، فكان الكوريون فى الجيش الثانى يضطلعون بمهمة النضال من اجل استقلال كوريا، ويساندون فى الوقت نفسه الحركة التحررية للامة الصينية تحت راية الاممية.

ومن كانوا يرهبون اكثر من غيرهم النجاحات المتنامية للجيش الثورى الشعبى الكورى فى تشينتاو هم الغزاة الامبرياليون اليابانيون الذين كانوا يحدثون الضجيج الصاخب بالحديث عن الخطر الذى يشكله وجود هذا الجيش.

وكثيرا ما كانوا يدعون قواتنا المسلحة المناهضة لليابان الناشطة فى منشوريا الشرقية والجنوبية "بجيش كيم إيل سونغ" ، دون استخدام تسميتها الرسمية.

وبعد ان تحول جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان الى الجيش الثورى الشعبى الكورى، اتحد معه جيش المتطوعين المناهضين لليابان بقيادة كونغ سيان يونغ وتشاى شى رونغ وشا تشون هينغ ولى سان سيا وغيرهم، لاحراز المزيد من النجاحات فى النضال المشترك ضد اليابان، فاضيفت تسمية اخرى لهذا الجيش هى "جيش دونغبى الثورى الشعبى الكورى – الصينى".

والواقع ان تحالف القوات المسلحة الكورية والصينية المناهضة لليابان فى منشوريا الشرقية، ترسخ تماما فى النصف الاول من الثلاثينات.

وقد كتب جو باو جونغ يقول فى احدى مقالاته: "ان الجيش الثانى فى الجيش المتحد المناهض لليابان هو ذاته (الجيش الثورى الشعبى الكورى)... وقد انعقدت بين الشعب الصينى والشعب الكورى اواصر الدم فى سبيل القضية المشتركة خلال حرب العصابات المناهضة لليابان"، وبذلك اعترف بحقيقة وجود الجيش الثورى الشعبى الكورى وامتدح تحالفنا المدون فى تاريخ النضال المشترك.

وربما بهذا المعنى، كان اليابانيون يقولون عن وحدات حرب العصابات المنظمة فى منشوريا عامة، وتشينتاو خاصة، انها "وحدات كورية خالصة".

وقد اظهرت التحريات التى قام بها رفاقنا مقالا للسوفييتى ب. لابوبيرت، المتخصص الشهير فى الشؤون الصينية والكورية، وعنوان المقال هو: "حركة حرب العصابات فى

مناطق كوريا الشمالية" ونشر عام ١٩٣٧ فى "الباسفيك" وهى مجلة سياسية دولية تصدر فى الاتحاد السوفييتى، وقد اشار فى المقال الى ان "معظم وحدات حرب العصابات الكورية موحدة، ولها مركز واحد، وتسمى الجيش الثورى الشعبى" وان "توسيع العلاقات والاتصالات الحالية بين وحدات حرب العصابات فى كوريا ومنشوريا يثير قلقا شديدا لدى العسكريين اليابانيين، ولذا فانهم يولون اهتماما كبيرا لمناطق الحدود".

ان اعادة تنظيم جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان وتحويله الى الجيش الثورى الشعبى لم يكن مجرد استبدال تسمية بأخرى او اعادة تنظيم شكلية، بل كان ايذانا بولوج مرحلة جديدة فى بناء القوات المسلحة لتحسين نظام قيادة جيش حرب العصابات وتعزيز الصفوف كما ونوعا بناء على استعراض شامل لمسار القتال الذى قطعه جيش حرب العصابات المناهض لليابان حتى ذلك الوقت، اضافة الى توسيع النجاحات والخبرات المكتسبة فى هذا السياق.

وفى اعقاب اعادة التنظيم، باشرنا سلسلة من العمليات العسكرية الواسعة لاحباط عملية الحصار الهجومى المعادى.

على ضوء الخسائر الفادحة التى منيت بها الحملة "التأديبية" الشتوية التى كانت قيادة جيش كوانتونغ والطغمة العسكرية فى طوكيو تتبجحان بانها عملية الابادة الاخيرة، ثارت ضجة كبرى لتوضيح اسباب اخفاق تلك الحملة وتحديد المسؤولين عنها. وفى النهاية، وبناء على مراجعة تكتيك سياسة الارض المحروقة، تم فى ربيع عام ١٩٣٤ وضع خطة لحملة " تأديبية " جديدة اكثر شراسة اطلق عليها اسم "عملية الحصار الهجومى". لقد كانت عملية شيطانية ترمى الى القضاء نهائيا على مناطق حرب العصابات عن طريق الجمع بين التطويق الهجومى عسكريا والقمع سياسيا والحصار اقتصاديا. وكان تقويمنا لمحاولة اليابانيين الجديدة هو انها محاكاة لسياسة التطويق التى انتهجها تشانغ كاى تشك عند هجومه على مناطق السوفييتات فى الصين.

واذا كانت سياسة التطويق التى انتهجها تشانغ كاى تشك تهدف الى منع الغذاء والكساء عن الجيش الشيوعى باجباره على "العيش فى عالم لا انسانى يسوده الهلع

السياسى والضائقة الاقتصادية"، فقد كانت عملية الحصار اليابانية تهدف الى القضاء على اهالى ومقاتلى مناطق حرب العصابات جوعا وبردا او بالحديد والنار. وتمهيدا لهذه العملية، حاول اليابانيون فصل الجيش عن بقية الاهالى باقامة قرى الاعتقال الجماعى، وكشف قوى المقاومة وتصفيتها باستخدام نظام الرقابة الجماعية الذى كانت تقره قوانين العصور الوسطى، كقانون الادانة الجماعية لعشر اسر او توجيه الاتهام المشترك لخمس اسر.

كانت سياسة التطويق وعملية الحصار متماثلتين من حيث التكتيك. فقد كان تكتيك تشانغ كاى تشك يقضى بعدم التعجيل فى مهاجمة الخصم المحاصر او الاقتراب منه كثيرا، كما كان يقضى بعدم الانتقال الى الهجوم على منطقة أخرى الا بعد تثبيت المنطقة المستولى عليها على مهل وايجاد وسيلة كفيلة بالدفاع المأمون عنها.

ويمكن تشبيه تكتيك "الاحتلال خطوة خطوة" الذى اتبعه اليابانيون بالتكتيك آنف الذكر الذى ابتدعه تشانغ كاى تشك.

ولم يكن عبثا ان قال رفاقنا بصدد هذا التكتيك: " يا لمصير اليابانيين البائس! لقد صاروا مدينين لتشانغ كاى تشك! ".

وكجزء من التحضير لعملية الحصار الهجومى، حشد العدو من ربيع ١٩٣٤ على مشارف منطقة حرب العصابات اكبر عدد من خيرة وحدات جيش كوانتونغ ووحدات جيش الاحتلال فى كوريا، كما عزز قوات جيش منشوكو العميل.

وفى مواجهة الوضع الحرج الناشئ عن توسيع العدو المتواصل لعملية الحصار، حرصنا على ان تمضى وحدات الجيش الثورى الشعبى الكورى فى تركيز جهودها على الدفاع عن مناطق حرب العصابات، مع السعى فى الوقت نفسه الى احباط محاولات العدو مسبقا وذلك بمواصلة الهجمات على النقاط العسكرية والسياسية فى مؤخرته عن طريق عمليات واسعة النطاق من جهة، وتوسيع رقعة مناطق حرب العصابات لتشمل مناطق مؤاتية لنا من جهة اخرى.

وقد استطعنا بذلك التغلب فعلا على مصاعب الوضع وتثبيت الانتصارات المكتسبة بالدماء، واذكاء الروح الثورية لدى الشعب باستمرار.

هاجم الجيش الثورى الشعبى الكورى فى اطار هجومه الربيعى المواقع الرئيسية لحشود العدو واماكن انشاء قرى الاعتقال الجماعى فى منطقة وانغتشينغ بما فيها سياوبايتشاوكو ودادوتشوان وشيتووهيجى وجوانجياولو، فيما احبط الرفاق فى هونتشون وآنزى وهيلونغ ايضا عملية الحصار الهجومى المعادية، وهى بعد فى طورها الاول، عن طريق الهجوم على مواقع انشاء قرى الاعتقال.

وفى سبيل تعزيز هذه النجاحات واحباط عملية الحصار تماما، بمحافظتنا على الامساك بزمام المبادرة، انتقلنا فورا الى الهجوم الصيفى. وكان الهدف الاساسى لهذا الهجوم توسيع مناطق حرب العصابات فى اتجاهين: اتجاه الشمال الغربى لمحافظة آنتو واتجاه الشمال الشرقى لمحافظة وانغتشينغ. فلو اكتفينا بالدفاع من الثبات عن مناطق حرب العصابات، فيما العدو ماض فى احكام عملية الحصار، فمعنى ذلك اننا نجاريه فى لعبته ونتعاون واياه على تحقيق غاياته.

تولت الفرقة الاولى وفوج الجيش الثورى الشعبى المستقل مهمة توسيع مناطق حرب العصابات باتجاه الشمال الغربى لمحافظة آنتو بينما تولت الفرقة الثانية مهمة التمدد نحو الشمال الشرقى لمحافظة وانغتشينغ. واذا كانت منطقة حرب العصابات التى تربط داديانجى ببويرهى بمثابة شريان الحياة لمحافظة آنتو، فان مناطق لوزوكو ولاوموجوهى وتايبينغكو وسانداوهيجى كانت شريان الحياة لمحافظتى هونتشون ووانغتشينغ. فتلك المناطق كلها تعد مواقع مثالية لنشاطات حرب العصابات اذ انها محاطة بقمم جبال موتانلنغ ولاويلنغ ومن هنا اهتم بها القادة العسكريون البارزون، امثال هونغ بوم دو وتشاى ميونغ روك ولى دونغ هوى وهوانغ بيونغ كيل، منذ ايام حركة القوميين الاستقلالية.

وضعنا خطة تقضى بقيام قائد الفرقة الاولى زو زين وآمر الفوج المستقل يون تشانغ بوم بمهاجمة مناطق داديانجى وبويرهى بغية تحويل انتباه العدو اليها قبل ان ننطلق فى اتجاه لوزوكو.

وفيما كانت انظار جيش كوانتونغ اليابانى مركزة على منطقة داديانجى بمحافظة آنتو، انطلقنا مع قسم من الفوجين الرابع والخامس التابعين للفرقة الثانية

من الجيش الثورى الشعبى والوحدات الصينية المناهضة لليابان فى اتجاه لوزوكو واحتللنا سانداوهيجى وسيداوهيجى. وفى سانداوهيجى، نظمنا اجتماعا مشتركا لرجال الجيش الثورى الشعبى الكورى واكثر من ١٥٠٠ رجل من رجال الوحدات الصينية المناهضة لليابان، وكان ذلك نوعا من الاعداد الفكرى تمهيدا لمعركة لوزوكو التى اشتركت فيها من الجانب الصينى وحدات كونغ سيان يونغ، شا تشون هينغ، تشاى شى رونغ، لى سان سيا ووحدات اخرى.

كانت لوزوكو عقدة استراتيجية لاتصالها ببايتشاوكو فى محافظة وانغتشينغ وحاضرة محافظة دونغنينغ.

كانت قوة من جيش منشوكو العميل تقدر بعدة مئات بقيادة آمر الكتيبة وين تشانغ رين ترابط فى لوزوكو التى كانت، فى الاصل، بلدة صغيرة نسبيا تقطنها ٥٠٠ اسرة تقريبا، الا انها تحولت بسرعة الى نقطة ارتكاز عسكرية للعدو بعد حادثة ١٨ ايلول، ثم اصبحت فى ربيع عام ١٩٣٢ قاعدة هامة لقوات الحملة المرسلة الى تشينتاو. وبعد انسحاب تلك القوات منها، ابقت الامبريالية اليابانية فيها قوة دائمة تتشكل من كتيبة وحاولت استخدامها كمرتكز لها فى عملية الحصار.

فكان احتلالنا لمنطقة لوزوكو بالهجوم المفاجئ يعتبر ركنا اساسيا من اجل تحطيم عملية الحصار الهجومى جزئيا وتوفير الظروف المؤاتية فى نفس الوقت لتوسيع مناطق حرب العصابات الجديدة.

عقدنا الاجتماع لتدارس عملية الهجوم على لوزوكو مع قادة الوحدات الصينية المناهضة لليابان فى منزل العجوز لى تاى كيونغ فى سانداوهيجى.

وكان العجوز لى تاى كيونغ رجلا وطنيا ذا تاريخ نضالى سواء فى جيش المتطوعين الفاضلين او جيش الاستقلال. وقد عمل فى وقت سابق رئيسا لمكتب الشؤون العامة فى الهيئة العسكرية والادارية لجيش الطريق الشمالى مع تشاى زا ايك.

ويقال ان سو ايل عين لى تاى كيونغ رئيسا لمكتب الشؤون العامة، على الرغم

من كونه جنديا عاديا لانه اعجب بمهارته الفائقة فى الرماية وفن الخط. وما ان اخذ سو ايل يبشر لديانة دايزونغكيو التى تتخذ من دانكون(٠) الها معبودا، حتى صار لى تاى كيونغ احد اتباع ذلك الدين المتعصبين. ومن جهة اخرى، اهداه كيم زوا زين مسدسا عندما سانده لى تاى كيونغ فى نواياه بمحاربة الشيوعية.

وعندما انسحب كيم زوا زين الى منشوريا الشمالية عشية الحملة "التأديبية" الكبيرة على تشينتاو، توجه العجوز لى تاى كيونغ الى ميشان مع رؤسائه. ولكن، بعد ان توارى كيم زوا زين فى اعماق الغابات الكثيفة فى داوموكو بمحافظة آنزى، انتقل هو الآخر مع رفاق له الى منطقة سيداوهيجى حيث دفن بندقيته فى الارض وانصرف الى العمل فى الزراعة.

والشيء الذى لا انساه حتى الآن من بين ذكرياتى عن العجوز لى تاى كيونغ هو انى كنت فى احدى المرات افرد مخطط مدينة لوزوكو لاشرح خطتى العملياتية لضباط الوحدات الصينية المناهضة لليابان، فقام العجوز واحضر حجرا وضعه على طرف المخطط لكى لا يطير مع الرياح التى تهب من نافذة الغرفة. وكان افراد عائلة لى تاى كيونغ يسمونه حجر السعد، اذ كان حجرا عجيبا بيضوى الشكل. اخبرنى العجوز بان احد اصدقائه اعطاه اياه قبل وفاته حين كان رئيسا لمكتب الشؤون العامة للهيئة العسكرية والادارية لجيش الطريق الشمالى فى شيليبينغ، واوصاه بان يحتفظ بذلك الحجر اطول مدة ممكنة كى يلازمه السعد.

وحجر السعد هذا موجود حاليا فى متحف الثورة الكورية. فقد سلم العجوز لى تاى كيونغ قبل وفاته هذا الحجر لابنه باعتباره ارثا عائليا. وقيل انه اوصاه بان يحتفظ به بمنتهى الحرص طالما ان القائد كيم إيل سونغ قد لمسه بيده عند وضعه على خارطة العمليات. وحينما زارت بعثة تقصى مواقع المعارك التى جرت ابان النضال المسلح المناهض لليابان مناطق شمال شرقى الصين عام ١٩٥٩، سلم ابن العجوز البعثة ذلك الحجر.

---

(٠) دانكون: مؤسس مملكة كوريا الغابرة، اول دولة فى تاريخ كوريا القديم – المترجم

ومع ان العجوز لى تاى كيونغ كان يقول انه لا يحب الشيوعية، الا انه لم يبخل علينا بالمساعدة قط.

اذكر ان تشاى زونغ هوا، رئيس جمعية مناهضة اليابان فى لوزوكو قدمه لى فى صيف عام ١٩٣٣، فكان ذلك اول عهدى به. حينذاك كنت اقوم بالعمل السياسى بين الجماهير فى ساندواهيجى التى ذهبت اليها على صهوة جوادى الابيض. وهكذا، نظمت جمعية مناهضة اليابان فى ساندواهيجى وضممت ذلك العجوز الاكبر سنا فى القرية اليها. وقد احسن تربية القرويين بعد انضمامه الى الجمعية، اذ كانوا يتقبلون جميعا كل كلمة يقولها بصفته الاكبر سنا وابرز الوجهاء فى القرية.

وحين يكون فى القرية شخص او اثنان من قدامى المحاربين فى وحدات المتطوعين الفاضلين او جيش الاستقلال، كنا نتمكن من تثوير تلك القرية بسهولة نسبية. فحتى قدامى رجال جيش الاستقلال الذين تخلوا عن النضال فى منتصف الطريق ودفنوا سلاحهم فى الارض، شأن لى تاى كيونغ، كان معظمهم يتحلى بالروح الوطنية على الاقل. فكانوا اذا ما طافوا على المنازل ليدعوها الى مساعدة الجيش الثورى الذى يواجه المشقات فى الجبال، يستجيب لهم الجميع قائلين "طبعا"، واذا ما سألوا كيف سنستقبل الجيش الثورى الآتى الى القرية يجيبونهم: "النحضر لافراده الكعك" او "لنذبح احد الابقار". كان هناك بعض المرتدين من قدامى رجال جيش الاستقلال، الا انهم كانوا قلة قليلة، اما الغالبية فقد عاشوا بشرف حتى النهاية. لهذا السبب، لم اهمل العمل مع الوجهاء من قدامى رجال جيش الاستقلال فى كل قرية اذهب اليها. فكنت ازور اول ما ازور المسنين من قدامى رجال جيش الاستقلال، من امثال او تاى هى فى شيسيان، وتشاى زا ايك فى سيدابو، ولى تشى بايك فى ماتشون، وكيم دونغ سون فى دونغريتشون، ولى تاى كيونغ فى ساندواهيجى. واحيانا كنت اتكئ معهم الى الوسائد الخشبية ونتبادل الحديث حول اوضاع البلاد.

بعد التحرير، نبذ بعض الناس قدامى رجال جيش الاستقلال لان افكارهم مختلفة. وكان هذا البعض يعامل جميع من لا يعتنقون الشيوعية معاملة متحاملة دون

اى تمييز. وكان ضيقو الافق هؤلاء يستبعدون من الترقية اولئك الكوادر القادمين من جيش الاستقلال، وهو امر ينطوى على قسوة ويؤثر سلبا على سياسة الجبهة المتحدة التى نتمسك بها دائما.

وكلما واجهت مثل تلك الميول كنت اقول:

"ان نبذ قدامى رجال جيش الاستقلال بسبب الاختلاف فى الفكر هو عمل ضار. فعدم تحولهم الى الشيوعية ليس بجريمة بل تعبير عن محدودية تفكيرهم. لعلكم ترغبون فى اعادة تثقيف حتى تشون هيانغ ولى دو ريونغ ليصبحا شيوعيين؟ لا يجوز للشيوعيين ان ينبذوا الوطنيين السابقين، لمجرد انهم امسكوا بزمام السلطة. ان لكل عصر تياره المختلف، فلماذا تنبذونهم وتحترسون منهم وتعزلونهم اذن؟ أهى جريمة ان قام رجال جيش الاستقلال بالنضال فى سبيل استقلال كوريا مجازفين بارواحهم، فيما كان الآخرون يقبعون فى الغرف الدافئة ويتناولون الارز الساخن مع افراد عائلاتهم؟

ارى ان رجال وحدات المتطوعين الفاضلين او جيش الاستقلال الذين حملوا السلاح وناضلوا هم اكثر وطنية من اولئك الذين عاشوا فى منازلهم حياة هانئة. ضعوا نصب اعينكم اننا اذا نبذنا قدامى رجال جيش الاستقلال، فان الشعب سينبذنا بدوره."

انطلاقا من هذه النظرة، حرصنا، عند انشاء معهد مانكيونغداى لابناء الشهداء الثوريين، على ان نضم اليه حتى ابناء شهداء جيش الاستقلال، كما عينا اشخاصا من قدامى رجال جيش الاستقلال الذين ايدوا بنشاط خطنا لبناء كوريا الجديدة، فى مناصب رفيعة كل حسب مؤهلاته. فالسيد كانغ زين كون، اول رئيس للجنة المركزية لاتحاد الفلاحين، والسيد لى يونغ، اول وزير لادارة المدن فى مجلس وزراء الجمهورية، كانا من قدامى رجال جيش الاستقلال.

وفيما نحن نستعد للقتال بعد اختتام الاجتماع، تلقينا معلومات تفيد بان العدو خرج من المدينة ليهاجمنا اولا. فاستدرجناه الى مواقع مؤاتية لنا وسحقنا قوته الرئيسية ثم واصلنا مطاردة فلوله وبذلك شرعنا بالهجوم على المدينة. وقد اضطرت

الوحدات المشاركة الى القتال فى ظروف صعبة تحت وابل من المطر الغزير.

كان حصن الجبل الغربى هو اكبر عقبة واجهتنا فى معركة لوزوكو ايضا، تماما مثلما جرى فى الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ. وبسبب مقاومة الحصن اليائسة، استمرت المعركة ثلاثة ايام. اصيب جو باو جونغ وبعض قادة الوحدات الصينية المناهضة لليابان بجراح بعضها بليغ وبعضها طفيف من جراء قذيفة مدفع هاون اطلقها علينا العدو من هذا الوكر المحصن فى الجبل الغربى فيما كنا مجتمعين فى مقر قيادة الوحدات الصينية فى اليوم الثالث من المعركة. وكان جو باو جونغ يشارك فى تلك المعركة بصفته رئيس اركان وحدة كونغ سيان يونغ. وقد هبطت معنويات بعض الوحدات الصينية فجأة بسبب اصابة قادتها، وبدأت تتراجع من لوزوكو بصورة مضطربة.

كان علينا ان نوقف التراجع، والا فان المعركة ستنتهى بهزيمتنا لا محالة. كان احتلال الحصن هو الحلقة الرئيسية التى يتوقف عليها مصير معركة لوزوكو، وكان العدو قد نصب فى ذلك الحصن عدة رشاشات ثقيلة وخفيفة، بالاضافة الى مدفع هاون. وقد اصابت نيران الحصن آمر السرية هان هونغ كوون بجراح خطيرة اخرجت احشاءه وفقد زو وال نام القدرة على القتال. كانت جراح هان هونغ كوون خطيرة لدرجة انه راح يتوسل الى رفاقه ان يطلقوا النار عليه.

فصحت برجال الجيش الثورى الشعبى الذين انبطحوا ارضا محاذرين الاقتراب من الحصن وهم يصرون على اسنانهم لتعثر الهجوم:

"ايها الرفاق، لنحتل الحصن بأى ثمن ! لنقاتل حتى النفس الاخير فى سبيل الثورة!"

ثم انطلقت باتجاه العدو وانا اطلق النار من مسدسى. فانهمرت من الحصن زخات من الرصاص، مر بعضها يصفر قرب اذنى وثقبت رصاصات أخرى قبعتى، ولكننى واصلت الجرى دون توقف. فنهض الجنود فورا وتبعونى.

وبعد اقل من نصف ساعة، كان ذلك الحصن المنيع تحت سيطرتنا، ورايتنا الحمراء ترفرف فوقه.

فاعاد ذلك المشهد الحماس الى الوحدات الصينية المناهضة لليابان، وانضم

افرادها الى الهجوم النهائى. لقد كان لروح التضحية لدى الشيوعيين الصينيين، وعلى رأسهم جو باو جونغ، اكبر الاثر فى رفع المعنويات. فقد نهض جو باو جونغ، رغم جراحه البالغة، وفتح ذراعيه ليوقف جنود الوحدات الصينية المناهضة لليابان المترددين، وصاح بهم: ألا ترون العلم الاحمر يخفق فوق الحصن؟ فاوقف اولئك الجنود انسحابهم وعادوا الى الهجوم وهم يطلقون صيحات القتال.

وقد انتهت المعركة بانتصارنا.

فى البرقية الاخيرة التى ارسلها آمر الكتيبة وين ومستشاره اليابانى، المدافعان عن لوزوكو الى قائد جيش كوانتونغ، صرخا مستنجدين، وقالا انهم على وشك الموت بسبب تعرضهم للحصار والهجوم طوال خمسة ايام وست ليال من قبل كيم إيل سونغ على رأس ألفين من "اللصوص" المتحدين، وصارحاه بالحرف الواحد:

"لقد نفدت منا الذخائر ونواجه الآن ساعة المصير. ولكننا نعتز باننا قد بذلنا كل ما فى وسعنا، بما فى ذلك التضحية بارواحنا، فى سبيل الدولة وبناء دولة منشوكو. فنرجوكم ان تعذرونا ايها القائد."

كان انتصارنا فى لوزوكو وداديانجى اكبر نجاح من بين الانتصارات الاولى التى احرزها الجيش الثورى الشعبى الكورى فى الحرب ضد اليابان.

ان هجوم الجيش الثورى الشعبى الكورى على لوزوكو سدد ضربة ماحقة لعملية الحصار التى كان العدو يعلق عليها آمالا كبيرة ودفع به الى حالة من الذعر المستطير. فبعد هذه المعركة، عاشت وحدات الحملة "التأديبية"، الكبيرة منها والصغيرة القريبة من مناطق حرب العصابات، فى خوف وهلع شديدين.

فى الحقيقة، لقد فتحت معركة لوزوكو المجال واسعا امامنا لتوسيع مناطق حرب العصابات وذلك بكبحها جماح العدو فى المناطق الواقعة الى الشمال الشرقى من منطقة وانغتشينغ، وساهمت مساهمة كبيرة فى توطيد الجبهة المتحدة مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان. وحتى بعد معركة لوزوكو، لم نتوقف عن القيام بعمليات عسكرية وسياسية نشطة لسحق واحباط محاولات العدو لمعاودة عملية الحصار. وقد تمكنت اعداد غفيرة من الجماهير الثورية فى منشوريا الشرقية من

التوجه الى مناطق آنتو ولوزوكو بعد حل مناطق حرب العصابات واستقرت فيها، حيث كنا قد حولنا تلك المناطق الى قواعد ثورية غير مرئية بما قمنا به من نشاطات عسكرية وسياسية مكثفة فى الفترة السابقة.

لقد اراق جيشنا الثورى دماء غزيرة فى الهجوم الصيفى عام ١٩٣٤. ان انتصارنا فى معركة داديانجى مضمخ بالدماء الزكية التى اراقها تشا ريونغ دوك، احد منظمى جيش هيلونغ لحرب العصابات والقائد الشهير المنحدر من الطبقة العاملة. فقد كان اول مفوض سياسى يستشهد لنا بعد تشكيل الجيش الثورى الشعبى الكورى.

٢ـ اغنياء وفقراء

غنى عن القول ان قواعد حرب العصابات كانت بمثابة بيتنا ومهدنا. الا اننى لم اكن استطيع فى الواقع البقاء فيها وحدها. فمن الوجهة التكتيكية يعتبر بقاء الجيش ثابتا فى مكان واحد دمارا لهذا الجيش.

كما ان التجوال على غير هدى فى وادى سياووانغتشينغ، واستهلاك الطعام الذى يقدمه لنا الشعب، كان امرا يتنافى وطبيعتنا. ثم ان اعمال العناصر اليسارية والشوفينيين القوميين الذين يقتلون اناسا ابرياء على غير وجه حق بتهمة "المينساينغدانية" كانت تثير فينا مشاعر الاشمئزاز.

فكنت اذا توفر لدى متسع من الوقت، اصطحب بعض الجنود واخرج بهم الى مناطق العدو. وبعد انشاء اشباه مناطق حرب العصابات، صرت اتردد عليها اكثر من المرات.

وكان ذلك يسعد السكان، لانهم كانوا يعرفون انهم يحصلون بذلك على الاغذية والاقمشة. اما الدعاية المعادية للشيوعية فكانت تذهب ادراج الرياح بمجرد قضائنا ليلة واحدة فى اى مكان. فقد كان الاهالى يولون لاخلاق الشيوعيين وسلوكهم المهذب اهتماما اكبر من اهتمامهم بالاشاعات التى يروجها العدو.

وبعد ان جرب الجنود النشاط فى مناطق العدو، لم يعد اى منهم يرغب فى الابتعاد عنى.

كانت الوحدة التى اختارها لمرافقتى فى الغالب هى السرية الخامسة. وحيث ان اصطحاب عدد اكبر مما ينبغى من الجنود قد يسبب لنا مصاعب فى الغذاء ويترك آثارا كثيرة، فقد كنت اصطحب ما بين ٥٠ و٦٠ جنديا فقط. وعندما نحتاج الى عدد

اكبر منهم، كنا نستدعى السرية الاولى ايضا. وحيث اننى كنت اعمل معظم الوقت فى مناطق العدو، فان عبء الدفاع عن وانغتشينغ كان يقع على عاتق تشاى تشون كوك، المسؤول عن السرية الثانية وزانغ ريونغ سان فى السرية الثالثة. اما السرية الرابعة، فكانت تتولى مسؤولية الدفاع عن ياوينغكو.

كانت السرية الخامسة تعتبر وحدة النخبة وتحتل المرتبة الاولى من حيث القدرة القتالية بين الوحدات العاملة فى وانغتشينغ. فاذا ما اصدرت لجنودها الامر بالسير متباعدين عن بعض ثلاث خطوات، نفذوا الامر جميعا دون استثناء؛ واذا امرتهم بالمشى دون ان يسمع حتى صوت تنفسهم، فعلوا ذلك. لم تكن تلك السرية تخوض معارك كبيرة الا فيما ندر، وانما كانت تدخل فقط فى اشتباكات مباغتة مع وحدات العدو التى فى متناول يدها ثم تتوارى بسرعة البرق مبتعدة مسافة ٢٠ ــ ٥٠ رى خلال ليلة واحدة.

وقد كانت عمليات الارباك تلك تمنع العدو من تركيز كل طاقاته فى الحملات "التأديبية " على قواعد حرب العصابات.

بعد التحرير، اهمل بعض مسؤولى اعمال الدعاية الحزبية التحدث عن خبرات وتجارب الشيوعيين الكوريين القتالية فى مؤخرة العدو واقتصروا على الترويج للتقاليد والخبرات الاجنبية فقط. وقد كان مرض التبعية للدول الكبرى الذى زرعه هؤلاء رهيبا، حتى ان الناس عندنا ما كانوا يعرفون ان معركة ضارية مثل معركة الدفاع عن سياووانغتشينغ موجودة فى تاريخ الحرب المناهضة لليابان فى بلادنا، فى الوقت الذى كانوا يكثرون فيه الحديث عن معركة ستالينغراد او معركة الدبابات فى كورسك. بل انهم اطلقوا لبعض الوقت على البطل لى سو بوك لقب "ماتروسوف كوريا". وحتى فى فترة حرب التحرير الوطنية الماضية، كان ابناء شعبنا يعتبرون ان ماتروسوف السوفييتى هو اول بطل فى العالم يسد بجسمه كوة وكر نيران معاد، لكنهم كانوا يجهلون ان المناضل كيم زين، احد الشهداء الاوائل المناهضين لليابان، قد سبق ماتروسوف الى ذلك.

لو كنا اجدنا التثقيف بالتقاليد الثورية بعيد التحرر، لنجا اناس كثيرون من الموت

اثناء مرحلة التراجع. فلو شكل هؤلاء مفارز من ٥- ٦ اشخاص وحتى١٥-٢٠ شخصا، وصعدوا الى الجبال وقد تسلح كل منهم بفأس وحمل "مالا" واحدا او "مالين" من الارز، وراحوا يتصيدون العدو، ويوزعون المنشورات التحريضية وهم يتنقلون متخفين من مكان الى آخر، لكان باستطاعتهم ان يصمدوا شهرا او شهرين بكل تأكيد. لكن نظرا الى اننا اهملنا تثقيفهم مسبقا، فقد منينا بخسائر كان بالامكان تفاديها.

لقد كانت القرى الواقعة على ضفاف نهر دومان هى اكثر المناطق التى مارست فيها تلك النشاطات. فى احد الاعوام، استطعت ان ارى، اثناء رحلة بالقطار ان الجبال والاودية المألوفة فى الضفة المقابلة للنهر مازالت على مناظرها كما عهدتها فى تلك الايام.

وكما يقول المثل: "الموضع الاشد ظلمة انما يكون تحت القنديل مباشرة" ، كذلك كان البقاء امام انف العدو امرا مؤاتيا لنا. فقد كانت وحدتنا تتقدم حتى الجبل الواقع خلف تومين. وعندما اقمنا فيه، كنا نرتدى جميعنا الملابس المدنية. وركزنا فوق كل قمة من قممه الثلاث مخفرا للحراسة، وقضينا هناك اياما هادئة فى الغابة ونحن ننام ونقرأ. ومع ذلك، لم يعرف العدو ان جيش حرب العصابات موجود امام انفه.

فى صيف عام ١٩٣٣ وكذلك فى صيف عام ١٩٣٤، تقدمنا نحو مناطق تومين وليانغشويتشوانجى على ضفاف نهر دومان للقيام ببعض النشاطات فى مناطق العدو. وعندما عدنا الى وانغتشينغ بعد المفاوضات مع وو وى تشينغ، قمنا بالعمل السياسى بين الجماهير بالقرب من ليانغشويتشوانجى، وقد بعثت حينئذ ثلة من الجنود الى منطقة تومين والتقيت انا نفسى بسكانها الاصليين، لاختيار مكان مناسب لمقر القيادة. وقد اخبرنى الجنود بان هناك ثلاثة اماكن مثالية لذلك هى جبل سونغدونغشان وبييغاوليلنغ وتشاوماودينغجى. وقد كانت مناسبة فعلا من اجل ضمان امن مقر القيادة، ولكنها لم تكن ملائمة لتحقيق هدفنا الآخر، هدف التقدم الى ارض الوطن.

ولسبب لا استطيع تفسيره كنت مولعا بالجبل الذى وراء تومين، فقد كنت اتأمل ذلك الجبل فى زياراتى المتكررة الى اونسونغ، لعله كان يذكرنى بتلة موران فى بيونغ يانغ. وقد اكدت الخريطة ان ذلك الجبل ملائم تماما لهدفنا فى التقدم الى ارض الوطن.

وكان الجبل مكانا مناسبا جدا لقضاء فصل الصيف اذا ما شيدت فيه بعض الاكواخ، ذلك لان اوديته كثيرة الشعاب والاخاديد واحراشه كثيفة جدا، كما انه محاط بقرى عديدة مدت منظماتنا نطاق تأثيرها اليها منذ عام ١٩٣٠، فضلا عن وجود قرى اخرى ما تزال عذراء لم تصلها بعد شبكة المنظمات. فقررنا ان نحولها الى قرى ثورية.

اردت التوجه الى ذلك الجبل فور انتهاء معركة لوزوكو. الا اننى أخرت موعد الذهاب للبقاء لبعض الوقت فى سياووانغتشينغ من اجل الحصول على الملابس والمؤن للوحدات الصينية المناهضة لليابان. فعلى الرغم من اننا كنا فى منتصف شهر تموز، الا ان ضباط وجنود وحدة تشينغ شان كانوا لا يزالون يرتدون ملابسهم المبطنة والمهترئة، وينقبون فى الحقول عن حبات البطاطا البالغة الصغر كبيض عصفور الدورى ليسدوا رمقهم بها بسبب نفاد المؤن لديهم.

فكان ان تخربت حقول البطاطا القريبة من موقع تلك الوحدة، مما دفع اصحاب الحقول الى التذمر والشكوى. وقد ادى نقص الاغذية والملابس الى تدهور تلقائى فى العلاقات بين الرؤساء والمرؤوسين، وتحول رجال الوحدة الى جوالين يطوفون بقصد السرقة والنهب. بل وظهرت عند بعضهم ميول الاستسلام للعدو. ولم تكن وحدة كاو شان افضل حالا، وذلك قبل انضمامها الى الجيش الثورى الشعبى، وكذلك وحدة شا تشون هينغ.

وهكذا، لم نتوجه الى الجبل القائم خلف تومين الا بعد ان هاجمنا غاياهى مع وحدة تشينغ شان ووزعنا المؤن الغذائية والاقمشة التى غنمناها بعد المعركة على الوحدات الصينية المعادية لليابان وسحقنا كذلك العدو فى دياومياوتاى. وما ان وصلنا الى الجبل حتى ظهر امامى آمر السرية هان هونغ كوون، الذى كان قد اقتفى اثرنا خلسة بعد هروبه من مستشفى منطقة حرب العصابات حيث كان يعالج من اصابته بجرح خطير فى بطنه.

قبل شهر من ذلك، كانت احشاؤه قد خرجت من بطنه من جراء اصابته بطلقات نارية. ولكن عندما عاينت مكان العملية الجراحية التى اجريت له، وجدت ان الجرح

قد التأم تماما، وانه ليس هناك سوى قليل من الدم فى الاماكن التى انتزعت منها غرزات الخياطة. ولخشيتى من تفتق الجرح ثانية، امرته بالعودة الى المستشفى، فتوسل الى ذلك الرجل الضخم بوجه يدعو الى الشفقة لكى ابقيه ولا اعيده الى المستشفى. فكلفت الرفيق وانغ الذى كان يتولى منصب آمر السرية مؤقتا بان يعتنى به جيدا.

كان اسم تومين فى القديم هويمودونغ، اذ كان فيها كوريون يعيشون فى اكواخ ويحرقون فيها حجر الكلس. ويقال ان هذه المنطقة محاطة بجبال كلسية.

وقد مد الامبرياليون اليابانيون الذين احتلوا منشوريا بعد حادثة ١٨ ايلول، الخط الحديدى جيلين– هويريونغ حتى تشاويانغتشوان– هويمودونغ واطلقوا على هذه المحطة اسم تومين. وفيما بعد، تحولت القرى المحيطة بها، مع اتساع البناء، الى مدينة صغيرة صاخبة واستهلاكية، اقاموا فيها مكتبا قنصليا، ومركزا للشرطة وآخر للجمارك، وحامية عسكرية، وكان هؤلاء جميعا يضايقون ويزعجون السكان الذين كانوا يعيشون على انتاج احجار الكلس. ومنذ ذلك الحين، صارت المدينة الجديدة تسمى تومين بينما احتفظت القرية القديمة التى تقع عند سفح الجبل الغربى باسم هويمودونغ الذى اطلقه عليها الكوريون. وفيما بعد، جرى مد خط للسكك الحديدية بمحاذاة الحدود ويصل ما بين تومين وناميانغ. ومنذ ذلك الحين، غدت تومين البوابة الشرقية للدفاع عن مصالح اليابان فى منشوريا. كما تحولت ناميانغ الواقعة قبالة النهر، هى الاخرى، الى عقدة هامة تربط كوريا بمنشوريا.

فى النصف الثانى من الثلاثينات، استقرت فى هذه المنطقة اجهزة التآمر والمخابرات اليابانية للاعتداء على الاتحاد السوفييتى. وهكذا، كانت تومين موقعا ذا اهمية عسكرية وسياسية واضحة.

وكان يناسبنا من كل النواحى ان تتحول تومين الى مركز لنشاطنا ومعبر هام لاقامة الصلات بيننا وبين اشباه مناطق حرب العصابات فى ارض الوطن.

كنا قد انشأنا فى هويمودونغ منظمة تعمل تحت امرة او زونغ سونغ منذ وقت مبكر. وقد ساعدنى اعضاؤها عندما عبرت النهر متوجها الى اونسونغ فى ايلول عام

١٩٣٠، كما كانوا فى وداعى عندما قصدت زونغسونغ فى شهر ايار من العام التالى. وقد ساعدوا كذلك تشاى كوم سوك حين قدمت للحصول على التفاح والاجاص لفتح شهيتى حين كنت مريضا.

وهكذا، كانت تومين قاعدة امداد وتموين لجيش حرب العصابات، فضلا عن كونها محطة وسيطة تربطنا باونسونغ.

خلال اقامتنا فى الجبل خلف تومين، وضعنا هدفا لنشاطنا يتمثل فى احباط سياسة "بيمينبونرى" المعادية. وعبارة "بيمينبونرى" تعنى الفصل ما بين الشعب والجيش الثورى الذى يسمونه "قطاع الطرق الشيوعيين". لقد اعلنت الامبريالية اليابانية هذا المخطط كسياسة لها، وسعت بجهود هستيرية محمومة لقطع الشرايين التى تربط جيشنا بالشعب، مبتدعة اساليب متتالية، مثل عملية التفكيك الفكرى، وسياسة قرى الاعتقال الجماعى، وقانون تجريم عشر اسر عن اى جرم ترتكبه احداها، وقانون الاتهام المشترك لخمس اسر، وعملية العودة الى الطاعة، واشياء اخرى من هذا القبيل.

ومن خلال سياسة "بيمينبونرى" المشؤومة هذه، جرى تدمير عدد كبير من المنظمات، وتبدلت معنويات الناس. وبلغ الامر ببعضهم حد وضع اختامهم على "عرائض العودة الى الطاعة". وبرزت مثل هذه الظواهر بشكل خاص فى جنوبى وانغتشينغ المتاخمة لضفة نهر دومان.

رفعنا شعارا يدعو الى قطع دابر هذه التفرقة بتلاحم الجيش والشعب. وتحقيقا لهذا الشعار، توغلنا فى اوساط الجماهير وشرعنا بتنظيمها. وفى تلك الفترة، اعدنا بناء المنظمة فى نانيانغتشون موطن او زونغ هوب. واستحدثنا فى دالاجى منظمة تتألف نواتها من اناس يحملون كنية تشاى. وبعد فراغنا من هذه المهمة فى القرى المجاورة، نقلنا مسرح عملنا الجماهيرى تدريجيا باتجاه ليانغشويتشوانجى لكى نتغلغل فى اوساط قاطعى الاخشاب والفلاحين. وذات مرة، ذهبت على رأس مفرزة الى وونغكيدونغ فى ميجيانغ بمحافظة هونتشون عبر وادى سول لترتيب امر المنظمات القائمة فى مناطق كيونغوون (سايبيول) وهونيونغ الواقعة على الضفة

الاخرى لنهر دومان. ومن خلال التلاحم، جعلنا ابناء الشعب هناك يضحكون بعد ان كانوا يبكون من جراء "بيمينبونرى".

ايام ترددى على الجبل الواقع خلف تومين، كنت اذهب بكثرة الى منطقة حواضر الاقضية الستة لاقامة نظام منسق لتوجيه المنظمات الحزبية القاعدية والمنظمات الثورية الاخرى المشكلة فى مختلف ارجاء الوطن، وتوسيع عملية بناء المنظمات الحزبية فى عمق التراب الوطنى.

تلا تشكيل المنظمة الحزبية فى ربوة دورو بقضاء اونسونغ فى تشرين الاول عام ١٩٣٠، انشاء العديد من المنظمات الحزبية القاعدية فى المناطق المحاذية لنهر دومان، والفضل فى ذلك يعود الى عناصر النواة القيادية الحزبية من امثال او زونغ هوا، كيم ايل هوان، تشاى سو هانغ واو بين، والعاملين السياسيين السريين من امثال لى بونغ سو وآن كيل وزانغ كوم زين. كما ظهر عدد كبير من المنظمات الحزبية القاعدية فى مناطق هويريونغ، يونسا، وونغكى (سونبونغ)، موسان، كيونغوون (سايبيول)، رازين، وبوريونغ وحارة سينآم فى تشونغزين وغيرها.

فى آب عام ١٩٣٣، نظمت دورة دراسية حول العمل الحزبى السرى تحت شجرة بعيدة بعض الشيء عن كوخ الفحامين فى وادى باكسوك بكيونغوون (سايبيول). وحضر هذه الدورة التى دامت يومين عدد من العاملين السياسيين ومسؤولى المنظمات الثورية السرية الناشطين فى المناطق الشمالية وغيرها من المناطق الكورية. وقد القيت فى الدورة الدراسية محاضرة حول بناء المنظمات الحزبية السرية، كما القى زو دونغ ووك محاضرة حول عمل اتحاد الشباب الشيوعى، وحاضرت باك هيون سوك حول العمل مع النساء، وباك كيل سونغ حول العمل مع الاطفال.

فى تلك الفترة بالذات، وجهنا فى اونسونغ اجتماع ممثلى المنظمات الحزبية والمنظمات الثورية داخل الوطن. وفى الاجتماع الذى عقد فى مدرسة زينميونغ الخاصة، فى حى فونغئين العمالى حاليا، فى شباط عام ١٩٣٤، ناقشنا كبند رئيسى مسألة توسيع المنظمات الحزبية فى مناطق عديدة من ارض الوطن وارساء نظام لتوجيهها. وبنتيجة

المداولات قررنا انشاء اجهزة اقليمية على غرار اللجنة الحزبية للمنطقة.

وبناء على هذا القرار، استحدثت اللجنة الحزبية لمنطقة اونسونغ برئاسة زون زانغ وون. وقد كان للاجتماع المذكور دور حاسم فى توسيع عملية بناء المنظمات الحزبية داخل الوطن فى النصف الاول من الثلاثينات.

وقد نشرت صحيفة "زوسون ايلبو" فى ذلك الحين مقالا حول ذلك الاجتماع جاء فيه: "لقد تبنى المؤتمر الحزبى الذى انعقد فى مدرسة زينميونغ برنامج عمل جرىء وقام بطبعه وتوزيعه".

وقد اقترنت النشاطات التى قمنا بها فى مناطق العدو اثناء وجودنا فى جبل تومين بالكثير من الطرائف المشوقة.

واحدى تلك النوادر التى مازالت عالقة فى ذاكرتى هى تلقيننا لاقطاعى فظ درسا قاسيا. لا استطيع ان اتذكر الآن اسم القرية حيث كان ذلك الاقطاعى يعيش، لكننى متأكد من انها كانت قرية آهلة بالكوريين.

ذات يوم، وبعدما تركت الجنود يستريحون فى الجبل خلف تومين، قررت الذهاب الى القرية حيث يسكن ذلك الاقطاعى. وقد ارتديت زيا مدنيا مؤلفا من السروال والسترة التقليديين الكوريين. وكنا نحتفظ دائما بتلك الملابس فى جعبنا، لانه بدون ارتداء تلك الملابس لم يكن بوسعنا مزاولة العمل السرى فى مناطق العدو. والجنود الذين يتكلمون اليابانية بطلاقة كانوا يحملون فى جعبهم ملابس يابانية.

فى ذلك اليوم، ذهبت الى القرية مع جندى الاتصال لى سونغ ريم، وجنديين آخرين.

ومع اننا غادرنا الوحدة عند الاصيل، الا انه كان امامنا متسع من الوقت حتى غروب الشمس. وكنت متلهفا للاطلاع على توجهات سكان القرية ومعنوياتهم، خصوصا وانه لم يسبق لنا الاتصال بهم، اضافة الى ان اعتكافى فى الجبل لايام عديدة جعلنى اشعر بالملل والضجر. كنت افكر بطلب العون من السكان وربطهم بالمنظمة اذا وجدت لديهم تقبلا واستعدادا لذلك. خاصة وانه لم يكن ثمة وجود فى القرية للجيش او الشرطة اليابانيين.

اقتربنا من اكبر المنازل واكثرها فخامة فى القرية، ونادينا على صاحبه. ومع

ان اشعة الشمس كانت ما تزال تغمر الارض بنورها، الا ان اصحاب المنزل كانوا قد اقفلوه من الداخل، ولم يردوا على ندائنا. فهززنا مقرعة البوابة بعنف، وسمعنا عندئذ صوت اقدام تقترب متكاسلة. ثم فتحت البوابة، واطل منها رأس تطلع الينا شزرا. كان رجلا متوسط السن، ذا نظرة خبيثة. انه الاقطاعى الذى ذكرته سابقا.

حييته بأدب وقلت له موضحا:

"ايها السيد، اننا عابرو سبيل، والشمس توشك ان تغيب وليس لدينا محل نأوى اليه، وقد ناديناك لكى تسمح لنا بالمبيت فى منزلك."

فما كان من صاحب الدار الا ان امطرنا بالشتائم ونعتنا بالمجانين، وقال:

"اللعنة! اذا كان النزل على بعد ٥ رى او اقل من هنا، فلماذا تأتون الى منزل خاص؟ او تعتبرون هذا البيت طاحونا مشاعا للقرية؟ "

كم كان شرسا ومقرفا تعنيفه لنا، وكذلك نظراته الساخطة وهو يعاملنا كمتسولين متشردين وينعتنا بالمجانين منذ بداية كلامه، اعترانى غضب وسخط عارمان، الا اننى تمالكت اعصابى، وعدت اتوسله بهدوء:

"ايها السيد، اننا منهكون لا نستطيع المشى اكثر، فارجلنا متعبة واقدامنا متقرحة. فارجوك ان تسمح لنا بالمبيت فى بيتك ليلة واحدة فقط."

فاذا بالمالك ينفجر فى وجهى، والزبد يتطاير من فمه:

"ياللوقاحة! قلت لكم ان النزل قريب من هنا، فلماذا تزعجوننى كالعلق؟ اننى لم ار اناسا مثلكم حتى ولا فى السوق اول ايام الشهر."

حينذاك، تقدم جندى الاتصال الذى كان واقفا ورائى وحل محلى فى التوسل اليه:

"المعذرة ايها السيد، حتى لو اردنا المبيت فى النزل، فلسنا نملك شروى نقير. والمثل يقول: الانسان الطيب تباركه حتى نجوم الدب الاكبر السبعة، فلو كنت تحسن الينا..."

وقبل ان يكمل جندى الاتصال كلامه، بصق الاقطاعى عليه بقوة وصرخ فيه: "ماذا تقول؟ أتريدون ان اعطيكم مالا، هيه؟ حمقى وسفهاء!"، ثم اغلق البوابة بعنف فى وجهنا ودخل بيته.

كانت تلك هى المرة الاولى التى القى فيها مثل هذه المعاملة خلال عشر سنوات تقريبا من العمل الثورى. لقد التقيت بكثير من الاثرياء اثناء نشاطى السرى فى منشوريا الوسطى، الا ان ايا منهم لم يعاملنى بمثل هذه المعاملة السيئة.

استشاط جندى الاتصال لى سونغ ريم غضبا ونقمة لم يستطع كظمهما. بدا لى انه لم يتصور ان يتعرض قائده لمثل هذه المعاملة المهينة من جانب الاقطاعى الجلف،المجرد من الانسانية. ومن شدة غضبه وغيظه، اقترح ان نقتله لانه احط من خنزير ولا يستحق الحياة، او ان نطلق على الاقل طلقة قرب اذنه حتى نراه ينهار مغمى عليه.

وانا ايضا لم استطع ان اكبح غضبى وسخطى. ان الامر الطبيعى هو ان تتوثق العلاقات بين ابناء الامة الواحدة فى بلاد الغربة. وحتى اولئك الذين بينهم عداوة فى ارض الوطن كعداوة الكلب والقط، يمدون ايديهم الى بعضهم بعضا ويتبادلون الحديث بمودة حين يتقابلون فى ارض الغربة. ومع ذلك، لم اجد لدى ذلك المالك الذى شتمنا وذمنا، قائلا عنا اننا مجانين، ذرة واحدة من تلك المشاعر الانسانية.

صحيح ان الامة كانت مدمرة، ولكن، هل يعنى ذلك ان يطغى السواد حتى على مشاعر المودة بين البشر؟ لقد كان لدى اسلافنا عبارة تقول "دونغبيونغ سانغريون" اى ان من يتعرضون للبلاء نفسه يتبادلون المواساة ايضا، وهذا يعنى ان احد مبادئ العلاقات الانسانية هو تعاطف البؤساء فيما بينهم.

فأين تجدون فى العالم كله امة كأمتنا تبتسم وتحزن بسهولة بدافع الشفقة والرحمة؟ وقد قال الحكماء فى قديم الزمان: "الارواح الخبيثة تخضع بالتراتيل الدينية، والانسان بالرحمة".

ان اكرام الضيف هو احد الفضائل التى تميز الكوريين، وتوفير المأوى للضيف هو عادة وشيمة اخلاقية من شيم شعبنا التى توارثناها جيلا بعد جيل. فعلى الرغم من ان اسرتى كانت تقوم بأودها فى الماضى من العناية بقبور الآخرين، الا انها لم تغلق بابها يوما فى وجه زائر. فاذا لم يكن لديها الارز او الحبوب، قدمت لهم ما هو موجود، حتى ولو اقتضى الامر اضافة الماء الى الحساء. وفى كل مرة تفعل الاسرة ذلك، كان على امى وزوجة عمى ان تتناولا حساء اقرب الى الماء منه الى الطعام.

رغم ان النساء فى اسرتى كن يتناولن وجبة او وجبتين فى اليوم فى احسن الاحوال، الا انهن لم يشتكين يوما من اسر ازواجهن او من اقدارهن. وقد كان هذا هو الوجه الحقيقى الاصيل للامة الكورية الذى انطبع فى ذهنى منذ طفولتى.

من الاعراف المأثورة عن بلادنا منذ عهد الممالك الثلاث انه حتى البائع المتجول الذى لا يملك فلسا واحدا فى جيبه، يستطيع ان يطوف محافظات كوريا الثمانى اذا اراد ذلك. لذا، كان الاجانب الذين سنحت لهم الفرصة ان يحلوا ضيوفا على الكوريين ولو مرة واحدة يلهجون بالمديح والثناء على بلادنا، قائلين بانها بلد الادب والخلق الحسن فى الشرق.

ترى، ألا تجرى فى عروق ذلك الاقطاعى الشرس دماء كورية؟ وكيف يمكنه ان يعامل ابناء جنسه بكل تلك الفظاظة؟

لقد كان معدوم الاخلاق اولا وقبل اى شىء.

من المحتمل اغتصاب اراضى الامة الضعيفة كلها؛ وقد تفقد تلك الامة حتى لغتها، وابجديتها ويفقد ابناؤها القاب عائلاتهم. ولكن، لا يمكن باى حال ان تفقد خصائصها الانسانية. فلو تحول الجميع الى خنازير مثل ذلك الاقطاعى، وانكروا حتى ابناء جلدتهم، لما كان بامكان الكوريين ان يسترجعوا الوطن.

ولحسن الحظ، فان اشباه ذلك الاقطاعى الثرى، ليسوا الا قلة قليلة بين ابناء الامة الكورية.

وقد جعلنى ذلك الحادث اعيد صياغة وجهة نظرى بهذا النوع من الاثرياء.

فى صيف عام ١٩٣٣، حدث ان هاجمت احدى وحدات جيش الانقاذ الوطنى، التى كانت ترابط فى شيليبينغ، قرية شيسيان حيث اختطفت عقيلة احد الاثرياء الصينيين كرهينة للحصول على مواد تموينية. وقد بقيت هذه المرأة بقدميها المحبوستين فى حذاء معدنى محتجزة عدة ايام فى شيليبينغ وهى بملابسها الداخلية. وقد ابلغ المختطفون زوجها بانهم سيفرجون عنها اذا هو دفع لهم فدية مالية قدرها كذا فى يوم كذا. الا ان ذلك الثرى لم يلتفت مجرد التفات صوب شيليبينغ، قائلا ان ذلك المبلغ من المال كاف للزواج من امرأة اجمل منها. وفى النهاية، اضطر والد

تلك المرأة المختطفة الى دفع الفدية لجيش الانقاذ الوطنى لاستعادتها.

هكذا كان الاثرياء الفاسدون.

ومن اجل مبيتنا تلك الليلة، درنا حول القرية مرة اخرى. وبحثنا عن بيت مسقوف بالقش هذه المرة، لا بالقرميد. وفى مكان غير بعيد عن منزل ذلك الاقطاعى، وجدنا بيتا مسقوفا بالقش، ابوابه مفتوحة على مصراعيها، وساكنوه مجتمعون حول مائدة العشاء.

فاقتربت من مصطبة البيت وقلت لصاحبه ما كنت قد قلته للاقطاعى:

"اننا عابرو سبيل، والشمس توشك ان تغيب. فهل تأذن لنا بالمبيت فى منزلك هذه الليلة؟ "

نهض صاحب البيت واقفا ونظر الى الخارج ويده على مقبض الباب، وقال:

"تفضلوا بالدخول. تفضلوا وشاركونا هذا الثريد على الرغم من انه ليس بالطعام اللائق. ارجو معذرتكم، فليس عندنا غير الثريد. اننى اشعر بالخجل من قذارة الغرفة، ولكن تفضلوا، تفضلوا."

"أتقول غير نظيفة؟ هذا لا يهم فنحن عابرو سبيل فقط."

ادخلنا صاحب البيت وهو يشدنا من ايدينا. كانت غرفة بسيطة، الا ان كلمات ساكنيها كانت رقيقة كالحرير.

سأل صاحب البيت زوجته عما اذا كان لا يزال لديها شىء من الثريد. فاجابته الزوجة بالايجاب. وعندما رأيت هذا المشهد، اقتنعت بان الفقراء مختلفون عن الآخرين. فالرحمة هى من نصيبهم، وليست من شيم الاثرياء. وقد كانت دعوته لنا، نحن الاثنين، لمشاركته العشاء مؤثرة. فقلت له:

"اذا نحن تناولنا نصيبكم فماذا عساكم تأكلون؟ لا تقلق بشأننا، يكفى اننا وجدنا مكانا ننام فيه."

اعتذرت منه لاننى رأيت اننى ساغص بالثريد حتى وان جلست الى مائدة الطعام.

فتضايق صاحب البيت من اعتذارى وقال غاضبا:

"أى عرف فى العالم يسمح بذلك؟ انتم ضيوف، وعلى الضيوف ان يتقبلوا ما

يقدم اليهم... يبدو لى انكم تعتذرون لان الطعام ليس شهيا. ولكن هذا كل ما عندنا فى الحقيقة. يا زوجتى، احضرى بصلا وصحنا آخر من عجينة الصويا."

جلبت الزوجة ما طلبه منها.

وفيما كنت ألاحظ تلك المعاملة الدافئة التى يعاملوننا بها وكأننا من اقربائهم وذويهم الحقيقيين، تملكنى انفعال واحسست بشىء ساخن فى عينى. فجلست الى مائدة الطعام، الا اننى لم استطع الامساك بالملعقة، فقد كنت افكر فى رفاقى الذين يقومون بالحراسة خارج القرية.

"شكرا، يا صاحب الدار، ساتناول الطعام فيما بعد. تفضل، كل انت اولا. ان لى رفاقا ما زالوا خارج القرية."

"وكم عددهم؟"

استفسر صاحب البيت وامائر القلق والارتباك بادية على وجهه. انها لمعضلة بالفعل ان يأتيه مزيد من الضيوف، وليس عنده ما يقدمه لهم غير طبق من الثريد وحسب.

"هناك اثنان آخران، لكنهما لا يستطيعان المشى بسبب تقرح اقدامهما. بالمناسبة، يا صاحبى، سمعت ان هناك نزلا لا يبعد كثيرا من هنا، أهذا صحيح؟"

"صحيح. على بعد حوالى سبعة رى من هنا. فكيف يمكنهما الذهاب اليه طالما ان اقدامهما متقرحة. من الافضل ان نتقاسم ما لدينا من طعام وتنامون هنا. وفى الغد يمكنكم الذهاب. استدعوا رفيقيكم الآخرين الآن."

اغتنمت الفرصة لاسأله عن الاقطاعى.

فاخبرنى انه انسان شحيح وطماع. ثم اضاف بانه يرتبط بعلاقات وثيقة مع رجال الشرطة والموظفين، بينما يدير ظهره للقرويين. وذكر انه حدث قبل عدة ايام ان جاء احد الشباب الى هنا من كوريا لزيارة اقربائه، فاقتيد الى مخفر الشرطة دون مبرر وتعرض للاستجواب والضرب حتى الانهاك ثم اعيد الى موطنه. وربما كان ذلك بسبب وشاية من الاقطاعى.

وسرعان ما ارخى الليل سدوله.

أمرت جندى الاتصال بأن يخبر الحارسين باننا سنمضى الليلة فى القرية،

وان يستدعيا بقية عناصر الوحدة الذين ينتظرون فى الجبل.

وبعد قليل، وصل هان هونغ كوون آمر السرية ومعه افراد الوحدة الى القرية.

عندما رأى الاقطاعى نحو ستين او سبعين رجلا بالزى العسكرى يدخلون القرية، ظن ان شيئا خطيرا قد حدث. فظهر امام رفاقنا وحياهم بتملق: "طاب مساءكم ايها السادة! ". ثم الح على دعوتهم الى بيته.

ففكرت بمدى صعوبة العيش بوجهين مثلما يعيش هذا الرجل.

ولكن هان هونغ كوون الذى لم يعرفه على حقيقته اثنى على اريحيته وامتدحه قائلا: "ايها الرفيق القائد، ان هذا الاقطاعى شهم مثل تشانغ فى سياووانغتشينغ والمالك الآخر فى تومين". كان تشانغ يقدم مساعدة نزيهة لجيش حرب العصابات، لكنه طرد فيما بعد الى دادوتشوان بأمر من حكومة السوفييت. اما مالك الارض فى تومين فكان رجلا شريفا قدم للوحدات الصينية المناهضة لليابان بناء على طلبنا، مختلف المواد التموينية، بما فيها الاقمشة والقطن لصنع اكثر من ٥٠٠ بزة عسكرية. وقد كسونا بها جميع رجال الوحدات الصينية فى منطقة سياووانغتشينغ.

كان مالك الارض فى تومين يكثر من التردد على شيليبينغ لزيارة اقربائه هناك. ولا ادرى كيف عرف رفاقنا بأمره فاحتجزوه ذات مرة للحصول على فدية منه. ولكن عندما عدنا الى القاعدة بعد مهمة لنا فى مناطق العدو، افرج الرفاق فى القيادة عنه بحجة ان اسلوب احتجازه خاطئ. فامرت الجنود بان يحضروه الى، وقد اعتقلوه ثانية وهو يحاول الفرار الى خارج منطقة حرب العصابات. وقد قابلته وصارحته بمشكلة ملابس الوحدات الصينية المناهضة لليابان. فوعدنى الاقطاعى بان يلبى مطالب جيش حرب العصابات ثم رجع الى بيته. وقد التزم بذلك الوعد فيما بعد.

رويت بايجاز الى هان هونغ كوون عما حدث لنا فى بيت الاقطاعى، ثم قلت له:

"ايها الرفيق آمر السرية، لا تنخدع بسلوك ذلك الماكر. انه وغد لئيم لا يفتح حتى باب بيته للضيوف عابرى السبيل."

وحين سمع هان هونغ كوون منى ذلك، راح يضحك مشدوها فى اول الامر، لكنه مالبث ان شد قبضتيه، وقال بغضب:

"عليه اللعنة ! يجب ان لا نغفر له اطلاقا. فلنحاكمه ونعدمه فى الحال."

فلوحت بيدى لهان هونغ كوون الذى كان متأثرا من فرط الانفعال وقلت له:

"دعك منه. ماذا سنجنى من وراء اعدام اقطاعى واحد؟ وان ذلك سيثير ضجة كبيرة فى القرية. والاحرى بنا ان ننبهه بصرامة الى ضرورة الالتزام بضميره ككورى."

"سنوجه اليه تأنيبا اذن. لا نستطيع ان نغفر لبرغوث الكلب هذا ونتركه وشأنه."

"لا بأس. ولكن اياك ان تتصرف كقطاع الطرق."

وقد حذرته سلفا من التصرف بطيش.

ما ان ذهب هان هونغ كوون اليه فى بيته حتى خرج ذلك الاقطاعى الماكر وسأله عمن يكون القائد. كان ينوى ان يستضيف فى بيته القائد وبضعة ضباط فقط، وتوزيع الآخرين الذين لا يهمه شأنهم على بيوت القرية الاخرى. لقد كان يحسب الامور بسرعة مثل اى بخيل.

قدم هان هونغ كوون نفسه على انه القائد، ثم قال له بصورة عابرة:

"يبدو لى انك تعيش حياة ميسورة. ولن تشعر بأى ضيق حتى ولو اقمنا عندك نحو شهرين."

"استطيع استضافتكم لبضعة ايام، اما شهرين... "

وبدت على وجه الاقطاعى امارات الفزع والقلق من امكانية بقائنا مدة شهرين.

ولكن هان هونغ كوون تجاهل كلام الاقطاعى، وراح يمطره بكل هدوء باسئلة صعقته:

"كم خنزيرا لديك ايها السيد؟ فرجالى لم يذوقوا طعم لحم الخنزير منذ عدة اشهر. لن نطلب شيئا من البيوت الاخرى، لانك تحتفظ فى هذا البيت بمئة زكيبة من الارز على الاقل، فماذا تقول؟ "

"ليس الى هذا الحد. انك تبالغ. البيوت الاخرى فيها ايضا ارز، ولكنهم يتظاهرون بالفقر ويدعون انهم يأكلون الثريد فقط. "

"هذا لا يهمنا. على كل حال، يجب عليك انت ان تحيطنا بضيافة كريمة. ولا ترتعش هكذا لهذا الامر التافه بالنسبة لرجل ثرى مثلك. اذا كان لديك ذرة من الضمير ككورى، فمن واجبك ان تساهم فى استرجاع البلاد. أتدعونا الى اكل الارز فى بيوت الفقراء، بدلا من ان تمد لنا، انت الثرى، يد العون والمؤازرة؟ وماذا سيأكل هؤلاء القرويون فى موسم الزراعة اذا نحن استهلكنا ما لديهم من حبوب؟"

وخوفا من تهديدات هان، وجد الاقطاعى نفسه مضطرا الى ذبح الخنازير وتقديم الارز. وحتى الجنود الذين نزلوا فى البيوت الاخرى لم يستهلكوا شيئا من مؤن تلك البيوت، بل انتزعوا منه الارز وطبخوا طعامهم. ولو كان ذلك الاقطاعى عاملنا معاملة انسانية لما تعرض لمثل تلك المكاره.

وبعد ان لقن هان هونغ كوون مالك الارض درسا قاسيا على هذا النحو، اخذ من بيته حتى حصيرة ولحافا لفراشى. لقد كان، فى الاصل، شخصا ظريفا وقد اجاد القيام بدوره فى تلك المسرحية الهزلية.

فى تلك الليلة، وقبل ان ننام فى بيت ذلك الفلاح الطيب الذى قدم لنا ثريدا من الشعير، اعددنا طعاما من الارز الذى اتى به هان هونغ كوون من بيت الاقطاعى الثرى.

فسألنا صاحب البيت خائفا:

"ألن تكون لهذا الامر اية عواقب؟"

فهدأت من روعه:

"لا تقلق. هذا الامر لا يعنيك ابدا. انت لم تفعل شيئا سوى انك اعرتنا القدر. واذا ضايقك الاقطاعى فيما بعد، قل له انك لا تعرف شيئا وليراجع جيش حرب العصابات فى الامر."

"اذا كنتم من رجال جيش حرب العصابات فانا مطمئن. او ترانا اغبياء الى هذه الدرجة حتى لا نتعرف على رجال جيش حرب العصابات؟"

والحقيقة انه لم يكن بامكان الزوجين ان يعرفا هويتنا. وكانت اخلاقهما الكورية الكريمة هى التى دفعتهما الى دعوتنا لمشاركتهما طعامهما البائس.اما الاقطاعى، فكان يفتقر الى فضيلة اكرام الضيف. لو كان رجال الشرطة اليابانيون هم الذين

طرقوا باب بيته، لكان اجلسهم على الحصيرة وتزلف اليهم.

هذا هو الفارق ما بين الاثرياء والفقراء. ولكن ليس جميع الاثرياء مجردين من العواطف الانسانية والروح الوطنية. فعلى الرغم من ان تشانغ وان تشينغ، والد تشانغ وى هوا، كان ملاكا كبيرا، الا انه كان يتمتع بسمعة طيبة وبروح وطنية عالية. وكذلك الامر بالنسبة للارملة الثرية بايك التى عرفت كامرأة عظيمة لانها كانت وطنية تتحلى بفضائل انسانية سامية. ولم تضن بشىء من المال من اجل تمدن الامة وتقدمها. لذا، سماها الناس فيما بعد بايك سون هاينغ (المحسنة الفاضلة – المترجم).

لكن معظم الاثرياء كانوا بخلاء وقساة القلوب، مثل ذلك الاقطاعى الثرى الذى قابلناه. ان المثل القائل: "بحجم وعاء الارز يكون الكرم"، هو قول صحيح بكل تأكيد. ولكن، لا يمكننا تعميم هذا القول فى كل الاحوال. فهل كان ذلك الفلاح الذى قدم لنا ثريد الشعير مضيافا لان لديه قدرا كبيرا من الارز ؟ اؤكد لكم ان بيته كان خاليا يومها من الارز، ولم يكن لديه الا زكيبة واحدة من الشعير البائس كانت مركونة فى زاوية الغرفة.

اذا كان المرء يفتقر الى الفضائل الانسانية رغم وفرة ماله وممتلكاته، فان الناس يتفادونه ويعيش معزولا فى الدنيا. اما اذا كان يتحلى بالفضائل الانسانية السامية، فانك تجد حوله المحبين ويكون غنيا بأدبه واخلاقه ويحظى باحترام الناس حتى ولو عاش فى كوخ. وعندما نعتمد الآداب معيارا لتحديد الانسان الطيب والانسان السيئ، يمكن القول بان ذلك الاقطاعى الثرى الذى طردنا من امام بوابته هو فقير مسكين لا يستحق ان يصنف بين بنى البشر.

ان المشاعر الانسانية الحقيقية لا تظهر فى القصور الفاخرة، وانما فى الاكواخ التى يسكنها الناس العاديون.

حدث ان اصيب لى بونغ سو وزوجته بالتيفوس الطفحى عندما كانا يعملان فى ماتشانغ فيما مضى. وقد زحفت زوجته آن سون هوا التى كانت تعمل فى المستشفى الذى يديره زوجها آنذاك، زحفت الى الخارج بشق النفس لكى تدفن طفلها الذى مات جوعا ثم غطته باوراق شجر البلوط.

وفكر لى بونغ سو بانه سيلقى هو الآخر حتفه ويلحق بابنه فى اى لحظة، فخلع ملابسه الجديدة التى اعطاه اياها رفاقه الثوريون قبل عدة ايام، وطواها بعناية ووضع فوقها وصية يقول فيها:

"هذه الملابس جديدة. فالرجاء ممن يعثر عليها ان يرتديها بدلا منى."

هذا هو العالم الروحى للثوريين الذين لا مجال البتة للمقارنة بينهم وبين ذلك الاقطاعى الكريه.

نجا لى بونغ سو من الموت بما يشبه الاعجوبة واستمر فى الثورة. اما "ورقة الوصية" فبقيت وثيقة حية ومؤثرة تبين السجايا النبيلة والسامية التى يظهرها الشيوعيون وحدهم.

عندما رجعنا الى منطقة حرب العصابات، جمعنا الجنود ورويناا لهم ما حدث لنا فى تلك القرية. وقد اشرنا لهم الى الطبيعة الطبقية للناس بالقول: بينما دعانا الفقراء بالحاح لنقاسمهم طعامهم القليل، صفق ذلك الاقطاعى الباب فى وجوهنا. لقد كان وغدا حقيقيا. ولكى يختفى من الوجود مثل هؤلاء الاوغاد، لا بد لنا من القضاء على المجتمع الاستغلالى.

وما لبثت هذه القصة ان غدت مادة جيدة للتثقيف الطبقى.

فمنذ اليوم التالى، صارت قصة الاقطاعى الغنى والفلاح الفقير مدار حديث الناس فى القرى على امتداد ضفاف نهر دومان. وكان ابناء الشعب يلعنون ذلك الاقطاعى، قائلين عنه انه حثالة ولئيم، ويثنون فى الوقت نفسه على الفلاح الفقير، ويصفونه بانه انسان فاضل ونبيل. فكان جنودنا اذا ذهبوا بالملابس المدنية الى اى قرية، يأتى الشباب لكى يرشدوهم الى بيوت الاثرياء، وبيوت من لديهم ثور من "جمعية مين".

كان سكان الارياف آنذاك يربون ثيرانا عائدة الى "جمعية مين". وكانت تلك الجمعية الرجعية توزع الثيران على الفلاحين بعد احتلال اليابان لمنشوريا. ولم تكن تلك الثيران ملكا للفلاحين، بل كان عليهم ان يرجعوها الى الجمعية بعد ان تكبر. كانت تلك احدى الوسائل المتبعة لاستغلال الطاقات البشرية. والثيران العائدة الى "جمعية مين" كانت تعرف بسهولة لانها موسومة فى قرونها.

وكان الشباب يعنون بذلك انه لا بأس ان هم ذبحوا تلك الثيران. وكان رجال جيش حرب العصابات يختارون الثيران التى يدلهم الشباب عليها دون غيرها لكى يذبحوها. فكان اليابانيون يخرجون عن طورهم، قائلين ان سكان القرية انذال؛ فكيف يعرف رجال الجيش الشيوعى كل البيوت التى توجد فيها ثيراننا؟ لا ريب فى ان القرويين هم الذين اخبروهم بذلك.

وفى كل مرة، كان الفلاحون يتهربون من التبعة بالقول: "وكيف لنا ان نعلم؟ اننا لا نعرف شيئا من ذلك. ان لدى اولئك الناس قوائم، وهم يستدعوننا بموجب تلك القوائم، ولا خيار لنا سوى تلبية طلبهم".

من خلال الخبرات التى تراكمت لدى منذ زمن بعيد، ترسخت قناعتى بان الاثرياء يزدادون قسوة ويتجردون من الفضائل بقدر ما يزداد ثراؤهم. ان الثراء الذى يدير ظهره للعدالة والخلق الحميد ليس فى ذاته ينبوع الفضائل، وانما هو بالعكس مقبرة للفضائل. وقد كان ذلك الاقطاعى الثرى هو الذى اوصلنى الى هذه النتيجة. بل لقد تبدل انطباعى عن تلك القرية بسببه.

وبعد هذه التجربة، ازددت تصميما على ضرورة تقويض المجتمع القديم الفاسد وغير الاخلاقى، الذى يطغى ويستبد فيه ملاك الاراضى والرأسماليون، وبناء مجتمع جديد فاضل وسليم يعيش فيه الجميع فى ألفة وانسجام كأسرة واحدة دون فوارق بين فقير وغنى.

وها نحن نعمل الآن جاهدين لاغناء جميع الشغيلة. اننا نبغى جعلهم اغنياء حقيقيين، اغنياء مجتهدين يخلقون الخيرات الاجتماعية بعملهم دون انقطاع؛ اغنياء ميسورين ماديا وافاضل خلقيا، لا اغنياء يعيشون فى ترف على حساب دماء وعرق الآخرين. اننا لا نستطيع السماح بذلك النمط الرأسمالى الذى يشكل المال فيه مصدر القوة. وعندما نصل الى العصر الذى يتمتع فيه جميع الناس بالثروات المادية والاخلاقية بالتساوى، فان الآثام الاجتماعية التى تلطخ جبين البشرية ستزول نهائيا.

٣ـ تسلق جبال لاويلنغ

ما ان عدنا الى قواعد حرب العصابات بعد الانتهاء من نشاطاتنا فى مناطق العدو، حتى وجدنا انفسنا مضطرين الى حمل حقائبنا على ظهورنا ومغادرة ارض وانغتشينغ مرة اخرى. ذلك ان جو باو جونغ الذى كان ينشط آنذاك فى منشوريا الشمالية ارسل يطلب منا الدعم والمؤازرة.

فاستجبت لطلبه هذا بمنتهى الجدية. كان جو باو جونغ صديقا حميما لى فى السلاح، فقد ناضلنا معا فى سبيل القضية المشتركة منذ ايام عملنا فى لجنة الجنود المعادين لليابان، وارتبطنا منذ ذلك الحين بروابط متينة. ومن خلال معركة لوزوكو، تعمقت عرى الصداقة بينى وبينه اكثر. كان يكبرنى بعشر سنوات. وقد اعتبرت تلبية طلبه واجبا امميا مقدسا، واسرعت بالاستعدادات للانطلاق الى منشوريا الشمالية.

فى النصف الثانى من تشرين الاول عام ١٩٣٤، وفى يوم تساقط فيه الثلج بكثرة، انطلقت ثلاث سرايا تمثل قوات الحملة الى منشوريا الشمالية، وتتألف من اكثر من ١٧٠ جنديا اختيروا من بين قواتنا فى وانغتشينغ وهونتشون و آنزى، وغادرت دويتولاجى باتجاه سلسلة جبال لاويلنغ.

ان للطبيعة قوة خفية حقا. فسلاسل الجبال تفصل احيانا بين البلدان وترسم حدود المقاطعات والمحافظات. وقد تكون هذه السلاسل الجبلية احيانا عاملا حاسما فى تحديد الاختلاف فى المستوى السياسى والاقتصادى والثقافى. فسلسلة جبال لاويلنغ تشكل حاجزا طبيعيا يفصل منشوريا الشرقية عن الشمالية والجنوبية، وتنقسم تشينتاو عندها الى شمالية وشرقية وغربية. كما ان التضاريس تختلف اختلافا بينا فى شمالى هذه السلسلة عن جنوبيها. ففى الشطر الجنوبى تشمخ الجبال الوعرة، بينما تنبسط فى الشطر

الشمالى كثير من السهول الفسيحة التى لا يمكن رؤية مثلها فى كوريا الا فى منطقة هونام. وبينما يسكن منطقة منشوريا الشرقية الواقعة الى الجنوب من لاويلنغ اناس قادمون فى معظمهم من محافظة هامكيونغ الشمالية فى كوريا، يقطن المنطقة الواقعة الى الشمال منها عدد كبير من المتحدرين من محافظتى كيونغسانغ الجنوبية والشمالية.

من حيث مستوى الوعى، كان سكان شمالى منشوريا متخلفين بعض الشىء عن السكان فى شرقيها. وكانت حماستهم الثورية بالتالى اقل من اولئك. ذات مرة، صارحنى جو باو جونغ بان تثقيف السكان سياسيا فى منشوريا الشمالية اصعب بكثير من تثقيف اهالى منشوريا الشرقية. وقد كان ذلك الوضع يشكل عقبة لا يستهان بها فى وجه نشاطات الشيوعيين فى منشوريا الشمالية. وكان تحسين تلك الاوضاع ولو جزئيا يخدم ايضا التطور المتناسق للثورة فى شمال شرقى الصين.

كنا نخطط لان نتخذ من جنوبى منشوريا وشماليها حلبة لنشاطات الوحدات الكبيرة فيما بعد، ناهيك عن منشوريا الشرقية وداخل البلاد. لذلك، كان بذل كل ما يمكن من الجهود من اجل التعاون مع الجيران موقفا ثابتا طالما تمسكنا به منذ بداية النضال. وكان سعينا للقاء مع لى هونغ كوانغ ولى دونغ كوانغ احد الاسباب الرئيسية لانطلاقنا نحو منشوريا الجنوبية، وقد بذلنا جهدا كبيرا لتحقيق هذا الهدف. كما ان مد يد العون الى منشوريا الشمالية كان يعنى مساعدة الشيوعيين الكوريين الذين يخوضون حرب العصابات فى تلك المنطقة، ومن ضمنهم كيم تشايك وتشاى يونغ كون وهو هيونغ سيك ولى هاك مان ولى غى دونغ.

اكتسحت عناصر الحملة موجة عارمة من التأثر منذ لحظة الانطلاق. فالمكان المجهول يثير فى النفس دوما تصورات جميلة كقوس قزح. وقد كان ذلك التأثر اشد وقعا لدى شباب الحملة الذين هم فى الثامنة عشرة او العشرين من اعمارهم حيث الفضول اشد قوة. وبشعور مماثل لشعورهم قدت الوحدة الى هدفها.

لكن، منذ اللحظة التى غادرنا فيها دويتولاجى، انتابنى قلق كاد ان يكبل خطواتى ويمنعنى من المسير. وبقدر ما كانت الوحدة تبتعد عن مناطق حرب العصابات، كان قلقى يشتد.

كنت امضى الى منشوريا الشمالية بينما كانت قواعدنا فى منشوريا الشرقية ما تزال مهددة بحصار العدو. فالعملية الخاصة طويلة المدى لحفظ الامن كانت برنامجا "تأديبيا" واسع النطاق وضعته الامبريالية اليابانية، التى ذاقت مرارة الهزيمة فى الهجوم الصيفى الذى شنه الجيش الثورى الشعبى الكورى. وكان المضمون الاساسى لذلك البرنامج هو عملية تستمر لمدة سنة ونصف السنة، ابتداء من ايلول ١٩٣٤ وحتى آذار ١٩٣٦، وتنقسم الى ثلاث مراحل، تبدأ من الاماكن التى استتب فيها الامن نسبيا، لتنتهى بتصفية آخر نقاط ارتكاز الجيش الثورى الشعبى. وباستخدام تكتيك "الاحتلال خطوة خطوة "الرامى الى توسيع المناطق المحتلة شيئا فشيئا بالاضافة الى استعمال تكتيك المعركة المتواصلة التى تقضى باطالة الوقت اللازم للحملات "التأديبية "، لم يكن من المستبعد ان يكون حصار العدو لقواعد حرب العصابات هو الانشوطة التى ستخنق الثورة.

ومما لا شك فيه ان الحملة الى منشوريا الشمالية التى قمنا بها فى ذلك الحين شكلت شرخا كبيرا فى محاولات الجيش العدوانى اليابانى.

وكان هناك تهديد آخر مسلط على قواعد حرب العصابات لا يقل خطرا عن عملية الحصار المعادية. ذلك التهديد هو المواجهة مع "مينساينغدان" باساليب يسارية متطرفة فى كل ارجاء تشينتاو. اذ ان بعض الطموحين والوصوليين والشوفينيين والفئويين المرتهنين الذين كانوا يتبوؤون مراكز مرموقة فى القيادة استغلوا تلك المواجهة لاغراضهم السياسية الدنيئة، خلافا للاهداف الاصلية التى حددها الحزب فى منشوريا الشرقية، مما اسفر عن نتائج خطيرة تمثلت فى تفتيت الصفوف الثورية وتقويضها من الداخل وتهديد وجود قواعد حرب العصابات ذاته.

كانت الهراوة الحديدية المرعبة التى لا تعرف الرحمة والمسماة "تصفية الرجعيين" ، تحصد يوميا حياة العديد من الثوريين الصادقين والمخلصين بلا حدود لقضيتهم، ومن السكان الوطنيين دون تمييز بين الصديق والعدو. وامست الاغلبية الساحقة من رجال الجيش وابناء الشعب فى قواعد حرب العصابات متهمين بالانتساب الى "مينساينغدان".

ولكن، كان اللافت للنظر هو ان رأس الحربة فى النضال ضد "مينساينغدان" كان موجها نحو الكوريين. والاخطر من ذلك، انه كان يستهدف خيرة عناصر الحزب والجيش والمنظمات الجماهيرية والعناصر الطليعية الاخرى. كانت فوهات البنادق المعدة للقضاء على "الرجعيين" مصوبة دائما الى النشطاء والمناضلين والاشخاص الذين تمحضهم الجماهير ثقتها وتحترمهم. فقتل لى يونغ كوك، سكرتير اللجنة الحزبية فى محافظة وانغتشينغ، بتهمة "المينساينغدانية" هو مثال بارز على ذلك. كما ان ريانغ سونغ ريونغ، آمر كتيبة وانغتشينغ، الذى اعتقل بتهمة الانتماء الى "مينساينغدان"، ولم يطلق سراحه الا بصعوبة وبكفالة منا، كان ما يزال هو الآخر تحت المراقبة. على هذا النحو، قام بعض الطموحين والمتآمرين فى تشينتاو بقتل الثوريين الحقيقيين بذريعة القضاء على "الرجعيين". وقد تمكن كيم ميونغ كيون، المسؤول العسكرى فى اللجنة الحزبية للمحافظة، ولى وونغ غول، سكرتير اللجنة الحزبية للدائرة الاولى من الافلات من قاعدة حرب العصابات، بعد ان حكم عليهما بالاعدام رميا بالرصاص بتهمة الانتماء الى "مينساينغدان".

فى اواخر شهر تشرين الاول، تبدأ بالهطول فى منشوريا ثلوج كثيرة، وتعصف فى ارجائها الرياح الباردة. ومنذ غابر الازمنة، اطلق اهالى المنطقة على تلك العواصف تسمية الرياح السيبيرية.

وفى ذلك اليوم الذى غادرنا فيه دويتولاجى، ايضا، حالت عاصفة ثلجية عاتية دون اجتيازنا جبل لاويلنغ. كان هذا الممر الجبلى اشبه بقوس يوشك ان يرمى سهما. واذا ما ترجمنا هذا الاسم (لاويلنغ) حرفيا، نجد انه يعنى ممر الشيخ، اى الشاهق والوعر للغاية. وقد امضينا طوال ذلك اليوم فى الصعود. وكثيرا ما كنت اسمع لى سونغ ريم يتذمر من وعورة الارض.

وطوال الطريق، كان غو بو باى (غو الكنز) يشجع الرفاق ببعض مهاراته. لقد سبق وذكرت انه حين كان تونغ تشانغ رونغ معتقلا فى سجن لونغجينغ، دخل غو بو باى السجن بقدميه لارتكابه السرقة عامدا متعمدا بايعاز منا كى ينقل اليه رسالتنا. كان يتمتع بخفة يد خاطفة كالبرق تمكنه من سرقة كل ما فى السوق الكبيرة من نقود

فى مثل لمح البصر. لقد كان قادرا على ان يعيش فى رغد وبحبوحة وبما لا يقل عن مستوى اصحاب الملايين باستخدام مهارته هذه وحدها فيما لو عقد النية على ذلك.

كان امرا يستدعى العجب تماما ان شخصا كهذا ينتقل طائعا مختارا الى جوف الغابات ويلقى بنفسه فى معمعان الثورة وان كان فى الوقت ذاته امرا جديرا بالثناء والتقدير.

لكن مهارته اليدوية لم تكن الا جزءا من مزاياه العديدة. اما مهاراته الاهم فكانت فى حركات وجهه وفمه وفى خفة ظله. وكان قادرا على تقليد اى صوت بوضع يديه على فمه، واذا قطب وجهه التوى فمه وعيناه الى جهة واحدة فتشوهت صورته. وعندما كان غو بو باى يمارس مهارته هذه، كان وانغ دى تاى قائد الفيلق الثانى الخشن والصارم والذى يتفاداه الجميع، ينفجر فى موجة مجلجلة من الضحك المتواصل. وعندما كان غو بو باى يلوى احدى رجليه وهو يركض، لم نكن نتمالك انفسنا عن الضحك.

وحين كان غو بو باى يتجول حاملا كيسا على كتفه وهو يترنم بالاغنيات الشعبية، كان يبدو للناظر شخصا مخبولا ويتمكن بذلك من خداع العدو بسهولة.

وبفضل هذه المهارات وبراعته فى التنكر، استطاع تنفيذ مهمات استطلاع عديدة فى المدن والقرى. وكان هذا هو السبب فى اطلاق لقب غو بو باى عليه، للاشارة الى انه شخص ثمين كجوهرة. ولم يكن بين رفاقه فى السلاح من كان يناديه باسمه الاصلى الا نادرا. وانا ايضا كنت ادعوه بلقبه هذا. وكانت النتيجة ان اسمه الاصلى لم يعد معروفا.

وبخصوص مسقط رأسه، كان البعض يقولون انه من مواليد محافظة هامكيونغ الشمالية، ويؤكد آخرون انه من محافظة هامكيونغ الجنوبية او محافظة كانغوون. حتى غو بو باى نفسه لم يكن يعرف فى اية محافظة ولد.

واذا سئل عن مسقط رأسه، يجيب ببساطة انه ولد على احد سواحل كوريا، ولكنه لم يكن يعرف المكان بالضبط، وكان يفسر ذلك بانه كان طفلا رضيعا عندما انتقل ابواه الى منشوريا، وقد توفيا فى وقت مبكر. وقد اكتوى فى الاعمال الجسدية

المرهقة منذ طفولته، فلم يكن هناك عمل لا يستطيع اداءه. كان قادرا على العمل كحداد او بناء او حلاق.

وقد عمل لبعض الوقت مراسلا لتأمين الاتصالات ما بين شرقى منشوريا وشماليها. ومع ذلك، لم يكن يبدر عنه ما يشى بنوع المهمة التى يؤديها او مكانها. واذا ما سأله بعض الرفاق: "ماذا تعمل فى هذه الايام يا رفيق بو باى؟ هل انضممت الى جيش حرب العصابات؟" اجابهم بنعم، واذا سألوه: "هل انت مفتش متجول؟" اجابهم بنعم ايضا. وكانت تظهر على وجهه عندئذ ابتسامة غامضة بحيث يستحيل عليهم ان يميزوا الجد من الهزل فى كلامه. كان ذلك هو اسلوبه الفريد للتستر على طبيعة عمله.

ومثلما تبعنى غو بو باى واحترمنى على الدوام، كنت بدورى امحضه ثقتى ومحبتى بشكل كامل.

حينما بلغنا قمة جبل لاويلنغ، حلقت مقاتلتان يابانيتان من ذوات الاجنحة المزدوجة على علو منخفض فوقنا ثم اختفتا عن الانظار. ربما كان جنود الوحدات "التأديبية" الذين يتعقبوننا قد ابلغوا قيادتهم بمكان وجودنا.

وفى ذلك اليوم، هطلت الثلوج بكثرة منذ الصباح وحتى الغروب.

كانت كل المرتفعات والاودية فى الجهة الشمالية من لاويلنغ مغطاة بالثلوج بحيث لا يمكن تمييز واد عن آخر يجاوره، اضافة الى ان الرياح العاتية اخذت تزمجر فى فترة ما بعد الظهر، حتى ان غو بو باى نفسه الذى كان يعرف تضاريس الارض هنا مثلما يعرف فناء بيته، وقع فى حيرة وتعذر عليه تحديد الاتجاهات، فما بالكم بنا نحن الذين لم نزر منطقة منشوريا الشمالية من قبل الا نادرا. ضللنا الطريق فى نقطة تبعد ٨٠ رى عن باداوهيجى فتوقفنا عن المسير. راح الجنود يتأملون وجهى باهتمام وسط الثلوج المتساقطة بكثافة ولسعات البرد اللاذعة.

حتى غو بو باى المفعم بالنشاط والتفاؤل، بدا قلقا ومتهدل الكتفين وكأنه هو السبب فى الوضع الذى وصلنا اليه.

"كل عام، يحدث ان يضل المسافرون طريقهم فى هذا المكان ويفقد بعضهم

حياته بالسقوط فى حفر مغطاة بالثلوج. فى العام المنصرم، مات سبعة او ثمانية جنود من الوحدات الصينية المعادية لليابان فى هذا الجبل. ما رأيكم فى ان نرجع الى اقرب قرية ونبيت ليلتنا فيها ثم نواصل المسير بعد ان تهدأ العاصفة الثلجية؟"

تقدم غو بو باى بذلك الاقتراح بحذر شديد ونظراته القلقة موجهة الى الاودية الشمالية من لاويلنغ المغطاة بالثلوج.

بيد انى رفضت اقتراحه، لان التراجع فى مثل تلك الحالة لن يفيدنا بشىء، وقلت:

"لا، لا استطيع ان اوافقك الرأى يا رفيق بو باى. علام التردد وانت تعرف هذه المنطقة جيدا، حتى ان قدميك قد تقرحتا لكثرة ما طرقتها ؟ اذ كنا فى جبل لاويلنغ حقا، وليس فى هاربالنغ او موتانلنغ، فان الطريق يجب ان يكون هنا. لدى بوصلة، وحسبنا ان نسير فى اتجاه الشمال. لا داعى لكل هذا الخوف، تشجع يا رفيق! ان الرفاق فى منشوريا الشمالية بانتظارنا."

استمد غو بو باى القوة من كلامى هذا، فتقدم الرتل وراح يشق الطريق وسط الثلوج وهو يطلق بفمه اصواتا كهدير محرك السيارة. وعندما سمع جنود الوحدة هذه الاصوات، ضجوا بضحكات صاخبة رددت اصداؤها سلسلة الجبال.

فى اليوم التالى، وصلنا الى قرية صينية صغيرة. وما ان دخلت وحدتنا تلك القرية حتى فاجأتنا قوات " تأديبية" من الجيش اليابانى كانت ترابط فى قرية مجاورة. وكانت تلك المعركة هى تعميدنا بالنار فى منشوريا الشمالية.

لم يسبق للوحدات "التأديبية " اليابانية او قوات جيش منشوكو العميل فى تلك المنطقة ان اشتبكت مع الجيش الثورى الشعبى. فحتى ذلك الحين، كانت تواجه جماعات مسلحة عاجزة وغير متجانسة كعصابات اللصوص او وحدات الشغب الجبلية التى كانت تولى الادبار بمجرد ان تلمح ظل الجيش اليابانى من بعيد.

ان القوات "التأديبية " اليابانية التى اعتادت على مطاردة خصمها الضعيف وسحقه بسهولة تامة وباساليب تقليدية، انقضت فى ذلك اليوم ايضا علينا واثقة من نفسها ودون اى حذر، ربما لانها ظنت اننا احدى تلك العصابات.

فاتخذنا مواقع قتالية على احدى التلال بسرعة، وتصدينا للهجوم، وارسلنا فى الوقت نفسه فصيلة الى ما وراء خطوط العدو لكى تضرب مؤخرته. وقد وجهنا للعدو ضربات قوية اوقعته فى ارتباك ولم يعد يعرف ما الذى يجرى. وقد سقط للجيش اليابانى فى تلك المعركة العديد من القتلى والجرحى.

وما لبثت ان انتشرت اخبار تلك المعركة على نطاق واسع فى منطقة منشوريا الشمالية من خلال ابواق العدو نفسه. كان كل شيء يغلي. وكان هناك من يقول ان وحدات "لاوكولي" (اى الكوريون– المترجم) قد جاءت من منشوريا الشرقية، وانها تقاتل جيدا. واهتم آخرون بمعرفة من يقود هذه الوحدة، وتساءلوا اذا كانت هى نفسها وحدة كيم إيل سونغ التى سبق وهاجمت حاضرة محافظة دونغنينغ. ومنذ ذلك الحين، صارت الصحف تتحدث عن وحدتنا. وكان العدو آنذاك يطلق على جيش حرب العصابات تسميات مبهمة من قبيل: "عصابات اللصوص الشيوعية" او الحزب الشيوعى او الجيش المناهض لمنشوكو.

وبالرغم من ان الوحدة قد انتصرت فى هذه المعركة، الا اننا ما لبثنا ان وجدنا انفسنا وحيدين ومعزولين لا نجد مكانا نتناول فيه الطعام، لان جميع سكان القرية غادروها باحثين عن ملجأ يؤون اليه.

واذا كنا سنمكث فى هذه القرية مدة طويلة الى ان نعثر على وحدة جو باو جونغ، كان من المفروض علينا ان نطلع على اوضاع العدو. ولكن، لم تكن لدينا هنا شبكة للمخابرات او اصدقاء بين اهالى المنطقة، وبالتالى لا يمكننا الانتقال الى المرحلة التالية من النشاط. وبخصوص موقع وحدة نينغآن لحرب العصابات، لم يكن هناك من يعرفه بالضبط، حتى ولا غو بو باى نفسه.

لم ننم تلك الليلة فى القرية، بل توغلنا فى واد مجهول بالنسبة لنا. وفى اليوم التالى، ذهب غو بو باى واو داى سونغ فى مهمة استطلاعية ونجحا فى العثور على الكوخ الذى يقيم فيه جو باو جونغ. فى ذلك الكوخ، التقيت بجو باو جونغ الذى كان يخضع للعلاج مع قوة تتألف من عشرين الى ثلاثين جنديا. فالجرح الذى احدثته قذيفة هاون فى معركة لوزوكو لم يلتئم تماما على الرغم من مرور عدة اشهر بسبب التقيح.

سار جو باو جونغ مسافة بعيدة خارج الكوخ بمساعدة الجنود وبالاتكاء على عصا ليكون فى استقبالنا.

"ما زلت على هذه الحال كما ترون."

رفع العصا وانزلها وابتسم ابتسامة حزينة، ثم شد على يدى قائلا:

"انى سعيد جدا بلقائنا من جديد. اننى انتظر مساعدة كبيرة منكم."

كانت تحية مقتضبة، لكن آماله الكبيرة عكستها نبرة صوته وبريق عينيه. كان لقائى بجو باو جونغ حدثا يمثل فصلا جديدا من تاريخ نضالنا المسلح المناهض لليابان. فابتداء من ذلك اللقاء، انتقل الجيش الثورى الشعبى الكورى الى مرحلة النضال المشترك الشامل مع وحدات حرب العصابات التى يقودها الشيوعيون الصينيون.

ومثلما علقنا نحن اهمية كبيرة على التعاون مع الوحدات المسلحة التى يقودها الشيوعيون الصينيون، كذلك فعل الشيوعيون الصينيون فى منطقة منشوريا، وسعوا الى التعاون معنا بكل الوسائل المتاحة، رغبة منهم فى اقامة الجبهة المتحدة مع الوحدات المسلحة التى يقودها الشيوعيون الكوريون. فبعد حادثة ١٨ ايلول، وكرد فعل على موقف تشانغ كاى تشك الاستسلامى، ظهرت جماعات مسلحة كثيرة تضم متطوعين مناهضين لليابان تحت تسميات متعددة، منها الوحدات الصينية المناهضة لليابان، وجيش الانقاذ الوطنى، وجمعية هونغتشيانغ وجمعية داداو، وانبرت لمقارعة غزو اليابان، وقد اهتم الشيوعيون الكوريون والصينيون اهتماما كبيرا باقامة الجبهة المتحدة مع تلك الوحدات، وبذلوا جهودا جبارة لتحقيقها. ولا حاجة للتذكير مجددا بالنتائج الكبيرة التى تمخضت عنها تلك الجهود.

منذ عام ١٩٣٤، دخلت نشاطات تلك الجماعات المناهضة لليابان مرحلة الانحطاط التدريجى. فمع اشتداد هجوم الجيش اليابانى، التجأ عدد غير قليل من قادة تلك الوحدات مع جنودهم الى مناطق الصين الداخلية، بينما استسلم آخرون منهم للعدو او تحولوا الى قطاع طرق. كذلك، شهدت بعض تلك القوات عملية تحول جذرية، فانتقلت من القومية الى الشيوعية، كما فعل شا تشون هينغ مثلا. وقد سمى العدو هذه الوحدات الاخيرة "قطاع الطرق السياسيين".

فى ظروف كهذه، اخذ النضال المسلح المناهض لليابان فى منطقة منشوريا يتطور باتجاه تشكيل جيش ذى نظام موحد ومنسق عن طريق تحالف وحدات جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان التى نظمها ويقودها الشيوعيون الكوريون ومختلف الوحدات الصينية المعادية لليابان التى تعمل تحت تأثير الشيوعيين الصينيين.

شرح لى جو باو جونغ بالتفصيل عملية تأسيس وحدة نينغآن لحرب العصابات المناهضة لليابان، قائلا بان مخاضها كان عسيرا. فالجنود المناهضون لليابان الذين رافقوه عند مغادرة لوزوكو، وكانوا نحو عشرين جنديا، هم الجنين الذى صار فيما بعد وحدة نينغآن لحرب العصابات المناهضة لليابان.

ما ان حل مكتب جيدونغ وتشكلت بدلا منه اللجنة الموحدة لمحافظة شوينينغ المركزية، حتى شرع جو باو جونغ، الذى كان يتولى مسؤولية الشؤون العسكرية فيها، بمهمة توسيع الصفوف المسلحة باتخاذ اولئك الجنود العشرين عمودا فقريا لها. ولم يمر زمن طويل حتى ارتفع العدد الى اكثر من ٥٠ جنديا، اثر انضمام بعض المغاورين الكوريين اليهم. وبعد ذلك، قامت هذه الوحدة ونتيجة سلسلة من المفاوضات بتوحيد قواها مع وحدة بينغ نان يانغ التى تتخذ من منطقة ايرداوهيجى قاعدة رئيسية لها.

وقد اوكل جو باو جونغ الى بينغ نان يانغ قيادة الوحدة المشتركة، وتولى هو نفسه مسؤولية الشؤون العسكرية فيها.

ان الاسم الاصلى لبينغ نان يانغ هو " لى جينغ بو" ويقال بان غلبة اسم بينغ نان يانغ على اسمه الاصلى مقترنة بحكاية مؤثرة.

بينغ نان يانغ تعنى حرفيا ترويض الجنوب. فى ذلك الحين، حشد الجيش العدوانى اليابانى قواته بصورة مركزة فى الانحاء الجنوبية لمحافظة نينغآن.

حينئذ، جعل لى جينغ بو من خوض معركة حاسمة مع تلك القوات الغازية رسالة له. وكان هذا هو السبب فى اطلاق تسمية بينغ نان يانغ على وحدته التى يقودها، ومع مرور الوقت اصبح هذا الاسم يطلق عليه هو نفسه.

وتبين هذه الحكاية انه كان رجلا جسورا متأجج الوطنية. ولكن، على الرغم من ارادته الفولاذية فى مناهضة اليابان، فقد كان يواجه مصاعب بسبب عدم انضباط مرؤوسيه. وما لبث هذا الامر ان اصبح مصدر قلق بالنسبة لجو باو جونغ الذى يدير هذه الوحدة ويمسك السلطة الفعلية فيها.

ما ان قابلنى جو باو جونغ حتى عبر لى عن رغبته فى ان احل محله فى العمل مع بينغ نان يانغ وقال:

"يتصف بينغ نان يانغ بميله الى العمل بمجازفة. لكنه يحمل انطباعات جيدة عن القائد كيم. ذلك لان شيوعيا كوريا انقذه من الموت."

شكرته على هذه الثقة وقلت له ان هذه المهمة تثقل كاهلى، فرد جو باو جونغ على مبتسما:

"اننى اثق بقدرة القائد كيم الاستثنائية فى التأثير والتى استطاع ان يقنع بها القائد يو والقائد وو."

كان القلق يساور جو باو جونغ كذلك على العلاقات مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان.

كانت تنشط فى منطقة محافظة نينغآن اعداد من الوحدات الصينية المناهضة لليابان الكبيرة والصغيرة. ولكن عددا لا يستهان به منها كان يظهر العداء للشيوعيين. وهذا شكل عائقا كبيرا كان لا بد من ازالته باسرع ما يمكن من اجل نشاطات وحدة نينغآن لحرب العصابات المناهضة لليابان.

كانت وحدات دا بينغ وشى جى هاو وتشان تشونغ هوا ورين وى سيا التى تعمل حول بييهوتو غربى دونغكينغتشنغ هى الوحدات الصينية المناهضة لليابان التى انفصلت عن بينغ نان يانغ بعدما كانت تتعاون معه فى وقت من الاوقات. كان من الصعب علينا ان نستشرف المستقبل نظرا لان هذه الوحدات تنظر الى الشيوعيين بعين العداء، والانكى من ذلك، ان جيش جينغآن كان لا يفتأ يدق الاسافين بينها وبيننا، ويدعوها فى الوقت عينه الى العودة الى الطاعة.

زد على ذلك، ان قوات شوانغ شان وتشونغ يانغ وغيرهما من الوحدات

الصينية المناهضة لليابان التى تمارس السلب والنهب فى المنطقة الواقعة شمال غربى دونغكينغتشنغ، كانت تتعرض للتهديد من جيش جينغآن. اما وحدة جيانغ آى مين، وهى الاقوى فى منطقة تانغداوكو الى الشرق من نينغآن، فكانت تتذبذب بعدما اصابها الهلع من جراء الحملة "التأديبية" التى قام بها اللواء الثالث عشر اليابانى.

ذات مرة، قامت بعض الوحدات الخاضعة لجيانغ آى مين بالهرب الى منشوريا الشرقية بعد ان خارت قواها امام ذلك اللواء اليابانى. فراحت عندئذ تسلب المؤن الغذائية من السكان وكاد ان ينتهى بها المطاف الى تقديم تعهد بالعودة الى الطاعة للعدو، ولكن رفاقنا حالوا دون ذلك فى آخر لحظة وبجهود جبارة.

وفقا لما قاله جو باو جونغ، فان وحدة تشاى شى رونغ المرابطة قرب ماتشانغ كانت تقلص نشاطها هى الاخرى بالمقارنة مع ما كان عليه فى الماضى.

واشتكى من ان وحدته حرمت من القيام بالنشاطات العلنية، بسبب وقوع حادث تشان تشونغ هوا فى نينغآن الذى كان يشبه بملابساته حادثة وحدة غوان فى وانغتشينغ.

والمقصود بحادث تشان تشونغ هوا واقعة أليمة حصلت قبل ان يحقق جو باو جونغ اتحاده مع بينغ نان يانغ. ففيما كانت قوات هذا الاخير تعانى من صعوبات مريرة لتفاقم النزاعات الداخلية جرد المتمردون بينغ نان يانغ ورجاله من السلاح وولوا الادبار بعد ان اسكروهم.

حتى ان بينغ نان يانغ بقى دون مسدس، ومن اجل وحدته التى فقدت اسلحتها، قام، هو الآخر، مع عدد من رجاله المخلصين بانتزاع اسلحة وحدة تشان تشونغ هوا المرابطة قرب نانهوتو التى كانت تبحث عن سبيل الاستسلام للعدو. ومنذ هذا الحادث، اعتبرت الوحدات الصينية المناهضة لليابان فى منشوريا الشمالية وحدة نينغآن لحرب العصابات المقترنة باسم بينغ نان يانغ عدوا لها.

خلاصة القول، كان جو باو جونغ يرغب فى تحسين علاقات وحدته مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان لكى يتسنى لوحدته العمل بحرية. وقد توسل وساطتى فى هذا الشأن.

كان جو باو جونغ شديد القلق على وضع الحركة الثورية فى منطقة نينغآن. وكان مصدر قلقه هو اعتقاده ان سبب عدم تطور الثورة فى تلك المنطقة يرجع الى عجزه او خطئه هو بالذات.

"عندما نقارن نينغآن بموقف الناس فى منشوريا الشرقية، نجد انها منطقة خامدة ساكنة، لا تكاد تهب فيها رياح الثورة. ولا ادرى لماذا معنويات الجماهير منخفضة الى هذه الدرجة؟ فمهما دعونا الى الانخراط فى الثورة، نجد السكان لا يبدون اى استجابة لنا. هل تعرف ما هو رأى الفلاحين فى هذه المنطقة؟ يقولون ان بامكانهم المحافظة على حياتهم كيفما اتفق مهما بالغ الاقطاعيون فى اضطهادهم. ويتساءلون: لماذا القيام بالثورة اذن واراقة الدماء وتحمل المشقات؟ ومن وجهة نظرهم فانه يمكنهم الحصول على ما يكفى من الاراضى الزراعية بمجرد التوغل فى الجبال. صحيح ان امتلاك اراض زراعية فسيحة هو امر يثلج الصدر، ولكنه يشكل عقبة تجمد الوعى الطبقى وتشله فى الوقت الحالى. وفى ظل هذه الظروف بتنا لا نعرف ان كانت الاراضى الفسيحة فى منشوريا الشمالية هى نعمة ام نقمة."

ضحكت مقهقها وقلت له:

"ها، ها. أليس من حسن الطالع بالنسبة للامة الصينية التى يبلغ تعدادها ٤٠٠ مليون ان تملك اراضى واسعة؟"

فضحك جو باو جونغ بدوره وفارقت علائم التجهم وجهه:

"آه، طبعا. ان اراضى البلاد الفسيحة والاراضى الزراعية الخصبة هى مصدر رفاه البشر اجمعين. يبدو ان قلقى لا يستند الى اساس.

لقد شرحت لك كل ما يزعجنى يا رفيق كيم، فارجوك ان تساعدنى. حسبى ان اعثر على سبيل للارتقاء بالثورة فى ارض نينغآن لاخلد الى النوم مرتاحا. ولكن ليست لدى اى فكرة عما يجب ان افعله حتى الآن."

هذا كان خلاصة كلام جو باو جونغ عند لقائنا فى منشوريا الشمالية.

كان بوسعى ان افهم متاعب جو باو جونغ تماما. لقد كان رجلا يتمتع بقدرة وثقافة عاليتين، ولكن حالته الصحية كانت اضعف من ان تمكنه من مواجهة العقبات

التى تصادف الثورة فى منشوريا الشمالية. اذ لم يكن قادرا على العمل بكل طاقاته بسبب القرحة الخطيرة التى خلفها الجرح فى جسمه. والاسوأ من ذلك، انه لم يكن بين مرؤوسيه الا قلة قليلة من العناصر المتمرسة.

وقد بقيت عدة ايام مع جو باو جونغ فى ذلك الكوخ فى باداوهيجى لبحث السبل الكفيلة بتطوير الثورة فى منشوريا الشمالية.

وبالتغلغل فى اوساط الشعب وجدنا حلولا لعدد كبير من المصاعب التى كانت تعانى منها الثورة فى تلك المنطقة.

ان شحذ يقظة الشعب واستنهاضه هما الضمانة الوحيدة لانتشال الثورة فى منشوريا الشمالية من حالة الركود. ولتحقيق ذلك، كان لا بد من العمل السياسى فى اوساط السكان، وتكثيف العمليات العسكرية لجيش حرب العصابات فى الوقت نفسه. ان توسع الصفوف المسلحة فى خضم القتال، وتطور الثورة من خلال المعارك هو قانون. اما اذا بقى المرء مكتوف اليدين، فلا رجاء باى تقدم.

ثم ان تعزيز النشاطات العسكرية يحول علاقات العداء مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان الى علاقات تحالف، ويحسن سمعة بينغ نان يانغ التى تلوثت بسبب حادث تشان تشونغ هوا.

وقد كانت وجهات نظرنا متفقة تماما بهذا الخصوص.

اثناء لقائى مع جو باو جونغ فى ذلك الكوخ، كان معنا ايضا وو بينغ، المبعوث الخاص للكومنترن فى منشوريا. وقد عرض علينا وثيقة حملها من شنغهاى، وتتضمن برنامجا من ست نقاط من اجل المقاومة المناهضة لليابان والخلاص الوطنى. وكان عنوان الوثيقة الاصلى: " البرنامج الاساسى للشعب الصينى فى عملية مقاومة اليابان". وقد اعلن عنها باسم الاجتماع التحضيرى للجنة الدفاع الذاتى المسلح للامة الصينية، وحملت توقيع كل من سونغ تشينغ لينغ، وتشانغ ناى تشى، وهى سيانغ نينغ، وما سيانغ باى وغيرهم من الشخصيات المرموقة. واوضح وو بينغ بان كل من يوقع على الوثيقة يصبح عضوا فى تلك اللجنة تلقائيا وان اعضاءها اصبحوا يعدون بالآلاف.

كان برنامج النقاط الست يعكس سياسة الجبهة المتحدة المناهضة للامبريالية التى طرحها الحزب الشيوعى الصينى على ضوء اعلان الامبريالية اليابانية السافر بانها حامية الصين، وسعيها لاحتلال هوابى بقوة السلاح، وبدء تشانغ كاى تشك العملية "التأديبية" الخامسة ضد الجيش الشيوعى. لقد كانت تطلعات الشيوعيين فى الثورة الصينية تتركز على جمع شمل قوى الامة واستنهاضها الى اقصى الحدود. لهذا رأيت ان البرنامج وثيقة مناسبة تماما لتلك المرحلة.

وقد تحادثت مع وو بينغ حول مسائل واسعة ومتنوعة خلال نحو عشرة ايام.

ومن خلال حديثى معه، عرفت ان الشيوعيين الصينيين قد شرعوا بالمسيرة الكبرى لمسافة ٢٥٠٠٠ رى، عملا باستراتيجية ماو تسى تونغ لكسر حصار تشانغ كاى تشك والتوجه الى الشمال لخوض النضال المناهض لليابان. وقد استلهمنا قوة وتشجيعا عظيمين من حقيقة ان الثورة الصينية، التى انتقلت الى التقدم الجزئى بعد التراجع الناجم عن الاخفاق فى الثورة الداخلية الاولى، ماضية فى توسيع منجزاتها بشكل حثيث.

فكانت حركة الخلاص الوطنى المناهضة لليابان التى تجرى بنشاط فى بر الصين، متناغمة مع تيار المسيرة الجارفة نحو الشمال التى يقوم بها الشيوعيون الصينيون، توفر ظروفا مؤاتية لنضال الشيوعيين الكوريين والصينيين الثورى فى مناطق منشوريا، بما فيها منشوريا الشرقية.

وضمانا للنشاطات المشتركة، رفدنا جو باو جونغ بقوة تتألف من حوالى فصيلة واحدة، وغادرت وحدة الحملة ومعها تلك الفصيلة الكوخ الجبلى فى باداوهيجى.

وبعد عدة ايام، اطلقنا اولى طلقات النضال المشترك، الذى يعكس المودة الاخوية للشيوعيين الكوريين والصينيين وجبروت الاممية البرليتارية، فى شيتووهى على ضفة بحيرة جينغبوهو. لقد وقعت تحت نيران رشاشاتنا يومئذ قوة " تأديبية" يابانية قوامها اكثر من ٢٠٠ جندى كانت قد غادرت بييهوتو بعد ان بلغها خبر تقدم الجيش الثورى، وابيدت عن بكرة ابيها فى القطاع الاوسط من البحيرة.

ثم وجهنا للجيش اليابانى العدوانى ضربات موجعة متتالية قرب فانغشينكو.

واخيرا اخذت تظهر شروخ وصدوع فى اسطورة الجيش الامبراطورى اليابانى، الذى يتبجح بانه جيش لا يقهر، والذى كان حتى ذلك الحين السيد والآمر الناهى فى اصقاع منشوريا الشمالية الرحبة. وهكذا استطعنا ايضا ان نحدث صدعا واسعا فى عملية حصاره الهجومية ضد مناطق حرب العصابات فى منشوريا الشرقية.

وعاد اهالى منطقة نينغآن الى نشر الاخبار حول "الاوكولي" وامتداحهم ببهجة وحماس.

كان بينغ نان يانغ، قائد وحدة نينغآن لحرب العصابات المناهضة لليابان، اول من جاءنا مسرعا بعدما سمع تلك الاخبار، وبرفقته مراسل جو باو جونغ. لقد ظهر فجأة ونحن نتقدم نحو سيتشينغكوجى بعد ان قابلنا فى منطقة نانهوتو مناضلا صميميا فى اللجنة الحزبية للدائرة، سيقدم فيما بعد مساعدة مادية ومعنوية كبيرة لوحدة وانغتشينغ. دون ان يقدم بينغ نان يانغ نفسه، راح يطلق صيحات الابتهاج: " سلمت ايديكم! "، "سلمت ايديكم! ".

امرت الجنود بالتوقف للاستراحة واجريت معه حديثا صريحا وبعيدا عن الشكليات.

"اضحت وحدة كيم إيل سونغ مدار حديث جميع السكان فى مناطق منشوريا الشمالية. ورجالى ايضا مبتهجون جدا لهذه الاخبار. اسمح لى ايها القائد كيم ان اشد على يدكم التى ترهب العدو."

قال بينغ نان يانغ ذلك وهو يرمقنى بنظرات كلها تأثر ويشد على يدى بقوة، ثم واصل كلامه قائلا:

"لقد تلقيت معلومات الآن من رجالنا المرابطين فى شمالى دونغكينغتشنغ، وقد تعرضوا لضربات قاسية من جيش جينغآن. اننى فى اسوأ حال لاننا كلما اصطدمنا بالجيش اليابانى او بجيش جينغآن نتكبد خسائر فادحة ولا نستطيع عمل اى شىء."

"ما رأيك اذن فى ان نجابه جيش جينغآن وجها لوجه هذه المرة؟"

"على شرط ان نقاتل مع وحدة القائد كيم... اذا قاتلنا معها، تعاظمت جرأتنا وتعلمنا منها."

وتلبية لرغبة بينغ نان يانغ، ضممت حوالى ٤٠ جنديا من جنوده الى صفوفنا، وفى مقابل ذلك اعدنا الفصيلة التى وضعها جو باو جونغ تحت تصرفى الى الكوخ الجبلى فى باداوهيجى ومعها جندى الاتصال الذى دل بينغ نان يانغ على الطريق. وفى الوقت نفسه، اعدت سرية آنزى الى تشينتاو نظرا للوضع المتوتر الذى نشأ فى منشوريا الشرقية من جراء حملة العدو "التأديبية".

فحين جاء بينغ نان يانغ لمقابلتى، ارسل جو باو جونغ معه مراسلا قادما من منشوريا الشرقية. وقد ابلغنا ذلك المراسل اخبار الوضع فى تشينتاو بالتفصيل.

وعند المسير قرب بييهوتو، امرت عناصر الوحدة كلها بان يدوسوا تباعا موطئ اقدام الجندى الاول بحيث لا يبقى وراءهم سوى آثار اقدام انسان واحد.

كان علينا ان نمحو كل اثر نخلفه لاننا نمر بمكان لا يبعد كثيرا عن مواقع تجمعات العدو وحشوده. والسير بهذه الطريقة يعنى ان يخطو عشرة او مئة او الف رجل فوق الخطوات نفسها التى يخطوها الرجل فى اول الرتل ليبدو وكأن الذى سار هو شخص واحد فقط.

بعدما شاهدنى ألقن السرايا واحدة بعد اخرى طريقة المسير على الخطوات ذاتها ومحو الآثار والمسير فى جماعات متباعدة، وكيفية التخييم فى القرى، اثنى بينغ نان يانغ على الجيش الثورى الشعبى الكورى قائلا انه جيش متمرس فى حرب العصابات فعلا.

وقد تمكنا مع وحدة بينغ نان يانغ من ابادة كتيبتين من جيش جينغآن بقيادة المقدم اليابانى داكيوتشى بالقرب من سينانجين، وسحقنا له وحدة اخرى بعد ذلك مباشرة على ضفة نهر داهايلانغهى فى عملية مشتركة مع وحدة تشونغ يانغ الصينية المناهضة لليابان، ثم سددنا ضربة اخرى الى سرية خيالة وسرية المشاة السادسة من الجيش نفسه فى الموقع المسمى لاوجوانجيا فى وادى باداوهيجى.

وكان من نتائج نجاحاتنا فى هذه المعارك، ان توالى انضمام الوحدات الصينية المناهضة لليابان الى صفوفنا بعد ان كانت منكمشة على نفسها.

وبعد اقامة قصيرة فى الكوخ الجبلى فى باداوهيجى مع جو باو جونغ، عدنا فى

النصف الثانى من شهر كانون الاول لمهاجمة جيش جينغآن ومخفر شرطة منشوكو العميلة بالقرب من سينانجين عبر نهر موتانكيانغ، وذلك نزولا عند طلب وحدات دابينغ وشى جى هاو وتشان تشونغ هوا ورين وى سيا وغيرها من الوحدات الصينية المناهضة لليابان. لقد كان الهدف من كل تلك المعارك هو اعادة ضم الوحدات الصينية المناهضة لليابان المنفصلة عن بينغ نان يانغ الى وحدة نينغآن لحرب العصابات. وفى سياق هذه النشاطات العسكرية الايجابية والمبادرة وعمليات سحق العدو المتتالية، وسعت وحدة نينغآن صفوفها بلا انقطاع بالوحدات الصينية المناهضة لليابان وبالراغبين من السكان المحليين فى الانضمام اليها.

فى اليوم الذى قاتلنا فيه جيش جينغآن بالقرب من سينانجين، امسك بينغ نان يانغ بيدى بقوة وقال لى باعتزاز:

"اقول لك، ايها القائد كيم، ما من شىء عاد يخيفنى بعد الآن. لقد صرت واثقا تماما من قدرتى على مقارعة الجيش اليابانى، وكذلك جيش جينغآن. ولا اعرف كيف يمكننى ان اكافئك على... "

فقلت له مشجعا:

"لست مدينا لى بشىء. ولكن اذا فكرت فى ان تكافئنى فاننى اطلب منك ان توجه الضربات المتتالية للعدو دون توقف. فالجيش لا يتفولذ الا فى بوتقة المعارك، أليس كذلك؟"

وفى سياق تلك الحملة، قابلنا تشاى شى رونغ وجيانغ آى مين ايضا وتبادلنا معهما الآراء حول مسألة الجبهة المتحدة المناهضة لليابان.

كان جيانغ آى مين مشوشا تماما بسبب الضربة التى وجهها اليه اللواء الثالث عشر اليابانى. فذهب الى منشوريا الشرقية للقاء بى، وحين علم اننا نعمل فى الشمال، جاء الى هناك. وقد بدا لى متفائلا ومفعما بالحماس، وهو امر لا يمكن تصديقه بالنسبة لقائد عانت وحدته من هزائم عديدة متتالية.

ودون ان يفكر مطلقا بكبريائه كقائد وحدة كبيرة، صارحنى جيانغ آى مين بقلقه قائلا:

"لقد ذهبت الى وانغتشينغ لطلب المساعدة، ولكننى التقيت هناك بشخص يدعى فانغ تشين شينغ، قال لى انه يواجه مصاعب كبيرة لا يمكنه معها ان يساعد الآخرين. ارجوكم، ايها القائد كيم، ان تساعدونا! "

كان فانغ تشين شينغ ضابطا صينيا، عيناه آمرا للفوج التابع لوحدتنا عند تقدمنا الى منشوريا الشمالية.

ومن خلال العمليات المشتركة مع وحدة بينغ نان يانغ وغيرها من الوحدات الصينية الصغيرة المناهضة لليابان، حصلنا على خبرات وفيرة فعلا. وبكلام آخر، قطعنا شوطا لا بأس به فى تحقيق الاهداف العسكرية والسياسية التى وضعتها وحدة الحملة نصب عينيها.

وحين عدنا الى تشينتاو بعد انجاز مهمتنا، تلقينا اخبارا مشجعة عن نجاح جو باو جونغ فى بناء الفيلق الخامس لجيش دونغبى الثورى الشعبى فى منشوريا الشمالية متخذا من وحدة نينغآن لحرب العصابات المناهضة لليابان عمادا له. وهكذا، فقد انضمت الى الفيلق الخامس معظم الوحدات الصينية المناهضة لليابان التى وثقت عرى الصداقة الكفاحية مع حملتنا وسط الزوابع الثلجية فى منشوريا الشمالية.

وبين قادة الفيلق الخامس كان ثمة عدد كبير من اصدقائى الذين تعرفت عليهم ابان الحملة الى منشوريا الشمالية. فقد ترقى بينغ نان يانغ من قائد للفوج الاول فى الفرقة الاولى الى قائد لتلك الفرقة، وتشاى شى رونغ من قائد للفرقة الثانية الى نائب قائد الفيلق. وعين جيانغ آى مين قائدا للفوج الخامس التابع للفرقة الثانية. كما كان فى تلك الوحدات العديد من الشيوعيين الكوريين الذين شقوا الطريق معنا بالعرق والدم.

وما ان بلغنى خبر تأسيس الفيلق الخامس، حتى بعثت بتهانى الحارة الى جو باو جونغ، وانا اتطلع الى بقاع نينغآن البعيدة فيما وراء لاويلنغ.

شكلت حملتنا الاولى الى منشوريا الشمالية ومعها معركة لوزوكو نقطة البداية وقوة الدفاع الرئيسية لاحباط عملية الحصار الهجومى المعادى. فامام هجومنا

العسكرى، تفككت القوة الرئيسية للواء الثالث عشر من الجيش اليابانى المرابط فى نينغآن وكذلك وحدات جيش جينغآن.

لقد ارقنا دماء غزيرة فى تلك الاراضى. وكانت اشد الخسائر ايلاما هى استشهاد الموجه السياسى لسرية آنزى وجندى الاتصال الصغير لى سونغ ريم.

كان لى سونغ ريم اول جندى اتصال يعمل معى فى وانغتشينغ. كان أبواه قد قتلا فى احدى الحملات "التأديبية" المعادية. فاحتضنا اليتيم وكسيناه وعلمناه حتى صار فتى يملأ العين. لم يكن ينام الا اذا عانقنى. وحين رآه ريانغ سونغ ريونغ على تلك الحال اقترح على ان ارسله الى مدرسة رابطة الاطفال لانه لن يصبح رجلا حقيقيا اذا ما بقى مدللا كالطفل بعد ان تخطى طور الطفولة منذ زمن.

بكى لى سونغ ريم بمرارة رافضا الذهاب الى المدرسة.

ومنذ ان راح لى سونغ ريم يتردد على مدرسة رابطة الاطفال لكى يزهو امام التلاميذ بالمسدس الصغير الذى اعطيته اياه، لم ينظر ريانغ سونغ ريونغ اليه بعين الرضا. ذات يوم، وفيما كنا نعقد اجتماعا فى مقر القيادة، قصد لى سونغ ريم مدرسة رابطة الاطفال من غير ان يراه احد حيث استدرج الصغار الذين كانوا يلهون فى الفناء الى ضفة النهر المكسوة باشجار الصفصاف لكى يظهر زهوه بالمسدس كالعادة. وبين فك المسدس وتركيبه، انقضت الاستراحة بين الدروس. وحين دخلت المعلمة غرفة الصف فوجئت بانها خاوية تماما، فدقت جرس الانذار.

بعد ان عرف ريانغ سونغ ريونغ بما حدث، نصحنى بان استبدل جندى الاتصال بآخر، لان سلوكه قد يؤدى الى عواقب وخيمة تضر بى.

ولكنى لم اقبل نصيحته هذه.

رافقنى لى سونغ ريم عند ذهابى الى اونسونغ وزونغسونغ، كما عمل معى طويلا فى جبل قريب من تومين. كان جندى اتصال جريئا، جسورا ومقداما الى حد المجازفة بحياته.

استشهد لى سونغ ريم فى معركة جرت بالقرب من توانشانجى فيما اعتقد.

وكنا حينذاك نجابه هجوما عنيفا مشتركا للجيش اليابانى وجيش جينغآن.

فاجأه العدو وهو يركض متوجها الى وحدة بينغ نان يانغ لنقل اوامرى. وبعد استشهاده، وجدت مسدسه فارغا من الذخيرة تماما، بينما انتشرت خمس او ست جثث لجنود العدو حوله. لقد تقاضى ثمن دمه غاليا.

احتضنا جسد لى سونغ ريم وبكينا بحرقة جعلت حتى بينغ نان يانغ نفسه ينفجر باكيا آخر الامر.

حين عثرنا على جثة لى سونغ ريم فى ساحة المعركة التى سحقنا فيها العدو، كان اول ما فكرت به هو مدرسة وانغتشينغ لرابطة الاطفال التى كان يتردد عليها بكثرة وكأنها موئله المفضل. فقد كان فى هذه المدرسة عدد كبير من رفاق لى سونغ ريم منذ الصغر واصدقائه الحميمين.

فباى وجه ساقابل اعضاء رابطة الاطفال فى وانغتشينغ بعد ان دفنت سونغ ريم فى منشوريا الشمالية؟ حين فكرت بذلك اغرورقت عيناى بالدموع واحسست بغصة فى حلقى.

عندما حفر الرفاق الارض المتجمدة وارادوا ان يوسدوا جثمانه فى الثرى، طلبت منهم الا يواروه بذلك التراب البارد لانى كنت اشعر انه سيبعث حيا ويلقى بنفسه فى احضانى. لقد كان مؤلما بالنسبة لى ان اترك الصبى الصغير وحيدا تحت الارض المتجمدة والقاسية كشجرة البتولا.

ان لى سونغ ريم الذى كان يتذمر من وعورة سلسلة جبال لاويلنغ، يرقد اليوم الى جانب رفاق آخرين استشهدوا فى بقعة من اراضى منشوريا الفسيحة، ويستمع الى اغنية الحياة الجديدة التى تتردد اصداؤها فيها.

٤ـ انغام الهرمونيكا تصدح فى نينغآن

ليس هناك ما هو اشد ايلاما وادعى الى اليأس بالنسبة للجيش الذى يناضل من اجل الشعب من ان يقابله هذا الشعب بمعاملة فاترة. اذا قلت ان قوات الحملة لقيت تلك المعاملة الفاترة منذ اللحظة الاولى لعبورها جبال لاويلنغ، قد لا تصدقوننى بسهولة، بل لعلكم ستسألوننى متى اشاح الشعب، خالق المشاعر الوجدانية الحقيقية والمدافع عنها ومجسدها، وجهه عن الجيش الثورى الذى يدافع عن مصلحته ولم يبال به حتى ولو مرة واحدة؟

الا اننى لا اجد مفرا من ان اجيب بالايجاب على هذا السؤال وانفى المفهوم الشائع بجوابى.

من المعروف فى العالم اجمع ان ارض نينغآن هى اراض فسيحة وخصبة حتى انها عرفت باهراءات الحبوب. ومع ذلك، اعرض الناس فى نينغآن عن تقديم الطعام لنا منذ وصول قواتنا الى منطقة منشوريا الشمالية عبر جبال لاويلنغ. ولو ان نفورهم كان بسبب بؤسهم لاشفقنا عليهم، ولكن حين رأيناهم يشيحون بوجوههم عنا دون مبرر وجيه وانما بدافع من سوء الفهم وعدم الثقة، صعقتنا المفاجأة واستبد بنا الذهول، كيف لا وقد اعتدنا على تأييد الشعب وضيافته الكريمة. فما ان يظهر من بعيد رجال الحملة الذين ينتعلون الاحذية الثلجية ويلفون سيقانهم بالطماقات، حتى يستدعى سكان المنطقة فورا نساءهم واولادهم ليدخلوا الى البيوت ثم يغلقون ابوابها لان "جيش كوريو الاحمر" يقترب.

ثم يراقبون تحركاتنا بحذر شديد. لقد كان هذا التصرف المنفر يجرح شعورنا ويمس كبرياءنا.

وقد اضطررنا الى تناول الطعام والمبيت فى العراء لبعض الوقت. كان هذا تصرفا غريبا ما كان يمكن ان نلقاه فى تشينتاو على الاطلاق. فكلما عدنا منتصرين من معركة، كان الناس فى منشوريا الشرقية يحيطون بنا مرحبين وهم يقرعون الطبول والصنوج ويصفقون ويقدمون لنا باقات الزهور. وقد يدور علينا بعضهم بالمياه الساخنة او يوزعون علينا اكواز الذرة المسلوقة. لا بل انهم اقاموا ذات مرة قوس النصر من اغصان الصنوبر فى ماتشون، ترحيبا برجال الجيش المظفرين.

اما الناس فى نينغآن بالمقابل، فقد اظهروا نفورهم منا. وعلى الرغم من اننا استطلعنا احوالهم وحركنا المنظمات السرية، الا اننا لم نستطع معرفة ما يجول فى اذهانهم على الاطلاق. كانت المعاملة اشد برودة بكثير مما تخيلناه مسبقا فى منشوريا الشرقية من خلال جو باو جونغ او غو بو باى الذى كان كثير التردد على منشوريا الشمالية.

كان ثمة فى محافظة نينغآن قرية تسمى وولىانغهى. ويقال ان سبب هذه التسمية هو خصوبة ارضها ووفرة غلالها، لكنها لم تعرنا التفاتا على الاطلاق، فما بالك بدعوتنا الى الطعام.

وحتى لو حاولنا مجرد القاء محاضرة سياسية، كان ذلك متعذرا لان سكان القرية لا يلبون دعوتنا للتجمع من اجل القيام بعمل سياسى بينهم. لئن كان لى سونغ ريم قد اشتكى من وعورة جبال لاويلنغ، الا ان تلك المعاملة كانت جرفا اكثر وعورة وانحدارا من لاويلنغ.

لقد جزم بعض الجنود بان سكان نينغآن هم من فصيلة البشر ذوى الدم البارد فى الاصل، الا اننى لم اعتبرهم كذلك. من المسلم به ان ذهنيات وعواطف الناس تختلف باختلاف المناطق. ولكن كيف عساها تبدلت العادات الحميدة المأثورة عن الصينيين والكوريين والمتمثلة فى اكرام الضيوف وتقديم كل التسهيلات لهم فى هذه المنطقة وحدها؟

اذن، الام تعزى معاملتهم الفظة الخالية من التهذيب التى انصعقت لها قوات الحملة؟

تفيد المدونات التاريخية بان نينغآن كانت عاصمة بالهاى لفترة من الزمن، وكان يعيش فى هذه المدينة القديمة والعريقة فى وقت من الاوقات قرابة ١٠٠ الف نسمة.

وهكذا، كان تاريخ تطورها تاريخا طويلا نسبيا. ويشير سجل تاريخها الى ان اراضيها كانت خصبة واهلها اذكياء، متواضعون، مخلصون، اوفياء ومحبون للعدالة والاعراف الاخلاقية الحميدة.

ورغم انتقال عاصمة بالهاى الى مكان آخر وتفرق سكانها فى كل اتجاه وتعاقب الاجيال وازدياد اهلها ونقصانهم على مدى قرون عديدة، الا ان الناس فى نينغآن ظلوا محافظين جيلا بعد جيل على تلك الصفات الحميدة دون ان يطرأ عليها اى فتور.

فمن غير المنطقى، اذن، ان يزعم المرء بان الناس فى نينغآن اناس شحاح ذوو قلوب باردة بالفطرة.

انتهى الامر ببعض الجنود الى الجزم بان منطقة نينغآن غير مؤاتية اصلا لتطوير الحركة الشيوعية فيها. وكان مسوغهم الاول هو ان مستوى وعى الناس فيها منخفض بحيث لا يسعهم ان يقبلوا الشيوعية، والثانى هو ان عدد الفلاحين فى محافظة نينغآن لا يتناسب مع سعة الاراضى بحيث لا تظهر التناقضات التناحرية فى العلاقات الاجتماعية والطبقية، وبالتالى لا يحصل فيها صراع طبقى.

وقد لقى تأكيدهم العدمى هذا دحضا حازما فى الحال: أفى العالم مكان مناسب لطرح الشيوعية وآخر غير مناسب يا ترى؟ اذا كان ثمة مكان لا تستطيع الشيوعية ان تصل اليه، فكيف لنا ان نكسب العالم كله بتلك الشيوعية؟ وكيف لنا ان نحقق فكرة "البيان الشيوعى" القائلة: "يا عمال العالم كله اتحدوا!".

وكانت وجهة النظر القائلة بان التناقضات التناحرية لا تحصل بسبب قلة السكان واتساع الاراضى هى رؤية سطحية مبعثها عدم معرفة الواقع جيدا. اذا سلمنا بتلك النظرية، فلا مفر من ان نخلص الى الاستنتاج بان احتدام التناقضات الطبقية فى المانيا الكثيفة السكان يجب ان يكون اشد منه فى روسيا القليلة السكان، وان

الثورة يجب ان تنتصر فى المانيا قبل ان تنتصر فى روسيا. لذلك، اعتبرت ان هذه النظرية لا تعدو كونها سفسطة ورفضت ادعاءاتهم كافة.

اذا كان لنا ان نبحث عن السبب فى سوء فهم ابناء الشعب فى نينغآن للشيوعية ومعاملتهم الشيوعيين معاملة عدائية، فلا بد من ان نبحث عنه اولا فى دسائس الامبرياليين اليابانيين الخبيثة الذين لا يتورعون عن استخدام اية وسيلة لاذكاء العداء للشيوعية. منذ ان بدأت الحركة الشيوعية تنشط فى ارض نينغآن، لجأت الامبريالية اليابانية الى اشاعة الدعايات الدنيئة ضدها بغية دق اسفين بين الشيوعيين وابناء الشعب. فكان ان تقبل السكان فى نينغآن تلك الدعايات السامة بسهولة نظرا لبطء عملية التنوير السياسى والفكرى بينهم.

كذلك، يمكننا القول ان المسؤولية عن نزعة معاداة الشيوعية السائدة فى نينغآن ومحيطها تقع على عاتق الشيوعيين الكوريين الاوائل الذين طالما انهمكوا فى النزاعات والمشاحنات العصبوية. ففى اواسط العشرينات، حين تأسس الحزب الشيوعى فى كوريا، انشأت جماعة هوايو فى هذه المنطقة جهازا مهيبا، هو الادارة العامة للحزب الشيوعى الكورى فى منشوريا، وتهالكت على توسيع نفوذ عصبتها تحت يافطة الشيوعية المقدسة. وقد دفعت جماهير الشعب الساذجة والبسيطة الى تمردات وتظاهرات حمقاء، مدغدغة عواطفها بصيحات: "استقلال كوريا"، و"تحقيق الاشتراكية فورا".

كان محرضو اليسارية يحضون الشعب فى نينغآن على المشاركة فى انتفاضة ٣٠ ايار. واذا كانت الاهداف الرئيسية لهذه الانتفاضة فى تشينتاو هى اجهزة الحكم الاستعمارى اليابانى وملاك الاراضى الصينيون، فانها استهدفت فى نينغآن منظمات الحركة القومية مثل الجمعية العامة للكوريين وغيرها. ولكن التظاهرات التى انطلقت من حاضرة المحافظة لم تستطع تفادى الضربات القاسية.

كما ان التظاهرات التى نظمها الشيوعيون فى الاول من ايار عام ١٩٣٢ انتهت، هى الاخرى، نهاية مفجعة تضرجت معها شوارع نينغآن بالدماء مع انكشاف

قيادتها للعدو. وقد ادت هذه التظاهرات المغامرة الى الدمار الجماعى للمنظمات الثورية فى المنطقة.

فعلى اثر تظاهرة الاول من ايار، راحت الحركة الشيوعية فى منطقة نينغآن تتدهور وتتداعى بسرعة. فتوقفت قيادة الحزب عن بناء القوات المسلحة وعن بناء مناطق حرب العصابات، وتشتتت افرادها فى مولينغ ودونغنينغ ووانغتشينغ وغيرها من المناطق. فيما انكفأ بعض الناس الذين تخلوا عن الثورة الى حاضرة محافظة نينغآن.

وقد الحق الارهاب الابيض والعشوائى الذى شنته الامبريالية اليابانية وجيش وشرطة منشوكو العميلة تشويها فظيعا بصورة الشيوعية فى نظر الناس.

فشعر الناس بخيبة امل شديدة وارتعدت فرائصهم هلعا من السجن والموت اللذين كانا يطاردان من يشارك فى النضال. وهكذا استقرت فى اذهان العديدين الفكرة القائلة بان الثورة مآلها الموت، والمفهوم العدمى الذى يرى انه لا جدوى من تطوير الحركة الشيوعية.

على ارض نينغآن تلك التى غادرها الشيوعيون الكوريون بعد ان نفضوا ايديهم منها باعتبارها ارضا عقيمة ولم ينجحوا فى غرس جذورهم فى اعماق الجماهير، بدأ الشيوعيون الصينيون يعيدون البناء. ولكن، كان لا بد من ان يصابوا بالدهشة والذهول لما لاقوه من فتور الجماهير ازاء الثورة بصورة عامة.

كذلك، يمكننا القول ان بعض القوميين الكوريين كانوا مسؤولين ايضا عن استشراء سموم معاداة الشيوعية فى منطقة نينغآن. ففلول جيش الاستقلال التى نزحت الى روسيا هربا من الحملة "التأديبية " الكبرى فى عام كيونغسين(٠) ثم عادت الى نينغآن بعد حادثة هيهى راحت تهاجم الاتحاد السوفييتى والشيوعية وتفترى عليهما زاعمة ان نكبة هيهى حدثت على ايدى الشيوعيين الكوريين اللاجئين بالتواطؤ مع الاتحاد السوفييتى. اضف الى ذلك ان القوميين اشاعوا بان كيم زوا زين لقى حتفه بتدبير من الشيوعيين، مشوهين بذلك حقيقة مقتله. ولكن الناس السذج صدقوا تلك الدعايات.

---

(٠) عام كيونغسين: هو عام ١٩٢٠ حسب التقويم الكورى القديم – المترجم

وفضلا عن نفورهم من الشيوعية، كان الناس فى منطقة نينغآن يحترسون من كل انواع الجيوش، بصرف النظر عن انتمائها ورسالتها، لان تلك الجيوش كافة كانت تشكل عبئا على الناس، وتستهلك ارزهم ومالهم فقط. وحتى بعض الوحدات الصينية التى تنادى بمحاربة اليابان والخلاص الوطنى، ناهيكم عن الجيش اليابانى وجيش منشوكو العميل، كانت تجبى الاموال والحبوب والمواشى قسرا من ابناء الشعب، كما كان القوميون الكوريون يجبون الاموال والحبوب بواسطة جهاز ادارى يدعى مجموعة سينمين. والادهى من ذلك ان عصابات اللصوص كانت تهاجم الناس وتختطفهم كرهائن فى احيان كثيرة. فكيف تكون معنويات هؤلاء الناس الذين حكم عليهم بخدمة كل هؤلاء "الزبائن الشرهين؟"

اذا اخذنا هذه الاسباب التاريخية بعين الاعتبار، فلا يحق لنا ان نتهم اهالى نينغآن بانهم لا يعرفون الرحمة. صحيح ان قوات الحملة لم تتلق اية اعانة مادية، ولكن المشكلة ليست هنا. كان اشد ما يؤلمنا، فى الواقع، هو ان يستحيل علينا تحقيق الهدف الاهم من حملتنا، الا وهو غرس بذور الثورة فى افئدة الشعب فى منشوريا الشمالية. فاذا ابى الناس ان يفتحوا لنا قلوبهم، فان الثورة لن تشق طريقها هناك الى الابد.

ومن اجل استنهاض الناس فى نينغآن الى الثورة، كان لا بد من احداث اختراق ما.

بعد تحليلنا لعمل لجنة الحزب فى دائرة باداوهيجى، من خلال سكرتيرها كيم بايك ريونغ، استطعنا ان نتعرف بعمق على واقع محافظة نينغآن. فقد قال لنا كيم بايك ريونغ ان باداوهيجى هى اكثر المناطق تأثرا بالثورة فى نينغآن.

وكانت باداوهيجى تعرف باسم آخر هو سياولاديبان، وقد كان فيها مقر اللجنة الحزبية لمحافظة نينغآن ومقر لجنة الدائرة الحزبية ايضا. وترجع تسمية باداوهيجى بسياولاديبان الى اسم كيم سو راى، الكاهن الاعلى لطائفة دايزونغكيو الدينية فى محافظة هيلونغ ومحيطها.

اثناء فترة دراستى فى مدرسة يووين الثانوية فى جيلين، سمعت باسم كيم سو راى لاول مرة من سو زونغ سوك. قال لى هذا الاخير انه قد عمل معلما فى مدرسة كونون التى انشأها وتولى ادارتها كيم سو راى فى هيلونغ. وكانت له صلات وثيقة

بسو ايل وكبار الشخصيات فى الهيئة العسكرية والادارية لجيش الطريق الشمالى والجمعية الوطنية فى تشينتاو. وكان يدعم حركة الانقاذ الوطنى بارسال خريجى مدرسته الى القادة البارزين فى جيش الاستقلال من امثال هونغ بوم دو وكيم زوا زين، اذ كانت لديه مشاعر قوية من العداء لليابان.

بعد انسحاب جيش الاستقلال من شمالى تشينتاو، حط كيم سو راى رحاله فى وادى باداوهيجى حيث اشترى اراضى زراعية واستقر كاقطاعى، وراح يوفر الارصدة العسكرية لجيش الاستقلال بقيادة كيم زوا زين. كما حصل لى كوانغ على بعض الاسلحة منه فى بداية تأسيس جيش حرب العصابات.

ظل الثوريون فى منطقة نينغآن ينظرون اليه بعين البغضاء لكونه كاهنا لديانة دايزونغكيو. وكان هناك بين الذين لا يعرفون التاريخ جيدا من يسيئون فهم تلك الطائفة ويعتبرونها ديانة يابانية، مع انها ديانة كورية خالصة، تؤله وتعبد هوان اين وهوان وونغ وهوان كوم الذين ترد اسماؤهم فى اسطورة بناء اول دولة فى بلادنا.

اكد لى كيم بايك ريونغ بان وادى باداوهيجى يمتد لمسافة تتراوح بين ٨٠ و١٠٠ رى على الاقل، وتنتشر على جنباته عدة دساكر متفرقة يشكل الكوريون نسبة كبيرة من سكانها. وقد ازدهرت باداوهيجى كقاعدة امداد لجيش الاستقلال فيما مضى، ثم تحولت الى مركز استناد لوحدة نينغآن لحرب العصابات منذ الثلاثينات.

ومع ان الآمال كانت ضئيلة، فقد اوفدت جماعة عمل سياسى تضم امهر الدعاة والمحرضين لدينا الى احدى قرى باداوهيجى التى اشار علينا كيم بايك ريونغ بامكانية العمل فيها بغرض الوقوف على وضع العدو وحالة السكان المعنوية.

ومع ذلك، عاد وانغ داى هونغ، الموجه السياسى للسرية الخامسة الذى ذهب على رأس تلك الجماعة، شاحب الملامح منهوك القوى، وقدم لى تقريرا موجزا يعبر عن يأسه وخيبة أمله:

"لقد اخفقنا. ولم يكن لاعذب الكلمات اى تأثير. ان تعليم المبادئ الكونفشية (ساسوسامكيونغ) للجواميس اسهل من الحديث مع اهالى نينغآن فيما اعتقد."

فتنهد كيم بايك ريونغ الواقف بجانبى، وكأنه هو المسؤول عن سلوك اهالى نينغآن الفاتر، وقال:

"الحقيقة ان الناس هنا مشكلة قائمة بذاتها. فعلى الرغم من انى ارسلت وفودا منهم لزيارة منشوريا الشرقية والتعلم من خبراتها، الا انهم ما زالوا متشككين. والشيء الوحيد الذى توصلنا اليه بعد عودة احدى تلك البعثات هو انشاء مدرسة لرابطة الاطفال. وقد انضم اليها فى البداية نحو خمسين طفلا، وفجأة انتهى كل ذلك وكأن شيئا لم يكن."

كيف يمكن فهم شعب يدير ظهره للثوريين الذين يدافعون عن مصالحه ويمثلونها؟ لقد امعنت التفكير مطولا فى هذا الحاجز الذى لم ار له مثيلا فى حياتى. صحيح ان عملية تثوير بويرهى ووونتشازى لم تكن بسيطة، الا ان الناس فى تلك المناطق لم يكونوا متحجرى القلوب الى هذه الدرجة كالناس فى نينغآن.

فى تاريخ امتنا العريق الذى يمتد الى آلاف السنين، لم يحدث بالمرة ان كان الشعب سيئا. ولم احاول قط فى حياتى كلها ان اقيم تمييزا بين شعوب طيبة وشعوب سيئة.

ان الذين لطخوا التاريخ بالعار او حاولوا حرفه عن مساره ليسوا هم الشعب، وانما حفنة ضئيلة من الحكام. طبعا، هناك بين الناس افراد خائنون وجشعون ومحتالون وغشاشون وذوو مآرب خبيثة او اخلاق فاسدة. ولكن عددهم قليل لا يذكر كقطرة فى المحيط.

ان الشعب هو كتلة هائلة من البشر، عمل دائما بكل نزاهة واخلاص على دفع عجلة التاريخ الى الامام.

فعندما استدعى التاريخ اختراع سفينة كوبوك(٠) لم يتخلف الشعب عن صنعها.

وعندما تطلب التاريخ بناء هرم، لم يتردد الشعب عن بنائه. ولما طلب العصر دماءه، سد وكر النيران بصدره مجازفا بحياته كأنه قنبلة.

---

(٠) سفينة كوبوك: اى السفينة السلحفاة، وهى اول سفينة مدرعة فى العالم، بناها الشعب الكورى فى القرن السادس عشر–المترجم

المشكلة، اذن، ترجع الى عدم اهتدائنا الى الطريق التى تقود مباشرة الى قلوب الناس فى نينغآن.

لا ريب فى ان جماعة العمل السياسى، وعلى رأسها وانغ داى هونغ، لم تقصر فى القيام بدعاية حماسية مناهضة لليابان.

ولكن، كم من مرة سمع الناس فى نينغآن تلك الخطب؟ لعلها صمت آذانهم حتى باتوا يمجونها. فجيش الاستقلال وجيش الانقاذ الوطنى وحتى عصابات اللصوص، كل بدوره، القى ذات الخطب. فكيف تتوقعون، اذن، ان ينجح عمل وانغ داى هونغ السياسى؟

الخطأ يكمن فى انهم حاولوا تنصيب انفسهم اساتذة على الشعب دون مبرر. فمنذ متى نعتبر انفسنا معلميه ونعتبر الشعب تلميذا لنا؟ ما من شك فى ان تخليص الشعب من ظلام الجهل والاخذ بيده الى نور العلم هما رسالة ملقاة على عاتق الشيوعيين. ولكن، ألسنا نبالغ فى قدراتنا ومؤهلاتنا عندما نعتبر انفسنا معلمين للشعب؟

ان طرق الوصول الى اعماق قلب الشعب عديدة ومتنوعة. ولكن تصريح المرور الوحيد الذى تتقبله تلك القلوب هو الصدق تحديدا. فالصدق وحده يتيح مزج دمائنا ودماء الشعب فى شريان واحد.

اذا لم نتغلغل بين الجماهير بوصفنا ابناء واحفادا واشقاء حقيقيين لها، نبذنا الشعب الى الابد فى ارض نينغآن.

سمعت بان باحة العرض تكتظ بالجماهير كلما قدمت فرقة اطفال وانغتشينغ الفنية عروضها فى نينغآن. فرقة الاطفال الفنية تدعو للثورة، وجيش حرب العصابات ايضا يدعو للثورة. فلماذا يرحب الشعب بفرقة الاطفال الفنية، ويشيح بوجهه عن جيش حرب العصابات؟

سألت كيم بايك ريونغ:

"حين زارت فرقة الاطفال الفنية هذا المكان، هل شاهدت انت ايضا عرضها آنذاك؟"

"اجل، وكان مثيرا حقا."

اكد كيم بايك ريونغ بان فرقة اطفال وانغتشينغ الفنية قد اثارت ضجة كبيرة فى ارجاء نينغآن فى ذلك الحين.

"بلغنى انه حيثما حلت الفرقة الفنية كنت تجد المكان مكتظا بالناس. أوليس هذا تبدلا كبيرا طرأ على الناس فى نينغآن الذين ينفرون عادة من الدعاية الشيوعية؟ فما هو السر فى اجتماع جماهير المشاهدين باعداد غفيرة فى رأيك؟ "

"لقد رفه اولئك الاولاد عن الناس فى هذه الديار. وبعد ان خلبوا البابهم بعروضهم الفنية، دغدغوا اوتار قلوبهم بابتساماتهم البريئة والوضاءة. واذ عاملوهم بلطف ورقة وتحببوا اليهم كأنهم آباؤهم وامهاتهم، فكيف لا يتعاطف سكان نينغآن معهم حتى ولو كانت قلوبهم قاسية كالخشب؟"

"ان لهؤلاء الموهوبين الصغار شعبية كبيرة فى وانغتشينغ ايضا."

"وعدا عن تقديم العروض الفنية، فقد سيطر هؤلاء الاولاد على مشاعر الاهالى. وقد فتنت انا نفسى بسلوكهم. كانوا يستيقظون فى وقت مبكر جدا، ويكنسون كل انحاء قرية باداوهيجى، ثم يخرجون فى النهار الى الحقول ليساعدوا الكبار فى العمل."

وقد اسعدنى جدا ذلك الثناء الذى كاله كيم بايك ريونغ على فرقة الاطفال الفنية.

"على الرغم من كونهم صغارا، الا انهم يحكمون عقولهم تماما كالراشدين."

"ويا لروعة تفاهمهم مع الاهالى! ما ان يلمحوا شخصا كبيرا من بعيد، حتى يسارعوا الى تحيته بتحية رابطة الاطفال، ثم يحتضنونه قائلين: (يا جدى)، (يا ابى)، (يا عمتى)، (يا اختى)... على كل حال، كان التقدير الذى نالوه عظيما جدا."

لا شك ان السر فى نجاح فرقة الاطفال الفنية فى كسب ود الشعب فى منشوريا الشمالية هو معاملتها الناس بعذوبة وصدق. أولم تكن محاولتنا للعثور على الفأس التى سقطت فى مياه نهر دومان المتجمدة على مدى نصف نهار تعبيرا عن صدقنا وحبنا للشعب!؟ فاذا ما رأى الشعب الصدق فى اعمالنا فانه لن ينبذنا ولن يتخلى عنا مطلقا.

كان خطأ وانغ داى هونغ وجماعة العمل السياسى يكمن فى انها لم تدلل على صدقها للناس. كانوا يفكرون فقط بتحقيق الهدف العملى، أى تثوير الناس فى

منشوريا الشمالية، ولم يفكروا قط فى فتح قلوبهم للناس والتآلف معهم. فلا غرو بعد ذلك ان لم يفتح الناس قلوبهم لنا.

كان خطأهم الاول هو انهم باشروا اتصالهم بالناس بالقاء الخطب الطنانة عليهم. فيا له من درس علمتنا اياه فرقة اطفال وانغتشينغ الفنية التى فتحت قلبها للناس اولا، ثم وطدت المشاعر الودية بالاغانى!

عزمت على استبدال شكل العمل السياسى بآخر، فناقشت الوسيلة الكفيلة بذلك مع الضباط القادة. وبعد ذلك، طلبت من الموجهين السياسيين فى كل السرايا ان يجمعوا العازفين المهرة على الهرمونيكا فى مقر القيادة واستمعت اليهم وهم يعزفون كل على حدة.

كان الجندى هونغ بوم من سرية آنزى ماهرا فى العزف على الهرمونيكا حتى انه يجعل المستمعين يهزون اكتافهم طربا. واحيانا، كان يقلد تماما عزفا جماعيا على الاوكورديون بالهرمونيكا وحدها. وقيل لى بان رفيقا من سرية وانغتشينغ الخامسة بارع فى العزف على الهرمونيكا، لكننى وجدته، فى واقع الامر، مبتدئا بالمقارنة مع هونغ بوم.

بدأ هونغ بوم يعزف على الهرمونيكا منذ كان فى المدرسة الابتدائية، وكان ذلك على آلة تركها احد الزائرين فى بيته ولم يعد ليأخذها مرة اخرى، فاصبحت شيئا عزيزا لديه. ومع تعاقب السنوات عليه وهو يعزف على الهرمونيكا، بلغت مهارته حدا مذهلا. الآلة صارت عتيقة جدا حتى تقشر تذهيبها، لكنها حافظت، لحسن الحظ، على اصواتها الاصلية كما هى.

حينما كنت استعد للحملة فى دويتولاجى، شاهدت تلك الهرمونيكا، فعزمت على توفير آلة جديدة له. ولكن الفرصة لم تسنح لى كى احقق ذلك الى ان انطلقنا نحو منشوريا الشمالية.

كان بين رجال جيش حرب العصابات وابناء الشعب فى منطقة تشينتاو عدد غير قليل ممن يعرفون سيرة حياته جيدا. على الرغم من انه لا يعدو كونه جنديا عاديا، الا ان سيرة حياته غدت موضع احاديث الناس واهتمامهم وانتشرت على

نطـاق واسـع فـى منـشوريا الـشرقية بفـضل بـراعته غيـر العاديـة فـى العـزف علـى الهرمونيكا.

وقد كـان العازفـون علـى الهـرمونيكا يحظـون بحب وتقدير رفاق السلاح فى كل مكان يحلون فيه.

ولـد هونـغ بـوم فـى زونغـسونغ بمحافظـة هامكـيونغ الـشمالية. وقـد انخـرط فـى الحـركة الثـورية فـى سن مبكـرة بعد نـزوحه مـع عائلـته الـى منـطقة تشينتاو وهو فى مقتبل العمر. وقد سبق لـه ان اشتـرك فـى النـضال الجماهيرى لاحباط مشروع بناء الخط الحديدى تونهوا – تومين حين كان عضوا فى الحرس الاحمر. واثر حل منطقة حـرب العـصابات فـى هايلانكـو، انـتقل الـى وانغيوكو، حاملا جعبته على ظهره وفيها الهرمونيكا، والتحق بصفوف جيش حرب العصابات.

كلفـت وانـغ داى هونـغ بـان يحـاول مجددا دغدغـة اوتـار قلوب الشعب الحساسة بواسطة مجموعة مـن عازفـى الهـرمونيكا فـى تلـك القـرية التـى عـادت مـنها جماعـة العمل السياسى تجر اذيال الخيبة. كما كلفت كيم بايك ريونغ بان يشترى اكبر عدد ممكن من آلات الهرمونيكا عن طريق تعبئة المنظمات السرية.

ومن اجل توفير النشرات الدعائية المزمع توزيعها على الشعب فى ذلك اليوم، زرت سكرتارية اللجنة الحزبية لمحافظة نينغآن.

وفيما انـا اتبادل الحديث مـع الرفاق فـى الـسكرتارية، فاجأنـى وانغ داى هونغ، الذى كان قد ذهب الى القرية مع جماعة العزف على الهرمونيكا، وهو متهلل الوجه.

"لقد نجحنا ايها الرفيق القائد. اخيرا، فتح الناس قلوبهم لنا بعدما كانوا كتومين كالاصنام. "

كان وانغ داى هونغ ضابطا فريدا فى نوعه يعطيك النتيجة اولا ثم يحدثك عن مسار العمل بالتفصيل.

حقا، ان نجاح جماعة العزف على الهرمونيكا فى اجتذاب اولئك الناس الذين كانوا يتفادون الجيش الثورى ويديرون له ظهرهم، كان درسا ثمينا لنا.

شرعت جماعة العزف نشاطها بازاحة الثلوج من فناء احد البيوت فى وسط

القرية. وبعد ان اوقفت حارسا عند طرف الفناء الواسع قدمت اولا عزفا ثنائيا على الهرمونيكا اداه هونغ بوم وعازف آخر. اما بقية جماعة العزف، فرقصوا على تلك الانغام. اسرع ولدان او ثلاثة كانوا يلعبون بالخذاريف فى زقاق قريب، بالاقتراب من السياج كيلا تفوتهم فرصة المشاهدة. ثم تقاطر الاولاد من الازقة الاخرى الى الفناء وهم يشدون اربطة سراويلهم.

انتقل العازفان بسرعة الى اداء "اغنية الاطفال" و"الى أين وصلنا" من "انشودة التعبئة العامة". فأخذ الاولاد يصفقون ويشاركونهم الغناء وقد فتنتهم تلك الانغام المرحة المنبعثة من هرمونيكا هونغ بوم. وهرول بعض الاولاد يطوفون على بيوت القرية وهم يصرخون باعلى اصواتهم: "جيش كوريو الاحمر" القادم من تشينتاو يرقص. واذ سمع الكبار بذلك، خرجوا من بيوتهم ووقفوا يشاهدون العرض الذى يقدمه الجيش الثورى عن بعد واذرعهم معقودة على صدورهم. فيما اقترب بعضهم لرؤية "فنانى جيش كوريو الاحمر" عن كثب.

وحين بلغ عدد المتفرجين اربعين او خمسين شخصا، قدمت جماعة العزف على الهرمونيكا اغنية "آريرانغ" الفولكلورية. واذا بها تجتذب كل سكان القرية الى الفناء، بحيث وصل عدد المتفرجين الى مئة شخص ثم تضاعف الى مئتين حتى بلغ آخر الامر ثلاثمئة متفرج.

عندئذ، صدح غو بو باى "باغنية محافظة بيونغآن الحزينة". فأحاط مئات القرويين بالفناء واخذوا يصيخون السمع الى الانغام الشجية بنشوة غامرة.

هنا، قطع غو بو باى غناءه وخاطب الحاضرين بنبرة درامية مختلفة:

"ايها الاعزاء، أين مسقط رؤوسكم؟ آه، محافظة كيونغسانغ الشمالية، محافظة هامكيونغ الجنوبية ومحافظة كانغوون. لعل بينكم من جاءوا من محافظة بيونغآن الجنوبية ايضا. لا تسألونى عن مسقط رأسى. لست مدعيا. لقد عشت من دون ان اعرف الى الآن أين مسقط رأسى. ولدت فى كوريا طبعا، ولكنى لا اذكر منها سوى شاطئ البحر. عبرت النهر على ظهر ابى، ولكن كيف لى ان اعرف اسم ذلك النهر، أهو نهر دومان ام نهر آمروك؟ نعم، نعم. اننى بليد الذهن هكذا منذ ولدت ... "

فضحك الناس ضحكة نصف مكبوتة لكلام غو بو باى هذا، ثم راحوا يتبادلون الانطباعات باصوات خافتة.

واصل غو بو باى الحديث باسلوب مشوق، كمن يقص حكاية، عن نشأته فى تشينتاو وكيف كان يهيم على وجهه هنا وهناك مثل ورقة جافة تتطاير مع الرياح، ثم قدم لهم بعض المشاهد عن مقارعته لليابانيين بعد ان اصبح جنديا فى جيش حرب العصابات. ثم انتقل بحذق كما لو انه يقلب وجه اسطوانة الحاكى الى الحديث عن الثورة:

"ما هى رغبتنا الاجماعية يا اعزائى؟ انها العودة الى وطننا الام، أليس كذلك ؟ ولكن الاوغاد اليابانيين يقفون فى طريق عودتنا. فالى متى نصبر عليهم؟ لقد عيل صبرى. فانتسبت الى جيش حرب العصابات وحملت السلاح. وقد جئت الى نينغآن لكى اقاتل اليابانيين. لقد قيل لى ان الجيش اليابانى يتبختر فى منشوريا الشمالية بصلف وغرور."

وما ان وصل غو بو باى فى خطبته الى هذه النقطة، حتى ظهرت على رأسه فجأة قبعة عسكرية يابانية، كان يخبئها فى حزامه.

ثم وضع شاربا ونظارة. وبهذا المكياج البسيط تحول الى ضابط يابانى.

وبمظهره المضحك هذا تمطى بجسمه وتثاءب بكسل، ثم دار حول الفناء دورتين شابكا يديه خلف ظهره وذقنه مرفوعة فى خيلاء وعينه لا تفتأ تطرف بصورة تبعث على الضحك. هكذا، قدم شخصية ضابط يابانى يتمشى فى فناء الثكنة بعد ان استيقظ لتوه من النوم.

كان المشاهدون يضحكون بصوت خافت فى البداية، ولكن سرعان ما تحول ضحكهم الى قهقهة صاخبة فى نهاية الامر.

ما ان هدأت ضحكاتهم المجلجلة حتى دار غو بو باى امام المشاهدين وهو يقلد ضحكهم، فامام المرأة المسنة كان يضحك ضحكة العجوز، وامام الشيخ ضحكة الرجل الطاعن فى السن، وضحكة العروس امام المرأة الشابة، حتى دمعت اعينهم اخيرا من شدة ما ضحكوا وقهقهوا.

وبعد اشاعة هذا المرح فى القرية، واصلت جماعة العزف على الهرمونيكا دعايتها المناهضة لليابان ودعت الاهالى الى مساندة الجيش الثورى.

هذا النجاح المذهل الذى حققته جماعة العزف على الهرمونيكا فى تلك القرية واخفقت فيه جماعة العمل السياسى بالامس انما يرجع الى قيامها بالعمل السياسى على نحو صادق وجماهيرى.

وبالاستفادة من هذه الخبرة، توغلنا عميقا بين الجماهير وثورنا عشرات الدساكر فى محافظة نينغآن، الواحدة تلو الاخرى، مستخدمين اشكالا وطرقا مختلفة. واخيرا، ازيل الحاجز الحديدى الذى كان يفصل بين "جيش كوريو الاحمر" القادم من منشوريا الشرقية والشعب فى نينغآن. وفى كل مكان مر فيه "جيش كوريو الاحمر"، كانت تتسع وتتعاظم صفوف الحزب واتحاد الشباب الشيوعى وجمعية النساء ورابطة الاطفال وغيرها من المنظمات الثورية.

وصار السكان الذين فتحوا قلوبهم للشيوعيين يجدون اعظم سعادة لهم فى تأييد الجيش الثورى ومساعدته.

وهناك صور من سلوكهم بقيت محفورة فى ذاكرتى حتى اليوم، منها صورة العجوز كيم فى محطة تيانتشياولنغ لقطع الاشجار، والعجوز زو تايك زو فى داوايجى، والجدة الصينية مينغ تشينغ فو فى ووليانغهى والعجوز لى فى نانهوتو وغيرهم.

فالجدة مينغ وزوجة ابن عمها، قدمت للحملة الكثير من المعلومات القيمة عن تحركات العدو على الرغم من انهما اعتقلتا وتعرضتا لتعذيب وحشى على يد رجال الشرطة اليابانية.

وكان العجوز لى فى نانهوتو شخصا مدرجا على قائمة العدو السوداء، وخاضعا للمراقبة ليل نهار. وقد اقدم العدو على احراق بيته المكون من ثمانى غرف بذريعة انه يساعد جيش حرب العصابات. وذات مرة، اقتاده رجال الدرك وانهالوا عليه ضربا بالهراوات. ومع ذلك، ثابر العجوز لى على زيارتنا فى معسكرات الجيش الثورى وهو يحمل الينا المؤن والاحذية.

سألته ذات مرة:

"ألا تشعر بالخوف، يا جدى؟"

فأجابنى:

"كيف لا. اذا عرف العدو اننى اقدم مواد للجيش الثورى، فقل على ابنائى الثلاثة وجميع افراد اسرتنا السلام. ولكن، هل هناك من خيار آخر؟ ما دام رجال الجيش الثورى يعانون المشاق دون نوم او طعام فى سبيل استرجاع الوطن، فكيف يسعنا ان نجلس مكتوفى الايدى حفاظا على سلامتنا فحسب؟"

كانت جذوة حب الوطن والعدالة مكنونة كذخر نفيس فى اعماق قلوب ابناء الشعب فى منشوريا الشمالية ايضا.

وكانت حرارتها لا تختلف ولا تقل بشىء عن تلك التى يحملها فى قلوبهم الناس فى منشوريا الشرقية.

واذا كان ثمة اختلاف، فانه يقتصر على القشرة التى كانت اكثر سماكة واصعب منالا.

ان الشعب لا يتردد عن فتح قلبه للناس الذين يتعاطفون معه ويفهمونه، ويحتضنهم بحرارة. ولكنه يغلق قلبه دون رحمة فى وجه ناكرى الجميل الذين ينسون ان الشعب هو الذى انجبهم ورباهم؛ والمتكبرين الذين يرون ان من واجب الشعب ان يخدمهم وان من حقهم ان يتمتعوا بخدماته؛ والبيروقراطيين الذين يعتقدون ان بامكانهم التحكم به كما يحلو لهم؛ والمستغلين الذين يحسبون الشعب بقرة حلوبا تدر لهم الحليب فى اى وقت يشاؤون؛ والثرثارين والمنافقين الذين يدعون بالكلام المعسول فقط انهم يحبون الشعب لكنهم يغمضون اعينهم عن الآلام التى يعانى منها، كذلك حال الكسالى والمحتالين...

ما من احد من رفاق السلاح يتذكر معنا الآن الحملة الاولى الى منشوريا الشمالية. فمن اصل اكثر من ١٧٠ فردا ضمتهم تلك الحملة، لم يرجع الى الوطن المحرر سوى بضعة انفار. رجع او زون اوك ويون هى سو من سرية وانغتشينغ فيما اعتقد.

وعندما ذهبنا الى منطقة نينغآن، كان كانغ كون عضوا فى رابطة الاطفال. ولو كان الامر متعلقا بالسن وحده لكان ما يزال على قيد الحياة ويشارك فى صنع الثورة حتى يومنا هذا، ولكنه خر صريعا على خط الجبهة الاول فى اوائل خريف السنة التى اندلعت فيها حرب التحرير الوطنية العظيمة. كان كانغ كون رئيسا لهيئة الاركان العامة للجيش الشعبى الكورى آنذاك.

وعمل غو بو باى فيما بعد مفوضا سياسيا للفوج التابع للفيلق الخامس بقيادة جو باو جونغ.

ويؤكد البعض بانه قتل فى احدى المعارك بينما يقول آخرون انه مات فى الاتحاد السوفييتى. ولكنى لا استطيع معرفة اى الروايتين هى الاصح. عندما تلقيت خبر موته، لم اصدق الخبر، وتساءلت كيف لذلك المتفائل الساحر الذى طالما اثار الضحك فى تشينتاو قاطبة بفكاهته وظرفه اللامتناهيين ان يموت؟! ان موته كان امرا لا يمكن حتى مجرد تخيله.

واكثر من نصف افراد جماعة العزف على الهرمونيكا الذين شقوا الطريق للحملة الى منشوريا الشمالية مع غو بو باى، بقوا فى منشوريا الشمالية نزولا عند رغبة جو باو جونغ او استشهدوا فى المعارك التى خضناها ونحن عائدون من هناك. ولكن ما هو مصير نصفها الآخر؟

ليست عندى اية معطيات بهذا الصدد. بل ويصعب على ان اتذكر حتى اسماءهم الآن.

بعد انقضاء نصف قرن تقريبا على الحملة الاولى الى منشوريا الشمالية، بلغنى ذات يوم خبر سار عن ان احد المشاركين فيها ما يزال على قيد الحياة فى بيونغ يانغ. كانت الصورة التى عرضت على هى صورة هونغ بوم، العازف الاول فى جماعة العزف على الهرمونيكا.

كانت تظهر حول عينيه بوضوح آثار المشقات التى تعرضنا لها ونحن نشق طريقنا وسط العواصف الثلجية المزمجرة فى منشوريا الشمالية. على الرغم من ان الزمن قد غير ملامحه حتى بات من الصعب التعرف عليه، الا ان عنقه الطويل الشبيه بعنق مالك الحزين كان، لحسن الحظ، هو هو.

أهو حقا هونغ بوم العازف البارع والشهير على الهرمونيكا الذى كان يحظى بحب واستحسان الناس فى تشينتاو؟ لماذا لم يظهر من قبل هذا الرجل الذى شارك فى الحملة الاولى الى منشوريا الشمالية وشاهد العيان الثمين كالكنز، ولماذا لم يكشف عن نفسه حتى الآن بالرغم من انه على قيد الحياة ويعيش قريبا منا ؟

طالبت العاملين المختصين بان يتأكدوا من حقيقة الامر.

وتبين ان هونغ بوم لم يتصل بنا حتى ذلك الحين لشدة بساطته وتواضعه.

وقد قال لنا ذلك المناضل القديم المناهض لليابان، بعد ان اصبح فى خريف العمر:

"على الرغم من اننى اشتركت فى الثورة المناهضة لليابان، الا اننى لم احقق مآثر جديرة بالافتخار. اذا كان لى من مفخرة، فهى اشتراكى فى الحملة الى منشوريا الشمالية بصحبة الزعيم المحبوب. ولكن بعد عودتنا من منشوريا الشمالية اصبت بالحمى فقضيت فترة فى وادى سانداوان دون ان اعلم حتى بحل منطقة حرب العصابات، ثم عدت الى مسقط رأسى بعد ان اخفقت فى الالتحاق بوحدتى. لو عرف الحزب اننى من المشاركين فى الحرب المناهضة لليابان لاعتنى بى اعتناءه بكنز، ولكننى لم اشأ ان اثقل على الحزب."

كان يعمل حارسا فى فرع زونسونغ للامن الاجتماعى على الرغم من بلوغه سن السبعين، وكان يقيم فى بيت بسيط من غرفة واحدة. فى الوقت الذى كان فيه العازفون من الجيل الجديد المولودون فى الخمسينات والستينات ينتقلون الى بيوت جديدة مكونة من ثلاث او اربع غرف، كان عازف الهرمونيكا فى جيش حرب العصابات الذى ذاق الامرين وسط اهوال المسيرة الطويلة ضد اليابان راضيا وقانعا بذلك البيت ذى الغرفة الواحدة. فما كان هونغ بوم ليطلب معاملة تفضيلية او امتيازات اكثر من ذلك.

هكذا كان المشتركون فى الحرب المناهضة لليابان...

سمعت ان هونغ بوم احتفظ بالهرمونيكا التى اشتريتها له فى نينغآن طول حياته. وحينما زاره الباحثون المختصون بالاحداث التاريخية، عزف لهم هونغ بوم

بالمهارة نفسها الحان الاغانى الثورية التى اعتاد ان يعزفها على تلك الهرمونيكا اثناء الحملة الى منشوريا الشمالية.

وقد توفى فى وقت لاحق فى مسكنه الجديد الذى خصصه له الحزب فى شارع كوانغبوك.

ان هؤلاء المناضلين الذين مروا بشتى صنوف المحن والصعاب القاسية كالحملة الى منشوريا الشمالية والمسيرة الشاقة وذللوها، تغلبوا وهم الى جانبنا ايضا على جميع انواع الشدائد بعد عودتهم الى الوطن المحرر.

" ان معاناة المشاق فى فترة الشباب هى ثروة اثمن من الذهب" هذه مقولة مشهورة متوارثة منذ القديم عن اسلافنا، وهى تتحفنا بحقيقة من حقائق الحياة العميقة والاساسية حقا: ان المشاق والمحن هى ام السعادة فى هذا الوجود.

٥ـ عاصفة ثلجية على جبل تيانتشياولنغ

فى النصف الثانى من كانون الثانى عام ١٩٣٥، بدأنا رحلة العودة بعد انجاز المهام العسكرية والسياسية للحملة.

لم يبق سوى ٥٠ او ٦٠ رجلا فى صفوفنا التى كانت تضم ١٧٠ رجلا عند مغادرتنا دويتولاجى فى وانغتشينغ. فبعد ان ارسلنا سرية آنزى الى منشوريا الشرقية فى بداية الحملة، اضطررنا الى سحب سرية هونتشون ايضا من ارض نينغآن، لنشوء وضع حرج استدعى منا الدفاع عن مركز القيادة التكتيكى والاستراتيجى لثورتنا فى مواجهة عمليات الحصار الهجومى المعادية. كذلك خسرنا عددا غير قليل من القتلى والجرحى فى المعارك التى جرت تباعا خلال ثلاثة اشهر. فتقلصت صفوفنا الى الثلث بعدما اخلينا الجرحى جميعا الى احدى المناطق الآمنة.

ولم يكن هناك من سبيل لتعويض النقص فى الصفوف. صحيح ان عددا كبيرا من الشباب فى القرى التى اقامت فيها وحدة الحملة طلبوا منا الالتحاق بصفوفنا، الا اننا ارسلناهم جميعا الى وحدة جو باو جونغ.

وقد كان جو باو جونغ قلقا جدا لما قد نتعرض له فى طريق العودة:

"تفيد المعلومات التى وصلتنا ان الاعداء يقومون الآن بتحركات مسعورة بحثا عن وحدة كيم إيل سونغ. ويبدو انهم عازمون على جعلكم تدفعون ثمنا باهظا مقابل الضربات التى الحقتموها بهم هذا الشتاء! وبصراحة، يساورنى القلق على سلامتكم."

كانت امارات القلق تبدو جلية فى عينيه وهو ينظر الى.

شعرت بالامتنان لمشاعر المودة التى اظهرها بقلقه علينا، الا اننى آثرت ان ابدى عدم الاكتراث، وقلت له:

"شكرا لك. ولكن لا تقلق كثيرا علينا لان العواصف الثلجية الهوجاء فى سلسلة جبال لاويلنغ ستحجبنا وراء ستارها هذه المرة ايضا. وسوف نعود على اى حال سالمين."

"يا لهدوء بالكم ! حتى وانتم على عتبة المهالك، يبقى القائد كيم متفائلا !"

ولتسهيل رحلة العودة، اشار علينا جو باو جونغ بسلوك اكثر الدروب امانا، ووضع تحت تصرفنا اكثر من مئة جندى لمرافقتنا. كان الطريق الملتوى الذى اختاره لنا جو باو جونغ هو طريق تيانتشياولنغ – لاويلنغ – بارينكو، وهو غير طريق دويتولاجي – لاويلنغ – باداوهيجى المعتاد والذى سلكناه فى ذهابنا الى منشوريا الشمالية. فكان علينا ان نعبر سلاسل جبلية بعيدة عن المواقع المعادية. وقد اكد لنا جو باو جونغ ان العدو لا يتصور وجود مثل هذا الطريق على الاطلاق.

كان بينغ نان يانغ اعلم من جو باو جونغ بالطريق المذكور. فقال لى وهو يربت بيده على ذراعى:

"اذا ذهبتم عبر تيانتشياولنغ، سيكون ذلك افضل لكم من كل الجوانب. فمحطات قطع الاشجار فى تلك المنطقة فيها وفرة من الحبوب الغذائية. ونادرا ما يصل اوغاد القوات (التأديبية) الى تلك المنطقة. اننى اجزم بذلك."

تسمية تيانتشياولنغ تعنى حرفيا الجسر السماوى. وهو مرتفع شاهق يوحى للناظر اليه بانه جسر.

وعملا بنصيحة الرفاق فى منشوريا الشمالية، قررنا ان نعود الى تشينتاو عبر طريق تيانتشياولنغ – لاويلنغ – بارينكو. ذلك لان الدروب الاخرى لعبور جبل لاويلنغ، وهى اثنان او ثلاثة، كانت تحت سيطرة العدو.

غادرنا كوخ جو باو جونغ وسط وداع حار.

كانت قلوبنا تتفطر حزنا لعودتنا الى تشينتاو دون ان نتمكن من اقامة جثوة من تراب او وضع شاهدة على رفات لى سونغ ريم والشهداء الآخرين الذين يرقدون دون وسادة فى تلك الارض الجليدية.

الوداع يا رفاق السلاح! سوف نأتى مرة اخرى لزيارتكم عندما تستقل البلاد.

واذا كنا نترككم الآن فى ديار الغربة المتجمدة بعيدا عن ربوع الوطن، فاننا سنحملكم على ظهورنا عندما يحل يوم التحرير ونعود بكم الى ربى مسقط رؤوسكم. وعندها، سننصب الشواهد ونقيم بلاطة للصلاة امام قبوركم ونغرس حولها الازهار تكريما لارواحكم، ونحيى ذكراكم كل عام. فالى اللقاء فى ذلك اليوم يا رفاق السلاح !

أمرت الصفوف كلها بان تخلع القبعات وتقف ثلاث دقائق صمت، اجلالا لرفاق السلاح الذين سقطوا فى ساحات القتال فى برارى منشوريا الشمالية.

فى ذلك اليوم، اثلجت السماء فى المنطقة بغزارة حتى تجاوزت سماكة الثلج علو الرسغ، وكأنما كانت تريد ان توفر الراحة والسكينة لرفاق السلاح الذين يستلقون بملابسهم الخفيفة فى قمم واودية نينغآن المجهولة. لقد غطت الثلوج الغزيرة آثار اقدامنا. فكان الجو فى ذلك اليوم مناسبا جدا لمسيرتنا التى اردناها خفية قدر الامكان.

لكن، حتى هذه الهبة الكريمة التى منت بها الطبيعة علينا لم تحجب عنا تماما انظار العدو الحادة كعين الصقر. فظهرت قطعان من اوغاد القوات "التأديبية" المعادية عن بعد فيما كانت وحدتنا تستريح على حافة جبل يبلغ ارتفاعه حوالى ٧٠٠ متر عن سطح البحر اثر تناولها وجبة غداء اعدها لنا الرفاق فى منشوريا الشمالية.

كان امرا مفاجئا حقا ان نرى افواجا من جنود العدو يطاردوننا فى هذه المنطقة المغطاة بالغابات العذراء التى جزم بينغ نان يانغ بانها مأمونة الى ابعد الحدود.

وحين رآهم رجال الحملة، جحظت عيونهم دهشة وتساءلوا بعصبية: ما هذا ؟ لعلنا ضللنا الطريق ؟ لقد اعتقدنا ان بامكاننا نيل شىء من الراحة فى طريق العودة، ولكن لدينا الآن ما يقض المضاجع ما دام العدو يطاردنا هكذا. وبمثل هذه الحالة المعنوية، ما كان لقواتنا ان تنجح فى شق طريق العودة.

ففكرت بانه على ان أحذر الرفاق حتى لا تخور ارادتهم وتذوى يقظتهم منذ البداية، فخاطبتهم قائلا:

"ايها الرفاق، لقد عشنا السنوات الاخيرة كلها وسط حصار العدو. كان العدو

موجودا امامنا وخلفنا وعلى جانبينا، وحتى فى السماء فوقنا. العدو يتواجد حيثما يتواجد المغاورون.

اذا كان بيننا رفيق لم يتعرض لمطاردة العدو اثناء المسيرة، فليرفع يده. كم مسيرة هادئة خالية من دوى الرصاص ومعارك السلاح الابيض تجدون فى تاريخ حربنا المناهضة لليابان؟ لذلك، من المفروض بنا، ايها الرفاق، ان نكون على أهبة الاستعداد للقتال فى هذه المسيرة ايضا. فالقتال هو المخرج الوحيد الذى يتيح لنا اختراق شبكات الحصار والعودة الى تشينتاو."

واذ سمعوا منى ذلك، استعاد رجال الحملة رباطة جأشهم.

بعثنا بمفرزة استكشاف لمعرفة هوية الخصم الذى يطاردنا.

فأسرت تلك المفرزة اثنين من جنود استطلاع العدو فى ضربة مباغتة انزلتها به وعادت بهما الى الوحدة. وخلال استجواب الاسيرين، افلت من لسانيهما عدة مرات اسم يوسيزاكى، وهو قائد وحدة من جيش جينغآن، كان قد تعرض لهزائم عديدة فى مواجهات معنا.

وللتغطية على عار هزائمه، دأب يوسيزاكى على تعزيز قواته بعناصر جديدة. وكانت تلك الوحدة بالذات هى التى تطاردنا.

بعيد حادثة ١٨ ايلول، جرى تشكيل وحدة جينغآن الخاصة باشراف الرائد كوماتسو، الضابط فى هيئة اركان حرب جيش كوانتونغ، تحت اسم القوة الخاصة المستقلة، وذلك لمساعدة جيش كوانتونغ. وقد كانت مكونة من جنود يابانيين ومنشوريين، وتعد النواة التى تحولت الى جيش جينغآن فيما بعد.

وعند تأسيس جيش دولة منشوكو العميل، انضم اليه جيش جينغآن فى تشرين الثانى عام ١٩٣٢. وقد كان ثلثا قادته من اليابانيين، بمن فيهم قائده اللواء هوزيهى زيورو.

وكان لدى جيش جينغآن وحدة احتياط يتألف معظم افرادها من خريجى المدارس الاعدادية فى اليابان، وتتراوح اعمارهم ما بين السابعة عشرة والثامنة عشرة.

اما اسلحة وملابس جيش جينغآن، فكان يزوده بها جيش كوانتونغ.

وقد اطلقوا على هذا الجيش ايضا اسم "هونغسوداى"(٠)، لان جنوده كانوا يعصبون اذرعهم بقطعة من القماش الاحمر. وقد ربت هذه الوحدة جنودها على "روح التواجد الدائم فى ميدان المعركة" الى جانب روح " يامادو داماسي"(٠) وروح "سايآن داماسى"(٠) الشرسة... .

ومعظم الصينيين المنضوين الى ذلك الجيش كانوا ينحدرون من الطبقات المالكة، ويتكلمون اللغة اليابانية بطلاقة.

كان هدف جيش جينغآن المؤلف من كلاب مخلصين للامبريالية اليابانية هو مواجهة حرب العصابات التى يشنها الشيوعيون باسلوب حرب العصابات ذاته. وهذا يعنى ان هدفهم الرئيسى هو تصفيتنا.

وقد بلغ قوام وحدة جينغآن عند بداية تشكيلها نحو ٣٠٠٠ جندى.

وهذا العدد يفوق ما كان عليه قوام الفوج الواحد من الجيش اليابانى.

كان يوسيزاكى قائدا للوحدة الاولى فى جيش جينغآن.

وكانت وحدته هى الاشد شراسة وعنادا، بحيث يتوجب على اى قوة تواجهها ان تكون مستعدة لهدر دماء كثيرة مهما كانت قوتها.

وكلما أبيدت احدى وحداته، كان يوسيزاكى يستعيض عنها بوحدة اخرى على الفور. فقد كانت تحت تصرفه قوات احتياطية لا حصر لها من اجل توجيه ضربات متواصلة لحملة الجيش الثورى الشعبى.

وفى المقابل، لم يكن لدينا اى احتياطى نعوض به عن رجالنا القتلى.

وقد فرض علينا ان نشتبك مع العدو الذى يطاردنا اربع او خمس مرات يوميا. فاذا واصلنا المسير، قام العدو بمواصلة سيره هو الآخر، واذا ما خيمنا، فعل العدو الشيء نفسه ايضا. حقا، لقد كانوا مثل العلق يتشبثون بنا لارهاقنا واستنزاف قوانا.

---

(٠) هونغسوداى: عبارة صينية تعنى جيش الاذرع الحمراء – المترجم

(٠) يامادو داماسى: روح امة يامادو، اى الامة اليابانية – المترجم

(٠) سايآن داماسى: تعنى باليابانية روح جيش جينغآن – المترجم

ومثلما قال جو باو جونغ، كان رجال جيش جينغآن يعلمون ان وحدتنا هى بأمرة كيم إيل سونغ، كما كانوا يعرفون عدد جنودنا، وما هى تكتيكاتنا، وانه لا وجود لاى قوات شيوعية يمكن ان تساعدنا فى منطقة تيانتشياولنغ وحولها. وكان الجيش اليابانى نشيطا فى اعماله التجسسية فى ذلك الحين. وهذا يعنى اننا كنا بصدد خوض معركة مكشوفة يعرف العدو كل اسرارها.

راح العدو يزج بقوات جديدة باستمرار فى مطاردتنا ولسان حاله يقول: "حتى لو قتل لنا مئة جندى مقابل كل واحد من الجيش الشيوعى فان ذلك يعتبر نجاحا كبيرا لنا. فنحن نستطيع التعويض عن القتلى بمئة آخرين، اما جيش حرب العصابات فلن يستطيع التعويض عن جندى واحد من قتلاه". وحيث ان العدو يملك احتياطيا كبيرا من الجنود، فقد كان جريئا فى مطاردته لنا. كان فى نية جيش جينغآن ان يبيد وحدة الحملة القادمة من تشينتاو عن بكرة ابيها حتى ولو سقط له الف جندى. ذلك لانه اذا اباد وحدة الحملة، سينتهى كيم إيل سونغ، واذا قضى على كيم إيل سونغ، سيكون مصير الجيش الشيوعى الكورى ومصير حركة مقاومة منشوكو ومناهضة اليابان كمصير الشمس الآفلة الى المغيب.

وفضلا عن عناد جيش جينغآن وشراسته، هبت علينا عواصف ثلجية هوجاء فى ذلك الشتاء، بحيث تعذر علينا معها تمييز جنودنا من جنود العدو. ولم يكن بالامكان معرفة ذلك الا عندما يتكلم احد الطرفين، وحينئذ يبدأ الاشتباك.

كان جنود الوحدة الصينية المناهضة لليابان الذين رافقونا قد غادرونا بعدما تعذر عليهم تحمل المشقة. فالمطاردة العنيدة والمستمرة من جانب جيش جينغآن والبرد القارس كانا تحديا لا يمكنهم مقاومته بسبب افتقارهم الى روح التضحية. وبدلا من ان يدافعوا عنا، وجدنا انفسنا مضطرين للدفاع عنهم حتى مغادرتهم.

زد على ذلك ان المواد الغذائية التى اعدها بينغ نان يانغ زادا لرحلتنا، سرعان ما نفدت بعد وقت قصير من مسيرة العودة.

فاضطررنا الى ان نسد رمقنا بأكل الثلج طوال عدة ايام. كان الثلج هو الغذاء الوحيد الذى يمكن لنا الحصول عليه بلا مقابل فى تلك المنطقة المقفرة والمترامية

التى لا ترى فيها اى آثار آدمية. وقد لجأنا احيانا الى الاغارة على معسكرات العدو بعد ان شكلنا فصيلة فداء من جنود الوحدة. ولكن ما كنا نغنمه من المواد الغذائية لم يكن كافيا لسد رمق جنود الحملة.

فالعدو، هو الآخر، لم يكن يأخذ معه كميات كبيرة من المواد الغذائية عند خروجه الى القتال.

وفكرت بانه ينبغى لنا ان نواصل المسير مهما كانت المصاعب حتى نصل الى محطة تيانتشياولنغ لقطع الاشجار، فهناك، كما قال بينغ نان يانغ، توجد كميات كبيرة من الاغذية.

غذذنا الخطى بدأب ومثابرة، تحدونا بارقة الامل هذه، ونحن نشجع ونساند بعضنا بعضا.

وكلما كنا نحصل على بعض الطعام كنت اوزعه على الجنود بالتساوى. وكان جميع افراد الحملة لا يجدون ما يسدون به رمقهم فى بعض الايام سوى حفنة من الذرة. فكنت اقدم حصتى من حبات الذرة القليلة الى الجنود الفتيان، واسكن جوعى بالثلج. هل يمكن ان يكون الثلج مصدرا للقوة الجسدية يا ترى؟ ومع ذلك، كنا نضغط اسناننا بتصميم، ونشق طريقنا وسط العاصفة الثلجية العاتية، ونتسلق المنحدرات الجبلية.

حينذاك، اصر هان هونغ كوون على ان الثلج يحتوى على عناصر مغذية، الامر الذى اثار فضولنا جميعا.

توقعت ان يلقى ادعاؤه هذا معارضة قوية من جانب الجنود. ولكن، خلافا لتوقعاتى، لم يحاول سوى نفر قليل من رفاق السلاح دحض هذا الادعاء. بل ان معظم الرفاق بزوا هان هونغ كوون، وخرجوا بفرضيات تقول ان المياه ربما تحتوى على الكثير من العناصر المغذية.

ولقد ايدت تلك الفرضية. ذلك لاننى لو عارضتها باعتبارها مجرد هراء او جهل، فقد يؤثر ذلك سلبا على معنويات الجنود الذين يحاولون تناسى جوعهم من خلال تقديم الفرضيات الخيالية والانغماس فى الجدل حولها.

لقد كان رائعا ومؤثرا فى الحقيقة مشهد جنود الحملة وهم يحاولون تناسى المصاعب من خلال الجدال حول امكانية العثور على عناصر مغذية فى الثلج تحل محل الارز او الخبز.

قيل ان الرفاق الصينيين كانوا يغلون الاحزمة الجلدية ويشربون مرقها اثناء المسيرة الكبرى لمسافة ٢٥ الف رى. كنا نعرف ان الاحزمة الجلدية تكون نافعة حين ينفد الطعام، ولكن لم يكن لدينا متسع من الوقت لغلى احزمتنا. فقد كانت صعوبة المسيرة ومشاقها تذكرنى بمشاهد من الحياة القاسية الواردة فى رواية "الطوفان الحديدى" التى سبق لى ان قرأتها فى ايام الدراسة فى جيلين، وكنت استمد القوة من تلك الذكريات.

فى كل ليلة، كنت اقوم بالحراسة، شأن الجنود الآخرين، اذ كنا فى وضع عصيب للغاية لا يبيح لى التمتع باى امتيازات لكونى قائدا.

وفى الوقت الذى كانت الظروف تتطلب فيه كفاءة وقدرة قيادية، تلقت الوحدة ضربة قاسية اخرى. فقد اصبت بالبرداء قرب تيانتشياولنغ ووجدت نفسى فجأة طريح الفراش. وكيف لا يصيب المرض جسما اضناه الجوع وعدم النوم والراحة! ارتفعت حرارتى بشكل حاد حتى صار جسمى مثل موقد، واخيرا طرحتنى الحمى على الثلج دون رحمة.

ولو كنت دفأت جسمى عندما كانت تأتينى قشعريرة خفيفة، لما كانت حالتى تفاقمت نحو الاسوأ. ولكننى تحاملت على آلامى حتى لا اثير القلق فى نفوس الرفاق. لكن الخدر اصاب يدى وقدمى وانهرت على الارض متيبسا فى آخر الامر. ولم استعد وعيى الا بصعوبة بعد ان بذل الرفاق جهدا كبيرا فى تدليك يدى وقدمى وذراعى وساقى.

كنت قد سمعت انه يمكن الشفاء من الحمى بتناول فنجان من العسل والتعرق فى حجرة دافئة. ولكن الامل بذلك كان مستحيلا فى تلك المنطقة النائية المهجورة التى ترتفع اكثر من الف متر فوق سطح البحر.

صنع هان هونغ كوون مع الجنود زلاجة يدوية، ومددونى فيها بعد ان دثرونى بلحاف وجلد غزال ثم راحوا يجرونها بالتناوب فيما بينهم. لقد اهتموا بى بكل

جوارحهم وقلقوا على سلامتى من صميم قلوبهم لدرجة انهم كانوا يبتهلون فى اعماقهم ان تتوقف مطاردة العدو لنا، لكن القوة "التأديبية" واصلت تعقبنا دون رحمة. فكان على جنودنا ان يصدوا العدو من جهة، وان يتقدموا من جهة اخرى شبرا فشبرا فى الجبال الوعرة وهم يجرون الزلاجة التى تحملنى. لقد كان التوتر يفرض عليهم بذل جهود مضنية تستنفد طاقاتهم الروحية والجسدية الى اقصى حد.

زج يوسيزاكى سرية جديدة فى المطاردة يقودها كودو المعروف بلقب "ملك الحملات التأديبية". وقد منح كودو هذا بعد موته لقب "الجندى المخلص" لامبراطور اليابان نظرا لمآثره الحربية التى حققها فى منشوريا، ويقال ان رفات من يمنحون هذا اللقب تدفن فى معبد ياسوكونى. وقد خاطب كودو، الذى ظهر عند خط تيانتشياولنغ، جنوده قائلا: لقد فقد كيم إيل سونغ قدرته على القيادة لانه مصاب بمرض خطير. فلا حاجة بكم، اذن، الى خوض المعارك. عليكم فقط بتعقب الجيش الشيوعى دون توقف، متجنبين الدخول فى معارك معه، الى ان تنهار قواه تماما. اقتلوهم واحدا واحدا اثناء المطاردة. فاذا قنصنا واحدا منهم فى كل مرة، فاننا سنبيدهم تماما خلال شهر واحد تقريبا.

وبهذه الخطة، تمكن كودو من الحاق عدة اصابات برجال وحدتنا. وكانت درجة اصابة العدو لاهدافه عالية جدا.

حينما استعدت وعيى، لم اجد حولى سوى ستة عشر جنديا.

اجلت بصرى بلهفة فى كل الاتجاهات، فلم ار سوى اولئك الستة عشر جنديا يتحلقون حولى. أين هم الرفاق الآخرون؟ أين ذهبوا؟ هل دفن رفاق السلاح الاعزاء تحت الثلوج فى تيانتشياولنغ؟ تلك كانت هواجسى.

"أين ذهب وانغ داى هونغ؟"

خططت ذلك على الثلج بقراب مسدسى الذى كان تحت اللحاف، اذ استحال على النطق بسبب التهاب حلقى. ثم التفت بنظرة واهنة الى وجه هان هونغ كوون آمر السرية استنطقه.

فنكس رأسه الى الارض بتثاقل ولم يجب. كانت حنجرته تختلج بشدة تحت ذقنه المغطاة بلحية سوداء.

"لقد استشهد الرفيق الموجه السياسى."

اجابنى كيم تايك كون آمر الفصيلة بصوت باك، وهو الذى عانى المصاعب فى شيليبينغ خلال ملازمته لى بعد اصابتى بالتيفوس الطفحى. كانت لحية سوداء كثة تغطى وجهه، وكانت الدموع تتساقط من عينيه.

حينما وقعت الوحدة فى طوق حصار العدو، نظم وانغ داى هونغ، الموجه السياسى للسرية، فصيلة فداء من عدة رفاق، منهم كيم تايك كون، وخاض معهم معركة بالسلاح الابيض لفتح ثغرة فى الحصار المعادى. قتل وانغ داى هونغ خمسة من جنود جيش جينغآن بحربة بندقيته وبعقبها ثم خر، هو الآخر، على الثلج ولم ينهض ثانية.

كان وانغ داى هونغ واحدا من احب الكوادر السياسيين والعسكريين الى، ومقاتلا رشيقا يحظى باحترام الجميع. ولان اسمه وانغ داى هونغ كان يبدو صينيا، ولانه كان يتكلم اللغة الصينية بطلاقة لا تقل عن طلاقته بالكورية، فقد كان الناس يظنونه صينيا. ولكنه فى الحقيقة كورى قح. ترك وانغ داى هونغ بصمات واضحة فى مساعدة الجيش والشعب فى منشوريا الشمالية. ولاتقانه اللغة الصينية كان يحظى بترحاب من الصينيين حيثما ذهب. وليس من قبيل الصدفة ان يطمع جو باو جونغ فيه. وليتنى تركته هناك حين طلبه جو باو جونغ منا...! ترحمت على ارواح رفاق السلاح الذين رحلوا عنا، وكانت مشاعر الحزن هذه من العنف بحيث شعرت كما لو ان جسمى يتمزق وقلبى يتفتت متطايرا فى كل اتجاه.

"كنا فى وضع خطير للغاية، فلم نتمكن من دفن جثة الرفيق الموجه السياسى."

جاء صوت آمر الفصيلة، كيم تايك كون، المفعم بمشاعر الاسى والندم، يضرب مسامعى مرة اخرى.

(وهل هناك اكثر من الثلوج فى منشوريا الشمالية؟ فلماذا لم تدفنوا جثته حتى ولو بالثلوج؟) كادت تخرج هذه الشكوى من فمى على الرغم عنى.

ولكن عقلى كبحها لحسن الحظ. وتساءلت فى سرى:

هل يمكن الا يكون كيم تايك كون قد فكر بذلك؟!

وكم كان الوضع خطيرا حتى غادر هذا الرجل الطيب القلب المكان دون ان يدفن جثة رفيقه فى السلاح !

فعدت وكتبت على الثلج كما فعلت سابقا:

"هل تذكر بدقة موقع الوادى الذى قتل فيه وانغ داى هونغ؟"

فاجابنى كيم تايك كون فى الحال:

"اجل، وكيف لى ان انساه."

"لا بأس اذن. سنرجع الى هناك وندفنه عندما يذوب الثلج."

وكلما بدأت بكتابة شىء على صفحة الثلج، دفع الجنود الزلاجة الى الامام كيلا تختلط الحروف ببعضها.

ولكننا لم نستطع العودة لدفنه.

وقد بقى فى تيانتشياولنغ عدد من رفاقنا فى السلاح لم نستطع ان نواريهم الثرى، فضلا عن وانغ داى هونغ. ان الالم ليحز فؤادى كلما تذكرت ذلك. اشعر كما لو ان دينا فى ذمتى لن اتمكن من الوفاء به الى الابد. كيف لى ان اصف هذا الشعور بالذنب؟

بعد التحرير، زارنى زو كى تشون ومعه مخطوط ملحمته الشعرية "جبل بايكدو".

كان يريدنى ان اكون اول من يسمعها. وقد اعجبنى جدا مضمونها، ناهيك عن روعة وبراعة نظمها. ففى الملحمة مقاطع كثيرة تمس شغاف القلب.

...

ايها الحطاب فى هذه الجبال الشماء!

اقطع الاشجار برفق...

ففى الغابة تقبع ارواح

المقاتلين الذين استشهدوا من اجل الوطن !

وانت ايها السائر فى هذه الجبال الشاهقة !

لا تطأ حجارة الطريق.

فربما ترقد تحتها
رفات الشجعان الخالدين.

فى هذا المقطع من الملحمة يعبر الشاعر عن مشاعره فى وصف مشهد ارسال تشول هو فى مهمة الى ارض الوطن، وكيف دفن رفيقه يونغ نام الذى صرعه رصاص العدو عند عبورهما نهر آمروك.

عندما وصل الى هذا المقطع، اجهش زو كى تشون بالبكاء، ولم استطع انا ايضا ان اكبح دموعى.

لدى سماعى هذه الابيات الشعرية، تذكرت عددا كبيرا من امثال وانغ داى هونغ الذين تركناهم هناك فى اراضى منشوريا الشمالية دون ان نواريهم الثرى، كما تذكرت كثيرا من الجبال مثل تيانتشياولنغ. ان اعدادا لا تحصى من رفات شهدائنا الاوائل ورفاقنا فى السلاح ما زالت هناك فى جبال وسهول وانهار منشوريا.

حين كنت رئيسا لمجلس الوزراء، سمعت من احد الكوادر المسؤولين فى وزارة التعليم القصة التالية:

ذات يوم، استقبل استاذ فى كلية التاريخ بجامعة كيم إيل سونغ رفيقا له فى السلاح منذ ايام الحرب، وقد اسعدهما اللقاء وراحا يتبادلان الذكريات. وكان للاستاذ ولد وحيد فى روضة للاطفال، فألفه الضيف فورا.

جعل الطفل يلمس بيديه ياقة سترة الضيف وازراره والاوسمة المعلقة على صدره وهو جالس على ركبتيه، ولكنه فوجئ عندما لمس يد الضيف، وتطلع الى والده بنظرات متسائلة. كانت يدا اصطناعية باردة لا دم فيها ولا حرارة. فسأل الصغير الضيف وهو يمسك بيده الاصطناعية:

"ولماذا صارت يدك هكذا يا عماه؟"

"لقد فقدتها اثناء القتال ضد الاوغاد الامريكيين فى الحرب."

"وهل يصاب جنود الجيش الشعبى ايضا بجراح؟"

"نعم، وقد يموت بعضهم احيانا."

عندما سمع الصغير ذلك، ظهرت علائم الحسرة على وجهه لانه كان من غير المعقول بالنسبة له ان يجرح او يقتل جنود الجيش الشعبى. كلام الضيف قلب قناعة الطفل الذى كان يعتقد ان جنود الجيش الشعبى لا يموتون ولا يجرحون على الاطلاق.

الى ذلك الحين، كان الناس عندنا يبالغون كثيرا فى تصوير مصرع الاعداء، فيما يقللون من تصوير استشهاد جنود الجيش الشعبى فى الكتب المصورة والافلام المعدة للاطفال، الامر الذى جعل الاولاد يعتقدون ان جنود الجيش الشعبى ورجال جيش حرب العصابات المناهض لليابان لا يقتلون ولا يجرحون.

لقد اخطأ المربون والادباء عندنا حين لم يطلعوا الجيل الصاعد بشكل صائب وواقعى، على الثمن الباهظ الذى قدمناه للانتصار فى الحرب الثورية سواء ضد الامبريالية اليابانية او الامبريالية الامريكية. فقد وصلنا الى ذروة الانتصار فى الحرب ضد اليابان بعد ان ارتقينا درجات من الآلام التى لا يمكن وصفها، واكداسا من الجثث لا يمكن حصرها.

وهل يمكن تفادى التضحيات فى النضال لسحق اعتى الاعداء، الامبريالية التى كان من المحال دحرها بالنداءات او بالالتماسات او بالارهاب؟ ان الموت لا يميز بيننا وبين العدو، وبين العدالة وبين الظلم. ثمة فارق وحيد، وهو ان الموت فى كل من الطرفين يتخذ طابعا مختلفا. فالموت بالنسبة للجيش الثورى هو ان يضحى فرد واحد لانقاذ عشرة افراد، وعشرة لانقاذ مئة، ومئة لانقاذ الف...

فقدت وعيى مرة اخرى بعد لحظات قليلة من سماعى خبر مقتل وانغ داى هونغ. ووجدت نفسى اسبح فى عالم غامض لا اعرف أهو هذيان ام حلم تحت وطأة الحمى الشديدة. رأيت نفسى بصحبة وانغ داى هونغ نجتاز جبل اوغاسان، حاملين نقالة.

وعلى النقالة، كان تشا كوانغ سو وجو باو جونغ ممدين سوية وهما يتوسدان ذراعيهما.

لكن العجيب فى الامر اننى لم اكن اتخيل على الاطلاق ان تشا كوانغ سو ووانغ داى هونغ قد ماتا، ولم تكن تساورنى اية مشاعر غريبة بالمرة وانا ارى احياء وامواتا يتعايشون معا دون اى تحفظ.

كانت الرؤيا فى يوم صيفى قائظ ترسل فيه الشمس اشعتها الحارقة، وكنا نلهث من شدة الحر والعطش، فيما الطريق يمتد طويلا امامنا وينتصب جبل شاهق فى مواجهتنا.

وكلما تسلقنا الجبل، ازددنا عطشا. فاندفعت راكضا لا ألوى على شىء الى بركة ماء صغيرة بجانب الطريق وحاولت ان اشرب من المياه الراكدة فيها. ولا ادرى من أين تناهى الى مسمعى فى تلك اللحظة صوت مألوف يقول لى محذرا: "لا، اياك ان تشرب ! ".

كانت امى فى ثياب الحداد البيضاء مع اخى الاصغر يونغ جو تلوح لى بيدها من قمة الجبل قائلة:

"لا، لا تشرب. انها مياه مسمومة."

وكم كانت دهشتى عظيمة عندما رأيت قعر البركة يعج ببيوض الضفادع التى تبدو كعناقيد العنب. لماذا تقول انها سامة؟ انها تبدو لعينى وكأنها العسل او الماء الزلال. انبطحت على حافة البركة لأعب من مائها. فسمعت حينذاك تحذير امى ثانية:

"قلت لك لا تشرب."

استيقظت فزعا وانا اسمع هذا التحذير، واتجهت بنظرى الى قمة الجبل. ولكننى لم اجد هناك امى ولا اخى الاصغر.

كان ذلك هذيانا دون شك. ولكن صوتا جاء ينادينى من غياهب ذلك الحلم:

"افتح عينيك يا اخى سونغ جو، واستعد رشدك، ارجوك. اذا لم تنهض، فلن يتسنى لبلادنا الخروج من الظلام."

استعدت وعيى اذ سمعت هذه الكلمات.

كان احدهم منحنيا على الزلاجة، يتأمل وجهى بامعان.

انه عضو اتحاد الشباب الشيوعى المدعو وال نام، وكان يعمل كاتبا لدى ويقدم لى شتى الخدمات منذ ايام جيلين.

كان منظر الغابة المغطاة بالثلوج والمصطبغة بالغسق المضرج بلون الدم

ينسحب الى الوراء فيما الزلاجة تتقدم ببطء. وبدا لى ان السماء الجليدية المعتمة تدور فوق رأسى.

وكان وال نام ينادينى وهو ملتصق بالزلاجة: " يا اخى سونغ جو! يا اخى سونغ جو! "، ودموعه تتساقط على خديه.

ثم صرخ احدهم وهو يمسك بجسمى، ولست ادرى ان كان هو او داى سونغ او رفيق آخر:

"اذا تركتنا الآن ونحن على هذه الحال ايها الرفيق القائد، فسيكون مصير كوريا الى الدمار."

فالتف حولى رفاق السلاح الذين كانوا يسيرون بصمت امام الزلاجة ووراءها، وانفجروا جميعهم بالبكاء.

اردت ان امنعهم من البكاء، الا اننى لم استطع ان افتح فمى من شدة الاعياء. بل وكنت انا نفسى ابكى فى تلك اللحظة.

وما لبثت الغيبوبة ان عاودتنى مرة اخرى، فلم اعد اشعر بشىء على الاطلاق. وحين صحوت فى اليوم التالى، متخلصا للحظات من اسار الحمى الشديدة، وفتحت عينى، وجدت الزلاجة مركونة فى بقعة خلاء فى جوف الغابة وستة عشر من رفاق السلاح متهالكين على الارض فيما حولها.

لقد تبدل الوضع الآن وصار على ان اساعدهم واشجعهم بدلا من ان يساعدونى هم. فأى طاقة بقيت لديهم بعد عدة ايام من القتال المتواصل دون طعام او شراب ! وكم من الجهد بذلوا لانقاذ حياتى! لقد كابدوا شتى صنوف المشقات فى ارض تشينتاو فى السنوات السابقة، ولكن، هل سبق ان شحبت وجوه هؤلاء الشباب الى هذا الحد او بليت ملابسهم واحذيتهم الى هذه الدرجة؟

احسست وكأن جبلا يجثم على صدرى. فالطريق ما يزال طويلا جدا امامنا، ومما يزيد فى الطين بلة ان هؤلاء الرفاق المفعمين رجولة يتهالكون على الارض خائرى القوى. فما العمل؟ هل لديهم القوة التى تمكنهم من النهوض مجددا والعودة الى وانغتشينغ؟ قد يدفنون تحت الثلوج الى الابد. واذا حدث ذلك، فأية فائدة ترجى

من بقائى وحدى على قيد الحياة؟ اذا كنت قد استطعت حتى الآن ان اواصل النضال الدؤوب، متغلبا على كل المحن والمصاعب تحت راية مناهضة اليابان، فان الفضل فى ذلك يعود الى اولئك الرفاق الذين ناصرونى دائما ودعمونى باستمرار، والى اننى وضعت ثقتى فيهم وفى قوتهم.

بدون هؤلاء الرفاق لا يمكننى ان اعيش او اصنع الثورة. لقد انقذونى، وعلى الآن ان انقذهم. يا لهول نكبتى وانا اجد نفسى خائر القوى وعاجزا عن تحريك اصبع واحد من اصابعى فى الوقت الذى يتوجب على فيه ان انهض لانقذ رفاق السلاح المطمورين فى الثلج واواصل معهم الثورة !

وعدت اسبح فى سديم من احلام اليقظة مرة اخرى.

كان قلبى يتمزق تحت وطأة الشعور بالأسى والكآبة وانا افكر بان غاية حياتى بالتحليق فى سماء صافية كطائر جسور قد تخفق وتفقد جناحيها هنا.

وفجأة خطرت لذهنى فكرة ان بقاءنا فى ذلك المكان مستسلمين للقدر، سيسبب الحزن لامتنا التى تعقد علينا الآمال فى انبعاثها. فارتعشت وكأن تيارا كهربائيا يسرى فى جسدى. ان حزن الامة الكورية يعنى سعادة الامبريالية اليابانية، ونكبة هذه الامة هى بهجة لذلك العدو. ان من سيسعدهم سقوطنا وعدم قدرتنا على النهوض هم الاثرياء والعسكريون اليابانيون.

ان الامبرياليين اليابانيين ينتظرون الآن ان نموت جوعا وبردا او ان نستسلم يأسا وقنوطا فى هذا الوادى القصى فى منشوريا.

لكن التاريخ لم يكن قد اذن لى بالموت بعد. ولو اننى ارتضيت ان اتحول الى حفنة من تراب قبل ان انجز المهمة التى اناطها التاريخ والعصر بى لكنت ابنا جاحدا وغير بار، ليس فى حدود اسرتى وسلالتى فقط، وانما ايضا بحق الشعب الذى ولدت وترعرعت فى احضانه. وانا ارفض ان اكون ابنا جاحدا مهما كلف الامر.

تناولت حفنة من الثلج، ودلكت بها جفونى التى كانت تتهدل متثاقلة، وجمعت بحزم افكارى المشتتة.

ان اندثار الجيش الثورى مدفونا تحت ثلوج تيانتشياولنغ سيعنى مضاعفة

الامبرياليين اليابانيين قمعهم للشعب عشرة او مئة ضعف.

فبأى تهور جنونى يسعى الامبرياليون اليابانيون الى اعتصار عرق ودماء شعبنا وتحويل ابناء امتنا الى رعايا يابانيين حتى الآن، رغم وجود الجيش الثورى الشعبى الكورى سليما معافى؟

حاولت الامبريالية اليابانية ان تعوض خسائرها الناجمة عن الحصار الاقتصادى بعد خروجها من عصبة الامم عام ١٩٣٣ بنهب الامة الكورية. فاذا كانت خطة زيادة انتاج الارز وسياسة تشجيع زراعة القطن وتربية دود القز، التى دأب الحاكم العام سايتو على تنفيذها فى العشرينات، قد عجلت بالانقسامات الطبقية فى ارياف كوريا وفاقمت مآسى التخلى عن الزراعة ونزوح الفلاحين عن القرى؛ فان سياسة تصنيع كوريا وتشجيع انتاج الذهب واعطاء الافضلية لانتاج القطن فى الجنوب وتربية الاغنام فى الشمال فى عهد الحاكم العام اوغاكى، حولت اقتصادنا الضعيف اصلا الى اقتصاد تابع للحفاظ على الاقتصاد الحربى اليابانى العابق برائحة البارود. فالفولاذ والفحم والقطن والصوف كانت كلها قرابين تقدم على مذبح ثراء اليابان وتعزيز قوة جيشها.

وحتى اللغة والابجدية الكورية مسخت الى مجرد لهجة عامية، ولغة غير رسمية. واحرق الامبرياليون اليابانيون الكتب التقدمية. ولم يكن هناك ما ينمو ويكبر على ارض الوطن سوى ساحات التدريب العسكرى والسجون. ان سجن سودايمون السيء السمعة، والملطخ بدم وطنيينا المناضلين، يجرى توسيعه بعدما بات عاجزا عن استيعاب سيل المعتقلين. وكانت الطغمة المالية والعسكرية اليابانية الحالمة بالسيطرة على العالم تندفع مع كلاب صيدها بجنون فى مدارها الحربى. فاشعال نيران الحرب الصينية اليابانية كان مجرد مسألة وقت فقط. والضغط على الزناد كان امرا تقرره الطغمة العسكرية اليابانية. ونتيجة لممارسات الفاشيين الالمان واليابانيين، كانت السماء تتلبد بالسحب السوداء لحرب عالمية جديدة لن تلبث ان تلف الكرة الارضية من الشرق والغرب.

فى الوقت الذى كانت فيه الثورة المضادة تقوم بهذه المحاولات المستميتة، كيف

يسعنا، نحن الذين عقدنا العزم على سحقها، ان نستسلم لليأس والقنوط ونكتفى باطلاق التنهدات حيال هذا الوضع العصيب، ولو للحظة واحدة؟

حتى لو اطبقت السماء على الارض، يجب ان نبقى احياء مهما كان الثمن لكى نواصل الثورة. اذا لم نعد احياء الى منشوريا الشرقية، فمن هو الذى سيقوم بالمهام الكثيرة التى تنتظرنا هناك؟ اذا انهرنا، فان الشعب الكورى سيغدو عبدا للامبريالية اليابانية الى الابد.

وفجأة جاءنى الهام الشعر، فكانت القصيدة التى تعرف اليوم بعنوان "انشودة النضال المناهض لليابان".

وقع جزمات الامبرياليين اليابانيين يعلو
وهم يدوسون ارض بلادنا الموشاة بالذهب،
انهم يقتلون ويحرقون وينهبون،
وينتهكون حرمات عشرات الملايين من مواطنينا.
تحت الحراب المعادية
ينزف ابواى واخوتك وزوجاتنا وابناؤنا.
رمادا صار بيتى، وحقلك
حولته الى يباب ايديهم الآثمة.
. . .
انهضوا واتحدوا يا كادحينا،
ولنقاتل بعزم وطيد
فلننطلق بملء صوتنا هتاف الانتصار،
وبالراية الحمراء فلنسقط الارهاب الابيض.

هززت وال نام المنهار على الارض قرب الزلاجة واجلسته بجانبى، ثم امليت عليه كلمات الانشودة ليدونها. ورحت انشدها معه.

هنا، اخذ الرفاق المطروحون ارضا ينهضون واحدا بعد آخر، وينضمون الينا فى انشادها.

فى حوالى الساعة العاشرة صباحا، عرجنا على احدى محطات قطع الاشجار فى سيبيانليانجى. كان قصدنا من ذلك هو ان نتعرق ولو بتناول قدر ضئيل من عصيدة الذرة.

يومذاك، تجاوزت حرارتى الاربعين درجة مئوية. وقد اقتصر علاجى، حينذاك، على تناول عصيدة الذرة وشرب الخمر الصينى ممزوجا بالسكر الاحمر.

كان يمكن لحالتى ان تتحسن بالتعرق. ولكن بقائى فى الزلاجة وانا ارتجف من البرد فى العراء، جعل حالتى تزداد سوءا ساعة بعد اخرى. وحين رآنى رفاق السلاح ائن تحت وطأة الحمى وانا فى غيبوبة تامة، خيل اليهم انه لم يعد ثمة امل فى نجاة قوة حملتنا. ولم يكن هناك متفائل واحد يفكر باننا سوف ننجو من هذا المأزق الخطير ونتمكن من العودة الى وانغتشينغ . بل على العكس من ذلك تماما، فقد خلص الجميع الى انه مقضى علينا لا محالة، فاعتراهم الوجوم وتركوا زمام الامور الى آمر السرية هان هونغ كوون.

فطلب هان هونغ كوون من العجوز كيم الذى يعمل خادما فى محطة قطع الاشجار ان يطبخ لنا عصيدة الذرة. وكان قد مضى علينا يومان من غير ان نتناول شيئا على الاطلاق. ولاول وهلة، ظن رفاقى ان هذا العجوز صينى، لانه كان يرتدى الزى الصينى ويتحدث بالصينية.

وحين عرف اننا من رجال جيش حرب العصابات الكورى واننا جئنا من تشينتاو، قدم لنا نفسه بانه كورى. بل وكشف لنا ان ابنه هو كيم هاى سان الذى يقود وحدة جيش حرب العصابات فى باداوهيجى. كان كيم هاى سان احد المشتركين فى اجتماع مينغويكو الشتوى فى عام ١٩٣١. فبعد ان ذهب ابنه الى جيش حرب العصابات، صار العجوز يفلح ويزرع فى الصيف قطعا صغيرة من الارض فى الجبال ليجنى شيئا من الحبوب يسد بها رمقه، وفى الشتاء يتوجه الى محطة قطع الاشجار ليعمل خادما كى يحصل على الملح او الزيت.

وبعد قليل من وصولنا الى محطة قطع الاشجار، تلقى هان هونغ كوون تقريرا استطلاعيا يفيد بان القوات "التأديبية" المعادية تقترب من المحطة.

كان وال نام يغلى لى حينئذ ماء للشرب فى قدر دون غطاء على نار الموقد ويحاول فى الوقت نفسه تجفيف حذائى المبتل بعد ان خلعه من قدمى.

فراح ينتحب بحرقة ويتحسر معتقدا ان كل شىء قد انتهى لان حالتى الصحية لم تتحسن وليس لدينا اى امل فى اختراق الحصار.

حين غادر جيلين معى، اخذ على نفسه عهدا قاطعا. وكان يفكر بانه اذا مت فلا بد له من ان يموت معى.

وفيما كان وال نام يبكى، دخل العجوز كيم الى المطبخ حاملا الحطب، فسأله عن سبب بكائه.

"قائدنا مريض... وجنود القوات (التأديبية) يحاصروننا بعدة اطواق... ، ويضيقون دائرة الحصار باطراد وقد سدوا علينا كل منفذ. ... ولن تمضى ساعة الا ويقتحمون هذه المحطة. هذا المأزق هو الذى يجعلنى ابكى غيظا. ان سبيل الخلاص الوحيد هو عبور النهر... ولكن النهر عريض جدا ومياهه لم تتجمد، اى يستحيل علينا اجتيازه وليس هناك من خيار آخر سوى ان نعبره عن طريق الجسر، ولكن الجسر تحرسه سرية كاملة من القوات المعادية. ارى اننا نتخبط فى المصيدة. أليس كذلك؟"

استمع العجوز كيم الى ما قاله وال نام ثم دله على طريقة لاختراق الحصار:

"لا تقلق هكذا يا فتى ! حتى لو كانت السماء تهوى، لن نعدم منفذا للخلاص. ان صاحب المحطة عميل لحكومة منشوكو، وهو سيأتى بعد قليل. عليكم ان تقبضوا عليه فور وصوله وترغموه على ان يرسل اشارة الى القوات (التأديبية) كى لا تتقدم نحو المحطة، وعندئذ تستطيعون البقاء هنا حتى الليل. اما كيفية الخروج من هنا فسنفكر بها فيما بعد."

نقل وال نام الى هان هونغ كوون ما قاله العجوز كيم.

فتحدث هان هونغ كوون مع العجوز. ووضعا خطة للخروج من هناك.

وعملا باقتراح العجوز كيم، شد هان هونغ كوون وثاق صاحب المحطة واستفزه بالقول:

"من سمح لك، ايها الوغد، ان تقيم محطة لقطع الاشجار؟ اننا لا نعترف بمنشوكو. واذا اردت ان تكفر عن ذنبك، فعليك ان تتبرع لجيشنا بمبلغ كبير من المال. بكم ستتبرع؟"

ارتعدت فرائص صاحب المحطة امام تهديد هان هونغ كوون بمظهره الصارم وجسمه الضخم وقامته المديدة التى تكاد تلامس سقف الغرفة، وابدى رضوخه منذ اللحظة الاولى:

"اجل، انى موافق على كل ما تطلبون."

وعندئذ، تعمد هان هونغ كوون ان يطلب منه كميات هائلة من الملابس العسكرية والخنازير والطحين، ثم سأله ان كان بوسعه ان يتبرع بذلك كله.

"اذا ابقيتم على حياتى، ساحاول الحؤول دون مجىء جنود القوات (التأديبية) طوال مدة وجودكم هنا."

"وكيف ستمنعهم من المجىء؟"

"يكفى ان اخبرهم بان المغاورين قد هربوا فى اتجاه آخر. وبما اننى على صلة وثيقة بضباط القوات (التأديبية)، فهم يثقون بما اقول."

"سنغفر لك اذا ما استجبت لطلباتنا. ان هدفنا هو مناهضة اليابان. وان شئت ان تكفر عن ذنوبك وتناهض اليابان، عليك ان تتعاون معنا."

"فكوا وثاقى ارجوكم، وسأنفذ كل طلباتكم."

كان تاجر الاخشاب الصينى رجلا ذكيا. فقد ادرك فورا ان مطالبنا ليست مادية وانما ضمان سلامتنا والخروج من الحصار.

وقد سأل اكثر من مرة عمن يكون القائد. فكان هان هونغ كوون يجيبه فى كل مرة: "انا القائد"، لكى لا يكشف هويتى.

وعندما سأله صاحب المحطة، مشيرا الى: "بأى مرض اصيب هذا الرجل؟"

اجابه هان هونغ كوون ببساطة اننى اصبت بوعكة خفيفة.

وقد نفذ تاجر الاخشاب تعهده. وبفضل تعاونه لم تظهر القوة "التأديبية" حتى بعد الغروب.

فتناولنا هناك وجبتى الفطور والغداء معا، ثم تناولنا وجبة العشاء فيما بعد، وقد وضع حتى لحم الخنزير على مائدة هذه الوجبة الاخيرة. لكنى كنت فاقد الشهية، فاقتصرت على تناول قليل من مرق عصيدة الذرة لاخفف من لهيب العطش فى حلقى.

وبعد العشاء، قدم لنا العجوز كيم الشق الثانى من خطة الافلات، وكانت خطة جسورة حقا.

قال: "بقيت الآن مسألة اجتيازكم الجسر بامان. ان ذلك ينطوى على مخاطرة كبيرة، وعليكم ان تضعوا تكتيكا دقيقا ومحكما. ولدى طريقتان لذلك، فاما ان تمروا بمخفر الحرس باستخدام خدعة ما او ان تذهبوا مع صاحب المحطة حتى الجسر لكى تضللوا الحراس.

وعندما يقترب الخفراء منكم للتفتيش، عليكم ان تحصدوهم بخفة وتجتازوا الجسر. حسبكم ان تعبروا الجسر فقط، وعندئذ سوف ادلكم على الطريق واصعد بكم الجبل، حاملين القائد كيم على ظهورنا.

وعلى مسافة ٢٠ رى تقريبا من الجسر هناك مدخل واد وعر توجد فى احد شعابه ثلاثة بيوت يسكنها كوريون نزحوا سرا الى هناك، هربا من بطش الاوغاد اليابانيين وهم يفلحون الارض ويزرعونها، كما انهم غير مسجلين فى قوائم السكان التابعين لمنشوكو. وبمساعدة هؤلاء الكوريين، لن يكون من الصعب شفاء القائد كيم."

حين ابدى هان هونغ كوون موافقته على هذه الخطة، اردف العجوز كيم يقول بزهو:

"لدى حدوث اى طارئ اثناء عبور الجسر، يستحسن ان يتصدى آمر الفصيلة لمقاتلة العدو، فيما يتعين على الباقين ان يتحركوا حسب ما اشير عليهم. ينبغى لآمر

السرية ان يتبعنى فقط، حاملا على ظهره القائد كيم لانه طويل القامة وقوى الجسم. يكفى ان نعبر الجسر حتى لا تعود هناك اية مشكلة، حتى ولو اقتفى العدو آثارنا، لاننى اعرف جيدا طبيعة الجبال فى تلك المنطقة. وبعد عبور الجسر بسلام، خذونى وصاحب المحطة الى مكان قريب من حاضرة محافظة نينغآن. وهناك اضربونى قليلا، وهددوا صاحب المحطة كى لا يقوم باى مكيدة... وفى غضون ذلك، يدخل الباقون مع آمر السرية الوادى العميق وهم يحملون القائد كيم، وهذا كل ما فى الامر."

بعدما سمع هان هونغ كوون منه ذلك، اعلمنى بالخطة التى يقترحها العجوز، وكانت خطة نموذجية بالفعل.

وعلى الرغم من ان العجوز ليس رجلا عسكريا، الا انه بدا لى استراتيجيا جسورا يمكنه ان يقود وحدة فى جيش المتطوعين. لقد كان ابا جديرا لقائد احدى وحدات جيش حرب العصابات. والحقيقة ان خطة الافلات التى وضعها العجوز كانت خطة رائعة يصعب حتى على كبار الضباط القادة ان يفكروا بها. وكما لمست بنفسى حينذاك، كانت ادمغة ابناء شعبنا ينبوع افكار ذكية كفيلة بحل اية معضلة فى هذه الدنيا.

لقد رسخت مثل هذه التجارب قناعتى بانه كلما اشتدت المصاعب التى تواجهنى، على ان انصهر فى الشعب واتوجه اليه.

فقلت لهان هونغ كوون: "انى اترك لك كل شيء، فعالج الامور كما تشاء. ليس ثمة من خيار آخر، سيما وانى فى وضع لا استطيع معه الوقوف على قدمى".

عندما حل الليل، امر هان هونغ كوون صاحب المحطة باعداد خمس مركبات تجرها الخيول، وكان فى المحطة الكثير من الخيول. اتخذ آمر الفصيلة كيم تايك كون، وهو المقاتل الممتاز، مقعده فى المركبة الاولى بعد ان اجلس صاحب المحطة الى جانبه، اما انا، فكنت فى المركبة الثالثة.

حين اقتربنا من مدخل الجسر، رآنا الحراس، وهم خليط من الجنود اليابانيين والمنشوريين، فصاحوا بنا فى الظلام: "من هناك؟".

فاجابهم تاجر الاخشاب ببساطة، حسب الخطة: " هذا انا. انى ذاهب الى مدينة نينغآن لاتسوق. وهناك عمال مرضى ساوصلهم الى المستشفى."

لما سمع الحراس صوت تاجر الاخشاب المألوف لديهم، صاحوا: "اذهبوا"، حتى دون ان يقتربوا من المركبة.

فمرقت المركبات الخمس عبر الجسر كالسهام. لقد احسست بارتجاج الجسر الخشبى تحت حوافر الخيل، وتحته كان يتدفق تيار النهر الصاخب. انه احد الروافد الرئيسية التى تصب فى نهر موتانكيانغ.

ما ان اجتازت المركبات الجسر حتى سارع العجوز كيم الى احتضان هان هونغ كوون بين ذراعيه. وصاح مبتهجا:

"ها! لقد نجونا!"

بهذه النهاية السعيدة، اسدل الستار على تلك المسرحية التى تشبه الاسطورة او روايات المغامرات. وسارت العمليات التالية ايضا على ما يرام كما خططنا لها.

لولا العجوز كيم لما استطعت ان انجو من الموت المحتم، ولكانت قد ابيدت معى وحدة الحملة عن بكرة ابيها فى مكان ناء غير مأهول من تيانتشياولنغ. حقا، لقد كان ذلك العجوز محسنا عظيما ورجلا رائعا مد لنا يد المساعدة، متحديا الخطر كما يليق بوالد احد قادة حرب العصابات.

كلما وقعت فى مأزق حرج ووجدت نفسى اتأرجح بين الحياة والموت، يظهر لى، وبشكل لا يمكن تفسيره، محسنون فاضلون من امثال العجوز كيم لينقذونى من براثن الموت. وحسبى ان اذكر هنا تلك المرأة المجهولة فى تشياوهى التى حالت دون اعتقالى، والعجوز ما الذى وفر الملجأ لى ولرفاقى الذين كانوا يرتعشون من الجوع والبرد فى هضبة لوزوكو، وليس آخرهم العجوز كيم الذى تعرفنا عليه فى تيانتشياولنغ وانقذنا من هوة الهلاك بعدما اوشكنا على الموت فعلا.

عندما احكى هذه القصة، يقول بعض الناس ان الصدفة اسعفتنى، ويرى بعضهم الآخر ان ذلك كان ضروريا، وانه ليس من الصدفة على الاطلاق ان يظهر

المحسنون الافاضل فى ساعة المحنة لينجدوا ويساعدوا الوطنيين الذين يناضلون بانكار للذات فى سبيل البلاد والامة.

لا اريد ان احاكم الموضوع واقول هذا صحيح وذاك خطأ. واذا كنت قد حظيت بمثل هذه المساعدة اكثر من مرة فى حياتى، فهذا يجيز لى القول بان الصدفة كانت، دون شك، الى جانبى. ذلك ان الحظ نفسه يمد يده المحسنة الى من يكرسون حياتهم من اجل الشعب.

لو لم يدرك ابناء الشعب ان جيش حرب العصابات هو قوات مسلحة قوامها اناس شرفاء يناضلون من اجل تحرير الانسان، ولو لم تنطبع صورة هذا الجيش فى اذهان ابناء الشعب كشىء جميل ومقدس ونبيل، لما حظينا، حينذاك، بمساعدة العجوز كيم فى تيانتشياولنغ، ولما تسنى لاسطورة غريبة عجيبة كاسطورة تيانتشياولنغ ان تأخذ مكانها فى تاريخ نضالنا الثورى المناهض لليابان.

٦ـ فى احضان الشعب

فى تلك الليلة المصيرية التى نجحنا فيها باجتياز مخافر العدو المتعددة، بتنا فى كوخ محترق لم يبق منه سوى جدران دون سقف فى وادى داوايجى. وفى ظلل الكوخ ذاك، قضى رفاقنا فى السلاح ليلة ونهارا كاملين فى تمريضى. ولم يكن فى تمريضى شىء خاص، سوى انهم اشعلوا النار وارقدونى بجانبها وراحوا يدلكون يدى وقدمى بالتناوب وهم يجلسون حول النار.

بعد ان بزغ فجر اليوم التالى، انطلق عدد من الرفاق فى كل اتجاه يمشطون الجبال بحثا عن البيوت الكورية التى قيل لنا ان ساكنيها غير مسجلين فى قوائم سكان منشوكو. انما لم يكن من السهل العثور على مخابئ اناس يعيشون منعزلين تماما عن العالم هربا من مراقبة رجال الجيش والشرطة اليابانيين وموظفى حكومة منشوكو. وفى منتصف الليل، عثروا على كوخ خشبى داخل الغابات العذراء فى اعماق جبل لاويلنغ المكسو باشجار الصنوبر والبتولا والتنوب. كان ذلك هو بيت الشيخ زو تايك زو المعروف على نطاق واسع بين شعبنا باسم "الكوخ المتوحد فى داوايجي". والام تشاى ايل هوا، كاتبة القصة التاريخية: "فلتعش عمرا مديدا ! " هى الكنة الكبرى للشيخ زو تايك زو.

كان هناك فى احراش الجبل، وعلى ضفتى غدير، كوخان صغيران يتألف كل منهما من غرفة واحدة، ومتشابهان فى الحجم والمظهر، وكأنهما توأم. فى كوخ الضفة الشمالية، القائم عند سفح منحدر، كان يعيش تسعة افراد هم الشيخ زو وزوجته وابنهما الاكبر زو ووك وكنتهما واحفادهما، وكان يعيش فى الكوخ الواقع الى الجنوب من الغدير خمسة افراد من اسرة ابنه الثانى زو كيونغ. وقد كان سقفا

الكوخين منخفضين جدا حتى انه يمكن القول انهما القبوان. كان سطحا الكوخين مغطيين بطبقة سميكة من التراب وقد غرست عليهما بعض شجيرات الصنوبر. وكان ذلك طريقة للتمويه واخفاء الكوخين عن الانظار. ولهذا السبب لم يستطع كشافونا العثور عليهما الا بعد جهود ومتاعب كثيرة.

لم يكن المارون بجبل لاويلنغ يعرفون على الاطلاق انه فى خلوات الجبل المجهول الاسم فى داوايجى يعيش اناس لهم نظرة خاصة الى الحياة، لا يرغبون فى ان يعلم احد بوجودهم على الاطلاق. وقيل لى ان من يعرف اولئك الناس هم ثلاثة اشخاص فقط كانوا يترددون ما بين شرقى منشوريا وشماليها للقيام بمهام الاتصال.

ما ان اوضح احد افراد جماعتنا الاستطلاعية سبب مجيئهم اليه حتى امر الشيخ زو تايك زو ابنه زو ووك وحفيده زو يونغ سون بلهجة حازمة، وهو يدفعهما من ظهريهما، بان ينطلقا فورا لاحضار المغاورين، قائلا ان معاناة القائد كيم إيل سونغ آلام البرداء هو امر اشد هولا من انهيار السماء. ثم اوعز الى كنته تشاى ايل هوا بان تغلى بعض الماء وتعد شيئا من عصيدة الحبوب.

المسافة بين منزل الشيخ زو تايك زو والمكان الذى كنا فيه تتجاوز العشرين رى، اذا قيست بخط النظر. وحينما وصل زو ووك وزو يونغ سون مع افراد الجماعة الاستطلاعية الينا، كان رجال الوحدة يتحلقون حول الموقد وهم يغلون الماء فى قدر عسكرية من اجلى، وانا بعد فى غيبوبة. فحملونى على ظهورهم واتجهوا نحو منزل الشيخ. وجعل وال نام يمحو آثار الاقدام خلفنا بغصن انتزعه من شجرة صنوبر.

بعدما استفهم الشيخ زو تايك زو، الذى قاسى الوانا شتى من المعاناة والآلام منذ طفولته، من آمر السرية هان هونغ كوون عن بعض المسائل، صارحه: ان مرض القائد كيم خطير، وهو قاتل احيانا، وسببه شدة الاعياء وسوء التغذية والبرد القارس. ولكن يمكن الشفاء منه خلال ثلاثة ايام بتدفئة جسم المريض جيدا الى ان يتعرق بغزارة. واردف بان الشفاء يستدعى الراحة التامة.

"ان السبب فى بقاء القائد كيم الى الآن فى حالة غيبوبة هو عدم جريان الدم فى جسده كما ينبغى. فاذا ما جعلنا الدم يجرى فى شرايينه جيدا، فانه سيتعافى بالتأكيد.

لا تقلقوا على صحته. اذهبوا الى منزل ابنى الثانى واستريحوا فيه كما تشاؤون."

قال الشيخ ذلك، وهو لا يفتأ يدلك مع كنته يدى وقدمى وذراعى وساقى. فاستعاد رجال الحملة الامل، بعد ان استبد بهم القلق الشديد من تدهور صحتى فى الايام الماضية.

وكما طلب منهم الشيخ، خرج الرجال بصحبة زو يونغ سون وعبروا الغدير الى كوخ زو كيونغ. وبقى بجانبى حارسان فقط مع افراد اسرة زو تايك زو.

مزج الشيخ نصف طاس من العسل بالماء الساخن وسقانى اياه، وبقى جالسا عند رأسى متحسسا جبينى بيده من حين لآخر. وبعد قليل، اطعمنى ثريدا ممزوجا بالعسل. وقد اخبرنى الحارسان فيما بعد بان وجهى استرد شيئا من الحمرة بعد تناول ذلك الثريد واستيقظت من غيبوبتى التى لم اعرف أهى حلم ام يقظة. بدا لى ان رأسى يصفو مثل النسيم فى يوم ربيعى مشمس، وان جسمى وروحى يطفوان بخفة وكأنهما الريش. ولم اجد حولى الزلاجة المغطاة بالجلود، ولا منظر الغابة الثلجى الفسيح بقدر سأمى منه، ولا العاصفة الثلجية؛ ولم اعد اشعر بالبرد او اسمع اصوات طلقات مطاردينا التى كانت تصم اذنى. والاغرب من ذلك اننى لم اعد اشعر بذلك الصداع الرهيب الذى ينخز رأسى، ولا بالحمى او القشعريرة. ماذا حدث لى؟ او ترانى استعدت عافيتى تماما من المرض الذى اوصلنى الى حافة الموت واذاقنى الوانا شتى من الآلام والعذاب؟

استجمعت شتات وعيى واصغيت الى صفير الرياح التى تهز النافذة، وبدا لى صوت اهتزاز ورق النافذة كأنه ازيز الطائرة ذات الجناح المزدوج التى حلقت فوقنا ونحن على قمة جبل لاويلنغ يوم غادرنا دويتولاجى. واصطدمت نظراتى بنظرات شيخ غريب لا اعرفه، كان يتأملنى برقة وحنان من تحت حاجبيه الكثين الاشيبين.

وجعلتنى يده الخشنة التى تمسك بمعصمى الايمن، اشعر بدفء يد جدى فى مانكيونغداى الذى كثيرا ما كان يداعب جبينى وخدى فى طفولتى.

"أين انا؟"

سألت الشيخ الغريب الذى كان لا يفتأ يتأملنى بعينيه.

ومجرد نطقى بهذه الكلمات اثار فى وجه الشيخ رد فعل لا يمكن وصفه. فالابتسامة التى ارتسمت على شفتى الشيخ ما لبثت ان اتسعت الى خديه وعينيه وحولت وجهه الملىء بالتجاعيد، الوجه الوديع والبسيط كالارض، الى وجه عجيب. بدا لى انها المرة الاولى فى حياتى التى ارى فيها مثل ذلك الوجه النبيل والامين.

فسارع وال نام الذى كان يجلس بجانب الشيخ كالتمثال، وشرح لى دفعة واحدة، وهو يبكى، كيف وصل رجال الحملة، مجازفين بحياتهم، من محطة قطع الاشجار فى سيبيانليانجى الى وادى داوايجى هذا.

"شكرا لكم ايها الجد. لقد انقذتم حياتى."

"لا، ايها القائد كيم، انك قائد ارسلته السماء الى الارض. واذا كنت قد استعدت عافيتك فى هذا الكوخ، فان الفضل فى ذلك لا يعود الى اسرتنا وانما الى عناية السماء."

وبينما كان الشيخ زو تايك زو يقول ذلك، رفع ناظريه نحو السقف كما لو انه يريد ان يؤكد ان نجاتى جاءت من السماء فعلا. وقد جعلتنى كلماته هذه اشعر بارتباك شديد، فاجبته:

"لا تمتدحنى هكذا ايها الجد. لقد بالغتم بالقول انى قائد ارسلته السماء. فانا لست سماويا وانما انا ابن الشعب وحفيده، ولدت فى اسرة فلاحية مغمورة. وما قمت به حتى الآن كعسكرى كورى ضئيل ولا يستحق الذكر."

"لا، هذا غير صحيح. العالم بأسره يعرف مآثركم العظيمة فى الحرب ايها القائد كيم. فعلى الرغم من اننى مجرد رجل بائس يحصل على قوته بشق النفس فى حراثة هذه الارض النائية، الا اننى مطلع على الاخبار المتداولة فى مقاطعات الشمال الشرقى الثلاث. يا ابنائى ويا احفادى، هذا هو القائد المشهور كيم، وهو نفسه الذى سمعنا انه هاجم فى خريف السنة قبل الماضية على رأس جيشه الكورى حاضرة محافظة دونغنينغ بالتعاون مع وحدة القائد وو. تعالوا، اسرعوا وقدموا له التحية والاحترام."

هكذا خاطب الشيخ زو، بصوت يغلب عليه الحماس، ابنيه واحفاده الواقفين

بباب المطبخ مع رجال جيش حرب العصابات الذين ايقظهم من النوم فجرا وال نام ليزف اليهم بشرى استعادتى وعيى.

تلقيت التحية منهم وانا مستند الى الجدار ومتدثر باللحاف.

وانفجرت الضحكات بعد صمت طويل فى ذلك الكوخ المشيد من الجذوع، والمختفى فى اغوار الجبل السحيقة، الذى لا وجود له فى سجلات الاجهزة الحكومية ولا يصل اليه حتى ساعى البريد.

قال آمر الفصيلة كيم تايك كون والدموع تترقرق فى عينيه:

"اننا نضحك الآن ونثرثر هكذا، ولكن عندما كان العدو يحاصرنا من جميع الجهات، اظلمت الدنيا فى عيوننا وظننا باننا قد انتهينا."

"لقد سببت لكم الكثير من المتاعب. ومن حسن الحظ انكم نجوتم. لن انسى افضالكم ايها الرفاق حتى بعد ان يجلل الشيب رأسى."

لقد نقشت فى اعماق ذاكرتى ملامح رفاقى فى السلاح الذين كانوا ينظرون الى بوجوههم المخضبة بالدموع. وحتى الآن، لا تزال تلك الوجوه الحبيبة واضحة فى ذهنى كما كانت فى ذلك اليوم، قبل اكثر من خمسين سنة. الا اننى نسيت ويا للاسف اسماء نصفهم. لكم ارغب فى ان انقل ولو اسماءهم فقط الى الاجيال القادمة. لكن المؤسف ان قدرتى على التذكر تخدعنى احيانا. لقد اختلطت اسماء اولئك الرفاق الستة عشر باسماء الآلاف وعشرات الآلاف الاشخاص الذين عرفتهم مباشرة او بطريقة غير مباشرة فى مسيرتى على مدى اكثر من نصف القرن. ومن اجل اخراج كل اسم من تلك الاسماء المبثوثة فى اعماق تضاعيف تاريخنا الثورى المناهض لليابان، لا بد من الاستعانة بالوثائق التاريخية، ولكننا للاسف، لا نملك هذه الوثائق. ذلك اننا لم ننطلق الى الحرب المناهضة لليابان لكى تسجل اسماؤنا فى وثائق، بل حملنا السلاح لبدء عصر جديد تكون جماهير الشعب العامل فيه هى السيد.

ومع ذلك، لا يمكننى ان ابرر لنفسى النسيان بهذه الذريعة وحدها. أ اكون قائدا لجيش حرب العصابات، وانسى اكثر من نصف اسماء رفاق السلاح الميامين الذين انقذونى من الموت ؟!

"أين مسقط رأسكم يا جداه؟ ولماذا استقررتم فى هذا المكان النائى المنعزل؟"
سألت الشيخ زو تايك زو ذلك وانا اضع يدى على ظاهر كفه الخشن ذى العروق النافرة، واتأمل بنظرة حانية وجهه المتجعد الذى يبدو كما لو أنه يختصر نصف قرن من التاريخ السياسى. فاجابنى الشيخ زو بنبرة ملؤها الاسى والكآبة:

"مسقط رأسى هو ناحية سامزانغ بقضاء موسان. وحين بلغت التاسعة والعشرين من عمرى، نزحت الى هيلونغ هربا من سوء معاملة الامبرياليين اليابانيين."

ومنذ عبر نهر دومان، عمل الشيخ فى الزراعة بالمحاصصة طوال ثلاثين سنة تقريبا. وبعد سنتين من حادثة العاشر من حزيران الاستقلالية، انتقل بأسرته الى لاويلنغ حيث راح يستصلح الاراضى البور المسجلة كملكية خاصة لشركة دوزون اليابانية.

ومر امام عينى كشريط سينمائى التاريخ المأساوى المعجون بالعذاب والمعاناة لاسرة فلاحية تدهورت احوالها مع استعباد كوريا ودمارها.

كان اول مكان اقام فيه الشيخ زو تايك زو بعد انتقاله الى لاويلنغ دسكرة تدعى داوايجى وتقطنها ثلاث اسر كورية وخمس اسر صينية. وقد ازداد بعد ذلك عدد الاسر الكورية الى عشر اسر، فضربت منظمات كفرقة الدفاع الذاتى المناهضة لليابان وجمعية النساء وطليعة الاحداث ورابطة الاطفال جذورها فى تلك القرية الجبلية النائية. بيد ان ذيول حادثة ١٨ ايلول اطاحت بكل هذه المنظمات دفعة واحدة. ومن جراء الحملة "التأديبية"، تحولت القرية الى كومة من الرماد.

فاعاد الناس بناء بيوتهم فوق الانقاض، واقبلوا على الحياة بعناد متجدد. لكن كارثة ثانية ضربت قرية داوايجى فى ربيع عام ١٩٣٣، فالتهمت النيران القرية مرة اخرى وذهبت بارواح اناس كثيرين.

وفى ربيع عام ١٩٣٤، شيدت اسرة زو تايك زو كوخا من جذوع الاشجار فى غور عميق فى جبل لاويلنغ، على بعد ٣٠ رى تقريبا من داوايجى وانتقلت اليه، وهو نفس الكوخ الذى استعدت فيه عافيتى بعدما تناولت حساء الدخن الممزوج

بالعسل. ثم شيد تسعة من افراد اسرة الشيخ زو كوخا لهم فى مدخل الوادى على بعد ٢٠ رى من منزلهم، واستصلحوا هناك بعض الاراضى الجبلية. وفى اوج الموسم الزراعى، عندما يحتاجون لمزيد من الايدى العاملة، كان ينضم اليهم بقية افراد الاسرة فينامون ويأكلون هناك من اجل كسب الوقت. وبعد ان يحصدوا المحاصيل بسرعة، ينقلونها على ظهورهم الى كوخهم الجبلى حيث يخزنونها فى قبو ويستهلكونها شيئا شيئا بعد تقشيرها فى هاون ارضى.

على الرغم من انه كان نوعا من اقتصاد الاكتفاء الذاتى المتواضع والبدائى، الا ان اسرة الشيخ زو كانت قانعة به. وحين يجدون ثمة حاجة الى المقايضة، كانوا يقصدون مدينة نينغآن حاملين على ظهورهم زكائب الحبوب. اذ لا مفر لهم من اللجوء الى هذا النمط التجارى من اجل الحصول على الاقمشة والاحذية والكبريت والملح وابر الخياطة والخيوط وغيرها من الضروريات. وفيما عدا ذلك، لم تكن لهم اية صلة بالعالم الخارجى. اما حضارة المدينة، فلم تستطع الوصول الى هذا المكان النائى المنعزل الذى لا طريق فيه ولا عربات ولا كهرباء. كان الاطفال يعيشون منعزلين تماما عن التعليم. فكانت نصائح الشيخ زو تحل هنا محل التعليم، والحكايات القديمة للام تشاى ايل هوا واغانيها التى لا تتجاوز العشر عددا، تحل محل الادب والفن.

"ألا تشعرون بالوحشة فى هذا المكان المنعزل وغير المأهول من الجبل يا جداه؟"

طرحت على الشيخ هذا السؤال بحذر وانا اشعر فى قرارة نفسى بانفعال حاد يشبه السخط. فابتسم الشيخ ابتسامة حزينة، وقال:

"وهل هنالك عزلة اكبر من هذه التى نعيشها؟ ولكننى اشعر بالطمأنينة طالما انا بعيد عن مضايقات اليابانيين. وهل ريولدوكوك افضل حالا من هنا؟"

عند سماعى كلمة ريولدوكوك، شعرت بشىء يضغط على قلبى.

كيف يمكن مقارنة هذا الوادى النائى المنعزل بريولدوكوك؟ هل مسخت طموحات الامة الكورية الى هذا الدرك؟ فى الوقت الذى ترسل فيه اليابان مهاجريها الى كوريا ليستأثروا باراضيها الخصبة، لا يستطيع مواطنونا ان يعيشوا الا فى

الوديان النائية المنعزلة الضيقة فى اراضى منشوريا الموحشة هذه! أهناك فى العالم سجن افظع من هذا ؟!

نعم، انه سجن دون ريب. واذا كان ثمة فارق بينه وبين السجن العادى، فهو انه ليس فيه سجان وليس له سور وحسب. ولكن السجان الاكبر فى هذا السجن هو جنود وشرطة اليابان ومنشوكو، وسوره هو الخطر الذى يشكله هؤلاء الجنود والشرطة. اما ان يقارن الشيخ زو هذا السجن بريولدوكوك، فليس الا وسيلة لعزاء النفس لا علاقة لها بالواقع.

ان تفكير الشيخ هذا الذى يرى فى ذلك السجن جنة على الرغم من انه مقيد الحرية فيه، اثار فى خيبة الامل. وقد فكرت عندئذ بقلق: لو ان كل كورى استكان للواقع مثله، فان كوريا لن ترى نور الانبعاث الى الابد.

"اذا بلغ بكم التفكير حد اعتبار هذا الوادى كريولدوكوك، فبئس حالة الكوريين يا جداه ! حتى سامسو وكابسان المشهورتان كمنفيين ليستا اشد وحشة من هذا المكان. طالما ان الاوغاد اليابانيين موجودون على اراضى كوريا ومنشوريا، فلن يكون هناك ريولدوكوك ولا عصر يعم فيه السلام. ولهذا، يجب ان تكونوا متأهبين دائما، فقد تنقض عليكم القوات (التأديبية) فى اى يوم حتى وانتم فى هذا المكان الجبلى المنعزل."

على الرغم من معرفتى ان ما اقوله قد يثير قلق الشيخ، الا اننى قلت له ذلك بصراحة.

حدجنى الشيخ زو بنظرة مثقلة باليأس لبضع ثوان وهو يطرف جفنيه، ثم قال:

"اذا وصل هؤلاء الاوغاد المسوخ حتى هذا الركن القصى، فليس هناك فى هذه الدنيا مكان يمكن للكوريين ان يعيشوا فيه. اللعنة على من اوقع الشعب فى هذا الوضع البائس! ما من مرة انتقلت فيها الى مكان جديد، الا ولعنت الوزراء الخمسة خونة الوطن."

كان هذا، على وجه التقريب، ما دار من حديث بينى وبين الشيخ زو تايك زو فى ذلك الصباح.

وفى صباح اليوم التالى، نهضت من الفراش وبدأت اتمشى قليلا واقرأ. وبعد عدة ايام، استطعت القيام ببعض الاعمال اليدوية الخفيفة. فى النهار، كنت القى دروسا عسكرية او سياسية على رجالى، وفى الليل اشترك فى السمر معهم. وعند عقد جلسات السمر تلك، كنت اصطحب الجنديين او الثلاثة الذين يبيتون فى منزل الشيخ زو تايك زو واذهب الى منزل زو كيونغ على الضفة الاخرى للغدير. وفى كوخ اللاجئين الضيق والمعتم ذاك، كنا نعيش تماما وفق البرنامج اليومى لجيش حرب العصابات فى وانغتشينغ.

بعد مضى ثلاثة او اربعة ايام، اردت ان اصدر الامر بالرحيل. فقد رأيت بقاءنا عالة على تلك الاسرة الكبيرة، ونحن اكثر عددا من افرادها، واستهلاكنا مؤونتهم البائسة من الحبوب هو امر يتنافى مع العقل والحس السليم.

الا ان هذه المحاولة اصطدمت فورا بمقاومة من جانب آمر السرية هان هونغ كوون. لقد عارض محاولتى بعناد، قائلا انه لا يمكنه الموافقة على هذه المغامرة لان تعرضى للبرد وانا ما ازال فى طور النقاهة هو اشبه بالانتحار. بل انه عارض كذلك خروجى للنزهة فى الغابة.

لا يمكن الزعم بان كمية الاغذية التى يستهلكها عشرون رجلا تقريبا فى اليوم هى كمية ضئيلة. فاذا حسبناها وفقا لمخصصات الفرد البالغ الحالية من الحبوب، فانه يعنى استهلاك ٤ زكائب من الحبوب خلال عشرين يوما (الزكيبة الواحدة ٦٠ كيلوغراما– المترجم). وهكذا، فقد استهلكنا تقريبا كل ما كان لدى تلك الاسرة من الحبوب.

الا ان الشيخ زو تايك زو لم يظهر ما ينم عن القلق ولم يقطب وجهه يوما من العبء الذى نشكله عليه. بل كان على العكس من ذلك تماما، فكلما اعربنا له عن الاسف لما نسببه له من ازعاج، يمنعنا من الاسترسال ويقول ان اقامتنا فى منزله ليست عبئا على الاطلاق، بل ان مساعدة جيش بلاده هو واجب اخلاقى وفرض على الشعب. كان شيخا مدهشا فى كرمه ومروءته.

وكانت كنته تشاى ايل هوا، هى الاخرى، امرأة طيبة القلب للغاية. فعلى الرغم

من انها لم تكن تضع ارزا على المائدة كونهم يعيشون على زراعة اراضى الوقيد، الا انها كانت تطبخ لنا اطعمة لذيذة من الدخن وفول الصويا والشعير والشوفان والبطاطا وغيرها حسب اذواقنا. واحيانا كانت تعد لى خثارة الصويا المقلية وجبنة الصويا.

كانت تشعر بالحزن والاكتئاب لانها لا تستطيع ان تقدم شيئا من اللحوم لى، انا الضعيف الواهن الجسم:

"لقد امتنعنا عن تربية اى نوع من الحيوانات خوفا من ان يكتشف العدو مكاننا. لكننى الوم نفسى كثيرا هذه الايام لاننا فعلنا ذلك. فلو كانت لدينا دجاجة واحدة، لكنا ذبحناها وقدمناها اليكم.... تراودنى رغبة شديدة فى ان اذهب الى مكان يبعد مئة رى لاشترى لحما من هناك، لكننى لا اجرؤ على ذلك خوفا من مطاردة سفاحى القوات (التأديبية). تبا لها من دنيا لعينة !..."

كانت الاريحية التى تنطوى عليها كلماتها المتواضعة والمباشرة دافئة وعميقة المغزى.

"ان قولك هذا يحرجنى ويجعلنى اشعر بالذنب يا خالة. فانا ابن اناس عاديين، ترعرعت على تناول الخضار البرية وحساء اوراق اللفت. فلا تقلقى كثيرا على عدم تقديمك اللحم لى. انك تتأسفين لاضطرارك الى صنع جبنة الصويا القاسية وتقديمها لى بدلا من الجبنة التقليدية بسبب استحالة الحصول على المياه الملحية اللازمة لصنعها. بيد ان صحتى آخذة فى التحسن على ما يبدو بفضل الجبنة القاسية وخثارة الصويا المقلية."

"سمعت بان الرجال المتحدرين من محافظة بيونغآن يتسمون بطبع عنيف ومندفع. الا انكم، ايها القائد، سمح النفس وطيب القلب كالحرير. اننى اتمنى الآن لو كانت لدى ابنة لازوجها لشاب من محافظة بيونغآن. لئن كانت الاطعمة التى نقدمها لكم زهيدة وغير متنوعة، الا اننى ارجوكم ان تأكلوا كثيرا حتى تستعيدوا عافيتكم تماما فى هذا المنزل."

وكلما جلست لاتناول وجبة من وجبات الطعام، كانت تجلس هى الاخرى

القرفصاء امام الموقد وتراقبنى من بعيد بنظرات قلقة، خشية ان اتوقف عن الاكل فلا اتناول الطعام كله.

وحتى حين فقدت الشهية، كنت اجبر نفسى على تناول كل الاطعمة الموضوعة على مائدتى كى لا اغبن ولاءها لى. وكانت تظهر على شفتيها حينئذ ابتسامة رقيقة.

لقد كانت مساعدة الشعب لنا صادقة ونزيهة حقا. اذا كان لى ان اقارنها بمياه الانهار والجداول لكنت وصفتها بانها "بلورية" او "متلألئة". لقد كانت تلك المشاعر بلا حدود، لا يمكن قياسها بمقياس ولا وزنها بميزان.

ان من ينعم بحب الشعب هو السعيد ومن لا يتمتع بذلك الحب هو التعيس! هذا هو مفهومى لقيمة السعادة الذى تمسكت به طوال حياتى. وانى لاعتبر محبة الشعب اليوم، شأنى فى الماضى، هى اكبر شرف وسعادة. فالشعب هو من يهب الحياة طعمها الحقيقى. ومن يعرف هذا الطعم هو وحده القادر على ان يكون ابنا حقيقيا للشعب وخادما مخلصا له.

بفضل العناية المخلصة التى وفرتها لى اسرة زو، تحسنت حالتى الصحية بسرعة. وعلى الرغم من معارضة هان هونغ كوون، فقد اصبحت اكثر من الخروج للتنزه. كما قمت بقطع الحطب احيانا، وعملت على الهاون الارضى لقشر الحبوب فى احيان اخرى لمساعدة تلك الاسرة.

مضت اكثر من عشرة ايام منذ وصولنا الى ذلك الوادى فى داوايجى وتلقينا مساعدة اسرة الشيخ الكريمة. فاخذت افكر مجددا فى عودتنا الى منطقة حرب العصابات. شعرت كما لو اننا غادرنا وانغتشينغ منذ زمن بعيد. ومع انه لم يكن قد مضى على ذلك اكثر من ثلاثة اشهر، الا اننى كنت قلقا جدا على الوضع هناك خلال غيابنا، كما كنت افكر بالكيفية التى ستستقبل بها منطقة حرب العصابات وحدتنا. بل وراودنى بعض الاضطراب والشك ايضا.

اثناء وجودنا فى منطقة باداوهيجى، المح الينا المراسلون القادمون من منشوريا الشرقية اكثر من مرة بان السكان فى منطقة تشينتاو قلقون جدا بسبب "حملة التصفية". وكان بعضهم يتمتمون بان مواقع الثورة تتحطم تماما تحت

ضربات النضال ضد "مينساينغدان"، فيما يجزم بعضهم الآخر بانه اذا استمرت حملة التطهير على الوتيرة ذاتها، فقد تختفى قواعد حرب العصابات عن الوجود خلال سنة او سنتين.

يوما بعد يوم، كان يترسخ تصميمى على العودة الى مناطق حرب العصابات باسرع ما يمكن لمعالجة العواقب الناجمة عن مكافحة "مينساينغدان" والتى اتخذت طابعا يساريا متطرفا.

وذات يوم، وبعدما قمت بنزهة قصيرة فى الغابة، توجهت نحو كوخ زو كيونغ لاطلع آمر السرية هان هونغ كوون على قرارى.

كان آمر السرية جالسا على جذع شجرة قرب الكوخ، وهو يتطلع بحنين الى سماء الشمال. كان فى وضعه المتيبس ذاك اشبه بتمثال خشبى تتقاطع ذراعاه على صدره، ويوحى بمشاعر كآبة عنيفة تردع المرء عن الاقتراب منه. حين احس باقترابى، هب واقفا وهو يمسح عينيه بسرعة.

ما ان رأيت احمرار عينيه حتى احسست بقلبى يقفز من مكانه. هل وقع له حادث ما خلال الليل؟ او لعل هناك سرا يكتمه هذا الرجل العملاق ولا يمكنه البوح به للآخرين؟

"يا آمر السرية، لماذا تتصرف بما لا يليق بهان هونغ كوون منذ الصباح؟"

بعد ان وجهت اليه هذا السؤال، رحت ادور حوله.

فاكتفى هان هونغ كوون بالنظر الى بكآبة، ثم رمش بعينيه اللتين ما تزالان مخضلتين، واطلق زفرة طويلة، وقال لى بكلمات متقطعة:

"عشرات الرفاق انطلقوا معنا الى منشوريا الشمالية، ولم يبق منهم على قيد الحياة سوى ستة عشر فقط.... كم كلفنا تنظيم هذه السرية؟"

وفى الحال، وجدتنى اعود بذاكرتى مثله الى الايام التى نظمنا فيها السرية الخامسة معا.

كنا قد شكلناها بفصل جزء من سرية وانغتشينغ الثانية المرابطة فى شيلييينغ.

وقد قدت اولئك الجنود الى منطقة لوزوكو وضممنا اليهم هناك نفرا من الشباب

الجدد. وهكذا تشكلت السرية الخامسة بقيادة هان هونغ كوون.

وكانت سرية وانغتشينغ الخامسة تحت قيادتى مباشرة. فحتى عندما كنت اقود الكتائب والافواج ، كنت اصطحب معى هذه السرية للقيام بعمليات لارباك مؤخرة العدو. كانت سرية وانغتشينغ الخامسة بمثابة وحدة النخبة الاشد قدرة والاوفر خبرة قتالية من بين جميع وحدات جيش حرب العصابات فى منشوريا الشرقية. ولكن هذه السرية تكبدت خسائر فادحة فى الارواح وها هى تعود اليوم الى منطقة حرب العصابات بعددها الضئيل وكأنها هيكل عظمى يغطيه الجلد. لقد كان من الطبيعى جدا ان يتألم هان هونغ كوون، ممسكا رأسه بين يديه.

"عندما افكر فى خسارة السرية الخامسة، احس، انا ايضا، كما لو أن قلبى يتمزق. لكنى اجد عزاء كبيرا فى اننا قمنا باعمال مفيدة من اجل الرفاق فى منشوريا الشمالية. اجل، كانت نجاحاتنا عظيمة بالفعل. يا رفيقى هونغ كوون، ان الدماء التى ارقناها لم تذهب سدى على الاطلاق. فلنوسع الصفوف من جديد، وننتقم لرفاقنا الشهداء الف مرة."

هذا الكلام الذى خاطبت به هان هونغ كوون كنت اوجهه فى الواقع الى نفسى ايضا.

لم يتوقف هان هونغ كوون عن التطلع الى السماء الشمالية، مطبقا شفتيه بقوة. لقد كان يعانى جراحا لا يمكن لها ان تلتئم بعبارات العزاء. يبدو لى ان شجن الرجال لا يمكن سبر عمقه او كثافته. لكن صمت هان هونغ كوون لم يجعلنى افقد الامل به او اغضب منه، بل ضاعف من ثقتى به.

بعد ايام، اصدرت الامر الى الوحدة بالانطلاق، على الرغم من ممانعة الشيخ زو تايك زو فى ذلك.

كانت وجوه رفاقى المصطفين امام الكوخ لتقديم تحية الوداع الى الشيخ زو صارمة جدا.

"بعدما جئتكم محمولا يا جدى على ظهر احدهم، ها أنذا اعود الى منطقة حرب العصابات ماشيا على قدمى. ولولا اسرتكم الكريمة لما استطعت الشفاء او البقاء على قيد الحياة. لن انسى مساعدتكم الى الابد."

والمؤسف انني لم استطع ان اعرب عن امتناني لاسرة الشيخ زو بكلام اشد ملاءمة من ذلك الذى قلته. فربما هناك علاقة تناسب طردى ما بين عظمة الانفعال والعجز عن التعبير بالكلمات.

ظهر على الشيخ حرج شديد وهو يستمع الى ما قلته.

"هذا ثناء مبالغ فيه لرجل لم يستطع ان يقدم لكم قطعة لحم واحدة. اننى آسف لانى لم استضفكم لمدة اطول فى بيتى ايها القائد كيم. ولكننى لن الح على منعكم من الذهاب لان الواجب يحتم عليكم الرحيل بسرعة من اجل كوريا. عندما تتحرر البلاد، سنغادر نحن ايضا هذا الجبل ونرجع الى الوطن. اننا نضع كل ثقتنا فى القائد كيم وحده."

"ينبغى ان نلوم انفسنا، نحن ابناء كوريا، لوما شديدا لانكم تعيشون هذه الحياة الكئيبة هنا، بعدا عن نور الشمس، حتى فى ارض الغربة التى جئتموها بحثا عن لقمة العيش. ولكن حتما سيأتى، يا جداه، اليوم الذى ستعيشون فيه بسعادة وسلام تحت اشعة الشمس المشرقة. اذا حل الربيع، فقد تزداد عمليات العدو (التأديبية) وستتردد اصوات اطلاق النار فى جنبات هذا الوادى ايضا. فيستحسن، فى رأيى، ان تنتقلوا الى لوزوكو رغم ان ذلك سيسبب لكم المتاعب. فالثورة فى تلك المنطقة قوية التأثير، والاقامة فيها اكثر امنا من هنا."

بعد ان اسديت اليهم هذه النصائح، انطلقنا مغادرين وادى داوايجى.

وكانت تشاى ايل هوا قد وضعت فى جعبنا مؤونة تكفى لمدة ثلاثة ايام من الدخن والشعير النظيفين اللذين سهرت الليل من اجل تقشيرهما لنا، كما وزعت علينا حتى كرات من الاطعمة المنكهة بعجينة الصويا المفلفلة والملفوفة بلحاء شجر البتولا البيضاء كزاد للرحلة. وقد رافقنا ابنها الاكبر زو يونغ سون الى بارينكو، شاقا الطريق امامنا وسط ثلوج جبل لاويلنغ المتراكمة بكثافة.

ومثلما تنبأت، بدأ رصاص القوات "التأديبية " يدوى بكثرة فيما بعد قرب كوخ الشيخ زو. وذات يوم، غادرت اسرة الشيخ زو وادى داوايجى تحت جنح الظلام، حاملة معها بعض الحبوب الغذائية والملابس البالية وانتقلت الى تايبينغكو حيث بدأت تزرع ارضا مستأجرة هناك.

وفـى حزيـران مـن العـام نفـسه (١٩٣٥)، عـدت والتقـيت بـتلك الاسـرة فـى تايبينغكو. فبعد ان ابادت قواتنا وحدة خطيرة من جيش جينغآن، اقامت فـى قرية سينتونجى، قبالة تايبينغكو، وقامت بعمل سياسى واسع بين الجماهير. وقد ارسلنا الى تايبينغكو عددا من العاملين السياسيين الاكفاء وكان بعضهم قد تلقى معنا تلك المساعدة العظيمة من اسرة الشيخ زو فى وادى داوايجى. وقد التقوا بالشيخ زو تايك زو صدفة فى الشارع، فابلغونى بذلك على الفور.

زرته فى ذلك اليوم بالذات. قبل نصف سنة من ذلك، كنت قد وصلت الى منزله السابق محمولا على ظهور المغاورين وغائبا عن الوعى، ولم يكن بجانبى سوى ستة عشر جنديا، وكانوا متعبين ومنهوكى القوى فى جبال منشوريا الشمالية الوعرة. اما فى ذلك اليوم، فقد زرت الشيخ وانا فى صحة جيدة بصحبة رهط كبير من الجنود وليس ستة عشر جنديا فقط. الا ان استعدادنا لتلك الزيارة كان ضئيلا وزهيدا، خصوصا واننا ذاهبون الى اولئك الناس الافاضل الذين انقذوا حياتى من الموت بتقديم اقصى اشكال الولاء لى وانا اقف على مفترق الطريق بين الحياة والموت. فلم نحمل اليهم سوى عدة كيلوغرامات من اللحم وبعض النقود التى تكفيهم لشراء ما يسد رمقهم خلال شهر او شهرين. لقد كنت اتخيل مدى سعادتى لو كان بامكانى تحويل تلك الكمية الضئيلة من اللحم والنقود الى عشرات المواشى وعربة من الذهب.

لا ادرى كيف اعرب عن مشاعر الخجل والاسف التى تنتابنى عندما لا استطيع رد الجميل بشكل مرض.

ومع ذلك، مضيت اغذ الخطى اليهم مشدود الصدر. على الرغم من ان اعطيتى زهيدة، الا اننى كنت سعيدا بفرصة اللقاء بهم مرة اخرى ونحن على قيد الحياة. فأى سعادة اكبر من معرفة اننى مازلت وافراد اسرة الشيخ زو كلهم بخير !

كان بؤس الاسرة قد بلغ اقصى حدوده: ففى غرفة مزرية تبدو آثار الفقر المدقع واضحة فيها، كان يزدحم افراد الاسرة الكثيرون واجسامهم مغطاة باسمال بالية. ولكن وجوههم كانت تشرق بالابتسامات كالزهور المتفتحة. جلست مع الشيخ زو

على المصطبة الترابية وتحدثنا عن الماضى. وقد تركز فضول الشيخ على المآثر الحربية للجيش الثورى الذى سحق جيش جينغآن، فيما تركز اهتمامى على الحالة المعيشية لاسرة الشيخ زو.

"قل لى، يا جداه، كيف تمارسون الزراعة وتجلبون الحطب دون ثور؟"

كانت هذه المسألة قد استرعت اهتمامى منذ اقامتى عندهم فى داوايجى.

"اننا نؤدى هذه الاعمال بسواعدنا. فافراد اسرتنا الاربعة عشر يجرون المحراث وينقلون الحطب كالثيران والخيول."

وقد بدا لى فى اقصى درجات البسالة يومئذ وهو يحدثنى، دون مبالغة ولا وهن، عن فقره الذى يحمله على كاهله منذ ستين سنة.

"انكم تتجشمون عناء كبيرا لاعالة اسرتكم الكبيرة، أليس كذلك؟"

" طبعا، انه عناء كبير. ولكن مهما كانت مشقات العمل الزراعى، فانها لن تكون اضخم من المحن والشدائد التى تكابدها انت ايها القائد كيم. ثم اننى اشعر اليوم بالكبرياء والفخر على الرغم من الجوع والبؤس."

"هل وقع لكم حدث سعيد؟"

"اجل. اشعر باننى اصبحت ثريا لان جيش القائد كيم يوالى سحق الاوغاد اليابانيين. ان انتصارات الجيش الثورى تجعلنا ننسى الجوع. لقد اصابنا اليأس حين ودعناكم فى داوايجى. وتساءلت ماذا عساكم فاعلون بقوة لا يتجاوز عددها عدد افراد اسرتى. ولكن، عند عودتكم من جبل لاوهيشان بالامس ظافرين، وجدت جيشكم يناهز المئات من الجنود، فهتفت فى سرى: (وافرحتاه، لقد انتصرت كوريا!)"

ان الشيخ زو الذى لم يكن يتحدث الا فى الشؤون المعيشية عندما كان يعيش فى داوايجى، اذهلنى فى ذلك اليوم وهو يحصر اهتمامه بنتائج معارك الجيش الثورى دون سواها. لقد غيره الزمن الى شخص آخر فى اقل من نصف سنة. لقد تحول من ناسك زاهد لا حول له ولا قوة، ابتعد عن العالم وادار له ظهره، الى انسان متفائل رجع الى دوامة الحياة التى انفصل عنها حينا من الزمن، وعاد يواصل حياته فى سعادة يملأه الامل بالمستقبل.

(عندما يقاتل الجيش جيدا ترتفع معنويات الشعب!)

هذا ما تبادر الى ذهنى بما يشبه الصدمة وانا ارى وجه الشيخ زو فى ذلك اليوم.

عند مغادرتى منزل الشيخ، تركت له بعض النقود، وفى اليوم التالى، ارسلت اليه حصانا ابيض كنا قد غنمناه فى معركة لاوهيشان. ومع ان الحصان كان هزيلا الى حد ما، الا اننى كنت ارغب فى ان يسمنه الشيخ قليلا ويستخدمه فى العمل. ولم يكن ذلك الا تعويضا طفيفا لا يقارن بما قدمته اسرته لى. فالنقود والاشياء المادية الاخرى ليست كافية للوفاء بما ادين به لهذه الاسرة.

لكن القدر المتقلب، بمخاطره ومحنه، ما لبث ان قطع حبل علاقتى الحميمة بالشيخ زو تايك زو. كانت حلبة نشاطى الرئيسية فى تلك الآونة هى منطقة جبل بايكدو. وبعد انتقالى الى هناك، لم يعد بامكانى الذهاب الى قرية تايبينغكو. وفى خريف عام ١٩٥٩ تمكنت من معرفة المكان الذى تقيم فيه اسرة الشيخ زو. فقد تلقيت من بعثة استقصاء مواقع المعارك اثناء النضال المسلح المناهض لليابان التى ارسلت الى شمال شرقى الصين، تقريرا عن عثورها على العمة تشاى ايل هوا فى نينغآن.

ها هم احياء هؤلاء المنقذين الذين لا يمكننى ان انساهم، والذين بحثت بجزع طوال سنوات عن مكان اقامتهم حتى ولو كانوا فى اى ركن من اركان العالم ! فيا لرغبتى فى الاندفاع نحوهم فورا الى نينغآن، واجتياز الحدود لاقدم لهم الاحترام والتقدير، ومشاطرتهم الاشواق الى الوطن الذى تزهر فيه احلام الشهداء، واعيد البحث معهم عن آثار اقدامنا التى غطتها الطحالب مع مرور الزمن.

غير ان حواجز الحدود كانت تقوم بينى وبين تلك الاسرة، ولقائى بها دونه الكثير من الاجراءات المعقدة. لكن حتى هذه الحواجز ما كانت لتنال من حماستى وانا انتظر ذلك اللقاء بفارغ الصبر.

لقد رغبت فى ان اتحول الى مواطن عادى يحمل جواز سفر عادى، ولو لمدة اشهر فقط، فاتجول فى مواقع المعارك السابقة التى غطتها الاشجار والاعشاب، وانا

انتعل حذاء العمل وألف ساقى بالطماق واحمل على ظهرى الجعبة واتناول زاد الرحلة، واعبر احيانا مياه النهر التى تعلو حتى ركبتى، مشمرا سروالى، مثلما كنت افعل ابان حرب العصابات، لازرع العشب على قبور رفاق السلاح، واتبادل التحيات مع المحسنين الافاضل الذين مدوا لى يد العون وحمونى بارواحهم.

يبدو ان لكل سياسى حنينه وتوقه الى حياة المواطن العادى. وليس من المستغرب ان يحسد رئيس الدولة الناس العاديين على حياتهم.

بعد التحرير، زرت الصين والاتحاد السوفييتى فى عدة مناسبات. وقد كان هناك فى منشوريا ومنطقة آسيا الوسطى السوفييتية عدد كبير من رفاق السلاح والمحسنين الافاضل ممن كان يجب على ان التقيهم. الا ان منصبى الرسمى، كرئيس دولة، لم يكن يسمح لى بادراج امور شخصية على جدول الزيارة. كانت اعصابى كلها مشدودة الى اعادة بناء الوطن الذى تخرب وتدهورت احواله بعد حربين ضاريتين: ضد اليابان وضد الولايات المتحدة الامريكية.

لو زرت الاتحاد السوفييتى او الصين بصفتى مواطنا عاديا لاستطعت ان التقى بسهولة بالناس الذين ارتبطت بهم اثناء فترة الحرب المناهضة لليابان. ولعل هذا هو بالذات السبب الذى يجعلنى اتوق فى بعض الاحيان الى حياة المواطن العادى.

عندما اقول ان رئيس الدولة يشعر بقيود فى حياته الخاصة، قد يتساءل بعض الناس: "وكيف ذلك ؟ ". عندما اعتزم السفر الى اية منطقة لاسداء التوجيهات الميدانية، يأتينى بعض الكوادر ويقولون: "ايها الزعيم المحترم، الطقس فى تلك المنطقة سيئ". وعندما اعبر عن رغبتى فى التوجه الى مكان ما لالتقى بالناس هناك، يقولون لى: "ايها الزعيم، السيارة لا تستطيع الوصول الى هناك لوجود مستنقعات فى الطريق". طبعا، ان هذا كله ناشئ عن قلقهم على واعتنائهم بى، الا انه لا يمكن الا ان يكون قيدا معينا بالنسبة لى.

وفى العام التالى، عادت العمة تشاى ايل هوا بافراد اسرتها الى الوطن. وهكذا اسدل الستار على حياة التطواف المعذبة لهذه الاسرة، التى بدأت مع نزوح الشيخ زو تايك زو الى هيلونغ، وقد استقرت اجيال الاسرة الجديدة فى بيونغ يانغ، بعد ستة

عقود مليئة بمعاناة لا سبيل الى وصفها. ترى، كيف كانت احاسيس ذرية الشيخ زو وهم يرون الوطن المستقل، الوطن الحر، الوطن الذى ينهض بعنفوان من بين الانقاض، رافعا عاليا راية الاعتماد على الذات ؟

لقد توافقت عودتهم الى الوطن مع فترة تاريخية كانت فيها البلاد كلها تجيش انفعالا ببدء عودة المواطنين الكوريين المقيمين فى اليابان الى وطنهم، تلك التى وصفها العالم "بالهجرة الكبرى للامة من الرأسمالية الى الاشتراكية".

كان عمر العمة تشاى ايل هوا حينئذ سبعة وستين عاما. وكان رأسها مكللا بشعر ابيض وكأن الثلوج التى كانت تتراكم على الجهة الظليلة من وادى داوايجى انهالت على رأسها. وعندما رأتنى، لم تفعل شيئا سوى الامساك بيدى والانخراط فى البكاء، شأنها شأن عقيلة الراحل ريانغ سى بونغ.

"لماذا البكاء يا عمة فى يوم سعيد كهذا ؟ ألسنا نلتقى ثانية ونحن على قيد الحياة ؟"

حين اخرجت المنديل لامسح دموعها، سارعت الى مسح عينيها بشريط سترتها، وقالت وهى تشهق:

"ابكى لاننى اتذكر معاناتكم من البرداء يا رئيس الوزراء العزيز."

"ما عانيته لا يعد مشقة. من كابد المشقة، فى الحقيقة، هو انت وحموك الجد زو تايك زو. ولاننى لم استطع ان انسى افضالكم على، دأبت على ارسال الكوادر الى منشوريا بعد تحرير الوطن لكى يبحثوا عن افراد اسرتكم. لعلنا افترقنا فى تايبينغكو فى صيف عام ١٩٣٥، أليس كذلك ؟ سمعت بانكم انتقلتم فيما بعد الى نينغآن لتفادى الحملات (التأديبية) الشرسة. ترى، كيف عشتم بعد ذلك؟ "

"كنا نجمع الحطب ونبيعه بواسطة ذلك الحصان الذى اهديتنا اياه للحصول به على قوتنا. ولولا ذلك الحصان لمات جميع افراد اسرتنا جوعا."

"يسعدنى ان اسمع ان ذلك الحصان قد نفعكم فى شىء. هل صحيح ان الجد زو تايك زو قد توفى عام ١٩٥٣؟"

"اجل. وكان حموى يتحدث عنكم باستمرار قبل وفاته. وعندما كان يسمع

اخبار قصف الطائرات الامريكية لبيونغ يانغ، ما كان يستطيع النوم، وكان يكرر دائما: (يجب ضمان سلامة القائد كيم إيل سونغ)، (لا بد ان القائد يعانى مشقات هائلة)."

وقد تأثرت كثيرا لرواية تشاى ايل هوا عن ان الشيخ زو تايك زو لم ينسنى حتى اللحظة الاخيرة من حياته وظل يتمنى لى الصحة الجيدة.

ان مشاعر الشعب ثابتة. فحتى لو تغير كل شىء فى هذه الدنيا، فان حب الشعب لا يتغير. فهذا الحب ابدى، لا يفقد بريقه على الاطلاق مهما كانت الخطوب، انه يتلألأ مثل جوهرة يورثها الامس الى اليوم، واليوم الى الغد.

"لو انه عاش سبع سنوات اخرى، لاستطاع ان يعود الى الوطن. فيا للاسف! اننى مازلت اتذكر ذلك الكوخ فى داوايجى. فهل عدت وذهبت الى هنالك مرة اخرى ؟ "

"لم اذهب اليه قط. يبدو لى انه لا يمكننى ان اعيش الآن فى ذلك الوادى."

"ولماذا تعيشين هناك ثانية؟ لقد عانيت الكثير من الشدائد طوال حياتك. ويحق لك ان تقضى الآن بقية حياتك فى سعادة وهناء، محاطة بعناية ابنائك واحفادك. ساختار لك منزلا بنفسى."

وعندما زارتنى العجوز تشاى ايل هوا فى بيتى لتهنئتى بعيد ميلادى التاسع والاربعين فى ١٥ نيسان عام ١٩٦١، اهدتنى قلم حبر، وقد قدمته لى وهى تدارى خجلها مع العبارات التالية:

"رئيس الوزراء العزيز، ان الحصان الذى اهديتموه الى اسرتنا انقلب الى قلم الحبر هذا. لقد اطعمناه جيدا كى يسمن، عملا بنصيحتكم، واستخدمناه فى الاعمال الزراعية. وفيما بعد، استبدلناه بثور خوفا من ان يصادره العدو لاستخدامه فى الاغراض العسكرية. وقد بقى افراد اسرتنا على قيد الحياة بفضل وجود ذلك الثور. وبعد التحرير، سلمنا الثور الى مزرعة تعاونية. ولدى عودتنا الى الوطن، تلقينا من التعاونية ثمن الثور واشترينا به قلم الحبر هذا. وها أنذا اقدمه لكم كعربون وفاء، متمنية لكم النجاح فى كل اعمالكم وموفور الصحة ومديد العمر."

فتذكرت لحظتها، بمشاعر من التأثر الشديد، تاريخ شعبنا الحافل بالمعاناة،

والمتجسد فى الطريق الذى قطعته اسرة زو تايك زو منذ الحصان الابيض الى قلم الحبر.

"اشكرك، أيتها العمة ! سأعيش عمرا مديدا كما تمنيت لى وسأعمل لما فيه مصلحة الشعب."

وفى يوم ١٥ آب من ذلك العام، حين كانت كل الاسر فى بلادنا تحتفل بالذكرى السادسة عشرة لتحرير الوطن، قمت بزيارة العمة تشاى ايل هوا فى منزلها على ضفة نهر دايدونغ.

فى الغرف التى تلمح فيها فورا علائم الانتقال حديثا الى بيت جديد، كانت تتردد الضحكات السعيدة لاولاد هذه الاسرة وهم يحتفلون بالعيد. وكنت قد اخترت بنفسى موقع تلك العمارة وراجعت تصاميمها لتبنى خصيصا من اجل الكتاب واسر المناضلين الثوريين المناهضين لليابان. ولم يكن فى مدينة بيونغ يانغ حتى ذلك الوقت عمارة متعددة الطوابق اروع منها.

ولطالما اعتبر سكان مدينة بيونغ يانغ حارة كيونغسانغ التى يقع فيها منزل العمة تشاى ايل هوا على انها اطيب بقعة فى المدينة.

"هل يعجبك هذا المنزل يا عمة؟"

"كيف لا وانا اسكن لاول مرة فى حياتى منزلا مريحا كهذا."

ثم فتحت النافذة المطلة على نهر دايدونغ على مصراعيها، كما لو انها تريد ان تتباهى امامى بالمنظر الذى يطل عليه منزلها الجديد. فدخلت من النافذة نسمات منعشة آتية من جهة النهر فتطايرت قليلا خصلات شعرها الذى خطه الشيب تحت وطأة المحن.

"لقد عشت حياتك كلها فى جبل ناء، لذا اخترت لك منزلا يقع على ضفة النهر. ولكن، لعلك تتوقين الى رؤية المناظر الجبلية، أليس كذلك ؟ "

"كلا. اننى افضل تأمل منظر نهر دايدونغ. اننى مرتاحة جدا هنا على ضفة النهر."

"ومع ذلك، لعلك تحنين الى المناظر الجبلية احيانا. صحيح ان داوايجى كان

واديا نائيا لا يصلح لسكن الانسان، الا ان هواءه كان نقيا صافيا. يمكنك ان تصعدى الى تلة موران، كلما شعرت بالحنين الى هواء الجبل. ولانك قد تشتاقين يوما الى رؤية المناظر الجبلية فقد اخترت لك منزلا قرب تلة موران. فاكثرى من التنزه. وعندما نبنى مساكن اروع فى المستقبل، سأنقلك الى منزل جديد مرة اخرى."

"اننا سعداء جدا بهذا المنزل يا رئيس الوزراء المحترم. ويكفى اننا نعيش بالقرب منكم."

ورافقتنى المرأة العجوز حتى الردهة لتوديعى. وحين مددت يدى اليها مودعا، سألتنى بنبرة ذات مغزى وهى تشد على يدى:

"قل لى، يا رئيس الوزراء المحترم، هل يوجد بجانبكم اطباء اكفاء؟"

ساورتنى الحيرة لدى سماعى سؤالها المفاجئ، لكنى اجبتها:

"يوجد كثير من الاطباء. ولكن لماذا تسألين؟"

"لاننى اتذكر ذلك اليوم الذى اصبتم فيه بالحمى. اخاف ان تصابوا بشىء من هذا القبيل ثانية."

"لا تقلقى يا عمة، انى فى صحة جيدة. حتى لو اصبت بمثل ذلك المرض الخطير مرة اخرى، فاننى لا اخشى شيئا. ألا توجد بجانبى العمة تشاى ايل هوا، الطبيبة الماهرة فى معالجة الحمى؟ "

بعد ان ودعتها، مضيت اتجول طويلا فى شوارع العاصمة الرئيسية الصاخبة باجواء العيد، وانا مستغرق فى تفكير عميق. وفى تلك الشوارع، مثل شارعى سونغرى واينمينكون (الجيش الشعبى)، كانت تتأجج شعلة حركة بناء ٢٠ الف شقة سكنية، وكانت تستكمل ملامحها بالمبانى العامة والعمارات السكنية الضخمة. فخلال ثمانى سنوات بعد انتهاء الحرب، خرج عشرات الالوف من اهالى العاصمة من الاقبية وانتقلوا الى عمارات سكنية متعددة الطوابق بنيت وسط انغام سمفونية الانعاش والبناء الصادحة.

ولكن البناء كان لا يزال يخطو خطواته الاولى فحسب. فالى ذلك الحين، كان اكثر من نصف اهالى العاصمة يعيشون فى الاقبية الزرية والبيوت ذات الغرفة

الـواحدة العائـدة الـى عـصر مـا قـبل الحـضارة. انهـم اولـئك الـذين فرضـت علـيهم التضحيات الجسام والمآسى المروعة والمشقات القاسية التى لم تعرف اية امة فى هذا العالم مثيلا لها، أكان ذلك فى اتون النضال المناهض لليابان او فى نيران حرب المقاومة ضد الولايات المتحدة. فأين يوجد فى هذا العالم شعب اراق دمه بلا حساب وعانى ما عانى من البرد والجوع مثل شعبنا؟ لزام علينا ان نبنى مزيدا من المساكن الرائعة وننتج مزيدا من الاقمشة الجيدة ونبنى عددا اكبر من المدارس ودور الراحة والمشافى الفاخرة من اجل هؤلاء الناس. ولزام علينا ان نعيد عددا اكبر من المواطنين الكوريين التواقين لرؤية وطنهم ثانية من بلاد الغربة. هذا هو ما يجب على ان افعله ما دام فى رمق من اجل الشعب الذى شفانى من الحمى وانقذنى من الموت.

ولم يغمض لى جفن حتى ساعة متأخرة من الليل وانا اهجس بمثل تلك الافكار.

لقد توفيت العمة تشاى ايل هوا قبل سنوات معدودات ودفنت فى مقبرة الشهداء الوطنيين. واصبح ابنها زو يونغ سون الذى رافقنا الى بارينكو، وابنتها التى كانت تحمل الينا مياه الشرب، اصبحا جدا وجدة وهما فى حدود السبعين من عمرهما. وانه لمن حسن طالعهما، ان يقضيا البقية الباقية من حياتهما فى ربوع الوطن المحرر.

تقع داوايجى على بعد آلاف وآلاف الريات من بيونغ يانغ. لقد انصرمت ستون سنة تقريبا منذ ان غادرت ذلك الوادى النائى الموحش المغطى بالثلوج، ناثرا تحيات الوداع خلفى. الا ان حفيف الاشجار التى كانت تحمى كوخ الشيخ زو المتوحد فى العاصفة الثلجية الهوجاء، ما انفك يقرع مسامعى الى اليوم.